

دور الشباب في تعزيز قيم الحوار



مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان - سلسلة أوراق المؤتمر
أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

دور الشباب في تعزيز قيم الحوار

التمهيد: أ. د. إبراهيم النعيمي
الخاتمة: أ. د. عائشة المناعي

التحرير: سناد مراهوروفيتش



دور الشباب في تعزيز قيم الحوار \ عني بالتحريير سناد مراهوروفيتش
مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان - سلسلة أوراق المؤتمر \ أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر
لحوار الأديان

الطبعة الأولى 2015 م، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان (DICID)، الدوحة، دولة قطر.

جميع الحقوق المحفوظة لمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان (DICID) 2015 م. يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

رقم الإبداع بدار الكتب القطرية: 273/2015
الرقم الدولي (ردمك): 8/290/00/9927/978

توضيح الغلاف: نموذج من من تصميم الزخرفة الإسلامية
تصميم الغلاف: سناد مراهوروفيتش

الآراء والأفكار المذكورة في هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن موقف وسياسة
مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان.

المحتويات

viii

التمهيد

إبراهيم النعيمي

x

المقدمة

سناد مراهوروفيتش

1. نظرة الأديان للشباب

مار ثاوفيلوس جورج صليبا

3

نظرة الأديان للشباب: دور الشباب في تعزيز قيم الحوار
أحمد ربيع أحمد يوسف

7

الشباب حول الأنبياء: أمثلة من الكتب المقدسة
فتوريو إباناري

24

دور الكتاب المقدس في حياة المسيحيين
يوسف الشراح

28

شباب حول الرسول ﷺ
أمل حزين

35

سلوك الشباب المثالي من وجهة النظر الدينيّة وخبرة الحياة
حقار محمد أحمد

52

ثقافة الحوار مع الآخر لدى الشباب ودورها في التواصل الحضاري

2. الفرس والتحديات التي تواجه الشباب

العروسي الميزوري

69

في تربية الشباب المسلم على ثقافتها الحوار والتعايش مع الآخر
منتصر حمادة

79

مشاركة الشباب في حوار الأديان: الواقع والمآزق
نبيل خلدون قريسة

96

مُعَوِّقات مشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان
فرح صابر

112

الشباب والعولمة الثقافية: التحديات وآليات المواجهة
حنا عيسى

130

ثقافة الحوار مع الآخر لدى الشباب ودورها في التواصل الحضاري

3. ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟

خلدون عريمط

137 ماذا قدم حوار الأديان الى الشباب؟
نزهة توفيق

147 الشباب وحوار الأديان: ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟
أنس بن حسن الشقفة

158 تجربة الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا في توجيه الشباب
نحو الحوار والتعايش الإيجابي مع الآخر
رفعت بدر

174 نحو ربيع جديد في العلاقات الإسلامية المسيحية عبر الإعلام
والمناهج الدراسية
هانى شكرالله

191 الحوار بين الشباب المسلمين والمسيحيين من خلال مركز أركان
للفنون والثقافة
براهيم أحمد

195 البرامج الجامعية وأثرها في ترسيخ مقومات الحوار الإيجابي لدى
الشباب: برامج مركز حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم
بجامعة عبد الحميد بن باديس- ستغانم \ الجزائر- أنموذجاً
روشان عباسوف

213 (محاضرة عامة)
جميل سلامة

219 دور المنظمات الحكومية وغير الحكومية في تفعيل مشاركة الشباب
في حوار الأديان: تجربة هيئة الوفاق الفلسطيني نموذجاً

4. ماذا قدم الشباب لحوار الأديان؟

بسام بنات ومجد حنا

231 دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية بمحافظة بيت
لحم

266 ساجدة سالم محمد أبو سيف
مبادرات شبابية لنبذ التّعصب الديني: نماذج من مواقع التواصل
الإجتماعي

280	جميلة زيان الشباب الإسلامي والمسيحي بين جدلية الحوار والتعصب الديني: نماذج ومواقف
305	الخاتمة عائشة يوسف المناعي

التمهيد

لقد شهد مجتمع الأديان العالمي هذا العام مؤتمراً دولياً آخر حول حوار الأديان، عقد في الدوحة وتم تنظيمه حصرياً من قبل مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان (DICID) في الفترة من 25 إلى 26 مارس 2014. وقد جاء المؤتمر تحت عنوان "دور الشباب في تعزيز قيم الحوار" موجهاً نحو مشاركة الشباب في مختلف المجالات المتعلقة بحوار الأديان. وقد انقسم عنوان المؤتمر إلى أربعة أقسام رئيسية عامة هي كالتالي:

- نظرة الأديان للشباب،
- الفرص والتحديات التي تواجه الشباب اليوم،
- ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟
- ماذا قدم الشباب لحوار الأديان؟

تضمن كل قسم من الأقسام المذكورة أعلاه ثلاثة مواضيع فرعية على التوالي، وذلك لتمكين المشاركين من التعامل مع الموضوع الرئيسي من مختلف وجهات النظر التحليلية. فمن المواضيع المذكورة في القسم الأول وهو نظرة الأديان للشباب، فقد كان هناك عدد من العروض أغلبها من تراث اليهودية والمسيحية والإسلام كتبت في هذا المجال. حيث تمكن المشاركون في هذا المجال من استكشاف الأسئلة المختلفة مثل التعاليم الأساسية المتعلقة بالشباب في كل دين من تلك الديانات السماوية الثلاث، وتحليل مفهوم الشباب من خلال الكتب المقدسة والمبادئ التي يقوم عليها السلوك المثالي للشباب بناءً على تراث ديني معين.

أما القسم الثاني فقد ركز على الفرص والتحديات التي يواجهها الشباب المعاصر وتم تكريس هذا الموضوع للعوامل التي تقيد مشاركة الشباب في ثقافة حوار الأديان من جهة، وفرص الشباب للمشاركة في حوار الأديان من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك، فقد تضمن هذا القسم التحليل النقدي لثقافة حوار الأديان الموجودة بين الشباب والدروس التي يمكن الاستفادة منها. وفي القسم الثالث، تم توجيه التركيز نحو مجموعة متنوعة من الطرق التي يمكن من خلالها مخاطبة الشباب وبناء ثقافة تحت على حوار الأديان بينهم. وناقش المتحدثون في هذا القسم الأسئلة المتعلقة بالممارسات الأكثر شيوعاً لهذا الغرض مثل الحوار بين الأديان من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، فضلاً عن أهميته البالغة في تقديم فهم أفضل للآخرين من الناس ودياناتهم وثقافتهم. وقد تم طرح عدد من الأفكار النيرة والمقترحات القيمة بهدف تحسين الوضع الحالي للأساليب المذكورة لبناء حوار صحي ومفيد بين الأديان

المختلفة. أخيراً، تم تسليط الضوء في القسم الرابع من المؤتمر على السؤال الجوهري المتعلق بدور الشباب في حوار الأديان ومساهماتهم فيه. ومن ضمن المواضيع الرئيسية التي شملها هذا القسم المواضيع المتمثلة في تطوير برامج حوار الأديان من خلال الأعلام باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي للحد من التطرف الديني والعمل على تعبئة المجتمع المدني سلمياً.

وحيث أن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان يُعنى خصوصاً بالحوار بين أتباع الأديان السماوية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن هذا المؤتمر قد جمع العديد من الشباب الباحثين والناشطين والقادة من الخلفيات الدينية المذكورة ومن كل أنحاء العالم حيث مُنحوا فرصة خاصة لعرض وجهات نظرهم حول الموضوع. إن التقاء مثل هذه العقول المشرقة تحت سقف واحد لتحليل ومناقشة دور الشباب في الحوار بين الأديان، قد أنتج العشرات من المقالات العلمية والأكاديمية يتم نشرها لأول مرة في هذا المؤتمر. ونأمل مخلصين أن يجد قراء هذه المقالات المتعة والاستفادة من الأفكار المتضمنة بقدر سعادتنا في المشاركة في إعداد وتنفيذ هذا المؤتمر ونشر مناقشاته وأوراقه العلمية في هذا الاصدار.

أ.د. إبراهيم النعيمي

رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

المقدمة

لابد من الوقوف أمام ظاهرة إن توظيف مفهوم الدين في وقتنا الحاضر من قبل بعض الأشخاص والجماعات المنظمة، والتي غالباً ما تكون من فئة الشباب، كوسيلة لتحقيق الدوافع التي صممت خصيصاً لتلبية مصالحهم أو مصالح أناس آخرين، ضاربين عرض الحائط بكل القيم الدينية ومبادئها الأساسية التي تعكس دون أدنى شك حقيقتي السلام والوئام. وعليه فإنني أتشرف بالقول أن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان قد اتخذ خطوة هامة للوقوف ضد هذا التوظيف السيئ للدين لأية أغراض سلبية كانت، بل على النقيض من ذلك، فقد عمل المركز على إبراز جميع الجوانب الايجابية للعقائد والممارسات الدينية متمثلة في الفضائل التي من خلالها، وعلى مدى القرون الماضية، تمكنت البشرية من التعايش والتعاون بالرغم من اختلاف خلفياتها الدينية والثقافية. أن الموضوع الذي تم اختياره لمؤتمر هذا العام 2014 بالدوحة والذي نظمه المركز يعكس إلى أبعد مدى الدور الملقي على عاتق الشباب في بناء العالم من حولنا شريطة توافر وتوجيه الشغف والحماس لدى الشباب نحو القيم التقدمية والايجابية والمرتكزة على المبادئ الدينية والمباركة من قبل أغلبية الناس بغض النظر عن أعراقهم وانتماءاتهم الوطنية والثقافية والدينية.

إن موضوع المؤتمر "دور الشباب في تعزيز قيم الحوار" يمثل الفكرة التي تحتاج إلى المناقشة المستمرة والمراجعة الدائمة لتحقيق التوازن بين الشباب والكبار، بين الربيع والخريف، بين المعرفة والحكمة، وأخيراً بين رغباتنا وتصوراتنا الداخلية والنفسية، التي دون شك تنعكس من خلالنا وعائلاتنا ومجتمعاتنا وبالتالي تصل إلى كل ركن من أركان العالم. لقد اعتبر الإنسان منذ بداية الزمان أشرف مخلوقات الله على الأرض، وذلك فضلاً إلى صفاته العقلانية والفكرية والروحية وغيرها من الفضائل التي أنعمها الله عليه.

يتبنى التراث اليهودي - المسيحي فكرة خلق الإنسان على صورة الله (سفر التكوين، 1:27)، أما الإسلام فإنه يرى خلق الإنسان "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (سورة التين: 4)، حيث يضع ذلك الإنسان في مكانة عظيمة بين مخلوقات الله سبحانه و تعالى باعتباره "خليفة الله على الأرض": "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (سورة البقرة: 30)، ليتحمل مسؤولياته وواجباته تجاه الله تعالى من جهة، وتجاه بقية الخلق بمن فيهم نفسه من ناحية أخرى. غير أن واجب الخلافة التي كلف بها الإنسان بكونه ركيزة الخلق و"خليفة الله في الأرض" لا تتطلب فقط القوة الفكرية والروحية والمادية على المستوى المنظور الدنيوي، ولكن، والأهم من ذلك، هي قدرة المرء على تحويل تلك القوة على المستوى

التقاطعي أو العالم الميتافيزيقي. انه فقط من خلال كشف ذلك المنظورين الإنسانيين يمكن تحقيق تلك " الخلافة" أو تلك المركزية الإنسانية.

إن أي تفاوت في أداء الواجب البشري المذكور أنفا سيؤثر قطعاً على الانسجام بدءاً من نفس الإنسان ومن ثم على المحيط الذي حوله وبالتالي قد ينتج عنه ما جاء في القرآن الكريم على لسان الملائكة كرد على اختيار الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (سورة البقرة: 30). مع كل أسف فإننا نعيش في الوقت الحاضر في عالم تنعكس فيه جوانب عدة من هذه الآية الكريمة، في حين أن نبل الإنسانية ووظيفتها الجوهرية كخليفة الله تعالى في الأرض تهمش.

يعتبر دور الشباب حاسماً في كل هذه الأحداث خاصة في الجزء الإسلامي من العالم، لذلك فقد بادر مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان بناءً على التعاليم والقيم الدينية الخالدة الإقدام على العمل باسترجاع المثل الحضارية إلى عالم اليوم متمثلة في التفاهم والاحترام والتعايش والتي كانت تدرس وتمارس بلطف في الحضارات العظيمة في الماضي. أخيراً فإن هذه المجموعة من أوراق المؤتمر تمثل جزءاً هاماً من المبادرة المذكورة سابقاً لمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان نحو السلام والوئام.

ولجميع المشاركين في هذا المؤتمر، وخاصة أولئك الذين ساهموا في هذا الكتاب من أوراق المؤتمر، أود أن أتقدم بالشكر والتقدير لهم جميعاً. وكذلك أود أن أشكر جميع زملائي من المركز الذين ساعدوني في إعداد هذا الكتاب للنشر؛ وصديقي العزيز إسلام كرم الذي ترجم بعض النصوص إلى اللغة العربية؛ والأستاذ الدكتور إبراهيم النعيمي رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، ونائبته الأستاذة الدكتورة عائشة المناعي لاقتراحاتهم القيمة والمساعدة التي قدمها أثناء عملي على هذا الكتاب.

سناد مراهوروفيتش

الباحث في مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

نظرة الأديان للشباب



نظرة الأديان للشباب دور الشباب في تعزيز قيم الحوار

في مراحل الحياة المتعددة والممتدة منذ الولادة والى ختام الدنيا على هذه الأرض، يتميز الشباب بأهميته وقيمه الانسانية كافة. فالشباب هو الربيع الدائم للحياة وبه تتمثل سائر مراحل الحياة. وقد مدح الانسان عمر الشباب لأنه باكورة قرارات الانسان بانتهاج ما يبقى ويتمنى لتحقيق احلامه وأهدافه وتطلعاته المتعددة، بل هو الأساس لمشروع المستقبل وما يرجوه الانسان لنفسه ولعائلته ولمجتمعه ووطنه والمبادئ السامية التي يسعى الى تحقيقها وتنفيذها من النواحي كافة. فالقوة البدنية هي في الشباب ورجاحة العقل والفكر تستقر في الشباب لتنمو من اجل مستقبل بسام يتردّد به الانسان بالطاقات والامكانيات والمواهب التي توجه الانسان الى ما يخدمه ويسهل امامه السبل لكي يبلغ ما يتمنى.

والأمثال والخبرات تنادي دائماً إنّ أجمل العمر وأهم مراحلها هو الشباب. لهذا تبارى العلماء والأدباء والشعراء والمثقفون أن يقوموا أهمية هذه المرحلة فهي مرحلة اكتمال العقل وتعزيز المواهب والطاقات التي افاضها الله على الانسان. فالعقل يبدأ طريقه الى الاستقرار، والنزوات والشهوات والأحاسيس برمتها يتلقاها الشباب ويوفرها لتأتي بثمار تتناسب وقدرات الكائن البشري لبلوغ ما يتمنى. وقد قيل قديماً من رعى شبابه أفاد واستفاد، أفاد لأنها مرحلة بناء الذات والشخصية استعداداً لمجابهة الحياة بطرقها المتنوعة والمختلفة ومن هنا نتعلم مبدأ (الحياة عقيدة وجهاد) والعمل في هذه المرحلة هو ثمين اذ يسهل للإنسان كل السبل التي تقوده الى الفلاح. والأمة التي يكثر فيها الشباب من الجنسين يشكلون ضماناً لمستقبل تلك الأمة بل المجتمع الذي ينتمي إليه كل هؤلاء، فالشباب سهاً في أيدي الجبابرة وأمانة في مستقبل الأمة. والمجتمع والأمة التي لا تنجب شباباً ولا تحافظ عليهم ولا تعرف لهم قيمة، فتهملهم بل تتجاهلهم فهي الخاسرة الكبرى، وإذا قلّ مجموع الشباب فليس أمل يرتجى للمجتمع والأمة لأنه من الكمية نختار النوعية، فيتحول هذا المجتمع الى فراغ لا يبشر بالخير لأبناء المجتمع، بل يصيب المواطنين اليأس ليفقدوا الأمل من كل بادرة ومن كل نشاط ومن كل محاولة يمر

¹ السيد مار ثاوفيلوس جورج صليبيا [bgsaliba@hotmail.com] مطران جبل لبنان وطرابلس للسريان الأرثوذكس.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

بها الانسان ليعوض عما خسر، وما اكثر هؤلاء المتشائمين من نتائج ما صادفوا ولاقوا من التحديات والإحباط والشعور باليأس.

والحياة في البداية والنهاية تملئ في هذه الظروف شروطها وفروضها على المواطنين الذين يعانون من اعباء الحياة وقلة الفرص التي تعيقهم من الطموح.

إن معظم ما يقوم به الشباب ويتبنونه يكتسب أهمية كبرى لأن همّة الشباب هي الضامنة لتحقيق الأهداف وقد قيل قديماً (همّة الرجال تنقل الجبال). وبهذه الثقة يقدم الشباب على تبني المشاريع في حركة دينامية تحمل الرجاء لأن يتابع الشباب المسيرة ويعمل من اجل تحقيق الآمال والسعي الجاد في هذا المجال.

وفي مجال حوار الأديان، الآمال معقودة على الشباب من الجنسين ان تكون لهم المساهمات المطلوبة والجادة لاختصار المسافات وتقصيرها بعد تعب وجد وجهاد صادق متكلين على الله ومحبيه وعونه في تبليغ الرسالة للذين فتح الله عيونهم وقلوبهم على المعرفة والمعرفة هي قوة دائمة إما للخير أو للشر. فإذا أعدنا الشباب في المراحل المطلوبة قبل أن يخوضوا غمار الحياة، فستكون الاستعدادات والتوجيهات أصيلة ومتأصلة في نفوس هؤلاء الذين نعقد عليهم الآمال ويُنتظر ويُرتجى منهم كل نافع لمجتمعاتنا المتنوعة، فهم قدوة الآخرين لاسيما الأجيال التي تتبعهم وتعزدهم وتشارك معهم عواقب الحياة الدنيا توصلاً الى بركات ونعم ينتظرها منهم المعلمون والمربون والمهتمون فتكون الحياة مساحة امل وثقة واعتبار.

وكم يستفيد الحوار الديني خاصة من خبرات هذا الجيل الصاعد والمتطلع الى الأمام واضعاً نصب ناظريه وبيامان إن كل مسعى من اجل جمع الكلمة وتقديم مكارم الأخلاق وقوة العلم والمعرفة للناس هو مكسب ثمين للجيل ولمن يأتي لاحقاً.

وهكذا يكون الشباب قدوة لجيلهم ولمن سبقهم وهم اكبر منهم سناً او من سيأتون بعدهم وسيرة الحياة تكتمل بالاستفادة من الماضي ومن أتى بعدهم، ودائماً نردد القول الشائع (قوة الشباب وخبرة الشيوخ وغيرة المحبين). هذه الصفات الثلاث تفتح آفاق المعرفة والخدمة والالتزام الجدي في سبر أعماق المعرفة والتجند الصالح لخدمة الانسانية على المستويات كافة. ليس هذا في مرحلة العلم والتعلم فقط، بل في خبرات الحياة بالالتزام بالمبادئ الصالحة التي يمارسها الصالحون بشكل خاص لأن الحوار طريق الى تحقيق المرتجى ان كان في العائلة او في المجتمع او في الوطن وهو وحده الصراط المسهل الى بلوغ المرتجى، ومن أجدر واولى من الشباب ان يكونوا رواداً وطليعيين في تحقيق تمنيات الآخرين وتسهيل السبل وتنظيفها من الشوائب والمعكرات فيفرح الحارث والزارع

والحاصد من هذه القيم، وهكذا يكون الشباب قدوة حسنة ومثلاً صالحاً للذين حولهم أو يسمعون عنهم.

تأملوا المنظمات والجمعيات والمؤسسات الشبابية كيف تندفع الى العمل جدياً من اجل نجاح مؤسساتها التي تعبر بامتياز عن مواقفها وآرائها وأهدافها وكل تجمع ليس للشباب فيه مساهمة ينضب، لأن العنصر الفاعل والمحرك للمؤسسة ناقص وهذا العنصر هو الشباب باندفاعهم ونشاطهم والتزامهم الرسالة التي يشددون على نجاحها وتثبيت مبادئها ورسالاتها. ومن هنا يقول الحكيم: (إن الشباب هم السهام والسهام تخرق الآفاق وتحدد الهدف والمقاصد التي يسعى اليها كل الطامحين وإذا تضافرت امكانات الشباب مع خبرات الشيوخ والتمرسين في التزام. فالنجاح حتماً هو من نصيب هذه المؤسسات والمراكز التي تحضن كل العاملين).

إننا نرى إن تدريب الجيل على تعلم لغة الحوار سيؤثر إيجابياً على المسيرة التي يلتزمون مبادئها ويعملون بجهد ونشاط لتوفير السبل والطرق والحالات التي ينجونها لتحقيق هذه الأمانى وهاتيك التطلعات. فالدين بحاجة كما كل المقاصد التي يعمل من أجلها أصحاب الإلتزام، فعلينا كرجال دين توجيه الشباب إلى الإلتزام بثقافة الحوار والعمل من أجل نجاح هذه الثقافة. وفي كل المجالات لا يمكن أن نطلب من الشباب ما لم نرشدهم ونعلمهم. وجاء في كلام الله الشريف "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..." (سورة البقرة: 286). هذه السعة يخلقها الله في الإنسان والإنسان يزيد لها أو ينقصها بهمته وعمله، فإن ضاعف جهوده واستوعب المضامين التي تكتنزها وتختزنها مواهبه، فالنجاح هو حليفه. فالإنسان الصالح هو الذي يكتنز المكارم ليعكسها إيجابياً على محيطه والأجواء التي يفكر أن يخلقها ويطلقها لأن الحوار هو وسيلة وغاية، وسيلة للتعبير عن آرائه ومواقف، وغاية يجسّم هذه المثل التي تجمع العقل البشري وتوجهه إلى زرع الخير والصالحات في المحيط والمكان والمجتمع الذي يضمه والآخرين.

تأملوا مجتمعاً خالياً من الشباب، فأين الحيوية والإندفاع، بل أين العطاء الثر والخصب في إغناء المجتمعات من جهة الأفراد والمؤسسات والجمعيات على أنواعها، وفي كل الحالات الحوار هو وسيلة وطريقة يمارسها الإنسان تسهياً للولوج في ميادين تبادل المعرفة وتبادل الخير والعطاء. فالناس يتعلم بعضهم من بعض. ما أهمية الحوار وهو بمقام المعلم والناصح والعامل والمنفذ لطموحات الكل بقدر ما يستوعب كل واحد الآخر، وربما أخطاء الإنسان توجهه إلى الصواب أو يستفيد من أخطاء الآخرين.

إن الحوار هو شورى تؤدي بالنتيجة إلى القرار، ومجتمعاتنا هي في هذا الصدد مجتمعات حوار، والخبراء يخططون لهؤلاء المتحاورون ليصلوا بالحوار

إلى ما يؤدي إلى القرار. فكيف نستطيع أن نتردد في انتهاج مناهج الخير والفلاح. ونحن في ثقافتنا نرجو إبعاد الأنانيات والمصالح الخاصة في أي قرار لكي تأتي الخطوات ثابتة لتصل بالمواطنين إلى المراقبي التي تسعى إليها مجتمعاتنا فنكون أعضاء بيت كبير مُحصّن بالتدين والعلم والاختصاص فيرتاح الناس ويكونوا أعضاء المجتمع الجديد الذي يسعون ويطمحون إلى تحسين ورفع شأن الإنسان كل الإنسان.

إن الحوار لا يستغني عن أحد ويدعو الكل إلى الجلوس على مائدة الحوار وطرح الأفكار والآراء والخبرات أمام المتحاورين لأن الإنسان بالطبيعة هو اجتماعي يفيد الواحد الآخر وينفع المصلحة العامة والمجتمع. وكم يحتاج الملتزمون بالدين والعاملون من أجل إرساء قواعد المستقبل في مجتمع بئاء يسعى أعضاؤه إلى تحقيق الأهداف الآيلة إلى سعادة الإنسان وبناء المجتمعات، فهذه طاقات يتمتع بها الشباب ويعكسها على المجتمع بمختلف طبقاته وفي شتى مراحل العمر، الأمر الذي يعتبر قدوةً بين طالبي الحوار والمتنافسين. فإذا استفاد الدين من دور الشباب في تعزيز قيم الحوار، فالنتيجة إيجابية حتماً وهناك ستبلغ المجتمعات إلى جمهورية أفلاطون والمدينة المثلى للفارابي وتسهل أمام الناظرين والمراقبين والعاملين سبل الحياة لتزيد في المجتمع تقدماً ورقياً وتنتصر التربية الدينية لأنها لا تتوخى إلا الخير والأداء الكامل لتنفيذ ما هو في صالح المجتمع. إن الرجال العظام والشخصيات الكبيرة في التاريخ التي نبذت العنف وتمسكت بمكارم الأخلاق وبالانفتاح على المجتمعات وقبول الآخر هي التي ساهمت في نشر ثقافة الحوار فأبدعت وأمرعت وحقق ما يتمنى المخلصون الطيبون. فتقافة الحوار الجدي والمتمرس يحقق للأفراد والمجتمعات نياتهم الصالحة وتطلعاتهم الإيجابية النافعة، فيتعزز دور الشباب في توفير قيم الحوار ويستفيد الناس من هذا الاختصاص الذي هو رائدٌ في قوله وقدوةً في عمله فينتقل الناس من الإهمال إلى الجد، فالمعرفة قوة والعمل يبني والإنسان يسعد بقبول الآخر ويتبادل هذه الصفات والمكرومات. وقد قال المثل قديماً (من جدّ وجد).

والسلام عليكم ورحمة الله

الشباب حول الأنبياء: أمثلة من الكتب المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

إن مرحلة الشباب من أهم مراحل حياة الإنسان العمرية حيث تتبلور شخصيته وتنضج معالمها من خلال نموه الجسمي والعقلي واكتسابه للكثير من الخبرات، وتتميز مرحلة الشباب بالحماسة، والتطلع للمستقبل الأفضل، والمشاركة في العمل الجماعي، كما تتميز هذه المرحلة بالتجرد والإخلاص دون نظر للمكاسب في كثير من الأحوال. وأي أمة تقاس قوتها بعبء شبابها، فإذا ما كان شباب الأمة قويا معطاء كلما كانت الأمة قوية، فإذا ما خارت عزائم الشباب هوت أمتهم للحضيض ومن هنا فمن الضروري، ومن الأهمية وصل الشباب بدينهم لضمان استقرارهم وعطائهم، ولأنه بدون الاهتداء بالدين فلن تقوم حضارة، وإذا قامت فسوف تكون حضارة هشّة خاوية قابلة للفناء في أمد قصير. والشباب عبر العصور هم محور الارتكاز في بناء الحضارات، لما يملكون من قوة وتطلع للتقدم، وكذلك كان الشباب هم محور الارتكاز في الإيمان بالدعوات السماوية، والقيام بنشرها والدفاع عنها، وبذل كل نفيس في الذود عنها. اهتمت الأديان في نصوصها المقدسة بالشباب وتربيتهم على الإيمان والطاعة، والابتعاد عن الرزائل والموبقات، وجميع أعمال الشر واغتنام هذه في الفرصة العمرية في الإيمان وعمل الخير، وعدم إضاعة الفرصة. إن المنتبج للنصوص التي وردت في الكتب المقدسة عند أهل الأديان يجلب انتباهه أن كثيرا من الرسل قد بدأوا الدعوة للتوحيد والإيمان وهم في سن مبكرة من حياتهم. وفي كل الديانات نجد نماذج حية، استقامت على أوامر دينها وفي نفس الوقت قامت بواجب الدعوة لدينها، كما وجد شباب في عصر الرسالات تعلموا من الرسل عليهم السلام، فاستفادوا، وأفادوا غيرهم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين وبعد،

¹ الأستاذ الدكتور أحمد ربيع أحمد يوسف [rabee959@gmail.com] عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق - جامعة الأزهر.

فتعتبر مرحلة الشباب من أهم مراحل حياة الإنسان العمرية حيث تتبلور شخصيته وتتضح معالمها من خلال نموه الجسمي والعقلي واكتسابه للكثير من الخبرات بعد ما مر به من تجارب في علاقاته مع الناس في مختلف مراحل حياتهم، فيكتسب الخبرات الاجتماعية التي تؤهله ليكون فردا في المجتمع، وعلى حسب سلوكه المجتمعي مع أفراد المجتمع تتضح شخصيته بالإيجاب أو السلب.

وتتميز مرحلة الشباب بالحماسة، والتطلع للمستقبل الأفضل، والمشاركة في العمل الجماعي، كما تتميز هذه المرحلة بالتجرد والإخلاص دون نظر للمكاسب في كثير من الأحوال، كما يسعى الشباب في تلك المرحلة لإثبات الذات دون خوف من بطش أو تهديد، بل ربما حملهم البطش والتهديد إلى الإصرار والتمسك بالمبدأ والدفاع عنه. ومن هذا يتبين أن الشباب هم الكنز المدخر لأممهم وهم سبب القوة والتقدم والازدهار.

وأى أمة تقاس قوتها بعطاء شبابها، فإذا ما كان شباب الأمة قويا معطاء كلما كانت الأمة قوية، فإذا ما خارت عزائم الشباب هوت أمتهم للحضيض، ومما هو ملاحظ في أكثر بلدان العالم الثالث أنه قد انصرفت همم الشباب عن الإيمان بالمعتقد الديني، وابتعدت أخلاقهم عما أمر به دينهم وانبهروا بالأضواء وتمسكوا بالسفاسف والقشور، فأضحى الشباب يحاول اثبات ذاته من خلال تقاليد مرزولة ومخالفة للدين يظن أنها سترفعه وتدفعه للأمام ولا يدري أنها تهبط به للقاع.

ومن هنا فمن الضروري، ومن الأهمية وصل الشباب بدينهم لضمان استقرارهم وعطائهم، ولأنه بدون الاهتداء بالدين فلن تقوم حضارة، وإذا قامت فسوف تكون حضارة هشّة خاوية قابلة للفناء في أمد قصير.

والشباب عبر العصور هم محور الارتكاز في بناء الحضارات، لما يملكون من قوة وتطلع للتقدم، وكذلك كان الشباب هم محور الارتكاز في الإيمان بالدعوات السماوية، والقيام بنشرها والدفاع عنها، وبذل كل نفيس في الذود عنها.

وسوف يأتي هذا البحث في عدة محاور:

المحور الأول: اهتمام الأديان بمرحلة الشباب

المحور الثاني: الرسل الشباب

المحور الثالث: شباب في العصور الأولى للأديان

المحور الأول: اهتمام الأديان بمرحلة الشباب

اهتمت الأديان في نصوصها المقدسة بالشباب وتربيتهم على الإيمان والطاعة، والابتعاد عن الرزائل والموبقات، وجميع أعمال الشر واغتنام هذه في الفرصة العمرية في الإيمان وعمل الخير، وعدم إضاعة الفرصة ومما جاء في هذا في العهد القديم (فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل ان تأتي ايام الشر او تجيء السنون اذ تقول ليس لي فيها سرور) الجامعة 1/12، وفي هذا النص تذكير للشباب بالخالق لكل شيء وخص أيام الشباب قبل أن يدبر العمر وتأتي أيام أخرى قد يكون فيها شر. لأنه إذا اعتاد الشباب عمل الخير تعودوا عليه في كبرهم، وكذلك قبل أن تقبل أيام الشيخوخة وتحمل الهم وفقد السرور.

يقول القس أنطونيوس فكري: (الله يستحق الباكورات، ويستحق أن نعطيه أفضل شيء، وليس أن نعطيه الفضلات. وهل نقدم الأعرج والأعمى ذبيحة لله، ونقدم للشيطان باكورتنا أي شبابنا. لنعطي الله شبابنا لنفرح فرح حقيقي العمر كله، فالفرح الحقيقي هو مع الله. أما من يترك موضوع التوبة حتى سن الشيخوخة فهو لن يتذوق حب الله، بل نحن في شيخوختنا يصعب أن نترك عاداتنا الشريرة التي تعودنا عليها. وسليمان يوجه هذه النصيحة للشباب لأن قوتهم الجسدية وامكانياتهم تعطيمهم اطمئنان أن الحال سيبقى كما هو عليه وتخدعهم لذات العالم وخطاياهم، وتأتي عليهم أيام الشيخوخة والعجز يجد الإنسان نفسه مضطرا لترك خطايا محببة إليه. فلنترك خطايانا قبل أن نتركنا خطايانا. وعلينا أن نذكر أن الله هو الذي خلقنا فهو صاحب الأمر ووصايا الله خالقي ملزمة لي فأنا لست حرا تماما قبل أن يأتي أيام الشر: أيام المرض والشيخوخة والموت التي يقول فيها الإنسان ليس فيها سرور: في أيام الشيخوخة لا يجد الإنسان لذات سواء جسدية أو عقلية وهناك شيخوخة روحية لا يجد فيها الإنسان لذة روحية ولا ينمو نموا روحيا. وقد تأتي أيام أيام الشر مبكرا (مرض/موت) فلا تكون هناك فرصة للتوبة).²

ونجد أيضا نصا آخر (افرح ايها الشاب في حداثتك وليسرك قلبك في ايام شبابك واسلك في طرق قلبك وبمراى عينيك واعلم انه على هذه الامور كلها ياتي بك الله الى الدينونة. فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحملك لان الحداثة والشباب باطلان) الجامعة 9/11، 10.

يقول الاستاذ إسحق جاد في شرحه لهذا النص: (عزيزي الشاب: عليك أن تستغل هذه المرحلة العابرة من حياتك استغلالا حسنا بأن تزرع لصالح مستقبلك حتى يكون حصادك مباركا فمرحلة الشباب تلعب دورا رئيسيا في التحكم في مصير الإنسان الزمني والأبدي فالشباب الذي لا يكبح جماح شهواته ونزواته،

² القس أنطونيوس فكري: شرح الكتاب المقدس - العهد القديم

ويلهث وراء مباحج ومسرات الحياة فذلك ينعكس على شيخوخته وأبديته، فالشيخوخة تكون مكتنفة بالحزن واليأس، فاذا ذكر خالقك في أيام شبانك قبل أن تأتي أيام الشر، أو تجيء السنون غدا تقول ليس لي فيها سرور، وهذه الأيام الكئيبة الخالية من رقة الله هي مقدمة لدخول الإنسان في مصيره الأبدى حيث تقع عليه الدينونة الإلهية حال رحيله من هذه الحياة، أما الذي يذكر خالقه في أيام شبابه مكرسا حياته له، رافضا المتع الوقتية الزائلة والزائفة، فهذا له وعود إلهية بأن إلهه لن يتخلى عنه في حالة الشيخوخة والضعف).³ وفي توصية الشباب بالاستقامة ما جاء في العهد الجديد (أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي) 2 تيمو/22.

إنها دعوة للشباب ليظهر نفسه من الشهوات المرزولة، التي تصاحب في العادة فترة الشباب هذه العادة التي غالبا ما تصاحب فترة الشباب وعدم الوقوع في المعاصي، ودعوة لهم كذلك للتطهر من الأرجاس والذنوب والتهرب منها والابتعاد عنها مع الدعوة إلى أن يكون الإيمان بالرب إيمانا حقيقيا نابعا من قلب عامر بالإيمان وليس تدينا شكليا أو ظاهريا مغشوشا. ونجد أيضا هذا النص (لا يستهن احد بحدائقك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة) تيمو/4: 12 وفيه وصية بالاستقامة في حداثة السن وعدم الاستهانة بحجة صغر العمر، بل على الشباب أن يكونوا قدوة ومثلا لغيرهم في كلامهم وتصرفاتهم في المحبة والإيمان والطهارة.

يقول القديس يوحنا الذهبي: (ما دامت حياتك متزنة فإنهم لا يستخفون بحدائقك، بل بالحري يعجبون بك بالأكثر، لهذا يكمل قائلا: كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة لتظهر كمثال للأعمال الصالحة في كل شيء، ولتكن نموذجا للحياة المسيحية. نموذجا يقدم للغير كناموس حي وقاعدة وقياس للحياة الصالحة).⁴

ويعضده ما جاء على لسان أرميا - أحد أنبياء الكتاب المقدس (كانت كلمة الرب الي قائلا قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب يا سيد الرب اني لا اعرف ان اتكلم لاني ولد. فقال الرب لي لا تقل اني ولد لانك الي كل من ارسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما امرك به لا تخف من وجوههم لاني انا معك لانقذك) ار 4: 1: 8.

³ اسحق جاد اسحق: مجلة المنبر الخمسيني - almanber.blogspot.com/2014/01/blog-post_2514.html

⁴ نقلا عن موقع كنيسة الشهيد العظيم مارمينا بالفيوم.

وفي القرآن الكريم بيان بانتهاز فرصة الشباب لأنها فترة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" (سورة الروم: 54). الآية توجه الإنسان بتذكر الخالق الذي خلقه، وتبين مراحل حياته مرحلة الضعف والاعتماد على الآخرين، وطلب عونهم ومساعدتهم، ومرحلة القوة التي تكون فيها القوة والعافية والجلد، وتحمل المشاق والاستغناء عن الآخرين، بل وتقديم العون لهم.

وقد حفلت السنة النبوية بكثير من الارشادات للشباب باغتنام فرصة الشباب منها: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ."⁵ إن رسول الله ﷺ يحبذ الشباب على اغتنام فرصة الشباب قبل أن تأتي مرحلة الهرم والشيخوخة، وعدم استطاعة العمل التعبدي الذي كان من الممكن أن يؤدي في فترة الشباب مع ملاحظة عدم المشقة على النفس في عمل قد يشق على الإنسان في مرحلة الكبر روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار، ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: "أنت الذي تقول ذلك؟" فقلت له: قد قلت، يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر"، قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: "صم يوما وأفطر يومين"، قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، يا رسول الله، قال: "صم يوما وأفطر يوما، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام" قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله ﷺ: "لا أفضل من ذلك"، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ، أحب إلي من أهلي ومالي."⁶

وأخرج الترمذي عن أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ"⁷ وفيه أن كل مراحل حياة الإنسان يسأل عنها يوم القيامة فيم ضيع وقته وحياته.

⁵ المستدرک للحاکم: کتاب الرقاق حدیث (7916) 341/4 وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم 1077.

⁶ صحيح مسلم: كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر 812/2 حديث رقم 1159.

⁷ سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة باب في القيامة رقم 2417 وقال حديث حسن صحيح.

وفيما سبق من نصوص الكتب المقدسة نجد دعوة صريحة للتذكير باغتنام فرصة مرحلة القوة من العمر تلك المرحلة المهمة في حياة الإنسان، فرصة لن تعوض ولن تعود على حد قول كعب بن زهير:

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزْفَا... وَلَا أَرَى لِشَّبَابٍ ذَاهِبٍ خَلْفًا
وَقَوْلِ الْمُنْتَبِي:

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي... وَقَدْ أَرَانِي الْمَشِيْبَ الرُّوحَ فِي بَدَلِي، وَقَدْ جَاءتِ الْأَدْيَانُ مِرَاعِيَةً لِأَحْوَالِ الشَّبَابِ وَطَرَقَ حَيَاتِهِمْ وَأَضْرَبَ لِذَلِكَ مِثْلًا بِمِرَاعَاةِ الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ الْجَانِبَ الْغَرِيزِيَّ لِذِي الشَّبَابِ، وَجَاءَ نَصٌّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ (إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً فَلَا يَخْرُجُ فِي الْجَنْدِ وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ أَمْرًا مَا جَرَا يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَيَسِرُ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا) ت٥/٢٤.

وروى البخاري عن أبي قلابة، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَنَّنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَابٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اسْتَهَيْتْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اسْتَنْقْنَا - سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَا، قَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّئْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ."⁸

وفي هذا بيان لمدى مراعاة الأديان لأحوال الشباب ومتطلبات حياتهم.

المحور الثاني: الرسل الشباب

إن المتتبع للنصوص التي وردت في الكتب المقدسة عند أهل الأديان يجلب انتباهه أن كثيراً من الرسل قد بدأوا الدعوة للتوحيد والإيمان وهم في سن مبكرة من حياتهم، فما هو نبي الله إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام يبدأ دعوته ويثور على الوثنيين وهو في بداية عهد الشباب ودعاهم بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، ولما أصروا على ضلالهم. قدم لهم دليلاً عملياً فكسر أصنامهم ليثبت لهم أن هذه الأصنام عاجزة عن الدفاع عن نفسها وتعبير القرآن الكريم يوضح ذلك في قوله تعالى: "قَالُوا سَمِعْنَا فَئِي يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ - إِبْرَاهِيمُ" (سورة الأنبياء: 60).

ونبي الله يوسف عليه السلام حينما أعرض عن غواية امرأة العزيز واتقى ربه بعدم فعل المنكر لأن الله هياؤه ليكون من المحسنين كما قال الله: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (سورة يوسف: 22). وقد كانت غواية امرأة العزيز ليوسف عليه السلام وهو في مقل شبابه، وكذلك التزام يوسف عليه

⁸ صحيح البخاري : كتاب الأذان باب الأذان للمسافرين 631.

السلام الديني وهو في السجن ودعوته للإيمان بالله كل ذلك كان قبل أن يكمل الثلاثين من عمره على حد ما جاء في العهد القديم (وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر) تك 46/41.

ونبي الله داود عليه السلام جاءته النبوة والملك وهو في ريعان شبابه يذكر العهد القديم (وجاء جميع اسباط إسرائيل الى داود الى حبرون وتكلموا قائلين هوذا عظمتك ولحمك نحن. ومنذ امس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت انت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب انت ترعى شعبي إسرائيل وانت تكون رئيسا على إسرائيل وجاء جميع شيوخ إسرائيل الى الملك الى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدا في حبرون امام الرب ومسحوا داود ملكا على إسرائيل كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك اربعين سنة) اصم 1/2:4.

وكذلك نبي الله سليمان عليه السلام تولى الملك وهو صغير وجاءته النبوة وهو صغير أيضا حتى أجل الأعمال التي ذكرها العهد القديم لسليمان عليه السلام وهو بناء المعبد كان في حادثة سنة وهو ما قرره داود عليه السلام حين يقول: (وقال داود إن سليمان ابني صغير و غض والبيت الذي يبني للرب يكون عظيما جدا في الاسم والمجد في جميع الاراضي فانا اهيئ له فهيا داود كثيرا قبل وفاته ودعا سليمان ابنه واوصاه ان يبني بيتا للرب إله إسرائيل) أخ 5/22، 6. وكذلك: (وقال داود الملك لكل المجمع ان سليمان ابني الذي وحده اختاره الله انما هو صغير و غض والعمل عظيم لان الهيكل ليس لانسان بل للرب الإله) أخ 1/29.

ويقرر هذا ما جاء على لسان سليمان عليه السلام حيث يذكر العهد القديم (في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلا. وقال الله اسال ماذا اعطيك. فقال سليمان انك قد فعلت مع عبدك داود ابي رحمة عظيمة حسبما سار امامك بامانة وبر واستقامة قلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة واعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم. والان ايها الرب الهي انت ملكت عبدك مكان داود ابي وانا فتى صغير لا اعلم الخروج والدخول. وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير لا يحصى ولا يعد من الكثرة. فاعط عبدك قلبا فهيا لاحكم على شعبك واميز بين الخير والشر لانه من يقدر ان يحكم على شعبك العظيم هذا. فحسن الكلام في عيني الرب لان سليمان سال هذا الامر) 1 مل 5:10/3.

ويتحدث العهد القديم عن صموئيل أنه كان ملتزما بالإيمان منذ صغره وقد وردت نصوص متعددة توضح ذلك منها: (وكان الصبي يخدم الرب امام عالي الكاهن) اصم 11/2، (وكان صموئيل يخدم امام الرب وهو صبي) اصم 18/2، (واما الصبي صموئيل فتزايد نموا وصلاحا لدى الرب والناس ايضا) اصم

26/2، (وكان الصبي صموئيل يخدم الرب امام عالي. وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الايام. لم تكن رؤيا كثيرا.) اصم 1/3.

ومن هذه النصوص يتبين أن صموئيل كان في حادثة سنه عاملا بالإيمان. ونبي العهد القديم أرميا جاءت النبوة في صغره ويتحدث عن ذلك فيقول: (كانت كلمة الرب الي قائلا قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب فقلت اه يا سيد الرب اني لا اعرف ان اتكلم لاني ولد فقال الرب لي لا تقل اني ولد لانك الي كل من ارسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما امرك به لا تخف من وجوههم لاني انا معك لانقذك يقول الرب ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك انظر قد وكلت هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس) أر 10:4/1.

فأرميا يصرح أمام الله أنه صغير السن لا يتحما أعباء النبوة، ولكن الرب يثبتته ويوكله بحركة اصلاح كاملة ليس في مجال التعبد فحسب، وإنما في إصلاح البلاد وتغيير ما ينبغي تغييره.

ويتحدث القرآن الكريم عن النبي يحيى عليه السلام: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا. وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا. وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (سورة مريم: 12-15). الحكم: العلم والفهم للتوراة، أو الطاعة والعبادة، في سن مبكرة؛ لأن المسألة عطاء من الله لا يخضع للأسباب، فجاء يحيى عليه السلام مُبَكِّرَ النضج والذكاء، يفوق أقرانه، ويسبق زمانه.⁹

وهذا الآية القرآنية تبين الصفات المثالية للشباب الذين يؤمأ فيهم أن يحملوا جذوة الإصلاح للبشرية وراية الفلاح للإنسانية. نعم إنه لابد لهم من علم يشفيهم من داء الجهل، وحكمة تخرجهم من ظلمات السفه "وَأَنْتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" وهذا العلم لا يمكن أن تحمله العزائم الخارة، ولا الأيدي المرتعشة "خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ"، وتلك القوة ليست قوة الظلم ولا سطوة الجور بل هي قوة تحمل الرحمة والشفقة "وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا"، ومحال أن يجتمع العلم والقوة والرحمة في قلب تدنس بالشهوات، أو نفس املأت بالأرجاس "وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا". لم تنق مكرمة ولا فضيلة للشباب إلا في وهي داخله في أمهات الفضائل التي جاءت في الآية القرآنية.

والسيد المسيح عليه السلام يبدأ حديثه عن نبوته وهو صبي في المهد: "فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا

⁹ تفسير الشعراوي 9044/15.

دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (سورة مريم: 29-33).
وفي إنجيل القديس لوقا: (ولما ابتدا يسوع كان له نحو ثلاثين سنة)
لو3/21.

المحور الثالث: شباب في عصر الرسل

في كل الديانات نجد نماذج حية لشباب عاصروا الرسل تعلموا منهم، فاستفادوا وأفادوا غيرهم، وأضرب أمثلة لهؤلاء:

أولاً: في اليهودية

يذكر العهد القديم كثيرا من النماذج الشابة التي كانت صالحة في نفوسها، وخدمت دينها وأختار من هذه النماذج شخصية يشوع بن نون خادم النبي موسى عليه السلام وهو أكثر بني إسرائيل ذكرا في أسفار موسى الخمسة فقد تكرر اسمه أربعاً وعشرين مرة سبع مرات في سفر الخروج، وإحدى عشرة مرة في سفر العدد، وست مرات في سفر التثنية، هذا بالإضافة للسفر الذي يحمل اسمه، ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحاً.

بدأ حياته خادماً لموسى عليه السلام وبتعبير العهد القديم غلام موسى الذي لا يبرح الخيمة المتخذة معبداً (ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. وإذا رجع موسى الى المحلّة كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة) خر 11/33. ونظراً لإخلاصه وإيمانه يختاره موسى من بين بني إسرائيل للجبل لميقات ربه وسماع الوحي (وقال الرب لموسى اصعد الي الى الجبل وكن هناك. فاعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى الى جبل الله وأما الشيوخ فقال لهم اجلسوا لنا ههنا حتى نرجع اليكم. وهوذا هرون وهور معكم. فمن كان صاحب دعوة فليتقدم اليهما) خر 24/12:14.

إن اختياره من بين بني إسرائيل لهذا الأمر كان بسبب ثقة النبي موسى عليه السلام فيه، وما كان ليثق فيه إلا لتيقنه من إيمانه وصدقه. واختاره موسى عليه السلام ليقود الحرب ضد العماليق (واتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم. فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق. وغدا اقف انا على راس التلة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق) خر 10:8/17. وتم له النصر على العماليق (فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكرا في الكتاب وضعه في مسمع يشوع.فاني سوف امحو ذكر عماليق من تحت السماء) خر 14/17، 13.

وظل يشوع محافظاً على إيمانه وعهده شجاعاً لا يرضى بالدنية، ولا يقبل الخوف فحينما جاء الأمر بدخول لم يتذمر مع بني إسرائيل على موسى بل كان أحد الرجلين اللذين قدما النصح لقومهما ويسجل هذا ما جاء في سفر العدد (وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمَةً. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني إسرائيل ويشوع بن نون وكالب بن يفته، من الذين تجسسوا الأرض، مزقاً ثيابهما وكلما كل جماعة بني إسرائيل قائلين: الأرض التي مررنا فيها لتنجسها الأرض جيدة جداً إن سر بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً إنما لا تتمردوا على الرب، ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلمهم، والرب معنا. لا تخافوهم) عد 9:2/14.

وهذا الموقف سجلته آيات سورة المائدة في قول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِرُكَ أَنَّهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" (سورة المائدة: 20-22).

وكتب السنة النبوية عند المسلمين تذكره باسم يوشع بن نون، وقد ورد ذكره في عدة مواضع منها: أنه غلام موسى عليه السلام الذي رافقه لملاقات العبد الصالح والذي وردت قصته في سورة الكهف روى البخاري عن أَبِي بُرَيْدٍ كَعْبِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فُسئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ تَمَّ، فَاَنْطَلَقَ وَأَنْطَلَقَ بِقَتَاهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ، وَحَمَلًا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَاَنْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَقَتَاهُ عَجَبًا . . ."¹⁰

ومن خلال ما سبق من نصوص يتضح أن يشوع بن نون بدأ طريق الإيمان وهو في حداثة سنه والتزم الطريق الواضح – طريق الله – فاستحق أن يكون قائدا لبني إسرائيل في دخول الأراضي المقدسة.

¹⁰ صحيح البخاري: كتاب العلم – بال ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم حديث رقم 122.

ثانياً: في المسيحية

من الملاحظ أن أكثر تلاميذ السيد المسيح عليه السلام كانوا شباباً صاحبوه وتعلموا على يديه ونشروا الدين بعده، والعهد الجديد يتحدث عن كثير من الشباب أختار من بينهم تيموثاوس:

ذلك الشاب النابه الذي تكرر اسمه في العهد الجديد خمسا وعشرين مرة، وهو أول مسيحي من الجيل الثاني يذكر اسمه في العهد الجديد، ليس هذا فحسب بل يتكرر ذكره في مقدمات الرسائل المعروفة برسائل بولس في العهد الجديد، فكرر اسمه في مقدمات رسائل بولس إلى أهل كورنثوس (الرسالة الثانية)، ورسالته إلى أهل فيلبي، ورسالته إلى أهل كولوسي، ورسالته إلى أهل تسالونيكي (الأولى والثانية)، ورسالته إلى فليمون. وقد اختاره القديس بطرس ليكون تلميذاً له، وليس كأبي تلميذ، إنه تلميذ محبوب لأستاذه يناديه بولده، ويختصه برسالتين من رسائل العهد الجديد.

نشأ تيموثاوس في أسرة متدينه، ويرجع أمر تدينه إلى أمه وجدته، فقد كانتا من الذين آمنوا بالمسيحية إيماناً عميقاً يقرر ذلك القديس بطرس في رسالته لتيموثاوس حينما يقول له (اتذكر الايمان العديم الرياء الذي فيك الذي سكن اولاً في جدتك لونييس وامك افنيكي ولكني موقن انه فيك ايضا) تيمو 5/12.

وبدأت علاقة تيموثاوس بالقديس بطرس وهو في أول مراحل شبابه ويروى لنا الاصحاح السادس عشر من سفر الاعمال كيفية التقاء الرسول بولس بتيموثاوس وبداية خدمته معه كالآتي:

(ووصل بولس إلى دربة، ولسترة، إذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس، ابن امرأة مؤمنة ولكن أباه يوناني وكان مشهوداً له من الأخوة الذين في لسترة وإيقونية فأراد بولس أن يخرج هذا معه) اع 3/16.

وكان تيموثاوس مستجيباً لكل أوامر القديس بطرس فحينما دعاه ليختتن وهو شاب - حتى لا يشك فيه الناس باعتبار أباه يونانيا وثنيا - حتى يعمى أمره على اليهود وافق على ذلك (اخذه وختنه من اجل اليهود الذين في تلك الاماكن لان الجميع كانوا يعرفون اباه إنه يوناني) اع 3/16.

وقد لمس فيه القديس بطرس طاقة عظيمة، فبين ثقته فيه بتكليفه بمسؤوليات هامة، فقد أرسله ممثلاً شخصياً له الى كورنثوس جاء في رسالة بولس إلى الأولى إلى أهل كورنثوس ما يوضح ذلك (ليس لكي اخجلكم اكتب بهذا بل كاولادي الاحباء اندركم لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس أباء كثيرون لأنني ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بي لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الي هو ابني الحبيب والامين في الرب الذي يذكركم بطرقي في المسيح كما اعلم في كل مكان في كل كنيسة) 1كو 17:13/4.

ومع أن تيموثاوس لم ينجح في مهمته إلا أن ذلك لم يغير من محبة القديس بطرس له، ولذا أرسله إلى أهل فلبي حيث جاء في هذه الرسالة (على اني ارجو في الرب يسوع ان ارسل اليكم سريعا تيموثاوس لكي تطيب نفسي اذا عرفت احوالكم لان ليس لي احد اخر نظير نفسي يهتم باحوالكم باخلاص اذ الجميع يطلبون ما هو لانفسهم لا ما هو ليسوع المسيح واما اختباره فانتم تعرفون انه كولد مع اب خدم معي لاجل الانجيل هذا ارجو ان ارسله اول ما ارى احوالي حالاً) فل 19/2: 23. كما أرسله إلى أهل تسالونيكي في مهمة إيمانية لتثبيت المؤمنين في وجه العقبات والمضايقات التي يتعرضون لها (فارسلنا تيموثاوس اخانا وخدام الله والعامل معنا في انجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لاجل ايمانكم كي لا يتزعزع احد في هذه الضيقات) تس 2:3/31.

ومما سبق يتضح مدى ارتباط القديس بولس بتلميذه تيموثاوس، وثقته الشديدة فيه، وتميزه عن جميع اصحابه ورفاقه بدرجة خاصة في الصداقة، إذ هو "الابن الحبيب"، لذا كثيراً ما يدعوه "ابني، الابن الحبيب، الأمين" والذي برهن على جدارته في أن يصبح المسئول عن العمل العظيم الذي تركه القديس بولس وراءه. فقد كان أقرب القلوب في حياته إليه، وكان له مكانة رفيعة عنده، وربما لم يهتم بولس بخادم كاهتمامه بابنه تيموثاوس، فوضعه تحت رعايته وقدره كثيراً حيث عمل معه عن قرب.

وأهم ما يميز شخصية تيموثاوس ما يلي:

1. كان خجولاً بطبعه، وديعاً في استخدام مواهبه، يتردد بعض الأحيان في تأكيد سلطانه تجاه الواجبات المفروضة عليه إلى الدرجة التي يقول فيها بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس (ان اتى تيموثاوس فانظروا ان يكون عندكم بلا خوف. لانه يعمل عمل الرب كما انا ايضا فلا يحتقره احد بل شيعوه بسلام ليأتي الي لاني انتظره مع الاخوة) 1كو 16: 10، 11.
2. لم تمنعه الامه المرضية عن أن يقوم بواجبه فقد كان يعاني من ضعف في صحته. وربما كانت أمراضه وقلة طعامه سبباً في صفاء نفسه ورفقتها (لا تكن في ما بعد شراب ماء، بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة) 1تيمو 23:5.
3. كان كثير الدمع رقيقاً رقيقاً بالأخرين يتذكر هذه الدموع استاذة بولس فيسطر له في رسالته الثانية (اني اشكر الله الذي اعبدته من اجدادي بضمير طاهر كما اذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلا ونهاراً مشتاقاً ان اراك ذاكرًا دموعك لكي امتلئ فرحاً) 2تيمو 3/1، 4.

4. تميز بالصراحة الكاملة التي لا تعرف التواء أو مكرراً أو تحفظاً بأية صورة من الصور، فقد كانت الصراحة واحدة من السمات الواضحة في علاقة تيموثاوس بالله وبالناس.

5. كان على دراية تامة بالكتاب المقدس والتعاليم المسيحية ولذا يقول له القديس بولس (واما انت فاثبتت على ما تعلمت وايقنتت عارفا ممن تعلم وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكّمك للخلاص بالايمان الذي في المسيح يسوع) 2 تيمو 3/41، 15. كان تيموثاوس شابا يافعا وهو يعمل لخدمة دينه والتبشير به لقد نصحه القديس بولس بأن لا تمنعه حداثة سنه من القيام بواجب التبشير فقال له في رسالته إليه: (لا يستهن احد بحدائتك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الايمان في الطهارة الى ان اجيء اعكف على القراءة والوعظ) 1 تيمو 4/12، 13 وهذا مثل يضرب للشباب أن يشب على الإيمان وان لا يمنعه صغر سنه من التفاعل مع الآخرين.

ثالثا: في الإسلام

في عصر الإسلام يحار المرء في تقديم نموذج واحد من الصابة الشباب، وذلك لأن كل الذين حملوا مشعل الدعوة كانوا شبابا، واشتهر بعضهم بنشر الدعوة كمصعب بن عمير رضي الله عنه وهو أول داعية للإسلام في المدينة ومصعب هذا ترك كل زينة الشباب ومباهجه إيثارا للإيمان فلم يكن أحد من أهل مكة أكثر نعمة منه، ولكنه ترك زينة الدنيا ليفوز بالدرجات العلى. وفي قيادة الجيش يأتي أسامة بن زيد ذلك الشاب الذي أمره النبي ﷺ على جيش فيه كبار الصحابة، ونفذ الصديق رضي الله عنه الأمر بعد انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى. وفي القضاء يأتي مثلا للقضاء معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد بعثه النبي ﷺ قاضيا على أهل اليمن وكان في ريعان شبابه. وفي مجال العلم والفقه الشرعي يأتي نموذج عبد الله بن عباس الذي دعا له النبي ﷺ بالفقه والعلم حت كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيريه ويقدمه على كبار الصحابة. والأمثلة كثيرة منها: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وسعد بن معاذ رضي الله عنهم وغيرهم كثير.

ولكنني أقدم نموذجا لشاب آمن قبل أن يأتيه الحلم وتعلق بالإيمان فكان له شأن كبير، ذلكم هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحد العبادة وهو لقب أطلق على أربعة من الصحابة، وهم: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

وقد يظن البعض أن شهرة عبد الله بن عمر كانت تابعة لشهرة أبيه فحسب، لا ولكن لأن شخصيته كانت شخصية متميزة إيمانا وعملا وخلقا. ولد بعد البعثة النبوية الشريفة بثلاث سنوات، وأسلم قبل بلوغه الحلم وعندما هاجر كان

عمره إحدى عشرة سنة، وفي غزوتي بدر وأحد أراد أن يخرج للجهاد، فعرض نفسه على النبي فردّه لصغر سنه، وفي غزوة الخندق ظل يلح على النبي حتى وافق على خروجه، وكان عمره خمس عشرة سنة، واستمر بعد ذلك يجاهد في جميع الغزوات والمواقع.

وكان ملازماً للنبي ﷺ، ومن ملازمته نفا أحاديثهن وقد بلغ مجموع ماروي من أحاديث في كتب المحدثين ألفان وستمائيه وثلاثون حديثاً، والسلسلة الذهبية عند المحدثين هي مارواه مالك عن نافع عن ابن عمر. وسيرته رضي الله عنه مطولة في كتب أصحاب التراجم وعند المحدثين، ولكنني أركز على بعض النقاط التي يقتدي بها الشباب في عصرنا الحاضر.

1. إيمانه وتعبده

كان ابن عمر رضي الله عنه مؤمناً شديداً بالإيمان نشأ عليه وترعرع فيه، فما وعته الدنيا غلاماً إلا وكان قد أسلم، وظل ملازماً لرسول الله ﷺ يسمع النبي ﷺ يقول عنه: "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. واشتهر بأخذه بالعزائم في التعبد لا بالرخص، وكان كثير البكاء من خشية الله تعالى .

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ" (سورة الحديد: 16)، بَكَى حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ.¹¹

2. حياؤه

كان عبد الله بن عمر رضي الله شديداً الحياء ومن حيائه أنه يمتنع عن إجابة لسؤال يعرفه حياء لوجود من هو أكبر منه سناً وأكثر منه فضلاً. روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟" فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: "لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا".¹²

¹¹ معرفة الصحابة لأبي نعيم 1710/3، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الزهد ، باب ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام - كلام ابن عمر ، برقم 33979، وفي الحلية برقم 1064.

¹² صحيح البخاري كتاب العلم: باب الحياء في العلم حديث رقم 131.

وفي رواية أخرى يبين سبب امتناعه عن الإجابة فيقول: فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَّفْتُ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ فَسَكَتُ.¹³

3. زهده

على الرغم من أن ابن عمر كان من الأغنياء وكانت له أعمال تجارية إلا أنه كان مثالا للزهد في الدنيا وطيباتها. مثال للزاهد في طعامه ولباسه وما يملك، فقد كان طعامه يسيرا لا يحب الدسم الذي يعرف به طعام الأغنياء ومما أثر عنه قوله لغلامه "يَا غُلَامُ، أَنْضِجِ الْعَصِيدَةَ تَذْهَبِ حَرَارَةَ الزَّيْتِ؛ فَإِنَّ أَقْوَامًا تَعَجَّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا"¹⁴، وأهداه يوما صديقا وعاء مملوءا.. وسأله ابن عمر: ما هذا؟ قال: هذا دواء عظيم جئتك به من العراق. قال ابن عمر: وماذا يطيب هذا الدواء..؟ قال: يهضم الطعام.. فابتسم ابن عمر وقال لصاحبه: "يهضم الطعام..؟ اني لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما".¹⁵ ولم يكن امتناعه عن الإكثار من الطعام لقلته ما في يده أو بخلا على نفسه، وإنما كان زهدا وورعا. لقد تعلم تعود الجوع ليشعر بالمحتاجين.

وعلى الرغم من كثرة المال الذي كان يأتيه من تجارته إلا أنه لم يكنز شيئا، بل كان زاهدا حتى في ماله وفي الدنيا كلها، وذلك لما أوصاه به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له: "يَا ابْنَ عُمَرَ كُنْ كَالْعَرِيبِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ غَابِرِ سَبِيلٍ، وَعَدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ".¹⁶ وكان هذا مبدءا عاش له وكان يقول: "مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ اكْتَفَى، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ يَغْمَى، وَمَنْ كَانَ مِنْ قَلِيلِ الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ، لَمْ يَنْفَعْهُ كَثِيرٌ مَا يَجْمَعُ، فَانْتَفِ مِنْهُ بِالْكَفَافِ، وَالْأَزْمُ نَفْسَكَ بِالْعَفَافِ، وَدَعِ الْغُلُولَ فَإِنَّ حِسَابَهَا عَدَا يَطُولُ".¹⁷ وقد شهد له الناس بذلك عن جابر، قال: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا وَمَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا أَوْ مَالَ بِهَا إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ".¹⁸

وكان لا يسأل أحدا من الأمراء شيئا بل كانوا يتمنون تلبية أي طلب له. كتب عبد العزيز بن هارون إلى ابن عمر أن ارفع إلي حاجتك. قال فكتب إليه عبد الله: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "ابدأ بمن تعول. واليد العليا خير من اليد

¹³ صحيح البخاري كتاب الأطعمة: باب أكل الجمار حديث رقم 5444.

¹⁴ كتاب الزهد لهناد بن السري 363/2.

¹⁵ خالد محمد خالد: رجال حول الرسول ص 77.

¹⁶ المعجم الكبير للطبراني 418/12 حديث رقم 13538.

¹⁷ الزهد الكبير للبيهقي 88/1.

¹⁸ معرفة الصحابة لأبي نعيم 1708/3.

السفلى"، وإنني لا أحسب اليد العليا إلا المعطية والسفلى إلا السائلة. وإنني غير سائلك ولا راد رزقا ساقه الله إلي منك.¹⁹

4. تواضعه وكراهيته للمراء

كان ابن عمر رضي الله عنه مثالا للتواضع، وقد تربي على هذا التواضع الذي كان سمة في كل الصحابة لما تعلموه من رسول الله ﷺ. كان متواضعا في العلم لا يفتي بغير ما يعرف، فعلى الرغم من سعة بسطته في العلم، وشهرته في العلم والفقهاء كان لا يتحرج أن يقول لا أعلم. فقد سئل ابن عمر عن شيء فقال: لا أدري. فلما ولى الرجل أفتى نفسه فقال: أحسن ابن عمر. سئل عما لا يعلم فقال لا أعلم.²⁰ وكان لا يحب الجدل وقد أثر عنه قوله: "وَلَنْ يُصِيبَ رَجُلٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَثْرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَادِقٌ وَيَثْرَكَ الْكُذْبَ فِي الْمُرَاحَةِ".²¹

5. كرمه وجوده

لقد كان جوده، وزهده، وورعه، تعمل معا في فن عظيم، لتشكل أروع فضائل هذا الانسان العظيم.. فهو يعطي الكثير لأنه جواد.. ويعطي الحلال الطيب لأنه ورع.. ولا يبالي أن يتركه الجود فقيرا، لأنه زاهد. وكان ابن عمر رضي الله عنه، من ذوي الدخول الرغيدة الحسنة، إذ كان تاجرا أميننا ناجحا شطر حياته، وكان راتبه من بيت المال وفيرا.. ولكنه لم يدخر هذا العطاء لنفسه قط، انما كان يرسله غدقا على الفقراء، والمساكين والسائلين.. وكان يخص به المحتاجين والفقراء.. وقلما كان يأكل الطعام وحده.. فلا بد أن يكون معه أيتام، أو فقراء.. وطالما كان يعاتب بعض أبنائه، حين يولمون للأغنياء، ولا يأتون معهم بالفقراء، ويقول لهم: "تدعون الشباع. وتدعون الجياع!!" وعرف الفقراء عطفه، وذاقوا حلوة بره وحنانه، فكانوا يجلسون في طريقه، كي يصحبهم الى داره حين يراهم.. وكانوا يحفون به كما تحف أفواج النحل بالأزاهير ترتشف منها الرحيق.²²

يقول سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال: أشتهي عنبا فقال لأهله: اشتروا لي عنبا. فاشتروا له عنقودا من عنب فأتي به عند فطره، قال: ووافى سائل بالباب فسأل، فقال: يا جارية ناولي هذا العنقود هذا السائل، قال قالت المرأة:

¹⁹ معرفة الصحابة لأبي نعيم 1708/3.

²⁰ الطبقات الكبرى لابن سعد 128 /4.

²¹ الطبقات الكبرى لابن سعد 112/4.

²² خالد محمد خالد: رجال حول الرسول ﷺ 76، 75/ 1.

سبحان الله. شيئاً انتهيته! نحن نعطي السائل ما هو أفضل من هذا، قال: يا جارية أعطيه العنقود، فأعطته العنقود.²³

الخاتمة

تبين من خلال هذا البحث عدة أمور منها:

أولاً: أن فترة الشباب هي أطول فترة في حياة الإنسان، وهي أخصب فترات حياته.
ثانياً: أن الشباب محور الارتكاز في قيام الحضارات.
ثالثاً: أن الرسائل السماوية قد اهتمت بالشباب، ووجهتهم الوجهة الصحيحة ليكونوا عناصر مهمة في حركة إبلاغ الرسالات.
رابعاً: أن الكتب المقدسة مليئة بنماذج للشباب في عصور الرسل انتفعوا بالإيمان وكانوا نماذج يقتدي بها الشباب عبر العصور.
خامساً: أن جلّ الأنبياء وإن كانت تأتيهم الرسالة على رأس مرحلة الشباب حين يبلغون الأشد (أربعين سنة) إلا أن البعض منهم نبئ في مرحلة الصبا (ربيعان الشباب) لحاجة الدعوة إلى بذل الجهد وتحمل المشاق.

²³ الطبقات الكبرى 120/4.

فتوريو إياناري¹ (Vittorio Ianari)

دور الكتاب المقدس في حياة المسيحيين

الملخص

كتاب مقدس، هذا جسرٌ بين السماء والأرض، وهو حضورٌ خالق الحياة بيننا، وهو بوصلةٌ تقي التشتت والضياع. المؤمن لا يعتبر الكتاب المقدس الزامًا أو إكراهًا لِحريته. بل، بالأحرى، يقترب من النص إنطلاقًا من كلمة "نعم" نابعة من القلب. من جهة أخرى، لا يتصرف النص بسيطرة ولا يحول المؤمن إلى إنسانٍ متعصبٍ أو متزمتٍ. إن الكتاب المقدس هي للمؤمنين غذاءً وراحةً وقوةً وصلابةً. والمؤمن يكتشف أكثر فأكثر كل ما يعيش مع النص المقدس. فالكتاب المقدس تجعله يتخطى الواقع المحدق به وتنفله بطريقةٍ مختلفةٍ وأرفع منه، ولكن، وعلى الرغم من ذلك، ليست بعيدةً وليست مستحيلةً المنال. الكتاب المقدس تأتي من السماء، لأن من السماء تأتي الرحمة ويأتي السلام.

عرض البحث

وراء الكتاب المقدس للمؤمنين الذين يعتبرون أنفسهم أبناء إبراهيم، يوجد حضورٌ الله السري العجيب. قال الله لإبراهيم: "إنطلق من أرضك وبيت أبينا إلى الأرض التي أريك" (سفر التكوين 12، 1). كان إبراهيم يعيش في أور الكلدانيين، أي في العراق الحالي. وكان رجلاً صالحاً له عقائده الدينية والأدبية، لكنه لم يسمع أبداً صوت الله بهذه القوة. ولكن، في إحدى اللحظات، حوله تدبير الله العلي إلى مسافرٍ رحالةٍ قد يكون الله، الرب، هيأ ذلك الرجل ليكون "أبا جمهور أمم" (سفر التكوين 17، 5).

بالطريقة نفسها، ثوقنا الكتاب المقدس من نعاسنا ومن عدم التذكر، وثوقنا من تدبير يميل إلى السقوط في العادة، دون حيوية من يفترض عن وجه الله ويهتدي بإرادته وتدبيره. بهذه الطريقة تحرر كلمة الله المؤمن من اعتبار نفسه محور العالم. إن الاقتراب من كلمة الله يجعل المرء طيعاً للرب ويؤدي به إلى الطفولة الروحية باستمرار. قال صوت الله أيضاً لإبراهيم هذه الكلمات: "إذهب إلى الأرض التي أريك". لكن إبراهيم كان له بلدٌ وبيتٌ وعائلة! لم يكن بدوياً منتقلاً، بل

¹ الأب فتوريو إياناري [trastevere@tiscali.it] كاهن في أبرشية روما وعضو في جماعة سانت إيجيديو. وهو أيضاً يمثل رئيساً في قسم العلاقات الإسلامية المسيحية داخل جماعة سانت إيجيديو.

كَانَ مُقِيمًا، وَكَانَ لَهُ وَطَنٌ وَحَالَةٌ إِجْتِمَاعِيَّةٌ. أَلَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانٍ وَعَدَّ اللهُ أَنْ يَتَحَقَّقَ دُونَ
إِمَاتَةِ ضَرُورَةٍ قَطَعَ الْعَلَاقَةَ مَعَ الْعَالَمِ الْمَعْرُوفِ؟ أَكَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ الْبَدْءُ مِنْ
جَدِيدٍ، دُونَ أَنْ يَظَلَّ شَيْءٌ كَمَا كَانَ فِي السَّابِقِ، وَذَلِكَ بِالنَّحْلِيِّ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْأَكِيدَةِ
الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي السَّابِقِ؟ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَا يَطْرَحُ أَسْئَلَةً تَفُفَّ حَاجِرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
اللَّهِ. لَقَدْ عَرَفَ فِي دَاخِلِهِ الصَّوْتِ الَّذِي كَلَّمَهُ فَتَبِعَهُ دُونَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِأَيِّ شَيْءٍ.

إِنَّ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ هِيَ دَعْوَةٌ أَيْضًا إِلَى وُلُوجِ الثَّرَاتِ الْخَصْبَةِ وَالْجَدِيدَةِ
لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ. تُوجَدُ أَرْضٌ لَا نَعْرِفُهَا أَوْ نَعْرِفُهَا قَلِيلًا، أَلَا وَهِيَ الطَّرِيقُ الدَّاخِلِيُّ
لِلْإِنْسَانِ الرَّوْحِيِّ. وَلَيْسَ هَذَا الطَّرِيقُ مَحْصُورًا بِأَشْخَاصٍ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْفُدْرَةِ أَوْ مِنَ
الْمَوَاهِبِ الرَّوْحِيَّةِ. فَاللَّهُ لَا يُمَيِّزُ أَحَدًا مِنَ النَّاحِيَةِ الرَّوْحِيَّةِ! إِنَّ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ هِيَ
لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلَّهِ ضَمَانَةٌ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِدَ فِيهَا الْوَسِيلَةَ الْمُلَائِمَةَ لِتَنْمِيَّةِ
أَمَانَتِهِ. فَفِيضِلُّ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ لَا يُوجَدُ مُؤْمِنُونَ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى وَمُؤْمِنُونَ مِنَ
الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ. لَيْسَتْ الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ نُصُوصًا مَحْصُورَةً بِأَنَاسٍ قَلِيلِينَ، بَلْ هِيَ فِي
مُتَنَاوَلِ أَيِّ مُؤْمِنٍ. فَإِذَا مَا اتَّبَعْتَ هَذِهِ النُّصُوصَ وَعَيْشْتَهَا، فَإِنَّهَا تُعَزِّزُ خِبْرَةَ إِلَهٍ لَا
يُتْرَكُ أَبْنَاءَهُ أَيْنَامًا أَبَدًا، بَلْ يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ فَرَحًا وَرَجَاءً.

إِنَّ غَدَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ هُوَ الْمَانِدَةُ الْمُشْتَرَكَةُ لِجَمِيعِ مَنْ يَتَقَاسَمُونَ الْإِيمَانَ الْوَاحِدَ
بِاللَّهِ الَّذِي يُنْقِذُ مِنَ الْخُزْنِ، وَمِنَ الْخُزْنِ الرَّوْحِيِّ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ الْأَحْزَانِ
مَكْرًا.

إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ، فِي أَحَدِ أَمْثَالِهِ، يُعَلِّقُ عَلَى حَالَةِ رَجُلٍ غَنِيِّ كَانَ يُقِيمُ
وَلَائِمَ فَخْمَةً، فِيمَا كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ إِسْمُهُ أَلْيَعَارُزُ قَابِعًا أَمَامَ بَابِهِ وَجِسْمُهُ مُعْطَى
بِالْجِرَاحِ الَّتِي كَانَتْ الْكِلَابُ تَلْحَسُهَا.

لَكِنَّ الْغَنِيَّ بَعْدَ مَمَاتِهِ لَمْ يُعْبَلْ فِي حُضْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَمَّا الْفَقِيرُ فَقَدْ احْتَلَّ مَكَانَةَ
الشَّرَفِ فِي الْجَنَّةِ. فَحِينَ رَأَى الْغَنِيُّ الْهُوَّةَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تَفْصُلُهُ عَنِ الْفَقِيرِ،
أَدْرَكَ أَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ كَانَ قَدْ تَجَاهَلَ أَلْيَعَارُزَ.

أَيُّ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَقِيرِ هُوَّةً كَبِيرَةً، مِثْلَ الْهُوَّةِ الَّتِي كَانَتْ
تَفْصُلُ بَيْنَهُمَا الْآنَ فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، فَهَمَّ الْغَنِيُّ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَاشَ
مُنْعَدِيًا مِنَ الْخَيْرَاتِ الْمَادِيَّةِ فَقَطُ، وَقَدْ أَهْمَلَ اللَّهَ وَكَلِمَتَهُ. كَانَ قَدْ عَاشَ مُدِيرًا ظَهْرَهُ
لِأَلْيَعَارُزَ، الْفَقِيرِ، وَأَيْضًا لِلْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ. رَبِّمَا كَانَ بِإِمْكَانِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ أَنْ تُنْقِذَهُ
مُتَبَيِّنَةً لَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْفَقِيرَ لَمْ يَكُنْ يَجِبُ أَنْ يَظَلَّ بَعِيدًا عَنِ مَائِدَتِهِ وَعَنْ عِنَايَتِهِ. لَكِنَّهُ كَانَ
مُهْتَمًّا بِعَدَمِ "تَضْيِيعِ" آيَةِ لِحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ، وَمُهْتَمًّا بِالْفَتْيِيشِ عَنِ أَوْضَاعِ قَدْ
تُرْضِيهِ، وَفِي النِّهَايَةِ، "كَانَ قَدْ "خَسِرَ" نَفْسَهُ. رَبِّمَا كَانَ بِإِمْكَانِ الْعَطْفِ عَلَى
أَلْيَعَارُزَ أَنْ يُعَيِّرَ حَيَاةَ الْغَنِيِّ، وَرَبِّمَا كَانَتْ الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ أَثَارَتْ فِي نَفْسِهِ هَذَا
الشُّعُورَ الْجَدِيدَ.

في الواقع، إن من يقرأ كلمة الله يُصيح صديقاً للفقراء. وإن الكُتُب المقدَّسة تُعلِّمنا طريق الحياة. هذا هو الجواب الذي أعطاه إبراهيم لذلك الرجل حين طلب منه أن يظهر أليعازر لإخوته الخمسة فيستطيعوا أن يخلصوا. أجابه إبراهيم قائلاً: "إن لم يسمعوا من موسى والأنبياء فإنهم ولا إن قام أحد من الأموات يُصدِّقونه" (لوقا 16، 31). ليست الأعاجيب هي التي تُغيِّر القلب. إنها تُفاجيء وتدهش لكن مفعولها محدود. فقط كلمة الله هي الينبوع الذي يروي عطش من يُعش عن الحياة الحقيقية. الكُتُب المقدَّسة وحدها تُجِدِّد الروح وتُعيدنا عن التجارب العديدة الممكنة أن نقع فيها. وإن القلب لا يتنقى إذا لم نحوله كلمة الله إلى قلب من لحم لا من حجر، قادر على التأثر حيال الفقراء الواقفين أمام الباب.

الكُتُب المقدَّسة عزاء كبير للمؤمنين. يقول صاحب المزامير: "كلمتك مصباح لخطاي ونور لسبيلي" (المزمور 119، 105). يعترف هذا القول بأن كلمة الله ضرورية لكي نعرف أين نرتكز أقدامنا وتسترخ أركاننا، وعلى ما تقوم أعلامنا. إن المؤمن يحيا من كلمة الله ومعها. فهي رفيقة طريقه، وهو لا يجعلها أبداً خارج حياته.

في أونة أمة يسهل فيها كثيراً عدم التعايش معاً، بل يسهل فيها التعارض والصدام، تُسكِّل الكُتُب المقدَّسة منارةً تقينا ظلمات عديدة. من دون حضور الله الصديق الذي يكلمنا، يتعرَّض العالم إلى خطر التحول إلى نضالٍ مُستمرٍ لكي يُفرض إرادته الشخصية. ولذا، فإن الكُتُب المقدَّسة تُحرِّر، لأن من يقرأها يشعر بأنه مُحَرَّر من الشقاق والكبرياء والرغبة في فرض ذاته على الآخرين ومُتحرِّر من ظلمات الشر.

في المقطع الذي يتكلَّم عن تجارب يسوع في الصحراء، حيث ظلَّ أربعين يوماً يتعرَّض لمكاييد الشَّيْطَانِ غير المثمرة، نجد جواراً وجيلاً بين يسوع والمُجْرَب، بريننا كيف يستخدم الشيطان الكُتُب المقدَّسة لكي يقاوم الخير. هذا تشويه لقصد الله الأصلي طالما أن كلمته تُنقل إلى البشر لكي يجدوا الطريق المُستقيم والحقيقي.

يقترح المُجْرَب على يسوع أن يُحوِّل الحجارة إلى خبز فيشبع جوعه. يبدو هذا الإفتراح مُلائماً جداً. لكن يسوع لا يريد أن يجعله المُجْرَب يقطع صومه الذي بدأه كوسيلة للاتصال بالله وكتعبير عن رفض لجميع أشكال حب الذات. فيرد على الشَّيْطَانِ بِجُمْلَةٍ مُستوحاة من سفر تثنية الاشتراع (3، 8) تُعزِّز عن أولوية الإنسان الروحي المُطلقة: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متى 4، 4).

من الواضح أن يسوع لا ينفى الحاجة إلى الخبز، ولذا، فإنه في الصلاة "أبانا الذي في السموات"، يدعو تلاميذه إلى أن يطلبوا من الأب السماوي "خبزنا اليومي". وفي كلِّ حال، يبقى السؤال: ما هو الخبز الذي يحتاجه الإنسان؟ ليس

هَذَاكَ أَيُّ شَيْءٍ بِالنَّسْبَةِ إِلَى يَسُوعَ. إِنَّ الْإِنْسَانَ الرَّوْحِيَّ بِحَاجَةٍ إِلَى الْخُبْرِ الرَّوْحِيِّ، أَيُّ خُبْرِ كَلِمَةِ اللَّهِ، الْكَلِمَةِ الصَّدِيقَةِ وَالْقَرِيبَةِ، الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِ اللَّهِ. إِذَنْ، هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي تُقَوِّي وَتُعْزِّي، وَالَّتِي تُحَرِّرُ مِنْ مَشَاقِّ الْحَيَاةِ، وَالَّتِي تُرْبِحُ الْقَلْبَ، يَجِبُ أَنْ تَلْجَأَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ مِثْلَ ذَلِكَ الدَّرَجِ الَّذِي أَكَلَهُ حَزَقِيَّالُ فَمَلَأَ حَشَاءَهُ (حَزَقِيَّالُ 3، 1-3). كَلِمَةُ اللَّهِ حَيَاةٌ وَتُعْطِي الْحَيَاةَ، لَكِنَّهَا لَا تَبْلُغُ هَدَفَهَا مَا لَمْ يَقْبَلْ مُتَنَاوِلَهَا أَنْ يَأْكُلَهَا وَيَقْبَلْ تَبِعَاتِهَا كُلَّهَا. الْكَلِمَةُ الَّتِي تَأْتِي مِنَ اللَّهِ وَتَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ يَجِبُ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ. هَكَذَا فَقَطْ يُمَكِّنُهَا أَنْ تُخَصِّبَ الْقَلْبَ كَمَا يُخَصِّبُ النَّدَى الْأَرْضَ.

فِي النَّهَائِيَّةِ، يَشْعُرُ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِأَنَّهُ مَدْعُوٌّ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ كُلَّمَا سَمِعَ كَلِمَتَهُ، وَيَشْعُرُ بِطَاقَاتٍ مَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ تَنْمُو فِي دَاخِلِهِ عِنْدَمَا تَنْمُو الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ فِي نَفْسِهِ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْيشُ كَلِمَةَ اللَّهِ وَيَتَّقُ بِهَا عِنْدَمَا تَعْصِفُ بِهِ أَرْمَنَةُ سَيِّئَةٌ. يَدْعُونَا الْيَوْمَ أَيْضًا تَارِيخُ الْمُعْتَقَلِ النَّازِيِّ الَّذِي قَرَّرَ فِيهِ بَضْعُهُ مَسِيحِيَّيْنَ مُخْتَلِفِي الْمَذَاهِبِ أَنْ يَحْفَظَ كُلُّ مِنْهُمْ بَضْعَ صَفْحَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِكَيْ يَحَافِظُوا عَلَى ذِكْرِ كَلِمَةِ اللَّهِ. إِنَّ الْأَمَانَةَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ، فِي زَمَنِ يَفْقَدُ الذَّاكِرَةَ أَوْ تَهْرَبُ فِيهِ الذَّاكِرَةُ، تُشَكِّلُ إِحْدَى الرِّكَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْحِفَافِ عَلَى بُعْدِ إِنْسَانِيٍّ لِلْوُجُودِ وَالْحِفَافِ عَلَى مَخَافَةِ اللَّهِ. مَنْ تَرَاهُ يَخْتَارُ مَقَاوِمَةَ الْخَيْرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَمَعَ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ أَوْ قَرَأَهَا؟ وَمَنْ تَرَاهُ يَتَخَلَّى عَنِ طَرِيقِ الْقَدَاسَةِ أَمَامَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ؟ إِنَّ فِي كَلِمَةِ الرَّبِّ قُوَّةً تَقِينَا الشَّرَّ وَالْحَطِيئَةَ. مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، إِنَّ الْيَقِينَ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تُقَرِّبُنَا مِنْهُ نَفْتَحُ قُلُوبَنَا عَلَى الشُّكْرِ لَهُ. إِنَّ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ نُعَرِّبُنَا وَإِنَّ الْعَرَاءَ يَكْبُرُ فِيْنَا بِمِقْدَارِ مَا نَتَقَبَّلُ الْكَلِمَاتِ الْمَوْجُودَةَ فِيهَا. وَلِذَا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْتَهِينُ أَوْ يَسْتَخْفُ بِالْكَنْزِ الَّذِي وَضَعْتَهُ شِرَاكُهُ الْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَفْرَحُ مَعَ إِخْوَانِهِ بِكُونِهِ قَدْ تَلَقَّى الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ وَبِكَوْنِهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْيَا بِنُورِهَا.

شباب حول الرسول ﷺ

الملخص

فإن الله عز وجل ما أتى عبداً علماً إلا شاباً، فالخيرُ كُلُّه في الشباب، فهو القائل في محكم تنزيله: "قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (سورة الأنبياء: 60)، وهو سبحانه القائل: "...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (سورة الكهف: 13)، وهو سبحانه القائل عن سيدنا يحيى ﷺ: "يَلْحَقِي خِزْيَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا" (سورة مريم: 12). ولقد ربى النبي ﷺ جيلاً مؤمناً ملتزماً بمفاهيم وقيم الإسلام، وكان الغالب في هذا الجيل شريحة الشباب، فعادة ما يتفاعل الشباب مع كل جديد، وهم أكثر الناس تأثراً، وأسرعهم استجابة، وأشدهم تفاعلاً؛ بخلاف جيل الشيوخ الذين - في الغالب - ما يقفون حجر عثرة أمام أي تغيير أو إصلاح، وهم أشد الناس تمسكاً بالقديم، ورفضاً للحديث والجديد. لقد كان للشباب دور رئيس في الالتفاف حول الرسول ﷺ، ودعم ما جاء به النبي ﷺ، والدعوة إليه، والدفاع عنه، كما كان للنبي ﷺ اهتمام خاص برعاية الشباب وتربيتهم وإعدادهم لتحمل المسؤوليات الكبيرة.

التعامل النبي ﷺ مع الشباب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد، كان رسول الله ﷺ يدرك طبيعة الشباب؛ فيوجههم ويرشدهم بما يتناسب مع قدراتهم، ويشجعهم ويسند إليهم من المهام ما يسمو بهمهم، ويقوي نفوسهم. والمتأمل في سيرته ﷺ في تعامله مع الشباب ينتبه لأمر مهم، وهو أن رسول الله ﷺ كان:

- يرفق بالشباب،
- يدرك طبيعة تفكيرهم،
- وفي الوقت نفسه يستخرج مواهبهم،
- يستفيد من طاقاتهم،
- ويرشدهم فيما ينفعهم، وينفع أمتهم،
- كما أنه يوجههم بصورة مباشرة.

¹ الدكتور يوسف الشراح [alsharrahusef@gmail.com] أستاذ في جامعة الكويت.

كل ذلك في تكامل رائع يكشف عن عظمة شخص النبي ﷺ، وعظيم قدراته التربوية. فليست تربية الشباب كما يظنها البعض اليوم بأن على المربي أن يكتفي بالتوجيه غير المباشر، دون تدخل أو توجيه ونصح مباشر، بل أقول: إن التوجيه المباشر للمستجيب من الشباب يوفر على المربين وقتاً طويلاً، وربما أعماراً من انتظار التوجيه بالتلميح. فهذا هو النبي ﷺ يردف خلفه ابن عباس رضي الله عنهما، وفي هذا تربية عملية له على التواضع تجد تطبيقها في حياة ابن عباس رضي الله عنهما، وتواضعه، وإكباره بالعلماء كزيد بن ثابت رضي الله عنه حيث كان ينتظره على بابه في شدة الحر؛ ليطلب العلم.

دعونا نذكر موقفاً آخر فيه الجمع بين التوجيه ومراعاة الحاجات النفسية للشباب؛ فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُنْقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجِيمًا رَقِيقًا؛ فَظَنَّ أَنَّا قَدْ اسْتَفْتَيْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلْنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا؟ فَأَخْبَرَنَا. فَقَالَ ﷺ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ" (متفق عليه).

فانظروا كيف أقام لهم تلك الدورة التوجيهية التربوية لمدة عشرين يوماً، ومن بعد ذلك يسألهم عن أحوالهم وأحوال أهلهم؟! وفي هذا مزيد تعرف عليهم، وفيه تقرب إليهم، وإزالة حواجز، وإدراك من المربي الحضيف لأهمية إظهار الاهتمام بالشؤون الشخصية العامة لكل من يربيهم.

ثم هو ﷺ بعد ذلك يوصيهم بتوجيه مباشر بما يجب عليهم من الدعوة والتعليم، وتطبيق ما تعلموه منه، ويوصيهم بأهم وصية يجب الاعتناء بها، وهي: الصلاة، يصلونها كما رآه ﷺ يصلها، وبعدها يرشدهم إلى عدم إغفال من هم أكبر منهم سناً؛ حتى لا تأخذ الشباب فورة القوة والفرح بما عندهم فيبتكرون للكبار.

وانظروا - في موقف ثالث - كيف يتفرس رسول الله ﷺ في شاب - بعد مثل تلك الجلسات - ويطلع على قدراته ومواهبه؛ فيسند له مهاماً كبيرة؛ فيرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة مبلغاً عنه دين الله تعالى، فما أخطأت فإساسة النبي ﷺ فيه، ففتح الله قلوب أهل المدينة على يديه، وبحسن منطقه وكريم خلقه استطاع أن يكسب القلوب، ويمهد الطريق للدولة المسلمة.

وقل مثل ذلك في تقديره ﷺ لمواهب زيد بن ثابت رضي الله عنه، وإسناده مهمة في غاية الأهمية بالنسبة لأي حاكم، وهي: أن يترجم له ويفحص ما يكتب عنه فيما بينه وبين اليهود. وكما نعلم أن مثل هذه المهمة خطيرة بسبب ما كان بين المسلمين واليهود من حساسية في ذلك الوقت، وهذا ما حدث به زيد عن نفسه؛ فعن حارثة بن زيد أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال زيد: ذهب

بي إلى النبي ﷺ فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ وَقَالَ: "يَا زَيْدُ! نَعَلِمَ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمِنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي"، قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأَجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ (رواه أحمد وأبو داود والترمذي).

وتعالوا الآن ننقل إلى نقطة أخرى في رعاية النبي ﷺ للشباب، وإدراكه لاختلافهم عن غيرهم. انظروا كيف كان ﷺ يراعي اشتياق الشاب لزوجته، فقد روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سافرت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فلما أن أقبلنا، قال النبي ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ".

وفي قصة أخرى مشابهة: نلاحظ أن النبي ﷺ يراعي الشباب ولاسيما في أمر شهوتهم؛ ففي الحديث عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَقُلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ، فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ - أَي بَطِيءٍ - فَلَجَقْتِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فَخَسَّ بَعِيرِي بَعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَأَنْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجُودٍ مَا أَنْتَ رَائٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "مَا يُعْجَلُكَ؟" قُلْتُ: كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ. قَالَ: "أَبِكْرًا أَمْ نَيْبًا؟" قُلْتُ: نَيْبًا. قَالَ: "فَهَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟" قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا دَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، قَالَ: "أْمَهَلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَي عِشَاءً -؛ لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةَ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ" (متفق عليه).

فيراعي هنا حاجات الجميع: فيسأل أولاً جابراً عن حاله وسبب استعجاله، ثم يبدي رأيه في زواجه أنه كان يفضل له أن يتزوج بكرة بدلاً من ثيب؛ فإن البكر تخوض تجربتها الجديدة في الزواج فتعتني بزوجها وتحبه، ويراعي كذلك المرأة في بيتها فيترك لها فرصة التزين لتستقبل زوجها على أكمل حالاتها! بل إنه ﷺ كان يأذن للشباب ليذهبوا إلى بيوتهم أثناء حفر الخندق قبل غزوة الخندق، ولاسيما من كان حديث عهد بعرس، فيقول أبو سعيد رضي الله عنه مخبراً عن شاب كان معهم، فكان ذلك الشاب يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً فقال له النبي ﷺ: "خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ فَرِيضَةً" (رواه مسلم).

ولقد كان رسول الله ﷺ شفوفاً كريماً، يسمع للشباب، ويشعر بمشاكلهم، ويعاملهم معاملة كريمة، حتى إن أحد الشباب غلبته شهوته، وتنازع في نفسه الطهارة والإيمان مع رجز الشهوة المحرمة والشيطان؛ فلم يجد لنفسه مهرباً إلا أن يأتي رسول الله ﷺ يستأذنه فيما ظنه مخرجاً شرعياً له، فإن أذن له رسول الله ﷺ في الزنا فقد أراح عن نفسه هم المخالفة، وانتهى عنه الشعور بالإثم. فانظروا كيف عالجه النبي ﷺ بالحوار العقلي العاطفي، وبالدعاء له أيضاً من غير زجر، ولا

قهر، ولا سخرية: جاء في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إِنْ قَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُنْذِنُ لِي بِالزَّانَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ ﷺ: "ادْنُهُ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، فَجَلَسَ، قَالَ ﷺ: "أَنْجِبُهُ لِأَمِّكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَنْجِبُهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَنْجِبُهُ لِأَخَوَاتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِمَائِهِمْ"، قَالَ: "أَفَنْجِبُهُ لِخَالَاتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، قَالَ أَبُو أَمَامَةَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (رواه أحمد).

دعونا نستعرض جوانب أخرى من تربية النبي ﷺ للشباب: فقد كان يحترم أحزانهم، فلا يشنع عليهم ما كان منهم في حزنهم؛ ما داموا لم يقعوا في محرم كتسخط القدر، بل ويسعى ﷺ في مواساتهم في تلك الأحران. ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَبْكِي، وَجَعَلُوا يَنْهَوْنَنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ عَمْرٍو (عمة جابر) تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ! مَا رَأَى الْمَلَائِكَةُ تَظْلُهُ بِأَجْنَحَيْهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ".

ومن تربيته ﷺ للشباب: ما كان من معاملته لزوجته الشابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتخفيفه عنها لما حضرتها الحيضة في الحج؛ فشق ذلك عليها، وتوهمت أنها ستحرم من الثواب، فذكر لها ما يطيب نفسها، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِسَرْفٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا جِصْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: "أَنْفِسْتِ!" يَعْنِي: الْحَيْضَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَأَقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَغْتَسِلِي" (متفق عليه).

وفي تقديره ﷺ لحاجة الفتاة حديثة السن إلى الترفيه: فقد نقل عنه ﷺ أنه كان يسابقها فتسبقه ويسبقها، ويقول لها: "هَذِهِ بِنْتُكَ السَّبِقَةَ". (رواه أبو داود). وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْسَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ؛ فَأَقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرَبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ (رواه مسلم).

كما كان ﷺ يعتني بالشباب، ويسعى في معاونتهم، وفي حل مشاكلهم، وفي تزويج فقرائهم، ففي الحديث الذي رواه الطبري في تفسيره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقَ يَخْطُبُ عَلَى فَنَاءِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ

فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: لَسْتُ بِنَاكِحَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "فَأَنْكِحِيهِ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوَامِرُ فِي نَفْسِي. فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا" (سورة الأحزاب: 36)، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتهُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مُنْكَحًا؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَتْ: إِذَنْ لَا أَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَنْكَحْتُهُ نَفْسِي.

ومن هؤلاء جُلَيْبِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان فقيرًا دميماً لا يهتم أحد بشأنه، سعى ﷺ في تزويجه، كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جُلَيْبِيبِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى اسْتَأْمَرَ أُمَّهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَنَعَمْ إِذَا"، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاها مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ، فَانْكِحُوهُ (رواه عبدالرزاق وأحمد وابن حبان).

ما أعظم تلك الشابة المؤمنة في ردها على أبيها، وتنبئها لموطن الخير في هذا! وتم الزواج، ولم يلبث جُلَيْبِيبُ أن استشهد في إحدى الغزوات، فلم يفقده أحد إلا رسول الله ﷺ؛ كما جاء في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَعْرَى لَهُ فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا وَفُلَانًا، وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: لَا. قَالَ: "لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا فَاطْبُؤْهُ"، فَطَلَبَ فِي الْقَتْلِ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "قَتَلْتُ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"، قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَخَوَّرَ لَهُ وَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ (رواه مسلم).

وكان رسول الله ﷺ يدافع عن اختياره للأكفاء من الشباب، للقيام بما يعرفه من قدراتهم من مهام، فاخياره لهم مبني على أساس كفاءتهم وقدرتهم على إنجاز ما يطلب منهم، حتى لو كانت أعمارهم أقل من غيرهم؛ ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ، فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ ﷺ: "إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ كَانَ خَلِيفًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ".

وفي معاملة النبي ﷺ لمن هم تحت يده من الخدم الشباب وغيرهم قدوة.. أيما قدوة! فيعرف حاجتهم للعب، ويتجاوز عن بعض تقصيرهم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ

خُلْفًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ؛ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ ﷺ: "يَا أُنَيْسُ، أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (رواه مسلم).

وعن مهاجر مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ سنين فلم يقل لشيء صنعتُ لم صنعتَه، ولا لشيء تركته لم تركته. رواه الطبراني في المعجم الكبير.

والناظر إلى الرجال الذين دخلوا الإسلام وتحملوا نشره يجدهم شباباً:

1. أبو بكر الصديق كانت سنة حينما دخل الإسلام 37 سنة.
2. عمر بن الخطاب كانت سنة حينما دخل الإسلام 26 سنة.
3. عثمان بن عفان كانت سنة حينما دخل الإسلام 20 سنة.
4. علي بن أبي طالب كانت سنة حينما دخل الإسلام 8 سنوات.
5. عبد الرحمن بن عوف كانت سنة حينما دخل الإسلام في حدود الثلاثين.
6. أبو عبيدة بن الجراح كانت سنة حينما دخل الإسلام 27 سنة.
7. والزيبر بن العوام كانت سنة حينما دخل الإسلام 18 سنوات.
8. طلحة بن عبيد الله كانت سنة حينما دخل الإسلام 11 عاماً.
9. سعد بن أبي وقاص كانت سنة حينما دخل الإسلام 17 سنة.
10. عبد الله بن مسعود كانت سنة حينما دخل الإسلام 14 سنة.
11. الأرقم بن أبي الأرقم كانت سنة حينما دخل الإسلام 12 سنة.
12. سعيد بن زيد كانت سنة حينما دخل الإسلام 19 سنة.
13. جعفر بن أبي طالب كانت سنة حينما دخل الإسلام 18 عاماً.
14. صهيب الرومي كانت سنة حينما دخل الإسلام دون العشرين.
15. زيد بن ثابت كانت سنة حينما دخل الإسلام دون العشرين.
16. خباب بن الأرت كانت سنة حينما دخل الإسلام 20 سنة.
17. عامر بن فهيرة كانت سنة حينما دخل الإسلام 32 عاماً.
18. مصعب بن عمير كانت سنة حينما دخل الإسلام 24 عاماً.
19. المقداد بن الأسود كانت سنة حينما دخل الإسلام 24 سنة.
20. بلال بن رباح كانت سنة حينما دخل الإسلام في حدود الثلاثين.
21. عثمان بن عفان كانت سنة حينما دخل الإسلام في حدود الثلاثين.
22. عمار بن ياسر كانت سنة حينما دخل الإسلام فيما بين الثلاثين والأربعين.
23. حمزة بن عبد المطلب كانت سنة حينما دخل الإسلام 42 عاماً.

فشبابُ الأمة هم مصدرُ قوتها، وهم صنَّاعُ مجدها، كما أنهم عنوانُ مستقبلها، فهم يملكون القوةَ والطاقةَ والرغبةَ، فهذا ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يخبرنا أن النبي ﷺ قال يَوْمَ بَدْرٍ: "مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا وَأَتَى مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا"، فَتَسَارَعَ إِلَيْهِ الشُّبَّانُ، وَتَبَّتِ الشُّيُوخُ عِنْدَ الرَّايَاتِ (رواه النسائي في السنن الكبرى والحاكم والبيهقي).

سلوك الشباب المثالي من وجهة النظر الدينية وخبرة الحياة

المخلص

يمثل الشباب، في كلّ زمان ومكان، القلب النابض لكل المجتمعات وحاضر ومستقبل الأمم وقوتها. لذلك يُشكّل الاهتمام بهم وتنشئتهم وتوفير الفرص والمقومات الضرورية لينمووا على جميع الأصعدة وإعطائهم القيم السليمة، مَهْمَةٌ كل المجتمعات التي تريد الازدهار والتطور والعيش بسلام. أما الحوار بشكل عام، والحوار فيما بين الأديان بشكل خاص، فيشكّل محطة فائقة الأهمية في مجتمعات اليوم لتعزيز السلام وبناء حضارة المحبة والأخوة بين البشر أجمعين.

بعد إلقاء نظرة سريعة على الخبرة الحياتية وما تزرعه في النفس البشرية من مشاعر إيجابية أو سلبية تجاه "الأخر" والنظرة إليه، تقوم الكاتبة بالبحث فيما تقوله الديانات السماوية حول هذا "الأخر" المختلف في الدين والمعتقد وحول الحوار معه. وذلك لاستنباط وتحديد السلوك الأمثل للشباب في عالم اليوم، انطلاقاً من المعطيات الدينية، من أجل عيش حوار حياة بناء وتحقيق العيش المشترك السلمي في مجتمعات حضارية، خلاقة يعمها السلام والطمأنينة بهمة أبنائها وبناتها من الأجيال الصاعدة.

المقدمة

إنّ السؤال المطروح اليوم يتمحور حول ماهية سلوك الشباب الأمثل فيما يخصّ الحوار من وجهة نظر الديانات السماوية الثلاث والخبرة الحياتية؟ وإن قلنا "الحوار" فهو رُكنٌ أساسيٌّ ومهم لا بدّ منه لاستمرار الحياة البشرية وعليه تركز نوعية الوجود البشري. هو أحد أسس الوجود البشري. لا حوار بلا إنسان ولا إنسان بلا حوار. حتى العلاقة بين الخلق والخالق متمثلة في الحوار الذي بدأه الخالق مع الإنسان، فالله تعالى هو من اتصل بالبشر، مُنزلاً لهم كتباً سماوية! إنّ رفض الحوار إذاً لهو انتحار بقدر ما هو قتل. فبالحوار نحيا ونستمر بشكلٍ فعّال وإيجابي وإذا تلاشى ذلك الحوار، يكون الكائن البشريّ قادراً على محو أخيه، هذا "الأخر" الذي يُهدّده ويخاف منه.

¹ الأستاذة الدكتورة أمل حزين [amal.hazeen@gmail.com] ولدت في الفلسطينيين وتعيش اليوم في الروم. إنها تدرّس في جامعة الروم عدة مواد ومنها حوار الأديان والتعريف بالإسلام.

سأبدأ مداخلتني بالحديث عن خبرتي الشخصية لأصل بعد ذلك إلى تفحص ما تقوله الديانات السماوية فيما يتعلق بالحوار، كي أنتهي إلى وضع نقاط عملية لسلوك الشباب الأفضل في حياتهم اليومية.

1. خبرتي الشخصية

أود أن أبدأ حديثي باستحضار أيام طفولتي في بلدي فلسطين. لقد وُلدت في مدينة بيت لحم لعائلة مسيحية حيث ترعرعتُ ونشأتُ نشأةً مسيحيةً. تعلمتُ في مدارس خاصة عند الراهبات وأنهيتُ دراستي الثانوية في "مدرسة الأرض المقدسة" للرهبان الفرنسيين. في هذه المدارس وعلى مقاعد الدراسة، تعلمت الانفتاح تجاه "الأخر" ومحبه من خلال اللقاء المباشر. في طفولتي عشتُ في مركز مدينة بيت لحم، وبعد ذلك انتقلنا لنعيش في ضواحي المدينة حيث كان معظم جيراننا من المسلمين. كانت علاقتنا بهم علاقة مودة وأخوة بشكل عام حتى وإن كانت تحدث بعض الإشكالات بين الحين والآخر. عندما بدأت الانتفاضة عام 1987، كنتُ في آخر مراحل دراستي الثانوية وفي هذه المرحلة بدأت تظهر وتشتد علامات التمييز والتعصب عند بعض الجيران الذين بدأوا ينعنوننا بالكافرين والمشركين وبدأ التضييق علينا وربطنا "بالغرب الكافر". فتكوّنت في قلبي وعقلي بعض الشكوك والخاوف. وكنْتُ أتساءل دوماً: لماذا؟ ألسنا إخوة في الإنسانية؟ ألسنا إخوة في الوطن والمواطنة؟ ما الذي يجري؟

لقد علمتني خبرتي أنّ العلاقة الودية المباشرة واليومية مع الآخر تحمي الكثير من الخوف وبالعكس تجعلني أعرف أهمية الآخر وإيجابياته في حياتي. أما عندما تحدث الانقسامات ويتسرب الشك وتبدأ الإشارة بأصابع الاتهام والأحكام المسبقة تجاه الآخر، تتحول العلاقة إلى صدام، إلى بغض وإلى قتال. لذلك قررت أن أعرف، أن أبحث عن الجواب. دارسةً ومُنقّبةً في ديني كما في الأديان الأخرى. إنّ الجهل يولّد الخوف من الآخر، ومن "المجهول"، ممن لا أعرف حقّ المعرفة! بينما الاختلاط بالسليم بالآخر ومعرفة الانفتاح والمودة. أستطيع التأكيد اليوم: أنا أحبّ ديني ومتعلقة به أكثر من قبل، لأنّي أحيا عن وعي ومعرفة ولأن معرفتي واحتكاكي بالآخر وبدينه جعلني أفهم ذاتي وديني أكثر من ذي قبل. بالمعرفة والعلم تعلمت الانفتاح على الآخر وقبوله كما هو ومحاولة فهمه كما يفهم هو ذاته، لا كما أصوره و أتصوره وأسمع عنه.

تكمن المشكلة في مجتمعاتنا في "الأحكام المسبقة" التي نصدرها تجاه الآخر في داخل عائلاتنا ومنازلنا، وفي تجنب الآخر دون محاولة التقرب منه ومحاورته، دون معرفته معرفةً حقّة، مما يولّد الخوف في النفوس والعقول وخاصةً في أذهان شبابنا. والخوف يولّد النفور والصراع. فتكون حياتنا معاً مليئة

بالخبرات السلبية التي تطبع فينا احتقار الآخر وكرهه ومعاداته. هناك أيضاً الكثير من الأساطير والأحكام المسبقة التي تتداولها جميع المجتمعات العربية من المسيحي تجاه المسلم ومن المسلم تجاه المسيحي، فبنشأ شبابنا على عقلية مغلقة، متأزمة وقاسية. ينشؤون على السلوك العدواني تجاه الآخر وعلى ازدرائه واحتقاره. تكمن المشكلة أيضاً في "الرؤساء الدينيين" الذين يركزون بالدين بحسب أهوائهم، فإن أرادوا كانوا من محبي السلام ومن الداعين إليه وإلا كانوا من دعاة الحرب والكره والقتال وتكفير الآخر.

كما أن خبرتي في التعليم الجامعي علمتني أنه عندما نبدأ بالتحدث عن الديانات الأخرى، نجد أمامنا نوعين من ردات الفعل وذلك تبعاً لخبرة الحياة الفردية لكل شخص منا. فهناك الكثير من الطلاب الذين لا يعرفون شيئاً مثلاً عن الإسلام إلا ما يسمعونه هنا وهناك بشكل عشوائي أو عن طريق وسائل الإعلام المسيئة التي لا تبت إلا الحوادث السيئة، وعلى سبيل المثال العمليات الانتحارية. تكون ردة فعل هؤلاء منفتحة وإيجابية نوعاً ما وطالبة لمعرفة أعمق وأوعى. كما أن هناك طلاباً ذوي ردود فعل رافضة للإسلام، إذ إنهم يتحدثون من بلدان تعاني يومياً من العمليات الانتحارية والقتل الجماعي وتفجير الكنائس كما هو الحال في نيجيريا، فيكون ذهنهم مليء بالألم والرفض والأسى وحتى الكراهية أحياناً بسبب فقدان أحد أفراد العائلة أو أكثر جراء هذه الحوادث. في هذه الحال، يكمن واجبي الأول في التوعية والتربية على الانفتاح قبل إعطاء المعرفة النظرية. نعم المشاكل موجودة وهي كبيرة وعصيبة أحياناً، ولكن ما العمل؟ فإن تركنا ذاتنا لمشاعر الخوف والألم والحقد، ستكون النهاية حتماً الحرب والصدام والانعزال والوقوع على الذات وفي هذا كله يكمن الموت لا محالة. أما إن أردنا أن نكون من فاعلي السلام كما أردنا الخالق، فعلينا أن ننفتح على الآخر وأن نعرفه ونُعرفه بذواتنا، علينا أن نتقبله ونُوعيه بأننا كلنا إخوة في الإنسانية. لذلك من المهم جداً أن نعرف الآخر معرفة حقة بعيدة عن الأساطير والأقويل، وأن نحترمه بذاته وكنيته وعقائده. فلكل منا دينه وعقائده ومعتقداته التي يجب ألا تُمس بأي شكل من الأشكال، لا بل يجب احترامها وتقديرها والبحث عما يجمعنا ويوحدنا لنعمل سوية من أجل الخير العام.

هناك أيضاً، ولحسن الحظ، شباب واع مُنفتح، شباب من ديانات مختلفة يختلطون ببعضهم البعض، فتكون العلاقة بينهم علاقة ودّ ومحبة، علاقة أخوة وصداقة، يعرفون بعضهم البعض، فتكون الأذهان منفتحة والحياة أكثر أمناً وسلاماً. لقد التقيت على سبيل المثال بشباب مسيحيين يُدافعون عن إخوانهم المسلمين بكل ثقة عندما يتمّ التعرّض للمسلمين وللإسلام، ومن جهة أخرى التقيت بشباب مسلم يُدافع عن المسيحيين والمسيحية عندما يتمّ التعرّض لهم. ويعود هذا

السلوك، بالتأكيد، إلى معرفتهم ببعضهم البعض وإلى خبرة الحياة الإيجابية فيما بينهم، فلا يعودون يقبلون بتجريح الآخر وإهانته مهما كلف الأمر من جهدٍ وأياً كان من يُسبب الإهانة. لتكن لنا تجارب الحياة وخبراتها مدرسةً يتعلّم الشباب من خلالها أن يبنوا ويطمحوا إلى مستقبل أفضل، مستقبلاً أكثر إشراقاً وازدهاراً.

والآن نأتي إلى تفحص ما تنصّ عليه الديانات السماوية الثلاث.

2. وجهة نظر الأديان السماوية الثلاث في الحوار والنظرة إلى الآخر؟

وهنا نود أن نبحث فيما تقوله الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية تجاه الآخر واللقاء معه وتجاه الحوار. وبسبب ضيق الوقت سنقوم بانتقاء القليل من الآيات والنصوص من الكتب المقدسة ومن الوثائق الأكثر أهمية التي يمكن أن تعطينا فكرة عن السلوك الأمثل للشباب في هذا المجال.

بالنسبة إلى الديانة المسيحية، وكمسيحية كاثوليكية، سأعتمد في تحليلي على وثائق الكنيسة الكاثوليكية الأكثر أهمية بالنسبة للحوار. أما بالنسبة للديانة اليهودية والإسلامية فسيكون التركيز على الآيات وبعض الشخصيات المهمة في عالم الحوار والتي أعطت بعض التوجيهات منطلقة من كتبها المقدسة.

ماذا تقول الكنيسة الكاثوليكية في الحوار؟

ولأن هناك الكثير من الوثائق التي تتحدث وتحتّ على الحوار مع أبناء الديانات غير المسيحية، كان تركيزنا على 3 وثائق: الأولى والثانية من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني: وثيقة "في عصرنا"، كانت البداية التي فتحت أبواب الكنيسة على مصرعيها للحوار مع العالم، والثانية الدستور الرعائي في الكنيسة في عالم اليوم "فرح ورجاء" التي وضعت الأسس والارشادات العامة للحوار بين البشر أجمعين وفي النهاية نُذكر بأخر ما دعا إليه البابا فرنسيس في الإرشاد الرسولي "فرح الإنجيل".

أقتبس التالي من وثيقة بعنوان "وقفه حقّ" لبطاركة ورؤساء الكنائس في القدس: "إننا نؤمن بالله الواحد الأحد، خالق الكون والإنسان. نؤمن به إلهًا صالحًا وعادلاً ومُحبًا لجميع خلّاقه، ونؤمن أنّ كلّ إنسان هو خليفة الله، خلقه على صورته ومثاله، وأنّ كرامته من كرامته تعالى. وهذه الكرامة هي نفسها في كلّ إنسان. هذا الكلام يعني، لنا نحن هنا، في هذه الأرض

بالذات، أنّ الله خلقنا، لا لنتخاصم ونقتتل، بل لنتعارف ونتحابّ ونبنينا معاً بمحبّتنا وبالاحترام المتبادل بعضنا لبعض".²

هذا هو ملخّص إيمان الكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء. يتمثّل منطلق الكنيسة لوضع أسس الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى ومع العالم في المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) بالوثيقة التي نشرها بعنوان *Nostra aetate* أي "في عصرنا"³ والتي من خلالها عالجت الكنيسة مسألة علاقاتها مع الديانات غير المسيحية بشكل عام ووضعت رؤية الحلّ على أسس ببليّة عميقة. من خلال هذه الوثيقة تمّت الدعوة إلى الحوار الذي أرادته الكنيسة الكاثوليكيّة وعملت من أجله بكل قواها. كما تمّ التأكيد على أمرين مهمين، ألا وهما: الأول أنّ الحوار هو، قبل كل شيء، طريقة مهمة للبحث عن "الحقيقة"⁴. والحقيقة العظمى هي الله ولذلك فالحوار فيما بين الأديان هو للبحث عن الله، عن الحقيقة المطلقة التي هي ليست حكراً على أحد. والثاني هو أنّ كرامة الإنسان البشري هي أساس الحوار بين الكنيسة والعالم بأسره⁵. فتقول الكنيسة بأنّ بشريّتنا توحدنا وتجعل منا عائلة واحدة تحمل صورة الله، لأنها خلّقت على صورة الله ومثاله ("فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ": سفر التكوين 1، 26-27) وهو مدعوٌ للعلاقة مع

² بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس، وقفة حقّ. كلمة إيمان ورجاء ومحبة من قلب المعاناة الفلسطينية، المؤرّخة 2009/12/15.

³ المجمع الفاتيكاني الثاني، في عصرنا (*Nostra aetate*) بيان حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، 28 تشرين الأول 1965، الرقم 1، في:

http://www.jbeileparchy.org/home/index.php/index.php?option=com_content&view=article&id=80:vatican-ii&catid=36:2008-12-19-08-36-17&Itemid=11&lang=en (استشير بتاريخ 14 شباط 2014). النسخة الأصليّة كالتالي:
Cfr. Concilio Ecumenico Vaticano II, Dichiarazione conciliare *Nostra aetate* sulle relazioni della Chiesa con le religioni non cristiane, 28 ottobre 1965, in AAS 58 (1966), 740-744; in Enchiridion Vaticanum 1, 853-871.
⁴ أنظر:

Cfr. Amal Hazeen, *Il coraggio di cambiare la storia. Il dialogo ebraico-cristiano dal Concilio a Giovanni Paolo II*, EMI, Bologna, 2008, p. 63.

⁵ راجع وثيقة: المجمع الفاتيكاني الثاني، كرامة الإنسان (*Dignitatis humanae*) بيان في "الحرية الدينية"، 7 كانون الأول 1965، الجزء الأول، الرقم 3، كما في:

Cfr. Concilio Ecumenico Vaticano II, Dichiarazione *Dignitatis Humanae* sulla libertà religiosa, 7 dicembre 1965, in Acta Apostolicae Sedis: AAS 58 (1966), 929-946; in Enchiridion Vaticanum (EV) 1, 1971, 1048.

الله وبالتالي مع أخيه الإنسان. ومن هنا تنطلق لتقول بأنّ الحوار بين البشر هو واجبٌ عليهم أجمعين وهذا الحوار غير ممكن دون الاحترام والتقدير فيما بينهم.⁶ كما تقول الكنيسة في تعاليمها اللاهوتية بأنّ الحوار هو وسيلة لا بدّ منها لمحبة الله وبالتالي لمحبة الإنسان، لأنّه لا يمكن للإنسان أن يحب الله الذي لا يراه دون أن يحبّ أخاه الذي يراه (رسالة يوحنا الرسول الأولى 4، 20 "إن قال أحد: إني أحبّ الله وأبغض أخاه، فهو كاذب. لأن من لا يحبّ أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يحبّ الله الذي لم يبصره؟").

ووثيقة "في عصرنا" تنصّ على أنّه:

"في عصرنا الذي يتحد فيه الجنس البشري إتحاداً أوثق يوماً بعد يوم، وتنمو فيه العلاقات بين الشعوب المختلفة، تتفحص الكنيسة بانتباه بالغ علاقتها بالديانات غير المسيحية. إنها في نطاق مهمتها التي تقوم بتعزيز الوحدة والمحبة بين الناس لا بل بين الأمم، تتفحص هنا بادئ ذي بدء ما هو مشترك بين الناس ويقودهم الى مصير واحد. فكل الشعوب جماعة واحدة ولها اصل واحد لأن الله هو الذي أسكن الجنس البشري بأسره على وجه الأرض كلها؛ ولهم غاية أخيرة واحدة وهي الله الذي يشمل الجميع بعنايته وشهادة جودته وتدابير خلاصه الى أن يتحد المختارون في المدينة المقدسة التي سينيرها مجد الله وستمشي الامم هناك في نوره".⁷

ثمّ تتابع الوثيقة بالقول:

"فالكنيسة الكاثوليكية لا تزدل شيئاً مما هو حق ومقدس في هذه الديانات. بل تنظر بعين الاحترام والصراحة الى تلك الطرق، طرق المسلك والحياة، والى تلك القواعد والتعاليم التي غالباً ما تحمل شعاعاً من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس، بالرغم من أنها تختلف في كثير من النقاط عن تلك التي تتمسك بها هي نفسها وتعرضها. فهي تحث أبناءها على أن يعرفوا ويصونوا ويعززوا تلك الخيور الروحية والأدبية، وتلك القيم

⁶ Cfr. Amal Hazeen, *Il coraggio di cambiare la storia*, pp. 63-64.

⁷ المجمع الفاتيكاني الثاني، في عصرنا (*Nostra aetate*) بيان حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، 28 تشرين الأول 1965، الرقم 1، في:

http://www.jbeileparchy.org/home/index.php/index.php?option=com_content&view=article&id=80:vatican-ii&catid=36:2008-12-19-08-36-17&Itemid=11&lang=en
(استشير بتاريخ 14 شباط 2014). النسخة الأصلية كالتالي:

Cfr. Concilio Ecumenico Vaticano II, *Dichiarazione conciliare Nostra aetate* sulle relazioni della Chiesa con le religioni noncristiane, 28 ottobre 1965, in AAS 58 (1966), 740-744; in EV 1, 853-871.

الاجتماعية والثقافية الموجودة لدى الديانات الأخرى، وذلك بالحوار والتعاون مع أتباع هذه الديانات بفتنة ومحبة وبشهادتهم للإيمان وللحياة المسيحية"⁸.

ويختتم المجمع هذا البيان قائلاً:

"لا نستطيع ان ندعو الله ابا الجميع اذا رفضنا ان نسلك اخوياً تجاه الناس المخلوقين على صورة الله. فعلاقة الانسان بالله الأب وعلاقته بأخوته البشر مرتبطتان الى حد ان الكتاب يقول: "ان من لا يحب لا يعرف الله" (1 يوحنا 4 / 8). اذا يقوّض أساس كل نظرية أو تصرف يفرق بين إنسان وإنسان، وبين أمة وأمة، في ما يتعلق بالكرامة الانسانية وبالقوق النابعة منها. فالكنيسة تشجب اذاً كمناف لروح المسيح، كل تفرقة أو جور يلحق بالبشر بسبب عرقهم أو لونهم، وبسبب وضعهم أو ديانتهم. ومن ثم فالمجمع المقدس، اذ يتتبع خطى القديسين الرسولين بطرس وبولس يناشد المسيحيين بحرارة كي "يسيروا سيرة حسنة بين الامم" (1 بطرس 2 / 12) إن أمكن، ويعيشوا بسلام مع جميع الناس بقدر ما يتعلق ذلك بهم، بحيث يكونوا حقاً أبناء الأب الذي في السماوات"⁹.

كما تخصّ هذه الوثيقة بالذكر الديانة الإسلامية بالرقم 3 والديانة اليهودية بالرقم 4 حيث تعدد العوامل والقيم المشتركة مع الديانة المسيحية والتي منها يجب الانطلاق نحو حوار بناء وأخويّ وتحث الجميع على المصالحة والمسامحة والعمل معاً من أجل بناء مجتمعات أكثر عدلاً وأخوة يعمّها السلام والأمان. هذه هي الوثيقة الأولى على الإطلاق التي تُعبّر فيها الكنيسة عن رأيها الرسمي في الحوار والعلاقات مع الديانات الأخرى. كانت الخطوة الأولى التي انفتحت فيها الكنيسة على كلّ ما هو خارج الكنيسة وعلى الديانات الأخرى وخصوصاً الديانتين اليهودية والإسلامية. أما الدستور الرعائي في الكنيسة في عالم اليوم "فرح ورجاء" فينصّ على ما يلي: "إنّ الكنيسة، وإن رفضت الإلحاد رفضاً باتاً، تُعلن مع ذلك بكل صراحة أن على البشر أجمعين كانوا أم غير مؤمنين أن ينكبّوا على بناء هذا العالم في العدل، هذا العالم الذي يحيون فيه معاً: ولن يتم ذلك حقاً إلا بالحوار الصريح الحكيم. فالكنيسة تأسف إذاً للتمييز في المعاملة بين مؤمنين وغير مؤمنين تقوم به بعض السلطات المدنية بطريقة ظالمة محتقرة حقوق الإنسان الأساسية"¹⁰.

⁸ ذات المرجع، الرقم 2، الفقرة 858-859.

⁹ ذات المرجع، الرقم 5، الفقرة 870-872.

¹⁰ المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور رعائي في الكنيسة في عالم اليوم (*Gaudium et Spes*)، كانون الأول 1965، الرقم 21، في:

وفي مكان آخر يقول:

"من بين أبرز مظاهر عالم اليوم، يجب أن نعد تزايد العلاقات بين البشر، تلك العلاقات التي يُسهم التقدم التقني الحالي في توسُّعها وانتشارها. غير أن الحوار الأخوي بين البشر لا يكتمل على هذا المستوى، بل على مستوى أعمق في جماعة الأشخاص، وهذه الجماعة تفترض الاحترام المتبادل لكرامتهم الروحية التامة".¹¹

كما يؤكِّد:

"إنَّ الله الذي يسهرُ على الجميع سهرَ الوالد، شاءَ أن يؤلِّفَ البشرَ أجمعون عائلةً واحدةً، ويُعاملَ بعضهم بعضاً كأخوةٍ. فكُلُّهم خُلِقوا على صورةِ الله هو الذي أسكَنَ على وجه الأرض كُلِّها البشريةَ بأسرها التي خرجت من مبدأ واحد" (أع 17 / 26). ولقد دُعوا جميعاً إلى الغاية الواحدة ذاتها وهذه الغاية هي الله نفسه. ونتيجةً لذلك إن أعظم الوصايا وأولها هي حبُّ الله وحبُّ القريب. ويعلمنا الكتاب المقدس بدوره أن حبَّ الله لا ينفصل عن حب القريب، "وكل وصية أخرى تُلخَّصُ بهذه الكلمة: أحبب قريبك كنفسك. فالمحبة هي تمام الناموس" (رو 13 / 9 - 10؛ يو 4 / 20). وإنه لمن الواضح أن ذلك هو ببالغ الأهمية بالنسبة إلى البشر الذين يزداد إرتباطهم بعضهم ببعض في عالمٍ لا ينفك يتوحَّد".¹²

وأيضاً

"يجب أن يمتدَّ احترامنا وحبُّنا إلى كلِّ الذين يفكِّرون ويعملون بطريقة مغايرةٍ لنا، إن في القضايا الاجتماعية وإن في القضايا السياسية أو الدينية. وبقدرٍ ما نجتهدُ في تفهِّم نظرياتهم تفهماً داخلياً مطبوعاً بالحب والتودد، يسهل حينئذٍ الحوار معهم. أجل، إن هذا الحب وهذا التودد يجب أن لا يقودنا أبداً إلى اللامبالاة في ما يتعلق بالحق والخير. وبالأحرى إنه الحبُّ نفسه يدفع بتلاميذ المسيح إلى أن يبشروا جميعَ الناس بالحقيقة التي تحملُ الخلاص. ولكن علينا أن نميِّزَ بين الأضاليل التي يجب أن نرفضها دائماً وبين الذي يغلط، لأن من يغلط يحتفظ دائماً بكرامته كشخص، حتى وإن

http://www.jbeileparchy.org/home/index.php/index.php?option=com_content&view=article&id=80:vatican-ii&catid=36:2008-12-19-08-36-17&Itemid=11&lang=en (استشير بتاريخ 14 شباط 2014). النسخة الأصلية كالتالي:

Cfr. Concilio Ecumenico Vaticano II, Costituzione pastorale *Gaudium et Spes*, 7 dicembre 1965, in AAS 58 (1966), 1025-1120.

¹¹ المرجع ذاته، الرقم 23.

¹² المرجع ذاته، الرقم 24.

ضلَّ الطريق بين التعابير المغلوطة أو الناقصة في ما يتعلق بالأمور الدينية. إن الله وحده هو الذي يفحصُ القلوب ويحكم عليها ويحدِّثنا من أن ندين أحداً ونؤثِّمَه. إن تعليمَ المسيح يقودُ إلى طلبِ الصِّفح عن الإساءات فينشِرَ وصيةَ المحبة، وصيةَ الناموسِ الجديد، إلى كلِّ الأعداء "لقد قيل لكم: أحبب قريبتك وأبغض عدوك؛ أمّا أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلُّوا لأجل من يضطهدكم ويقول عليكم شراً" (مت 5 / 43 - 44)¹³.

كما يقول البابا فرنسيس في وثيقة الإرشاد الرسولي "فرح الإنجيل" أنّ الحوار بين الأديان يقوم انطلاقاً من "هوية واضحة وفرحة". إنه شرط أساسي من أجل السلام في العالم ولا يقف حاجزاً في وجه البشارة. لذلك تتمتع بأهمية كبيرة لاسيما في هذه المرحلة من التاريخ العلاقة مع المؤمنين المسلمين وبهذا الصدد يطلب الأب الأقدس "بتواضع" من "البلدان ذات التقاليد الإسلامية تأمين الحرية الدينية للمسيحيين، أخذة بعين الاعتبار الحرية الدينية التي ينعم بها المؤمنون المسلمون في البلدان الغربيّة. وأمام "حوادث التشدّد العنيف" يدعو البابا "للابتعاد عن التعميم لأن الإسلام الحقيقي والتفسير السليم للقرآن يتناقضان مع العنف بجميع أشكاله". وأمام محاولات خصخصة الديانات في بعض الأماكن، يؤكد البابا فرنسيس أن الاحترام الواجب للأقليات غير المؤمنة لا يجب أن يُفرض عشوائياً متجاهلاً قناعات الأكثرية المؤمنة وغنى التقاليد الدينيّة، ولذا يشدّد الأب الأقدس على أهمية الحوار والتحالف بين المؤمنين وغير المؤمنين.¹⁴

هذه الحقائق والارشادات تقدمها الكنيسة للشباب المسيحي لتعلّمه: أولاً احترام الشخص البشري وكرامته وحرّيته واحترام الأديان. ومن كل ما سبق يمكننا القول بأن الكنيسة، وانطلاقاً من كوننا إخوة في الله الذي خلقنا جميعاً على صورته ومثاله تقدّم للشباب المسيحيّ خريطة طريقٍ لاتباعها في سلوكهم وعيشهم الحوار مع "الأخر" كالتالي:

1. العمل من أجل تعزيز الوحدة والمحبة بين الناس والأمم،
2. عدم ردل ما هو حقّ ومقدّس عند الديانات الأخرى،

¹³ المرجع ذاته، الرقم 28.

¹⁴ راجع فرنسيس، الإرشاد الرسولي "فرح الإنجيل"، رقم 250-254، في http://www.vatican.va/holy_father/francesco/apost_exhortations/documents/papa-francesco_esortazione-ap_20131124_evangelium-gaudium_it.html تمّ استشارة الموقع في 14 شباط 2014.

3. النظر بعين الاحترام والتقدير إلى تلك القواعد والتعاليم التي غالبًا ما تحمل شعاعًا من تلك الحقيقة المطلقة التي تنير كل البشر،
4. التعرّف على "الأخر" وعلى دينه ومعرفته معرفة حقّة وتقبّله كما يرى هو ذاته ويفهمها،
5. الحوار مع الآخر ومحبته كأخ بالحوار الصريح الحكيم،
6. التعاون مع أتباع الديانات الأخرى،
7. رفض وشجب كل تفرقة أو جور يلحق بالبشر بسبب عرقهم أو لونهم أو وضعهم أو ديانتهم،
8. العيش بسلام مع جميع الناس،
9. وقبل كلّ هذا يجب أن يكون حوارنا مع الآخر مبني على هويّة واضحة وفرحة. أي أن تكون هويتنا الدينيّة عميقة، منفتحة، وفرحة وقادرة على تفهم الآخر. بمعنى أن نعرف ديننا وذاتنا جيدًا قبل أن نذهب للقاء "الأخر".

ما هي التعاليم اليهوديّة حول الحوار؟

للإجابة على هذا السؤال التجأنا إلى نخبة من المفكرين اليهود الملتمزمين بالحوار بين الأديان.

يقول كلاوديو موربورغو¹⁵ (Claudio Morpurgo) أن الديانات السماويّة الثلاث، المسيحيّة والإسلاميّة واليهوديّة، هي شيء لا يمكن تجزئته، وحدة لا يمكن فصلها عن بعضها البعض. كل واحدة بحاجة للثنتين الأخرين. ويضيف بأن الطريق لمعرفة الله في التاريخ هي طريق تحتمّ على المسيحيين والمسلمين واليهود أن يسلكوها معًا. هي ديانات مرتبطة ببعضها البعض وتؤمن بالله الواحد. لقد كانت هناك أسباب كثيرة لا تحصى ولا تعدّ للقتال والتناحر فيما بينها، للأخطاء وللأعمال الشنيعة، ولكن الوعي بأن بينها تكامل متبادل لم يخفت أو لم يرغب أبدًا عن الأذهان. ويضيف بأن المهمّة الأولى والأساسيّة للإنسان هي أن يفهم ويُدرك شخصيّة مَنْ يقف أمامه، أن يعي ويحس بالإنسانيّة المشتركة

¹⁵ كلاوديو موربورغو (Claudio Morpurgo)، محامٍ ورئيس اتحاد الجاليات اليهوديّة الإيطاليّة سابقًا وعضو المجلس الأوروبي للجاليات اليهوديّة. هو أحد الشخصيات اليهوديّة البارزة في إيطاليا، هذا ملخص ما قاله في لقاء حوار ديني عُقد في مدينة ريميني في إيطاليا بين ثلاث شخصيات من الديانات الثلاث، بعنوان: *Libertà di coesistere. Quale convivenza tra le religioni del libro?* أي "حرية العيش معًا. أيّ عيش مشترك بين أهل الكتاب؟" من الموقع الإلكتروني:

<http://www.meetingrimini.org/detail.asp?c=1&p=6&id=254&key=3&pf>

x تمّ استشارته بتاريخ 21 شباط 2014.

وبالتضامن الوجودي، كي يرى فيه صورة الله ووجوده. ما يجمعنا هو المسؤولية الملقاة على عاتقنا أمام الله وكوننا موضع اهتمامه وعنايته ولأننا ثمينين في عيني الرب. وتجمعنا الأمانة للكتب المقدسة، الإيمان بالخالق، إله إبراهيم، الالتزام تجاه وصاياه، تجاه العدالة والرحمة وقداسة الحياة اليومية وتجاه تدخّل الله في التاريخ البشري. كل هذه عوامل تجمعنا لأنه حتى وإن اختلفت العقائد وأشكال العبادة يبقى الله واحد. وهذا هو أساس الحوار والتعاون. على اليهودي أن يتأمل بعناية المسؤولية الكامنة في تاريخه، هذا التاريخ الذي كان أمّ الديانتين العالميتين (وهنا يقصد أن اليهودية أم المسيحية والإسلام). ففشل الأبناء ينعكس حتماً على الأم: اليهودية هي أمّ ديانتني الكتاب الأخرتين وتشارك معهما في ذات المصير.

يتحدث الكاتب إذًا عن واجب الاحترام والمساعدة والتعاون المتبادل لإظهار الإيمان بالله الحي والأمانة له، لإله إبراهيم. كما يقول الرباني ليون كلينسكي¹⁶ (Leon Klenicki) أنه يجب الاعتراف بالآخر الذي خُلق على صورة الله ومثاله، والاعتراف به كشخص إيمان وخليقة الله، يستوجب الشعور بالمسؤولية والاهتمام تجاهه. وهذا يُشكّل أول خطوة نحو فهم الآخر ما يجعلنا ننقل من الشعور بالاحتقار تجاهه إلى الاعتراف به. هو فعل تطهير داخليّ وفعل بحثٍ عن معنى الآخر وطريقه في تدبير الله الخلاصي. فالحوار الحقيقي فيما بين الأديان هو للشخص بمثابة دعوة "اللكينونة"، ليكون ذاته معترفًا بالآخر كشخص له طريقه والتزامه الخاصين، كشخصٍ أراد الله أن يكون.

أما الرباني جاك بيمبوراد¹⁷ (Jack Bemporad) فيقول عن الحوار بأنه الطريق الوحيد ويتمثل في أن نتفهم بعضنا البعض، لنحاول إيجاد فهم أفضل

¹⁶ الرباني ليون كلينسكي (Leon Klenicki) كان من الشخصيات اليهودية البارزة في الولايات المتحدة الأمريكية وكان من الملتزمين بشكل خاص في الحوار اليهودي المسيحي. هذا كان فكره تجاه العلاقات فيما بين الأديان وخصوصًا بين الديانتين اليهودية والمسيحية. راجع المقال التالي:

Cfr. L. Klenicki, *A propos di christianisme: vers un processus de guérison spirituelle et historique*, in Sidic 24 (1991) 2-3, 26-44.

¹⁷ الرباني جاك بيمبوراد (Jack Bemporad) أيضًا من الشخصيات اليهودية البارزة في الولايات المتحدة والملتزمة في الحوار فيما بين الأديان. مدير مركز التفاهم فيما بين الأديان (Center for Interreligious Understanding - CIU) الذي أسسه عام 1992 بهدف تعزيز الحوار المفتوح والاحترام المتبادل بين البشر من مختلف الأديان والطوائف. راجع الموقع: <http://www.ciunow.org/about/rabbi-jack-bemporad-biography> / تمّ استشارته بتاريخ 21 شباط 2014.

وشعور بأنّ هناك عامل إنساني مشترك أساسيّ يجب احترامه في تعاملنا مع الآخر.¹⁸

ويقول أيضاً:

"إن اختيار السلام لا يعني الإذعان السلبي للشر أو تسوية من حيث المبدأ. بل يتطلب صراعاً فعّالاً ضدّ الكراهية، ضدّ الظلم والتفكك، ولكن دون استعمال طرق العنف. بناء السلام يتطلب عملاً شجاعاً وخلقاً. الالتزام بالعمل من أجل السلام هو عمل يتطلب الصبر والمثابرة، وينطوي أيضاً على الاستعداد لدراسة نقدية ذاتية لعلاقة تقاليدنا مع تلك الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي غالباً ما تشكّل عوامل عنف وظلم".

وفي رسالة وجهها الرابي جوزف ليفي¹⁹ (Joseph Levi) لرئيس الأساقفة إنيو أنطونيللي، رئيس أساقفة فلورنسا آنذاك، قال فيها: "يُكتسب السلام بالتركيز على ما هو جيد، ما هو جميل وما هو إلهي في الآخر. وبدعوة الآخر ليفهم بدوره ما هو جيد وجميل وإلهي فينا. إن الوجه الإلهي في الآخر، يقول ليفيناس، يأمرني أن أطيع الأمر بعدم القتل. أما الأوجه المتكّرة ترفض رؤية الوجه الإنساني والإلهي للآخر".²⁰

كما أنّ الكثير من الشخصيات اليهودية البارزة في العالم تعي أنّ وجود الديانات المسيحية والإسلامية وتواصل وجودها يجب أن يُعزى إلى الإرادة الإلهية مما يعني أنّ عليهم احترام هذه الإرادة والتعرّف على "الآخر" والاعتراف به والمصالحة معه. كما يستوجب التعاطي مع الآخر باحترام ومحبة والاعتراف به كأمر يجب العمل معه لتحقيق مشية الله والشهادة له في الحياة اليومية.²¹ وقد استنبطنا من هذه الشخصيات النقاط التالية للتعاليم اليهودية في الحوار لتقدّمها للشباب:

¹⁸ راجع الموقع الإلكتروني للمركز: <http://www.ciunow.org/about> تمّ استشارته بتاريخ 21 شباط 2014.

¹⁹ الرابي جوزف ليفي (Joseph Levi) هو الحاخام الأكبر للجاليات اليهودية في مدينة فلورنسا ومحافظة توسكانا (Toscana) في إيطاليا. وهو من الفاعلين في نشاطات الحوار بين الأديان والثقافات.

²⁰ Joseph Levi, *Lettera del Rav. Joseph Levi all'Arcivescovo Ennio Antonelli*, 7 aprile 2002, in http://www.nostreradici.it/rav_joseph.htm (consulted on 19 February 2014)

²¹ Cfr. Jonathan MAGONET, *Talking to the other. Jewish interfaith dialogue with Christians and Muslims*, I.B. Tauris, London-New York, 2003.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

1. وحدة الديانات السماوية وتربطها،
2. معرفة الله في التاريخ هو طريقٌ يُحتمُّ على المؤمنين جميعاً أن يسلكوه سويةً،
3. الوعي والإحساس بالإنسانية المشتركة والتضامن الوجودي كي يرى في "الأخر" صورة الله ووجوده،
4. الحوار والتعاون اللذين نجد أساسهما في ما يجمعنا من مسؤوليّة ملقاة على عاتقنا أمام الله وكوننا موضع اهتمامه وعنايته والأمانة للكتب المقدسة والإيمان بالخالق والالتزام تجاه العدالة والرحمة وقداصة الحياة،
5. واجب الاحترام والمساعدة والتعاون المتبادل،
6. الاعتراف بالآخر،
7. فهم الآخر،
8. مقاومة الكراهية والظلم والتفكك،
9. العمل معاً لبناء السلام.

والآن نحن بصدد ما تمليه الديانة الإسلامية على أتباعها بشأن الحوار.

ماذا يقول الإسلام عن الحوار وعن الآخر؟

تأتي أسس الحوار وأهميته في الإسلام من القرآن الكريم فهناك الكثير من الآيات التي تدعو إلى الحوار واحترام الآخر، احترام أهل الكتاب والتحاور معهم. الكثير من الآيات الكريمة التي تؤكد أن الله عزّ وجلّ هو من أراد اختلاف البشر وتنوعهم حتى في الدين. فنقول:

"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الروم: 22)؛ "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (سورة يونس: 99).

فيقول الدكتور محمد السمّاك²²: "فلا وحدة الجنس أو اللون أو اللغة ضرورة حتمية لا يتحقق التفاهم بدونها. لذلك لا بدّ من الحوار على قاعدة هذه الاختلافات التي خلقها الله، وأرادها أن تكون"²³.

²² الدكتور محمّد السمّاك، مفكر وصحافي لبناني مرموق، وهو أمين عام اللجنة الوطنية اللبنانية للحوار الإسلامي المسيحي، وعضو الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي. استقطع جزءاً كبيراً من حياته في الحوار والتقارب مع الآخر. له مقال أسبوعي بجريدة "الشروق" القاهرية و"المستقبل" اللبنانية.

²³ محمد السمّاك، مقالات في الحوار الإسلامي المسيحي، المكتبة البولسية، جونيّه - لبنان، 2007، ص 9. الكتاب هو الرقم 37 في سلسلة "المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون" لمركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي (حريصا - لبنان).

وينصّ أيضًا القرآن الكريم بأنَّ " ...أَللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ... " (سورة البقرة: 213)؛ ومشينةً الله أن يختلفوا كما ذكر في الآية 253 من سورة البقرة؛ "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (سورة المائدة: 48)؛ ثمَّ إنَّ الله استخلف الإنسان في الأرض ولم يستخلف أُمَّةً دون أخرى، أو مؤمنين بدين محدّد دون آخر.²⁴ وهنا يذكر الدكتور السمّك إلى الآيات الكريمة: في سورة البقرة: 30 وسورة النمل: 62: مشيراً إلى أن الله سبحانه خلق الناس جميعاً من نفس واحدة تأكيداً للمساواة بينهم. ثمَّ جعلهم أمماً وشعوباً متعددة الألسن، مختلفة الألوان والأجناس متنوّعة الشرائع. ولو شاء غير ذلك فإنّما يقول له كن فيكون.²⁵

فسورة الحجرات: 13، تقول "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". تكشف هذه الآية عن أنّ الله جعل وحدة في الإنسانية وتنوّع في البشريّة بإرادة إلهية جعلت البشر شعوباً وقبائل وهذا الاختلاف ليتعارفوا فيما بينهم فيشكلوا وحدة في التنوع تحترمه وتصونه بحسب شرح الدكتور محمّد السمّك الذي كتب: "لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخالق، ووحدة الخلق أمماً وشعوباً مختلفة. فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع وليس على التماثل والتطابق". فالآيات التي تشير إلى الاختلاف والتنوّع هي كثيرة ومنها: سورة يونس: 19؛ سورة هود: 11؛ سورة الشورى: 8 وسورة الروم: 22. ولذلك يتابع الدكتور السمّك القول بأنَّ الاختلاف العرقي هو اختلاف في إطار الوجود الإنسانيّ الواحد، يستوجب احترام الآخر على ما هو عليه وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

ثمّ يضيف: "إذا كان احترام الآخر كما هو لوئاً ولساناً (أي إنثياً وثقافياً) يشكّل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الدينيّ في الإسلام، فإنَّ احترامه كما هو عقيدة وإيماناً هو إقرار بمبدأ تعدّد الشرائع السماوية واحترام لمبدأ حرية الاختيار والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين".²⁶

كما كانت الإرادة الإلهية أن يتعارف البشر فيما بينهم، أي أن يعرفوا بعضهم البعض والمعرفة تولّد الانفتاح والغنى على جميع الأصعدة. كلّ إنسان له كينونته وخصوصيته وهويته ومعرفته وتعارف البشر فيما بينهم يُغنيهم في كلّ هذا، فيزيد فهم الإنسان لأخيه الإنسان ويغنتي بما يعرف عنه ومنه، كما يفهم ذاته وهويته أكثر فأكثر.

²⁴ ذات المرجع، ص 29.

²⁵ ذات المرجع، ص 29.

²⁶ ذات المرجع، ص 31.

كما ورد في القرآن الكريم: "قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (سورة البقرة: 136).
 إذا فعلاقة الإسلام بالديانتين اليهودية والمسيحية هي علاقة إيمانية. كما تنص الآية 64 من سورة آل عمران على الدعوة إلى كلمة سواء للبحث عن قواسم مشتركة تقوم عليها العلاقات بين المؤمنين بالله واحد فنقول الآية الكريمة: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ..."

وقال محمد السمّك في سورة فصّلت، الآية 34: "أما الآية الثالثة فهي الدعوة إلى معالجة الاختلافات والتباينات بالتي هي أحسن. وتقول الآية الكريمة: "...أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ". والدعوة إلى التعامل حتى مع العدو بالتي هي أحسن تناقض اللجوء إلى العنف والإرهاب وترفض الإلغائية وتُتكر التكفير. فالدعوة الإلهية إلى الدفع بالتي هي أحسن ليست مقتصرة على العلاقات بين المسلمين خاصة أو المؤمنين عامة، بل إنها تتسع لتشمل العلاقات بين الناس جميعاً".²⁷ وهذه من أجمل وأهم الآيات القرآنية الكريمة في الحوار، والتي تطلب من البشر المحبة والانفتاح وتفهم الآخر. وتقول الآية القرآنية الكريمة أن "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..." (سورة البقرة: 256).
 ويقول أيضاً الدكتور السمّك أنه "على أساس السابقة النبوية في دولة المدينة الأولى، فإن الإسلام لا يضيق بتنوع الانتماء العقدي، ولا يؤمن بالنقاء العرقي (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى). فإذا كان التنوع من طبيعة تكوين المجتمع، فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي بالاختيار الحر إلى الوفاق والتفاهم والوحدة. ذلك أن البديل عن الحوار هو القطيعة والانكفاء على الذات وتطويع ثقافة الحذر والشك والعداء للآخر".²⁸

بالاستناد على ما تقدّم وما ورد في القرآن الكريم، يمكننا استخلاص النقاط التالية كسلوك مثالي للشباب المسلم:²⁹

²⁷ المرجع ذاته، ص 37.

²⁸ المرجع ذاته، ص 22.

²⁹ راجع الموقع الإلكتروني التالي:

<http://www.alriyadh.com/2008/03/11/article324815.html> (تم استشارته بتاريخ

14 شباط 2014) حيث يقوم الكاتب يوسف أبو النخل باستنباط منهجية الحوار في القرآن الكريم واضعاً سبع مبادئ أساسية له.

1. الايمان بأن الله خلق البشريّة من نفسٍ واحدة تأكيدًا على المساواة بين البشر جميعًا،
2. وأنّ الله اراد التعدد والاختلاف: فيُصبحُ فرصة للعيش معًا³⁰ بسلام وإخاء ومحبة وانفتاح،
3. تقبّل الآخر على ما هو عليه لأنّه لا إكراه في الدين،
4. العمل على معرفة الآخر والالتقاء به: خلقهم مختلفين ليتعارفوا،
5. التعارف يستوجب الحوار والإصغاء للآخر،
6. علاج التباينات والاختلافات بالتّي هي أحسن لأنّ العلاقة الخاصّة بين أتباع الديانات السماويّة الثلاث تتطلب منهم ذلك،
7. بالإضافة إلى أنه إذا كان التنوّع من طبيعة تكوين المجتمع فالحوار هو الطريق الوحيد للوفاق والتفاهم والوحدة.

الخاتمة

إنّ المنطلقات الدينيّة إذًا لحوار الحياة الأمثل والعيش المشترك تتمثّل في: قيمة الإنسان وكرامته اللامتناهية كونه خُلِقَ على صورة الله ومثاله (الديانات اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة)، وفي شرعيّة الاختلاف واحترام حريّة الإنسان واحترام حريّة المعتقد والضمير (لا إكراه في الدين).
فنستنتج مما سبق أن الديانات السماويّة الثلاث تجتمع في دعوتها إلى الحوار واحترام الآخر وديانته، فيكون السلوك المثالي لشبابنا في عالم اليوم وانطلاقًا من هذه المعطيات ومن خبرة حياة إيجابيّة متمثلاً في النقاط التالّية:

1. أن يكون لدى كلّ طرفٍ إيمانٍ ناضج ومسؤول ذات هويّة دينيّة واضحة،
2. تقبّل التعدّد والاختلاف والانفتاح عليه بدون أحكامٍ مسبقة،
3. معرفة الآخر والتعرّف على دينه وتقبّله كمختلفٍ، "كآخر" أراده الله أن يكون،
4. تقديم الذات وتعريفها لمحاولة فتح آفاق حوارٍ بناءٍ وواعٍ ومنفتح،
5. الإصغاء إلى الآخر ومحاولة فهم وتفهم ما يقوله عن ذاته ودينه،
6. احترام الآخر وقبوله كما هو،
7. تعاون وتعاضد من أجل السلام والخير العام،

Cfr. M. Aydin, *Religious pluralism as an opportunity for living together*, in J. Dudley Woodberry- O. Zümrüt-M. Köylü (Eds.), *Muslim and Christian reflections on peace. Divine and human dimensions*, University Press of America, Lanham (Maryland), 2005, pp. 96-99.

8. تطهير الذاكرة التاريخية ومحاولة أخذ العبر من الماضي المرير كي لا يعيد التاريخ ذاته،
9. استخدام لغة السلام، أي لغة الإنسان المؤمن المحبّ لله وللشعر والكون؛ لغة تكون قادرة على نشر الأمن والأمان في النفوس والعقول، لغة لا تدعو إلا للخير والعمل من أجله.

وأولاً وأخيراً، يكون البحث والمعرفة هو الطريق السليم للتقارب فيما بين البشر وكما يُقال فالعلم نورٌ ولكي نمشي في النور علينا التعلّم وتحصيل المعرفة تجاه بعضنا البعض ومع بعضنا البعض. فنشكّل هذه النقاط كلها، إن طُبِّقَت، خبرة حياة إيجابية تولّد غنىً وانفتاحاً لدى كلّ الأطراف وفي جميع المجالات. خبرة وتفاعل يخلقان في النفس البشرية انفتاحاً روحياً وعقلياً وغنىً حضارياً وثقافياً وإنسانياً، يكون كفيلاً ببناء مجتمعاتٍ مثالية.

وأخيراً وليس آخراً، علينا تجنّب بعض المخاطر التي يجب التنبّه إليها. فالمشاكل كثيرة والبشر مختلفون جداً. هناك المسالم والشرير، العارف والجاهل، المحب والمبغض والصالح والظالم... ولذلك علينا الانتباه من التعميم عندما يسيء شخص ما التصرف. فمثلاً عندما يقوم أحدهم بعملية انتحارية، هذا لا يعني أنّ جميع المسلمين هم انتحاريّون. وكما يؤكّد المسلمون³¹ أنفسهم بأنّه: نعم الانتحاريون يشكل عام هم من المسلمين ولكن هذا لا يعني أن كل المسلمين انتحاريون. التمييز يُصبح ضرورةً والتعميم شرٌّ مرفوض. كما المعرفة هو خيرٌ عام أما الجهل فهو شرٌّ عامٌ، فالجاهل عدو نفسه بقدر ما هو عدو ما يجهل.

واختتم كلمتي هذه متمنيةً أن يتمّ تطوير برامج تعليمية ونشاطات عملية تُربّي أجيال المستقبل على السلوك المثالي (كما يحدث في لبنان³²) وتُحفّز شبابنا على التقارب والتعارف وتبادل الخبرات على جميع الأصعدة لتكون لكلّ منهم هويته الدينية الواضحة والفرحة والمنفتحة على الآخر فتكون هذه الأخيرة نعمة لا نقمة على حياتنا ومجتمعاتنا.

³¹ يمكن مراجعة المقال التالي على سبيل المثال: محمّد السمّك، إلى متى؟، مقال في جريدة النهار صدر بتاريخ 14 أيلول 2004.

³² برنامج "شباب لبنان الواحد" ولقاءات "انتظارات الشباب" وهي كناية عن مخيمات تجمع شباباً من جميع الطوائف الدينية والمذهبية بين الـ 18 و30 من العمر. تتراوح مدة هذه المخيمات بين أسبوع وعشرة أيام يناقش خلالها الشباب مواضيع مختلفة: وطنية واجتماعية ودينية وثقافية، الخ. بالإضافة إلى بعض المبادرات التي تقوم بها جمعيات مختلفة في الجامعات اللبنانية الرسمية والخاصة كمؤسسة "أديان" وجمعية "لنلتقي" النسائية و"درب مريم".

حقار محمد أحمد¹

ثقافة الحوار مع الآخر لدى الشباب ودورها في التواصل الحضاري

الملخص

إن البحث الذي انجزته كشف لي بأن ثقافة الحوار بين الامم والشعوب والاديان والحضارات اصبحت ضرورة من ضروريات التفاهم والتعايش السلمي العالمي من أي وقت مضى في تاريخ الانسان وكما أن من الضروري زرع مفهوم ثقافة الحوار في الشباب اليوم في ظل عصر العولمة التي الغت كل الحدود الجغرافية والثقافية بين الشباب المسمر أمام آلات التواصل الاجتماعي وكما زرع ثقافة السلام والتعايش بين الاديان والامم والشعوب وقبول الآخر كما هو مهما يكن لا يمكن الا من خلال إعداد الشباب إعداداً تربوياً راسخاً من خلال المناهج التعليمية والتربوية ولقاءات شبابية ودورات تدريبية علمية لصنع قيادات مقتنعة بأهمية ثقافة الحوار وقبول الآخر وناقلة لفكر وقيم الحوار والتواصل الحضاري الى القاعدة العريضة من الشباب ، وكما تبين من خلال البحث ضرورة إشراك الشباب في القضايا المصيرية للامة وإشعارهم بالمسئولية، فالشباب الذي ليس له إمكانية المشاركة وإبداء الرأي في القضايا المصيرية للامة لا يكون له دور فعال في ثقافة الحوار والتواصل الحضاري التي ترمي الى التفاهم والتعاون والسلام وإستنباط الامن والقضاء على الفقر والمرض والحروب المهلكة للبشر الذين هم من آدم وآدم من تراب كما قال رسول الاسلام محمد المسلم عليه الصلاة والسلام: "كلكم لآدم وآدم من تراب وكونوا عباد الله إخواناً".

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بما ان الانسان إجتماعي بطبعه فإن الحوار والتواصل مع الاخرين ضرورة من ضروريات الحياة ودونه يتعذر العيش افراداً وجماعات وامماً وشعوباً، والقرآن الكريم أشار الى أهمية الاتصال والتواصل فقال تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

¹ الأستاذ الدكتور حقار محمد أحمد [hagmaah@yahoo.fr] له عدة مناسب ومن ضمنها مستشار خاص لرئيس الوزراء، رأس الحكومة في جمهورية تشاد ورئيس اللجنة الدولية التابعة لمنظمة الصداقة الإسلامية النصرانية للحوار بفرنسا.

مَنْ ذَكَرَ وَأُنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات: 13).

ولأن بالاتصال الدائم والتعارف يزول خوف كل طرف من الطرف الآخر، ولا يمكن ان يزول الخوف والشك من الاطراف المحكوم عليهم العيش على هذه الكرة الارضية إلا بمعرفة كل طرف الطرف الآخر حق المعرفة، والعنصر الحيوي في كسر الحواجز هو الشباب إذا وجد التوجيه السليم والتربية الراسخة، وفي عصرنا الحالي كادت العولمة تلغي كل الحدود الجغرافية والثقافية بين البشر عامة شباب العالم خاصة وجعلت الاتصال المباشر متاحاً بينهم وهنا يبرز دور علماء الاديان سماوية ام فلسفية أرضية وعلماء التربية وعلم الاجتماع ومراكز الحوار وكذلك الزعماء السياسيون والدول لتوجيه هذا الاتصال تجاه التعاون والبر وقبول كل طرف الطرف الاخر كما هو لا كما هو يريد أن يكون عليه، ومبادرة المنابر الحوارية لأمر مبارك وهام لتنمية هذا المفهوم لدى الشباب من الامم المختلفة والشعوب، والهدف الكبير لهذه المبادرات الحوارية هو تحويل مفهوم الحوار بين الاديان والثقافات والحضارات والشعوب من مجرد لقاءات موسمية بين الصفوة والقيادات الى ثقافة يومية للشباب في الامم المختلفة في الكرة الارضية ولتجسيد هذا الهدف على أرض الواقع يجب أن يكون إهتمام كل شاب من شباب أمم الارض هذا الهدف وهو هدف نبيل يتقبله كل ذو عقل سليم وسجية طيبة لنقل مساحة الفجوات بين ابناء وبنات آدم وحواء عليهما السلام إن شاء الله.

الثقافة والحوار والحضارة لغة واصطلاحاً

اولاً: الثقافة لغة واصطلاحاً: إن كلمة الثقافة عندها عدة معاني في اللغة العربية ومنها الاتقان والحدق وسرعة أخذ العلم وفهمه ، ومنها التهذيب وتقويم المعوج من الاشياء، وتعني ايضاً الإدراك والتمكن والظفر، وورد في القرآن الكريم بهذا الصدد: "مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا" (سورة الأحزاب: 61)، وقال تعالى ايضاً: "...وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ..." (سورة النساء: 91).

وفي اللغات الغربية (Culture) تعني فلاحه الارض وتنمية محصولها، اما في الاصطلاح عرفها المجمع اللغوي بأنها "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحق بها". وعرفها التربويون بأنها "مجموعة الافكار والمثل والمعتقدات والعادات والتقاليد والمهارات وطرق التفكير ووسائل الاتصال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد". وعرفها المفكرون المسلمون بأنها "التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعلمية الذي تمتاز به

الامة وينسب اليها ويتلقاه الفرد منذ ميلاده حتى وفاته". وفي الغرب عرفها (Kilpatrick): "كل ما صنعتته يد الانسان وعقله من مظاهر البيئة الاجتماعية".

ثانياً: الحوار لغة وإصطلاحاً

الحوار لغة هو عودة الكلام وتراجعته، وورد في لسان العرب "وهم يتحاوون أي يتراجعون الكلام". ويقول القرآن في هذا الصدد: "إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ" (سورة الإنشقاق: 84)، ويقول الله في القرآن الكريم "...وَأَلَّهَ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ..." (سورة المجادلة: 1)، أي تراجعكما في الكلام.

اما الحوار في الاصطلاح بأنه مراجعة الكلام بين طرفين او اكثر دون وجود خصومة بينهم، ويقال ايضاً مناقشة بين طرفين او اطراف يقصد بها تصحيح كلام او إظهار حجة او إثبات حق ودفع شبهة ورد الفاسد من القول، وهناك عبارات قريبة من الحوار مثل المناقشة والجدل والمناظرة ولكنها لا تعطي نفس المدلول والمعنى وإن كان الجدال بالتي هي احسن يعطي معنى الحوار لأنه مراجعة الكلام بين طرفين او اكثر دون الخصومة وجاء في القرآن "وجادلهم بالتي هي احسن" أي أهل الكتاب وأصحاب الملل الاخرى.

ثالثاً: الحضارة لغة وإصطلاحاً

الحضارة في اللغة من فعل حضر على وزن قعد والحضارة خلاف البادية ويقال فلان من اهل الحضرة أي من اهل الاقامة والاستقرار، وفلان من اهل البادية أي من اهل الترحال، ويقول ابن خلدون "ان البدو هم المقتصرون على الضروري في احوالهم والعاجزون عما فوقه وان الحضرة هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم وعوائدهم"².

واما الحضارة في الاصطلاح هي "مجموعة من المفاهيم والقيم والتصورات والعقائد والقوانين والمبادئ والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الانسان وتحدد له طريقة معينة في الحكم والعيش والحياة والتعامل مع الآخرين" وعلماً أن لكل أمة حضارتها التي تميزها عن باقي الامم والشعوب والامة القوية الرائدة تحافظ على خصائص حضارتها وقيمتها وتأخذ كل ما هو مفيد من الحضارات الاخرى .

² ابراهيم خورشيد، "مفهوم الثقافة"، مجلة الفيصل، العدد العشرون، ص 28.

أصول الحوار وضوابطه عند المسلمين

بما أن الحوار أمر هام جداً بين أبناء الدين الواحد أو الأديان المختلفة وأبناء الأمة الواحدة أو الأمم المختلفة فإن الإسلام اعطى للحوار أهمية قصوى في العلاقات بين الأمة الإسلامية والأمم الأخرى وای امر هام له اصوله وضوابطه، ولهذا وددت الإشارة الى هذه الاصول والضوابط بإيجاز وهي تضبط مسار الحوار وتوجهه نحو الوصول الى الاهداف واولى هذه الاصول:

1. الايمان بوحدة الأديان السماوية قال الله تعالى: "قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا بِرَأْهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (سورة آل عمران: 84).

2. التركيز على القواسم المشتركة، فيقول القرآن في هذا الاتجاه: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (سورة آل عمران: 64)، وهذه دعوة الى تحديد العوامل المشتركة.

3. معرفة مجالات الحوار من حيث الموضوع اوعبارة اخرى معرفة الثوابت في الاسلام والأديان الأخرى لأن الثوابت لا يجوز فيها مراجعة الكلام بغرض إعادة النظر فيها وتعديلها.

4. إتباع الحق وعدم التنازل عنه مهما يكن من امر. قال تعالى: "...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ... (سورة يونس: 35)، وقال أيضاً: "...فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ... (سورة يونس: 32).

5. البدء بأهم المواضيع.

6. دعم وجهة النظر بالبرهان والحجة. قال تعالى: "...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة النمل: 64).

7. العلم والمعرفة ولا يجوز للجاهل الدخول في الحوار مع الآخر وفي هذا قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" (سورة الحج: 8).

8. الالتزام بالأخلاق الحسنة وهذا امر مهم للغاية لإقامة حوار وتفاهم مثمر في كل زمان ومكان، فإذا كان المحاور ليس له أخلاق حسنة لا يمكن لمحاوره الاستمرار معه. وفي هذا يقول القرآن الكريم: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (سورة آل عمران: 159).

9. على المحاور أن يكون صبوراً وحليماً وهذا مهم جداً لإنجاح الحوار لأنه أثناء الحوار قد تحدث ذلة لسان أو شيء من العنف وعدم التفاهم وعند ذلك الإسلام يوصي المسلم بتجاوز تلك الأمور ومحاولة إفهام ما لا يفهمه بطرق أخرى غير الطرق والأساليب التي تبدو أنها سبباً لذلك التوتر. قال تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (سورة الأعراف: 199). وقال أيضاً: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ" (سورة فصلت: 34-35).

أهمية مرحلة الشباب

أهمية مرحلة الشباب في حياة الإنسان باعتبارها فترة القوة والإنتاج في حياة الإنسان وكما أنها المرحلة الأطول في عمر الإنسان ولهذا أصبح لهذه المرحلة أهمية خاصة والمعنى اللغوي لكلمة الشباب هو النماء والحدأة ويقال شب الغلام يشب شباباً وشبواً وشببياً وأشبه الله قرنه والشباب هو جمع شاب وكذلك شبان وشبية وشاب الشيء أوله ويقول ابن فارس الشين وتوجد أكثر من اتجاه لمفهوم الشباب فالإتجاه الأول هو المحدد العمري والثاني يركز على السمات السلوكية والنفسية من الرشد والمراهقة وخصائص هذه المرحلة وأهمية مرحلة الشباب لا يختلف عليها اثنان في كافة الأمم والشعوب والإنسان منذ الولادة إلى الممات يمر بالمراحل التالية حسب تقسيم علماء الاجتماع:

- 1- مرحلة الغلومية من الولادة إلى 13.
- 2- مرحلة الشباب من 14 إلى 40.
- 3- الشيخوخة من 50 إلى ما يشاء الله وذهب بعضهم إلى أن سن الشباب من 14 إلى 30 ولكن الأصح هو إلى الأربعين ونجد ذلك الفهم في القرآن الكريم حيث يقول المولى: "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً" (سورة الأحقاف: 15). وبداية هذه المرحلة الهامة هي الحلم كما قال الله: "وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" (سورة النور: 59). والآية دللت على أن مرحلة الشباب تبدأ ببلوغ الإنسان الحلم وهذه المرحلة هي أهم المراحل في حياة الإنسان وتتبلور أهمية مرحلة الشباب للأسباب الآتية:

- توجد هذه المرحلة بداية عبادة الإنسان لرب العالمين وما خلق الله الإنسان إلا ليعبد أو كما قال الله: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (سورة الذاريات: 56)، ولأن هذه المرحلة مرحلة بداية سن التكليف كما ورد في حديث رسول الله ﷺ قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل". ويقول في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مشروط بالممكن من العلم والقدرة فلا تجب الشريعة كالأعمى والأعرج والمريض في الجهاد وكما لا تجب الطهارة بالماء والصلاة قائمة والصوم وغير ذلك من يعجز عنه.
 - إنها مرحلة القوة والفتوة والطاقة المتجددة والعطاء والإنسان يمر في حياته منذ ولادته بمراحل عدة ومتفائلة وفي هذا يقول الله تعالى: "وَاللَّهُ أَحْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (سورة النحل: 78). ولكن هذه المرحلة أيضاً لا تدوم كما قال الله تعالى: "وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ" (سورة يس: 68)، والنشاط والحيوية واكتمال الحواس والقدرة على التعليم والكسب والعطاء ومما يدل على أفضلية هذه المرحلة الحالة التي ستكون عليها أهل الجنة دار الخلود كما ورد عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "يناد مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً". ومما تقدم وهذا الحديث يظهران بشكل جلي أهمية هذه المرحلة في حياة الدنيا والدين والحياة الخالدة لأنها الفترة المباركة للإنتاج والقدرة على تحقيق الأمان والمتعة في كافة الميادين.
 - لأنها أطول مراحل العمر في حياة الإنسان.
- لقد ذكر الرسول ﷺ أعمار أمتي بين الستين والسبعين ومرحلة الشباب هي مرحلة القوة والإنتاج والقدرة على الإنجازات العظيمة ومع طول الزمان تكثر فرص العمل فيها ويسأل الإنسان عنها يوم القيامة سؤلاً خاصاً كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم". لم تحصل هذه الخصوصية لأي مرحلة من مراحل عمر الإنسان لأن الإنسان خلق الله لمهنتين أساسيتين هما:

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- عبادة الله الواحد الأحد الصمد لا شريك ولا ند له.
- فعل الخيرات تجاه الإنسان والإحسان تجاه كافة مخلوقات الله وفي المرحلة الأطول يحصل للإنسان والشباب المسلم ذو العقيدة السليمة خيري الدنيا والآخرة إن شاء.
- هي مرحلة تشكل شخصية الشاب المسلم الذي يبني عليه مشروع الأمة ومستقبلها وتفعيل ماضي الأمة المفيد لأخذ الدروس والعبر وخلق التوازن بين الماضي والحاضر لرسم غد أفضل لأمة محمد ﷺ.
- الشباب دون سن 30 عاماً يشكلون ما نسبته 70% من عدد السكان في العالم العربي والإسلامي أي يزيد على ثلثي عدد السكان.
- مرحلة الشباب هي مرحلة الطموح والاندفاع فإذا قام العلماء ورجال الدين بتأطير هذا الاندفاع والمطوح وترشيد فإنه يؤدي إلى تحقيق آمال الأمة ومشاريعها الدعوية والثقافية والاجتماعية والحضارية والدفاعية والتقنية إن شاء الله وهذه هي أهم أسباب أهمية مرحلة الشباب حسب اعتقادي ووجهة نظري والله أعلم بالصواب.⁴

الشباب في الكتاب والسنة

اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بمرحلة الشباب اهتماماً بالغاً لما لهذه الفئة العمرية الأهمية في نصره الدين والأنبياء والرسل والقدرة على التعبير وإتباع الحق وترك الدنيا ومغرياتهما بعكس كبار السن والقرآن استخدم عدة عبارات مترادفة لكلمة الشباب وضرب الله أمثلة حية في الأنبياء والرسل من الشباب لأخذ العبر والدروس والحكم والاعتداء بهم وهي قصص صالحة للعبرة لكل زمان ومكان ومما ورد في القرآن الكريم قصة دعوة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما خالف قومه من عباد الأوثان ومال إلى الحق المبين وعقيدة التوحيد وعبادة رب العباد فأراه ربه ملكوت السماوات وآياته الباهرات في الكون ليكون من الموقنين وقال الله تعالى: "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" (سورة الأنعام: 75).

⁴ المؤتمر العالمي العاشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الشباب وبناء المستقبل بالقاهرة 30 شوال - 2 ذي القعدة 1427هـ، المحور الثاني، ص345، بحث ابن عمر لي مفتش وزارة التربية في موريتانيا.

وأراد إبراهيم عليه السلام الإشارة إلى ضعف أوثان قومه وإقناعهم على بطلانها فقام بهدمها فقالوا من فعل هذا بالهتكم فقال من سمع حديث إبراهيم عن أصنامهم سمع عن فتى يذكرها بالسوء فقال الله تعالى: "قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (سورة الأنبياء: 60). والفتى هو من بلغ مرحلة الشباب والفتوة والقوة والمثال الثاني نبي الله يوسف عليه السلام الشاب الذي امتحنه الله بالشهوة والإغراء بالجنس والمال والجاه وضغوط الاضطهاد والقمع والتهديد بالسجن والنفي والذي أعطاه الله العلم والحكمة عندما بلغ أشده وأصبح الفتى القوي الصابر الصامد الذي كسر قيود أغلال العبودية والشهوات وأغلال المجتمع الفاسد حيث قال الله تعالى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَرَأَوْدَتَهُ أَلْتَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (سورة يوسف: 22-23).

واجتاز كل وديان الفتن والإغراء وتغلب على النفس الأمرة بالسوء وميله إلى طاعة ربه القادر على كل شيء وطلب معالي الأمور ليكون من أهل الله وخاصته بإذن الله.

والمثال الثالث حول الشباب في القرآن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام الذي نشأ وعاش في بيت الشرك والأصنام والظلم والظلام والرفاهية المادية والسلطة والجاه ومحيط الطاغوت والجبروت وهو بيت فرعون الجبار الذي قال: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" (سورة النازعات: 24)، والذي استخف بقومه ولكن لم يستخدم موسى نفوذه في السير على رقاب الناس وقهرهم أو للملذات الدنيوية والشهوات والنساء وهو شاب بلغ أشده ولكنه أظهر تمسكه بمنهج التوحيد وفعل الخيرات ونصرة الضعيف وإغاثة المحتاج والانتصار للمظلومين فأعطاه الله تعالى الحكم والعلم والإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا شريك ولا ند له من العالمين ولم تعريه الدنيا مع توفر كل أسباب الإغراء من السلطة والمال والجاه ومرحلة الشباب وقال الله عنه: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَأَسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (سورة القصص: 14)، والأشد هو قمة بلوغ سن الشباب والاستواء هو اكتمال سن الشباب والقوة والفتوة وهذه الصورة هي خير مثال وخير درس وخير عبرة لشباب اليوم عامة وشباب الأسر الثرية وذوي السلطة والجاه والنفوذ خاصة.

والمثال الرابع هو أهل الكهف حيث قال الله تعالى في معرض أهمية الشباب المؤمن الثابت وقلبه معلق بربه: "تَحَنَّنْ نَفْسُ عَلَيْنَا نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَأَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ لَنْ نَدَعُوهَا مِنْ دُونِ إِلَهِمْ قَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
 إِلَهِهِمْ لَوْلَا يُاتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (سورة
 الكهف: 13-15). والفتية جمع فتى والفتى هو من بلغ سن الشباب والقوة الجسدية
 والعقلية والفتوة ومواضع الدرس والاعتبار والافتداء بهؤلاء الشباب الرباني هي
 الإيمان القوي واليقين بالله والثقة به والاعتزاز بالدين الحق والدعوة إليه
 والاستعانة بالله واعتزال أهل الباطل وعقائدهم عند عدم القدرة على إعادتهم إلى
 جادة الصواب. وقصة هؤلاء الفتية درس وعبرة لشباب اليوم والغد إلى قيام
 الساعة وألفت انتباه شباب المسلمين بأن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء الملوك
 والأمراء والطبقة الميسورة باتفاق المؤرخين وتوفرت لهم كل أسباب العيش
 الرغيد وأسباب اللهو والتمتع بالحياة الدنيا والانغماس في الشهوات ولكنهم
 استجابوا لنداء الحق واختيار المنهج الرباني الذي هداهم إليه رب العالمين
 فأصبحوا مثلاً للشباب المؤمن الجاد ويقول عنهم الإمام بن كثير رحمه الله: (فذكر
 الله تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذي قد
 عتوا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان المستجيبين لله). ومقابل هذه الصور
 الرائعة للشباب المؤمن الهادف الجاد في القرآن الكريم ضرب القرآن الكريم مثلاً
 للصورة.⁵

السيئة للشباب المنحرف العاصي لربه ولرسول الله وأنبياؤه والعاق لوالديه
 والمتمرد على نداء رب العالمين والموغل في الكفر والفسق والجهل والغبي
 والانحراف يقول الله تعالى في هذا قصة نوح عليه السلام: "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي
 مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ
 الْكَافِرِينَ. قَالَ سَأْلُوهُ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ" (سورة هود: 42-44).

ومثال آخر تحدث عنه القرآن الكريم مبيناً حالة الانحراف والتمرد على
 الله وعقوق الوالدين حيث يقول الله تعالى: "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِئْتِكُمَا أَنْ
 أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَتِلْكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ" (سورة الأحقاف: 17). وابن نوح انتهى إلى
 العذاب في الدنيا والآخرة والشباب العاق انتهى إلى عصيان الله ووالديه فعاش
 تعيساً وانتهى إلى النار الأبدية نعوذ بالله والصورة الأخيرة تكفي عبرة لشبابنا
 الطائش الذي يميل إلى المعصية والجريمة وعقوق الوالدين وضياع الأوقات فيما

⁵ تفسير بن كثير.

لا نفع له في الدنيا والآخرة. وأما أهمية مرحلة الشباب في السنة النبوية الشريفة فإن النبي ﷺ أعطى أهمية كبيرة للشباب لما لهذه من دور فعال في نصرته الإسلام وبناء الأمة الإسلامية ولذا كرس الرسول ﷺ معظم وقته في توجيه الشباب المسلم وتربيته ثم اسند إليهم كل المهمات الصعبة مع وجود كبار الصحابة وبما إن مهمة الدفاع عن الإسلام والمسلمين تتطلب قوة إيمانية وبدنية والذي نجد فيه القوتين هو الشباب المسلم ولذا وعد الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى الشباب المتدين الملتزم يكون من الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة ووقت الشدة في يوم الحشر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"، الحديث وفيه: "وشاب نشأ في طاعة الله" (رواه البخاري).⁶

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فقال: "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (متفق عليه)، وصححه البخاري كتاب النكاح⁷ ومسلم.⁸

وكان النبي ﷺ يوجه الشباب في أدق الأمور حتى في كيفية الأكل كتوجهه لعمر بن أبي سلمة قال ﷺ: "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" (رواه البخاري).⁹ وقال لابن عباس رضي الله عنهما: "يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك" (رواه أحمد والترمذي).¹⁰

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه" (رواه البزار والطبراني باسناد صحيح).¹¹ وفي حديث آخر قال ﷺ: "اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" (أخرجه النسائي).¹²

⁶ البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد، رقم 143/2.

⁷ البخاري، كتاب النكاح، رقم 112/9.

⁸ مسلم، كتاب النكاح، رقم 2/1018.

⁹ البخاري، كتاب الأطعمة، رقم 5376.

¹⁰ أحمد 293/1 الترمذي صفة القيامة رقم 59.

¹¹ الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب حديث، رقم 3595.

¹² الألباني، في صحيح الجامع، رقم 1077.

لقد ربي رسول الله ﷺ الشباب المسلم الذي كان حوله هذه التربية تربية اغتنام فرصة سن الشباب هو مفيد لدينه ولأمتة ولنفسه ولأسرته وللكون والإنسانية وشغل الفراغ بالعبادة والعمل الصالح المفيد وما يرمي إلى نصر الإسلام والدفاع عنه وبناء الأمة من هذه التعاليم ومن هذه التربية الربانية والشباب الذي ليس له التربية الدينية لا يكون قادراً على المساهمة في بناء الأمة ولا له دور بل يصبح منغمساً في اللهو والشهوات ويقول في هذا النبي ﷺ: "يعجب ربك من الشباب ليست له صبوة" (رواه الإمام أحمد)، والصبوة الانحراف عن طريق الحق واللهو. ولأهمية الشباب يقول النبي ﷺ: "الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة" (رواه الترمذي). ويقال لأهل الجنة: "إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً" (رواه مسلم). وورد في الحديث الذي رواه الترمذي بسند ضعيف: "ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه".

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعنده عمر بن الخطاب لزيد بن ثابت رضي الله عنهم: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه" (رواه البخاري). ويروي البراء بن عازب رضي الله عنه في غزوة حنين: "لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكن خرج شبان أصحابه وإخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح" (رواه البخاري). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا نغزوا مع النبي ﷺ ونحن شباب" (رواه الأمام أحمد). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان شباب من الأنصار سبعين رجلاً يقال لهم القراء يكونون في المسجد فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون يحسبهم أهلهم في المسجد ويحسبهم أهل المسجد في أهلهم حتى إذا كان في وجه الصبح استعذبوا الماء واحتطبوا من الحطب فجاؤا به فأسندوه إلى حجرة النبي ﷺ" (رواه الإمام أحمد). فأين شباب اليوم من هؤلاء الشباب وعلى شباب اليوم مقارنة أنفسهم على هؤلاء الشباب المؤمن القدوة الجاد الذي بنى دولة الفضيلة في المدينة إلى جانب الرسول ﷺ وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى رسول الله ﷺ ونحن شبيهة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً فلما ظن أننا قد اشتقنا أهلنا سألنا عن تركنا بعدنا فأخبرناه فقال ﷺ: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلوهم ومروهم وذكر أشياء وصلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحكم وليؤمكم أكبركم" (رواه البخاري).

ما أروع صورة من شباب جاد وقدوة لغيره وياليت شباب اليوم يهجر اللهو والنوادي الليلية ولغوا الكلام ويتجه إلى مجالس العلم ومقصد العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ويستفيدوا من شبابهم فيما ينفع دينهم وأوطانهم وأمتهم لقد أعطى النبي ﷺ أهمية خاصة في كل المجالات لأن الشباب في تاريخ البشر هم الأنبياء والرسول وهم القادة الذين غيروا وجه التاريخ بإذن الله وهم العلماء كما قال ابن عباس رضي عنهما: "ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب" (رواه ابن أبي ليل). لقد وثق رسول الله ﷺ في الشباب أيما ثقة حيث كلفهم القيام بالمهمات الصعبة بحضور كبار الصحابة مثل تكليف لأسماء بنت أبي بكر وأخوها عبد الله في نقل أخبار وهجرة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة واختيار مصعب ابن عمير سفيراً إلى المدينة النبوية وتكليف أسامة ابن زيد بقيادة الجيش الذاهب إلى الروم وهذا ابن ثمانية عشر وتحت قيادته أبي بكر الصديق وعتاب بن أسيد يجعله أميراً على مكة وعبد الله بن الزبير يقود الغلمان لمبايعة النبي ﷺ وإعطاء النبي هذه الأهمية للشباب له مبرره لأن الله ربط تحقيق عظام الأمور بالشباب من حيث الأسباب والشباب يجب أن يقرأ القرآن والأحاديث النبوية ليرى صورته التي ارتضاها الله له والرسول ﷺ حتى يتخلص من الفجور ومشاهدة الأفلام الهابطة والقنوات الساقطة وضياح الأوقات وعقوق الوالدين والانضمام إلى الحركات الهدامة والعلو والتطرف والإرهاب والتجني على الإسلام والمسلمين.

وتشويه سمعة الإسلام وفتح باب الذرائع لأعداء الإسلام والمسلمين لضرب الإسلام وتجريمه وهذا كله بسبب الجهل ودعم الالتزام وهلا رجع الشباب المسلم إلى قرآنه وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ.

أهمية تنمية مفهوم ثقافة الحوار والتواصل الحضاري لدى الشباب

بما أن الشباب هم حاضر الامم ومستقبلها وهم قيادات الامم والشعوب في المستقبل فإن عملية تنمية ثقافة الحوار والتواصل الحضاري لدى الشباب أمر مهم الى درجة كبيرة ليتحول مفهوم الحوار من مجرد فكرة مستحسنة لدى الملتزمين بخط الحوار من القيادات الدينية والسياسية الى ثقافة يومية للشباب من الامم المختلفة والفلسفات والافكار السائدة في عالمنا اليوم، وإذا اصبح مفهوم الحوار ثقافة يومية للشباب في العالم اليوم فإن التواصل الحضاري وتقريب وجهات النظر بين ابناء آدم يأتي تبعاً، وهذا يتطلب دفن الهوة وكسر الحواجز بين الشباب في الاديان المختلفة والحضارات ومن المهم ايضاً التركيز على الآثار الايجابية للعولمة مع

التكافؤ لأن عدم التوازن أدى الى تخلف الكثير من الاشخاص عن الركب وحتى الى إتساع اوجه التفاوت القائمة وسلطت الازمة المالية العالمية الضوء على هشاشة نظمها الاجتماعية والمالية والبيئية مما ولد شعوراً قوياً بالاستياء يتنقل من مكان الى آخر حول العالم وترافقه الدعوة الى تجديد حركة التضامن وتعزيز الانفتاح على الجميع وأدت العولمة مع ما اضافته من اعباء على الصعيد الاقتصادي والبيئي والسكاني الى الكشف عن خطوط صدع قديمة الى إحداث خطوط صدع جديدة بين البلدان والمناطق والقارات وفرضت تحديات جديدة فيما يتعلق بالتماسك الاجتماعي والسلام الدائم والتنمية المستدامة وثمة شعور بأن عالمنا يشهد حالياً أزمة ذات طابع فكري واخلاقي وإن إشراك الشباب في وضع رؤى جديدة للمستقبل سيكون امراً ضرورياً.¹³

وليكون للشباب دوراً فففي تنمية ثقافة الحوار والتواصل الحضاري بين الامم والشعوب يجب على القادة السياسيين والدينين وخبراء التربية والتعليم ودول العالم كافة العمل على إعداد الشباب إعداداً يسمح له باكتشاف القيم والمثل العليا والمعتقدات والعادات والتقاليد والمقدسات لكل امة من الامم والشعوب ، ومما يساعد في هذا الامر في بناء شباب له دور في بناء حوار صريح وصادق بعيداً عن حوار الساسة والسياسيين ولغة السياسة وعليه نورد هنا الامور التي تسهم في بناء شباب له دور في تنمية مفهوم الحوار الثقافي والحضاري والقادر على التواصل إن شاء الله:

1. إدخال موضوع الحوار بين الاديان والحضارات والثقافات في الانظمة التربوية والتعليمية من التعليم الاساسي الى التعليم العالي في المقررات التابعة للتعليم العام والخاص ويشمل الحوار بين الاديان السماوية وغير السماوية والحوار بين الثقافات والحوار بين الحضارات والحوار بين العلوم والحوار بين التقنيات والثروات والحوار بين اللغات لأن من فوائد الحوار عموماً إستفادة كل طرف مما هو مفيد لدى الطرف الآخر.
2. إعداد منهج عالمي لمقارنة الاديان ويشترك في وضعه الخبراء في هذا المجال من كل اديان الارض وتحت إشراف المؤسسات الدينية الكبرى في الديانات المختلفة واليونسكو.

¹³ مؤتمر الشباب الدولي للتطوع والحوار، جدة، المملكة العربية السعودية، 3- 5 /12/2013م ص 4.

3. إنشاء معاهد وكليات لمقارنة الأديان والحوار في الجامعات العامة والخاصة في دول العالم.
4. إعداد موسوعة عالمية للأديان والثقافات والحضارات للأمم الأرض بأشراك كافة أتباع الأديان والثقافات والحضارات والمؤسسات الدينية والثقافية للأمم الأرض وتحت إشراف الخبراء من تلك الأديان والثقافات والأمم وبرعاية الأمم المتحدة وباللغات المختلفة.
5. تشكيل هيئة بحثية علمية لمراجعة وتنقية كل ما تم إعداده من قبل من الموسوعات والمناهج من قبل بعض الدول والمؤسسات العلمية الخاصة وبعضوية الخبراء والعلماء من الأديان والثقافات والحضارات المختلفة لمنع وصول معلومة مغلوطة إلى جيل الشباب لأن هذه المجالات حساسة جداً ولا تتحمل ادنى خطأ.
6. إقامة لقاءات عالمية سنوية بين قيادات شباب الأرض.
7. إقامة أسابيع ثقافية مشتركة بين الشباب من الأديان والثقافات المختلفة من نفس الدولة ويصدر الامثلة الناجحة إلى الاقاليم والمناطق والدول وعلى مستوى كل قارة على حدة حسب المتاح.
8. إنشاء مؤسسة عالمية لدعم مبادرات الحوار، واعتقد أن دولة قطر أهل بالرعاية والدعم.
9. تضمين موضوع تنمية ثقافة الحوار والحضارات في كل نشاط شبابي مثل الكرة وفرق الكشافة ومؤسسات تدريب الشباب على العمل التطوعي والخدمات الاجتماعية والمدنية.
10. إقامة دورات تدريبية وتربوية مركزة فصلية للشباب حول قضية قبائل الآخر كما هو لا كما أنت تريد أن يكون عليه.
11. واعتقد إذا اخذنا بعين الاعتبار هذه النقاط نتمكن من إيجاد شاب له دور في تنمية ثقافة الحوار والتواصل بين الحضارات والشعوب والأمم دون الصدمات والازمات بالرغم من وجود الاختلاف في الأديان والثقافات والحضارات والأوطان والاعراف.

الخاتمة

إن البحث الذي انجزته كشف لي بأن ثقافة الحوار بين الأمم والشعوب والأديان والحضارات أصبحت ضرورة من ضروريات التفاهم والتعايش السلمي العالمي

من أي وقت مضى في تاريخ الانسان وكما أن من الضروري زرع مفهوم ثقافة الحوار في الشباب اليوم في ظل عصر العولمة التي الغت كل الحدود الجغرافية والثقافية بين الشباب المسممر أمام آلات التواصل الاجتماعي وكما زرع ثقافة السلام والتعايش بين الأديان والامم والشعوب وقبول الآخر كما هو مهما يكن لا يمكن الا من خلال إعداد الشباب إعداداً تربوياً راسخاً من خلال المناهج التعليمية والتربوية ولقاءات شبابية ودورات تدريبية علمية لصنع قيادات مفتتحة بأهمية ثقافة الحوار وقبول الآخر وناقلة لفكر وقيم الحوار والتواصل الحضاري الى القاعدة العريضة من الشباب، وكما تبين من خلال البحث ضرورة إشراك الشباب في القضايا المصيرية للامة وإشعارهم بالمسئولية، فالشباب الذي ليس له إمكانية المشاركة وإبداء الرأي في القضايا المصيرية للامة لا يكون له دور فعال في ثقافة الحوار والتواصل الحضاري التي ترمي الى التفاهم والتعاون والسلام وإستتباب الامن والقضاء على الفقر والمرض والحروب المهلكة للبشر الذين هم من آدم وآدم من تراب كما قال رسول الاسلام محمد المسلم عليه الصلاة والسلام: "كلكم لآدم وآدم من تراب وكونوا عباد الله إخواناً".

وفي ختام هذه الخاتمة لا يسعني إلا ان اشكر دولة قطر وقيادتها الرائدة وشعبها المضيف الكريم والشكر موصول ايضاً الى مركز الدوحة للحوار الذي اصبح معلماً عالمياً في قضية الحوار بين الأديان والثقافات والشعوب والامم ومنبراً عظيماً للقيادات الدينية والثقافية والفكرية في العالم وأنه لمفخرة للامة الاسلامية والعربية خاصة ولأمم الارض عامة.

المصادر

القران الكريم.

صحيح مسلم.

صحيح البخاري.

لسان العرب لابن منظور.

د. ابراهيم خورشيد مجلة الفيصل العدد 20.

مقدمة ابن خلدون.

تفسير ابن كثير.

الالباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم 3595.

الالباني صحيح الجامع.

الفرس والتحديات التي تواجه الشباب



العروسي الميزوري¹

في تربية الشباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر

الملخص

ما انفكّ الشباب يحظى بمكانة متميزة في جميع المجتمعات الإنسانية، فهو يُمثّل أساس بقاء هذه المجتمعات ورفقيها واستمراريتها وديمومتها. ومن هذا المنطلق بالذات، ارتأينا أن نخصّ بالبحث موضوع: "تربية الشباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر".

ويندرج تناول هذا الموضوع في سياق الاهتمامات الثقافية الدولية والإقليمية الرّاهنة والسّعي الدّؤوب إلى الكشف عن واقع الاتّصال الحضاريّ والثّقافيّ بين شبابنا العربيّ المسلم والآخر في عالم متغيّر بسرعة مذهلة إلى جانب، تعميق النّظر في الفرص المتاحة لتنمية كفاءات الشباب في مجال التّواصل الحضاريّ والتّربية على ثقافتنا الحوار والتّعايش مع الآخر. وقد اقتضت منهجيتنا، أن يقع تناول هذا البحث وفق تسلسل العناصر التّالية:

- في تحديد المصطلحات،
- في حاجيات الشباب الثّقافية في المجتمع الإسلامي،
- في استراتيجيّة تربية الشباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتّعايش مع الآخر،
- في أفاق استراتيجيّة تربية الشباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتّعايش مع الآخر.

عرض البحث

1. في تحديد المصطلحات

يشمل هذا التّحديد ثلاثة مصطلحات وهي "الحوار" و"التّعايش" و"العلاقة مع الآخر":

أ. الحوار

ما انفكّت ظاهرة الحوار تحظى باهتمام رجال الإصلاح والسّياسيين والمؤرّخين والفلاسفة وعلماء الاجتماع والدين باعتباره، يمثّل أسلوباً تخاطبياً يهدف إلى تنظيم

¹ الأستاذ الدكتور العروسي الميزوري [laroussim@yahoo.fr] أستاذ تعليم عال في التّاريخ والعلوم الإسلاميّة في جامعة الزيتونة - تونس.

العلاقات الإنسانية من جهة والعمل على توصلها من جهة أخرى. فهو يرتبط بكل ما يفترض التبادل: فهناك الحوار بين الأفراد وهناك الحوار بين العائلات والحوار بين الطبقات الاجتماعية والحوار بين الشباب وحوار الأفكار وحوار الثقافات وحوار الحضارات ويمكننا كذلك الحديث حتى عن الحوار بين الخبراء والباحثين وممثلي مختلف التخصصات أو مجالات العلم.

وبعني مصطلح "حوار" في اللغة: "المُحَاوَرَةُ أَي مُرَاجَعَةُ الْمُنْطِقِ وَالْكَلامِ فِي الْمَخَاطَبَةِ، وَقَدْ حَاوَرَهُ. وَالْمُحَوَّرَةُ: مِنَ الْمُحَاوَرَةِ مَصْدَرٌ كَالْمَشُورَةِ مِنْ الْمُشَاوَرَةِ كَالْمَحَوَّرَةِ"². ولئن اختلفت أسس الحوار وأدواته من مجال إلى آخر، فإنه يعدّ قيمة محورية ورئيسية بالنسبة إلى ظروفنا الراهنة، فهو مطلب لا يمكن للإنسانية أن تستغني عنه إذا أرادت أن تعيش بمنأى عن الخلافات والانشقاقات والصراعات فالحوار هو المنهج الصحيح للتفاهم والتعايش والتواصل بين الشعوب والأمم. فهو من أرقى مظاهر التعامل بين البشر فضلا عن كونه ضرورة من ضرورات الحياة وضمان استمراريتها إذ بواسطته تُزال الحواجز ويسهّل التواصل مع الآخر.³

ب. التعايش

يُفيد مصطلح "تعايش" الوجود المشترك لطرفين أو أكثر على أرض واحدة أو مجال/ فضاء مشترك أي التجاور وهو ما يُعرّز قيمة ظاهرة الحوار في المجتمع الإنساني ويفرض تلاقح الإرادات من أجل تحمّل المسؤوليات. فتعريف مصطلح "تعايش" يتضمّن العلاقة السليمة بالآخرين والاعتراف بأنهم موجودون. فالتعايش يعني القبول بالتعايش المشترك والتنوّع واحترام حقّ الاختلاف أي ضمان وجود علاقات إيجابية مع الآخر.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة " حور "، دار صادر، بيروت، 1414 هـ (ط 3)، ج 4، ص 218.

³ بخصوص تعريف مصطلح " الحوار " وآلياته وأدابه، أنظر على سبيل المثال لا الحصر:
- ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1997، ص 283-284.
- العليان عبد الله علي: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 204.

- Armengaud Françoise: Dialogue, Encyclopaedia Universalis, Paris, Corpus 5, 1995, p 362 – 366.
- Geffre Claude: Le dialogue entre les religions, Editions Bayard, 2000, volume 2, p 2421 à 2426.
- Mouttapa Jean: Religions en dialogue, Paris, Albin Michel, 2002.

لقد شجّع الدين الإسلاميّ على التّعايش مع الأديان الأخرى في أمن وسلام وتآلف ووثام. والمنتبّع للتّاريخ الإسلاميّ، يُدرك بكلّ وضوح الدّليل على ذلك. فقد عقد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مع اليهود العقود والمواثيق الّتي من شأنها أن تؤسّس للعيش المشترك مع الاحتفاظ بدينهم وشريعتهم التّوراتيّة. كما تعامل الخلفاء الرّاشدون والصّحابة رضوان الله عليهم مع المسيحيّين. فالحضارة والتّقافة الإسلاميّتان متفتّحتان على حضارة الأمم ومتجاوبتان مع ثقافات الشّعوب. فهما مؤثّرتان ومثأثّرتان. كما أنّ المتأمل في التّعاليم المسيحيّة المتمثّلة في الإنجيل، يُدرك بوضوح التّعاليم الّتي تُلزم المسيحيّين بالتّعامل مع بقية أبناء الأديان الأخرى بالمحبّة والتّسامح وعدم نبذ الآخر المختلف عقيدة ولونا وشكلا.

ينبغي، إذن، أن ينطلق التّعايش، بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى، من التّقّة والاحترام المتبادلين ومن الرّغبة في التّعاون في المجالات ذات الاهتمام المشترك والّتي تعود بالمنفعة والخير على الإنسانيّة جمعاء.

ج. العلاقة مع الآخر

يمكن تحديد مفهوم "الآخر" من خلال الموقع أو المستوى الّذي يستعمل فيه هذا اللفظ، فإذا وضعناه في المستوى الدّيني، فإنّه يعني الإنسان الّذي ينتمي إلى دين آخر. أما إذا استعملناه في مستويات القوميّة أو العرقيّة، فهو يفيد الانتماء إلى قوميّة أو عرقيّة أخرى. هكذا ندرك أنّه في الوجود الإنساني هناك آخر ديني ومذهبي وعرقي وإثني وجغرافي واجتماعي وثقافي بقدر ما هناك الأنا الدّيني. وتعدّد دوائر الأنا والذّات ومستوياتهما، تتعدّد وتتنوّع دوائر الآخر ومستوياته.⁴

ويمكن تحديد مفهوم الآخر كذلك بالاستناد إلى قيمتي الهوية والاعتراف بالاختلاف. ونقصد بالهوية في هذا السّياق الهوية المركّبة أو المتعدّدة الأبعاد، فقد رأى بعض المفكرين أنّ جميع الهويّات الإنسانيّة مركّبة ومتداخلة، فهويّة الإنسان أو المجتمع المعاصر هي هويّة مركّبة أي أنّ عوامل وروافد عديدة قد تداخلت في بلورتها أي أنّ الذّات التّقافيّة والفكريّة لدى كلّ إنسان هي وليدة روافد ثقافيّة متنوّعة، ولا يمكن إزاء هذه الحقيقة إلّا القبول بضرورة الانفتاح والتواصل مع الآخر.

أما الاعتراف بالاختلاف بين البشر، فهو من نواميس الحياة الإنسانيّة وطبائع الأمور. والمنتبّع لما ورد في القرآن والسنة والسيرة النبويّة، يُدرك بوضوح أنّ الإسلام قد اعترف منذ أيّامه الأولى بالمخالفين له من أهل الملل

⁴ محفوظ محمّد: الآخر وحقوق المواطنة، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 2006، ص 15-

والتحل. لقد خصّ هؤلاء بمقاطع قرآنية تُعرّف بتوجهاتهم وتعبّر عن آرائهم. كما سُمّيت سور قرآنية بأسماء بعضهم مثل سور "قريش" و"الأحزاب" و"الأنبياء" ... لقد خلقنا الله تعالى مختلفين في ألواننا وألسنتنا وأذواقنا وميولاتنا وما شابه ذلك. غير أنّ هذا الاختلاف، وفق الرؤية الإسلامية، ليس مبرراً للقطيعة والتباعد بل هو بوابة للتواصل والتعارف مع الآخر والتفاعل معه وفق عقلية حضارية تواصلية⁵ وذلك مصداقاً لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات: 13).

2. في حاجيات واقع الشباب الثقافية في المجتمع الإسلامي

أ. ضرورة الاعتناء بإبداعات الشباب الثقافية

يعدّ الاعتناء بإبداعات الشباب من بين المسائل التي أولاها رجال الفكر من علماء تربية واجتماع وفلسفة وتاريخ إلى جانب المنظمات الوطنية والإقليمية والدولية العناية التي يستحقها باعتبار أنّ الشباب يمثلون عماد مستقبل كلّ مجتمع، فهم يشكلون الطّاقة البشرية والحيوية القادرة على إنجاز التنمية في مختلف مجالات الحياة انطلاقاً من التّعليم والتّربية والثّقافة والإعلام والقيم الدّينية والإنسانية. لكن، رغم الجهود المبذولة من قبل الهياكل المعنية بترقية هذه العناية ومزيد تفعيلها على أرض الواقع، فإنّ هذا الموضوع يبقى دائماً مطروحاً على مختلف الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية.

وقد أوصى الإسلام بالعناية بالشباب والأخذ بيده حتّى يصل إلى الرّشد ويكتمل رشده. وقد علّق الحافظ ابن كثير على قوله تعالى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (سورة الكهف: 13) بقوله: "فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْنَةٌ - وَهُمْ الشَّبَابُ - وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ، وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ، الَّذِينَ قَدْ عَتَوْا وَعَسَوْا فِي دِينِ الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا. وَأَمَّا الْمَسَائِخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَامَّتُهُمْ بَقُوا عَلَىٰ بَيْنِهِمْ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَهَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْنَةً شَبَابًا"⁶.

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم الشباب في صفوف صحابته ويدعمهم بالكلمة الطيبة مثل الصحابي الشاب معاذ بن جبل⁷. وقد ركّز الرسول

⁵ محفوظ محمّد: المرجع نفسه، ص 15-18.

⁶ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، القاهرة، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2000، مجلد 9، ص 109.

⁷ رسول الله مع الشباب، ص 2. نشرية على موقع "نصرة رسول الله" (rasoulallah.net).

صلى الله عليه وسلم على فئة الشباب وعدّ سنّ الشباب أهمّ مراحل العمر، إذ جاء في الأثر، على سبيل المثال، ما يلي: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَنْدِيُّ، ثنا صَامِتُ بْنُ مُعَاذٍ، ثنا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَادٍ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنِ الصُّنَائِجِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَقْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ"⁸.

إنّ العالم الإسلاميّ، اليوم، في حاجة إلى شباب كفاء وناضج يستطيع مواجهة متطلبات الحياة ومسايرة مقتضيات العصر من مختلف الأوجه العلمية والمعرفية والتكنولوجية وغيرها من آليات النهوض بالمجتمع الإسلاميّ ومزيد ترقّيته. إنّ هذا التمشّي يقتضي، طبعاً، إدراج العناية بالشباب في إطار التخطيط التنمويّ لأقطار العالم الإسلاميّ بهدف إنجاح التنمية الشاملة للإنسان.

ب. ضرورة الإنصات الجيد لطموحات الشباب وآرائه الإبداعية

صنّف الباحثون الشباب في العالم الإسلاميّ إلى ثلاثة أقسام: يضمّ القسم الأول مجموعة من الشباب يعيشون في عالم الخيال، فهم يحلمون بالمكانة الاجتماعية المتميزة والحياة المليئة بالسعادة. إنهم بعيدون عن الواقع المعيش وغير راضين على وضعيّتهم. ويشمل القسم الثاني مجموعة الشباب الذين لا يعولون على أنفسهم. فهم لا يشعرون بالثقة بالنفس ويعتمدون في الحياة على الغير، فهم يحمّلون المسؤولية لوالديهم وغيرهم من قادة المجتمع. ويتكوّن القسم الثالث من الشباب الذين يمثلون المجتمع ويتحمّلون المسؤولية ويسعون إلى بلوغ الأفضل وتحقيق الأهداف المرجوة من خلال مواجهة الصعوبات والعمل على تذليلها.. هكذا، يكون الإنصات الجيد لطموحات الشباب. والتأمل في آرائهم والنظر في توجهاتهم من متطلبات ظروفنا الرّاهنة إذ من خلال ذلك يمكن إدراك مقومات آراء الشباب وتوجهاتهم والتّعجيل بتصحيح المسار وترشيد الرؤى.

ج. منح الشباب مزيد الثقة في تحمّل مسؤولية الأنشطة الثقافية بكامل الحرية في النوادي الثقافية والمؤسسات التعليمية

تؤدي الأنشطة الثقافية في النوادي والمؤسسات التعليمية دوراً فعّالاً في حياة الشباب، فهي تنمّي قيمهم الروحية والأخلاقية والوعي الوطنيّ والقوميّ لديهم

⁸ الطبراني (أبو القاسم): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1404 هـ / 1983 (ط 2)، ج 20، ص 60-61.

وتتيح لهم الفرص للتعبير المسؤول عن آرائهم وتفتح آفاق المعرفة أمامهم وتمكّنهم من استثمار وقت فراغهم وتنظيمه في نشاط إنتاجي مثمر يكسبهم الخبرات والمهارات ويوثق الروابط بينهم وبين القائمين بالتدريس ويمنحهم مزيد الثقة في تحمّل مسؤوليّة الأنشطة وفهم الهدف من إقامتها. إنّ منح مزيد الثقة لهؤلاء الشّباب من شأنه أن يعزّز الحوار ويؤسّس للتعايش بين الأفراد دون اعتبار اللون والانتماء العقائديّ.

د. الحاجة الملحة إلى المعرفة الصّحيحة بالقيم الإسلاميّة قصد مجابهة مخاطر العولمة الاتّصاليّة والانحرافات السلوكيّة

نقصد بالحاجة الملحة إلى المعرفة الصّحيحة بالقيم الإسلاميّة بالوعي بمعرفة الدّين المعتقد من حيث الأحكام والأدلة القطعيّة والمقاصد والعقائد والمعارف وهي معرفة تتعمّق بفكر دينيّ مقارنيّ بين الأديان السّماويّة والوضعيّة. فالوعي الدّينيّ له ارتباط وثيق بمفهوم الوعي بشكل عامّ وخاصّة بمعنى العلم، من جهة، وبمفهوم الدّين باعتباره ميثاقاً، من جهة أخرى. إنّ من شأن هذا الإدراك وهذا التّصوّر أن يساعدا على بناء عقليّة متبصرة ورؤية تفاعليّة وتواصلية من أجل إنتاج فهم يوائم بين العقل والنقل ويدرأ التّعارض بينهما. ويتأسّس الوعي الدّينيّ كذلك على فهم معمّق وعلى مواقف وآراء صحيحة وصريحة نقلا وعقلا. فهو سبيل إلى إدراك القيم الأخلاقيّة التي يتضمّنهما الدّين الإسلاميّ وتجنّب مخاطر التّأثير السّلبّي بما قد تحمله وسائل الاتّصال الحديثة وخاصّة منها الإنترنت من مظاهر الانحلال الأخلاقي والتّشويش القيميّ.⁹

هـ. الوعي بضرورة التّواصل الحضاريّ من أجل كسب معركة الإبداع على المستوى العالميّ

تقوم الحياة الاجتماعيّة بصورة عامّة على التّواصل بين البشر الذي بواسطته تتطوّر العلاقات الإنسانيّة اعتمادا على الوسائط التّقنيّة النّاقلة للثقافة. فبفضل الثّورة الاتّصاليّة، لم يعد هناك فرق بين المدن والأرياف في كثافة المشاركة في الشّبكات التّواصلية التي قد تعتمد على مجرد الهاتف النّقّال وبالتالي أصبح متاحا لكلّ إنسان أينما كان في أقاصي الصّحراء أن يتواصل مع الآخرين وأن يندمج في شبكات التّواصل الاجتماعيّ. وقد أبرز الإسلام قيمة العلاقات بين الشّعوب وأشاد

⁹ صوفي (عبد القادر بن محمّد عطا): آثار العولمة على عقيدة الشّباب، مكّة المكرّمة، رابطة العالم الإسلاميّ، 1427 هـ / 2006م.

- منصور (عبد المجيد سيّد أحمد): توجيه وإرشاد الشّباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ، مكّة المكرّمة، رابطة العالم الإسلاميّ، 1411 هـ / 1991م.

بها واعتبر الإنسان مخلوقاً اجتماعياً يحبّ العيش بين الآخرين والتفاعل معهم، كما جعل التفاعل الاجتماعي وسيلة الاتصال الأساسية بين أفراد الجماعة إذ بواسطته يتمّ التفاهم بين الأفراد في المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرى. وقد بين الإسلام في هذا السياق نفسه، مكانة توطيد العلاقات بين الشعوب وأشاد بنظام الإيلاف الذي تمثّل في إبرام العرب، قبل الإسلام، معاهدات التجارة مع الفرس والروم والأحباش تقضي بتبادل البضائع والمنافع. قال تعالى في هذا الإطار: "إيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف" (سورة قريش: 1-2). لقد كانت رحلة الشتاء تنظّم إلى اليمن ورحلة الصيف تنظّم إلى الشام. ومن جهة أخرى، لم يغلق الإسلام الأبواب أمام طموحات الإنسان، فقد حتّه على طلب العلم والمعرفة والانفتاح على منافذ العرفان والأخذ بها في شتى صورها وأياً كان مصدرها، فلا فرق في ذلك بين مسلم ومسلمة وبين بلد وبلد وبين ثقافة وثقافة، فهو لا ينكر طلب المعارف على المخالفين لنا في الدين والملة ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها"¹⁰. إنّ تحقيق مختلف هذه الحاجيات يتطلّب ضبط استراتيجية لتربية الشباب على ثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر.

3. في استراتيجية تربية الشباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر

أ. وضع استراتيجية تربوية ملائمة لثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر
هذه الاستراتيجية ملقاة على المسلمين من جهة وعلى الغربيين من جهة أخرى: فالمسلمون مطالبون، أكثر من أيّ وقت مضى، بمراجعة الكتب المدرسية ومناهج التدريس. عليهم إزالة كلّ ما يسيء إلى الآخر والتركيز على القيم الإنسانية التي تجمع ولا تفرّق. وفي المقابل، على الغربيين الاعتماد على كفاءات تجمع بين القدرة العلمية والمهارة البيداغوجية في اختيار النصّ الذي يفي بالغرض ويتسم باحترام خصوصيات الثقافة الإسلامية ويتلافى الصور المشوّهة للإسلام ويضع حدّاً للحواجز التي تفصل بين الشعوب أي أن يكون الاختيار على نصّ يقوم على منهج يقرب ولا ينفّر، يؤاخي ولا يعادي وهذا من شأنه أن يؤدّي إلى تنشئة أجيال شابة بعيدة عن التعصّب والانغلاق وقادرة على المعرفة المبنية على الموضوعية والتسامح والوفاق وهي مسائل من أوكّد حاجياتنا الثقافية الدولية الرّاهنة.

¹⁰ الترمذي: الجامع الصحيح، كتاب "العلم"، باب "ما جاء في فضل الفقه على العبادة"، حديث رقم 2687، الجزء 5، ص 51.

ب. فتح آفاق جديدة للإبداع في إطار مؤسسات شبابية وثقافية تحسن التعامل مع الشباب تأطيرا وتوجيها وتحفيزا على التواصل والإبداع الثقافيين دون عقد لم تعد المؤسسات الثقافية مجرد أدوات لترفيه الشباب فحسب. لقد أصبحت تؤثر في اتجاهاتهم وتساعد على تحديد مواقفهم الفكرية والاجتماعية إذا ما أحسن المجتمع استغلالها بشكل يتماشى مع ما تفرضه مستجدات العصر ووجد فيها الشباب فتح آفاق جديدة لإبداعه من حيث التأطير والتوجيه والتحفيز على التواصل مع الآخر دون عقد.¹¹ إن تمكين الشباب من زاد علمي و معرفي وحضاري واجتماعي يسهم بصورة فعالة في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع وتعديل القيم الأخلاقية وتحقيق التكامل الثقافي وتوسيع حقول التجارب المعرفية والتأثير الإيجابي على الآراء والاتجاهات وصل الطموحات وتسليح الشباب بعقلية تؤمن بالقيم الإنسانية وتحترم حق الاختلاف والتنوع.

ج. التركيز على القواسم المشتركة بين الثقافات في سياق تثمين مكامن الإبداع في ثقافتنا الإسلامية وقيمها الحضارية والأخلاقية الخصوصية بات جليا لدى الجميع أن العالم أصبح بفضل التقدم التكنولوجي الهائل قرية صغيرة، فهو في حاجة أكيدة إلى التحصن بالقيم الإنسانية والحرص على بلورتها وتعميقها وترسيخها وتفعيلها باعتبارها خلاصا مشتركة تستمد شرعيتها ومعقوليتها من انتماء الجميع إلى جذر بشري واحد قد وهبه الله تعالى فطرة بشرية واحدة وهياً لبناء حضارة إنسانية شاملة وهو مطالب بالمحافظة عليها وصيانتها دون النيل مما لدى المجموعات البشرية من هويات ذاتية وخصوصيات ثقافية.

د. اعتماد خطاب إسلامي منفتح على البعد الإنساني إن الاستناد إلى الأبعاد الكونية للفكر الإنساني والقواسم المشتركة بين الشعوب والحضارات في الخطاب الإعلامي الإسلامي من شأنه أن يسقط الحواجز والحدود بين مختلف مكونات الجنس البشري ويدعم التآلف والوئام بين الحضارات والأديان والثقافات. ذلك أن الإسلام بطبيعته دين حوار وتفاعل حضاري بهدف التعارف، فهو دين عالمي مصداقا لقوله تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (سورة الفرقان:1)، وكذلك قوله عز وجل لرسوله الكريم: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الأنبياء:107). وتجسيما لهذا التمشي، جاء خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم موجها إلى الإنسانية جمعاء لا خاصا بالعرب وحدهم، وقد انتشرت دعوة الإسلام في جميع أنحاء العالم معتمدة

¹¹ حجازي عزت: الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، (6)، الكويت، 1985.

الإقناع والحوار في معظم الأحيان والتركيز على مشاغل الإنسان الحيويّة وطموحاته الوجوديّة ورغبته الصادقة القويّة في التحرّر والانعتاق من ربة البشر ومن قوى الظلم والتسلّط العقائديّ.

هكذا، كان الإسلام وسيظلّ متفتّحاً على البعدين الإنسانيّ والكونيّ لعقيدة التّوحيد في سبيل انعتاق الإنسانيّة وارتقائها إلى مرتبة العبوديّة لله وحده دون سواه. وهو بهذا التوجّه الاستراتيجيّ يتلاقى كلياً مع طموحات الشّباب ويساند بعمق تطلّعاتهم الحيويّة والمشروعة إلى التحرّر والانطلاق نحو آفاق رحبة للتّأخي والتّحابب والتّعايش السّلميّ المثمر بين كلّ البشر.

هـ. مراجعة مناهج التّعليم وذلك بتجنّب كلّ ما يسيء إلى الآخر وحضارته

بات من الضّروريّ أن تقع مراجعة برامج التّعليم في مختلف المستويات وذلك في اتجاه دعم الخطاب الإسلاميّ الوسطيّ والمعتدل والمتفتّح على القيم الإنسانيّة المشتركة. كما أنّه من الضّروريّ دراسة ماضي العلاقات بين الأديان بعين ناقدة من أجل الوقوف على الأخطاء والصّعوبات التي تعرقل حوار الشّباب المسلم مع الآخر.

إنّ اعتماد هذا المسلك من شأنه أن يذلل الصّعوبات أمام الشّباب المسلم ويحفّزهم على التّعامل مع الآخر بطريقة إيجابيّة والاستفادة من التجارب التي تفيد الإنسانيّة مقابل إشاعة صورة مشرقة عن الدّين الإسلاميّ الحنيف بين الأمم تظهر مدى رقيّه الحضاريّ والأخلاقيّ والمعرفيّ السّلميّ والمثمر وتعتمد أعلى الكفاءات الشّبابية القادرة على الإبداع العلميّ والتفاعل الثقافيّ الإيجابيّ دون عُدّ والمساهمة في البناء الحضاريّ الإنسانيّ المشترك، وهو رهان، على أساسه، ينبغي أن نبني استراتيجيتنا التّربويّة والثقافيّة المستقبلية في عالمنا الإسلاميّ.

4. في آفاق استراتيجية تربية الشّباب المسلم على ثقافتنا الحوار والتّعايش مع الآخر

أ. إحداث منتدى شبابيّ يضمّ شباباً ينتمون إلى جميع الأديان والأعراق ويمكّنهم من الاجتماع مرّة في السنة لمناقشة مجال حوار الأديان. ويمكن أن يتشكّل هذا المنتدى من فرق تفكير شبابيّة متخصصة تضمّ أيضاً علماء دين ومؤرّخين وعلماء اجتماع ومفكرين وإعلاميين وذوي معرفة باللّغات وذلك قصد رسم استراتيجيات المستقبل وتلافي التّفانص والتّغرات الرّاهنة.

ب. إحداث موقع عربي إسلامي بشبكة الإنترنت يتولى متابعة صورة الإسلام لدى الآخر والعمل على تصحيحها في حالات الخطأ. ويشرف على هذا الموقع مختصون في مختلف فروع العلوم الإسلامية.

ج. تدوين ميثاق عالمي للشباب يؤسس لثقافة التعايش السلمي والمثمر بين شباب العالم بمختلف انتماءاته الدينية والعرقية والثقافية والسياسية.

وإذا ما تضافرت مختلف هذه الجهود، فإن ذلك من شأنه، وفق رأينا، أن يؤدي إلى تأسيس مقاربة ثقافية مبنية على قيم إنسانية ناجعة تسهم في تصحيح صورة الإسلام لدى الآخر وتزليل وجوها كثيرة من سوء الفهم والخلافات خاصة مع الحضارة الغربية وذلك على المدى المتوسط والمدى البعيد وتدعم، بصورة موضوعية، تربية الشباب على ثقافتنا الحوار والتعايش مع الآخر.

مشاركة الشباب في حوار الأديان: الواقع والمآزق

المُلخَص

تتوقف هذه المداخلة عند أهم العوائق الذاتية والموضوعية التي تحول دون مشاركة وانخراط شباب المنطقة العربية في مشاريع حوار الأديان، مع التركيز أكثر على العوائق الموضوعية، بحكم غلبتها وبالتالي ثقلها في الساحة، ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

1. مآزق الحوارات والمؤتمرات التي تُخصّص لموضوع "حوار الأديان"، حيث سيادة خطاب المجاملة عوض الانخراط الجدي في ما نستخدمه عليه بفضاءات "الاشتباك المعرفي والعلمي" المؤسس لما ينفع الإنسانية جمعاء، وليس أهل الديانات التوحيدية وحسب؛
2. مآزق الفاعلين الدينيين، سواء تعلق الأمر بفاعلين ينتمون إلى مؤسسات دينية رسمية أو إلى حركات إسلامية (إخوانية أو سلفية)، أو إلى التيار المستقل، غير المحسوب على مؤسسة أو تيار حركي معين، لاعتقاد هؤلاء أن الشباب غير مؤهل للحديث في هكذا مواضيع ملتهد؛
3. غَلَبَة الرؤية الاختزالية للدين عند الشباب المتدين في الساحة العربية، إلى درجة يخالف فيها الدين مع التدين عنده، والتعامل بالتالي مع باقي الفرقاء، في نفس الرقعة الإسلامية، من رؤية استعلانية دينياً، فالأحرى التعامل مع باقي الفرقاء الدينيين غير المسلمين (من أتباع الديانة اليهودية والمسيحية، نموذجاً).

عرض البحث

"رأيت تعبيرات عن الروح الإنسانية وتأكيداً لوحدها الأساسية في حنايا كاتدرائية كانتربري (Canterbury)؛ كانت أمسية موسيقية جمعت فيها يابانيا أستاذاً في العزف على الناي وفرقة الإنشاد في الكاتدرائية، وموسيقيين مراكشيين من الصوفية، يُصاحبهم عازف إفريقي أمريكي لموسيقى الجاز على البيانو: فرقة الإنشاد الملائكية تُغني "المسيح يمشي على الماء" (Jesus walking on the)"

¹ السيد منتصر حمادة [hamada71@gmail.com] باحث مغربي متخصص في الشأن الديني؛ رئيس مركز "المغرب الأقصى للدراسات والأبحاث"؛ مدير موقع "إسلام مغربي" (www.islammaghribi.com).

(waters) والمراكشيون يُغنون ويرقصون تشريفاً لنبي الإسلام عليه السلام... أكبر أحمد.²

تأسس هذه الدراسة على مُقدمتين أساسيتين:

أ - تفيد المقدمة الأولى أن الحديث عن أهم العوائق التي تحول دون مشاركة وانخراط الشباب، في مشاريع حوار الأديان، يتطلب التسليم بأننا إزاء قضية مُركّبة، وبالتالي تتطلب تناوُلًا مُركّبا من طرف المتدخلين في أشغال هذا اللقاء العلمي؛

إذا سلّمنا فعلا أننا إزاء قضية مُركّبة، فمعنى ذلك، أن تناولها يقتضي مقاربات مُركّبة، عبر الرهان على تمرير ما اصطُح عليه المفكر المصري الراحل عبد الوهاب المسيري بالنموذج التفسيري المُركّب، وليس النموذج التفسيري الاختزالي، أو ما يصطُح عليه المفكر الفرنسي إدغار موران (Edgar Morin) بـ"الفكر المُركّب" (la pensée complexe)، كما جاء في عنوان إحدى أعماله،³ بمعنى آخر، لا يمكن اختزال أسباب تواضع أو غياب الشباب عن المشاركة في حوارات الأديان في عامل مُحدّد دون سواه، بقدرة ما يجب التوقف عند لائحة من المُحددات التي تحول دون تلك المشاركة.

نقول هذا ونحن نأخذ بعين الاعتبار أننا نتحدث عن حوار الأديان، وتحديدًا الحوار بين الديانات التوحيدية الثلاث (religions monothéistes) أو الديانات الإبراهيمية الثلاث، باعتبارها أهم الديانات التي تتميز بوجود أكبر عدد من المعتنقين في العالم اليوم، بما يُحيلنا على مقتضيات المقدمة الثانية؛

ب - تفيد المقدمة الثانية أن هذا الموضوع مليء بـ"الألغام" الفكرية والإيديولوجية، لا اعتبار بدهي، مكونه يشتغل على سؤال الدين والتدين في العالم اليوم، بما يتطلب الكثير من الحذر المعرفي والمنهجي في التطرق إلى مقتضياته. ومردُّ هذا التشبيه الذي يتحدث عن "المشيء في حقل ألغام"، كثرة الحساسيات والصراعات التي تُعجُّ بها الساحة في العديد من بقاع المعمور، وفي القارات الخمس، دون استثناء، بحيث لا يمر يوم دون صدور أخبار عن قضايا

² أكبر أحمد، الإسلام تحت الحصار، ترجمة عزت شعلان، دار الساقى، بيروت، ط 1، ص 214.

³ Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, édition Seuil, Paris, avril 2005.

سياسية أو أمنية أو اجتماعية وغيرها، تعرف حضور الفاعل الديني، بشكل أو بآخر، سواء في سياق تفاعل أتباع الديانات فيما بينهم، أو في سياق تفاعل أبناء نفس الدين المعني، أو الطائفة الدينية المعنية، نقول هذا ونحن نستحضر في هذا الصدد، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قلاقل الصراع أو الخلاف الكاثوليكي - البروتستانتية في إيرلندا مثلا، هناك في المجال التداولي المسيحي، أو الصراع أو الخلاف السني - الشيعي هنا في المجال التداولي الإسلامي.

على صعيد آخر، وأثناء الاشتغال على إعداد هذه الدراسة، اصطدنا بفقر واضح في الأدبيات والأعمال التي تطرقت إلى مشاركة الشباب في ملتقيات حوار الأديان، وبكفي إلقاء نظرة عابرة على مجمل الملتقيات والندوات العلمية التي خُصت لموضوع حوار الأديان، وتأمل مدى حضور تيمة (thème) دور الشباب في تفعيل حوار الأديان، وأصل هذا الفقر مرتبط بتواضع هذه الملتقيات، بحكم أن السائد في الساحة، محليا أو إقليميا أو عالميا، لا يخرج عن مشاركة رجال دين ومفكرين وباحثين مرموقين في أشغال وأعمال هذه الملتقيات العلمية، مادام أغلب هؤلاء يتعامل مع الشباب كونه غير مؤهل للخوض في مثل هذه المواضيع، وبالتالي، يسقطون بشكل تلقائي في ما يُشبه "الوصاية العلمية" على الشباب، وهذا أمر منتظر، بل وبدهي، فقط إذا سلّمنا فعلا بأن أغلب الشباب المعني بهذه الحوارات يبقى قاصرا معرفيا، لولا أن هذه المُسلمة، يمكن تقويضها، وبالتالي لا يمكن أن تبقى أغلب اللقاءات العلمية المخصصة لحوار الأديان تعرف تغييب مشاركة الشباب، ولعل أهم حسنات أحداث الحراك العربي التي اصطلح عليها بأحداث "الربيع العربي"، أنها تقف بشكل مباشر في رد الاعتبار لدور الشباب العربي في مشاريع التغيير والإصلاح والنهضة، بعد أن كانت هذه المشاريع تُختزل في خانة أولى في ما يُحرره رموز الفكر الإصلاحي، بشتى مرجعياته الإيديولوجية، أو تُختزل في مرحلة ثانية في ما يصدر عن بعض التيارات السياسية والإيديولوجية، أو تُختزل في مرحلة ثالثة، في ما يصدر بشكل مباشر عن صانعي القرار، من مبادرات إصلاحية، سواء كانت مُتواضعة أو نوعية، وأقصى ما يمكن أن يصدر عن رجال الدين والمفكرين من أتباع الديانات الإبراهيمية الثلاث في توصيات ملتقيات حوار الأديان، لن يخرج عن توجيه النصح للشباب، دون دعوة هؤلاء الشباب للمشاركة الفعلية في أشغال هذه الملتقيات، كما جرى منذ بضع أشهر فقط، في النسخة الثالثة من "المنتدى الإسلامي - المسيحي" الذي احتضنته مؤخرا مدينة ليون الفرنسية،⁴ حيث تميزت

⁴ احتضنت مدينة ليون الفرنسية العريقة، أشغال النسخة الثالثة من "المنتدى الإسلامي - المسيحي" في الفترة الممتدة بين 28 تشرين الثاني/نوفمبر وفتح كانون الأول/ديسمبر 2013.

أشغال المنتدى بتوجيه النصح للشباب بأخذ "الحذر من خطابات التطرف"، وتحمل "مسئوليتهم اتجاه قضايا الساعة"، دون أن نعاين في أبسط مقتضيات تحمل المسؤولية تلك، دعوة شباب للمشاركة في أشغال المنتدى.

ميزة أحداث "الربيع العربي" أنها انتصرت لدور الشباب في التغيير، وأسست لما يُشبه قطيعة مع مراحل زمنية سابقة، كان اهتمامات وآمال فئة الشباب تقابل باللامبالاة والتهميش، حتى لا نقول التقزيم والإقصاء، وكان علينا انتظار منعطف 11 يناير 2011، تاريخ اندلاع هذه الأحداث، حتى نعاير توصل صناعات القرار في المنطقة العربية نموذجاً، لفئة الشباب، وسعيهم، أخيراً، إلى التفكير الجدي في إدماجهم والتجاوب العملي مع انتظاراتهم وأحلامهم.

أن الأوان للتوقف عند أهم العوائق التي تحول دون مشاركة وانخراط شباب المنطقة العربية في مشاريع حوار الأديان، وما دمنا نتحدث عن ملف مُركّب، فبَدَهي أن نعاين أعطاب ذاتية وأخرى موضوعية تحول دون تفعيل هذا النمط المُعيّن من الحوار بين الأديان، أي الحوار بين الشباب المعتنقين للأديان، وطالما لم يتم الحسم مع مُسببات هذه الأعطاب، سوف تتكرر مثل هذه اللقاءات العلمية وسوف يتكرر الحديث والاجتهاد أكثر في البحث عن مخارج نظرية وعملية لإدماج الشباب في مشاريع حوارات الأديان السائدة في العالم بأسره، وخاصة تلك الحوارات السائدة في منطقة الشرق الأوسط والقارة الأوروبية، باعتبار أن هذين المجالين، هم أكثر المجالات التداولية التي تناولت بالدرس والبحث واللقاءات والندوات وموضوع الحوار بين الأديان، وباعتبارها أيضاً، مجالات تداولية تبقى في أمس الحاجة اليوم - أكثر من أي وقت مضى، مقارنة مع باقي المجالات التداولية - إلى تفعيل مقتضيات الحوار المُعيّنة، أي المقتضيات التي، برأي فيلسوف الأخلاق الأبرز في الساحة الإسلامية، تكاد تجعل من الحوار ينزل منزلة الحقيقة، وذلك للاعتبارات التالية:

- أولها أن طريق الوصول إلى الحق ليس طريقاً واحداً لا ثاني له، وإنما طريقاً شتى لا حد لها، لأن الحق هو نفسه، على خلاف الرأي السائد، ليس ثابتاً لا يتغير، بل أصله أن يتغير ويتجدد، وما كان في أصله مُتجدداً، فلا بد أن يكون الطريق الموصل إليه مُتعدد، وما كان في أصله مُتجدداً، فلا بد أن يكون الطريق الموصل إليه مُتعدداً؛

أنظر متابعة الحدث على الرابط الإلكتروني التالي: Laurence Desjoyaux, Musulmans et chrétiens adressent une lettre aux jeunes, in: www.lavie.fr/religion/dialogue-interreligieux/musulmans-et-chretiens-adressent-une-lettre-aux-jeunes-02-12-2013-47148_387.php

- والوجه الثاني أن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة، فئات أو أفراداً، يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من البعض.
- أما الوجه الثالث فيمكن في أن الحوار يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه؛ إذ الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين؛ وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين؛⁵

1. في الأعطاب الموضوعية

يمكن أن نُلخص أهم الأعطاب الموضوعية التي تقف وراء عرقلة مشاركة الشباب في حوارات الأديان، في عطين اثنين رئيسيين: عطب بنوي وعطب معرفي - ("إبستيمي")، وحديتنا هنا عن أعطاب موضوعية تهم الديانات الإبراهيمية الثلاث، وليس دين مُعين أو طائفة دينية مُحددة:

1. 1 فأما العطب الأول، أي العطب البنوي، فيهم هذه اللقاءات والندوات، سواء عرفت مشاركة الشباب أو العلماء المُتخصصين أو الباحثين: لا زالت العديد من هذه اللقاءات العلمية - على جدية ورصانة المشاركين فيها، ونُبُل المقاصد التي تقف وراء تنظيمها والعناء الكبير المصاحب لذلك - لا زالت تعاني من مآزق سيادة خطاب المُجاملة عوض الانخراط الجدي في ما نصطاح عليه بفضاءات "الاشتباك المعرفي والعلمي" المؤسس لما ينفع الإنسانية جمعاء، وليس أهل الديانات الإبراهيمية وحسب؛ إن لم نقل أن بعض هذه اللقاءات تسقط في فخ المُجاملة وتمرير خطاب الطمأنة، وليس خطاب النقد الذاتي والنقد المزدوج، ذلك الذي يحتاج إليه العقل الكوني برمته اليوم أكثر من أي وقت مضى.
نقصد بالنقد الذاتي، ممارسة الناطقين باسم هذه المرجعية الدينية، نقدا ذاتيا مباشرا ضد الانحرافات السلوكية التي تطال لائحة من أنماط التدين في المجال التداولي المعني؛

ونقصد بـ"النقد المزدوج" ممارسة نقدا صريحا ومسؤولا لخطاب الذات وخطاب الغير/الأخر، وبالتالي نقد مختلف الانحرافات التي تطال مُجمل أنماط التدين المُميزة للمجالات التداولية المعنية، من باب سحب تفكيك خطاب مريض ويُجسد عائقا أمام مشاريع الحوار، وجَلِّي أن الساحة الفكرية العالمية، تعاني من ندرة الأقلام المعرفية التي تُروج خطابا نقديا يتميز بالانتصار لخيار النقد

⁵ أنظر: طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، أعد الحوارات للنشر، رضوان مرحوم، دار الزمن، الرباط، نيسان/ أبريل 2000، ط 1، ص 5.

المزدوج، ونذكر في هذا الصدد، على وجه الخصوص، بعض ما صدر عن الراحلين، الفيلسوف الفرنسي جان بودريار (Jean Baudrillard)،⁶ والمفكر الأمريكي من أصل فلسطيني، إدوارد سعيد، مُروج أطروحة "صدام الجهالات"،⁷ وقصدَ بها "الجهالة" التي ميزت أداء بعض رموز تيار "المحافظين الجدد"، على عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج والكر بوش، والجهالة المُميزة لقيادات وأتباع تنظيم "القاعدة" الذي كان ينزعه حينها، أسامة بن لادن.

لا زالت أغلب اللقاءات العلمية المنخرطة في مشاريع حوار الأديان مصرة على تقادي الخوض في الأسئلة المؤرقة الكفيلة بالتأسيس وتغذية القواسم المشتركة بين الهويات والثقافات وبالتالي الأديان، وبرأي أهل الاختصاص، ونقصد بهم المتخصصون في مشاريع حوار الأديان، فإن بعض [وليس كل] لقاءات "حوار الأديان"، أصبحت لقاءات ثقافية ولم تكن بالضرورة دينية أو ذات علاقة بمنظومة العقائد الدينية. إنهم يتحدثون عن طعامهم وعن الموسيقى وطريقتهم في الصلاة والعيش وما إلى ذلك. إنهم يتجنبون الحديث في القضايا موضوع الجدل⁸ في هذه الديانة أو تلك.

⁶ أسابيع قليلة بعد صدمة اعتداءات نيويورك وواشنطن سيئة الذكر، والمؤرخة في 11 أيلول/سبتمبر 2001، سوف يُحرر جان بودريار دراسة مرجعية، تضمنت نقدا صريحا ضد الإدارة الأمريكية وتنظيم "القاعدة"، وجاءت الدراسة تحت عنوان: "روح الإرهاب"، (L'esprit du terrorisme) وصدرت في يومية "الوموند" الفرنسية، ولأهمية الدراسة، فقد صدرت مترجمة في العديد من المنابر الإعلامية العربية، نذكر منها "القدس العربي" اللندنية، وأيضا في يومية "الوطن" السعودية، أسبوعية "أخبار الأدب" القاهرية، ومجلة "الفكر العربي المعاصر" البيروتية. أنظر:

Jean Baudrillard, L'esprit du terrorisme, Le Monde, 3 Novembre 2001.
⁷ على غرار ما صدر عن جان بودريار، سوف يُحرر إدوارد سعيد مقالا مرجعيا يحمل عنوان: "صدام الجهالات" (le choc des ignorances)، وإذا كانت الإحالة في معرض الحديث عن الجهالة، مرتبطة بتيار المحافظين الجدد، هنا في الغرب المسيحي، وتنظيم "القاعدة"، هنا في الشرق المسلم، فإن اللجوء إلى مصطلح "الصدام" (Clash)، كانت إحالة صريحة على أطروحة الراحل صامويل هنتنغتون، مُسطر أطروحة "صدام الحضارات" (والتي سبقها كتاب "الحرب الحضارية الأولى" لعالم المستقبلات المغربي المهدي المنجرة). أنظر:

Said, Edward, The clash of ignorance, The Nation, 2001, October 22.
الاطلاع على الترجمة الفرنسية للمقالة على الرابط الإلكتروني التالي:

www.nawaat.org/portail/2005/02/02/le-choc-de-lignorance/

⁸ الوحدة في الاختلاف: حوار الأديان في الشرق الأوسط، تأليف: محمد أبو نمر، أمل خوري، إيملي ويلتي، ترجمة عبد علي السعيد، مراجعة وتدقيق محمود الزواوي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2013، ص 105.

ليس مطلوباً من رجال الدين المشاركين في العديد من لقاءات حوار الأديان، الخوض التفصيلي في المعتقدات الدينية/اللاهوتية للمعنيين بالحوار، ما دامت هذه المعتقدات غير قابلة للنقاش أو الجدل، إضافة إلى أن مجرد التفكير في إكراه الغير/الأخر على تغيير المعتقد عبر توظيف هذه اللقاءات، ينتهك سمو هذه اللقاءات وتُبلّ مقاصدها، ولكن مهم جداً، أن تتفرغ هذه اللقاءات والملتقيات والأيام العلمية إلى التفكير الجماعي في التأثير الإيجابي على صناعات القرار بما يخدم الأهداف الاستراتيجية التي تقف وراء تنظيم هذه اللقاءات. نقول هذا من منطلق أن أغلب الأزمات الكبرى التي تمر منها الإنسانية اليوم - حتى لا نخزل المشهد في أتباع الأديان - مرتبطة بحسابات صناعات القرار،⁹ وبالتالي مرتبطة بحسابات استراتيجية، تختلط فيها عوامل سياسية وأمنية واقتصادية على وجه الخصوص، قبل الحديث عن مقتضيات العوامل الثقافية والدينية والهوياتية.

ما هو مطلوب من هذه الملتقيات، أن تكون لصيقة بمقتضيات الواقع،¹⁰ وأن تتعامل مع القضايا التي تهم المشاركين أو تلك التي جربوها أو عانوا منها: يجب أن تتناول النقاشات "القضايا الحساسة لا أن تتجنبها حيث إن التوافق بين المشاركين يتم من خلال مناقشة تلك المسائل كي تنتهي حالة التوتر والاحتقان، كما أن مناقشة هذه القضايا يُضفي على الحوار سمة عملية، فحين تتسم النقاشات بالدبلوماسية واللفظ يتم إهمال القضايا الأساسية في واقع الصراعات ويقتنع المشاركون بأنه ليس هناك صراعٌ ومن ثم ليس هناك حاجة للحوار أو أن الحوار، في أسوأ حالاته، مجرد تمرين".¹¹

ومن المثير أن هذا المأزق البنيوي، لا يقتصر، للمفارقة، على طبقة رجال الدين، وإنما يمتد حتى إلى طبقة المفكرين والفلاسفة، حتى نترك الباحثين الشباب

العنوان الأصلي للكتاب المترجم: Unity In Diversity, Interfaith Dialogue in The Middle East.

⁹ لنا أن نتصور طبيعة تفاعل وسائل الإعلام في العالم بأسره مع ملتقيات الحوار الأديان عندما تتميز بحضور صناعات القرار أو مقربين منهم.

¹⁰ أو كما صرح بذلك الكاردينال جان لوي طوران (Jean-Louis Tauran)، رئيس المجلس الكنائسي في الفاتيكان، في حديثه عن أدوار المؤسسات الدينية: "حوار الأديان لا يتم في الملتقيات ولا حتى في الكنائس، ولكن في الكنائس المحلية، في الساحات وعلى أرض الواقع المعاش".

جاء ذلك في مداخلة للكاردينال على هامش أشغال ملتقى للأديان احتضنته العاصمة النمساوية فيينا، في غضون 18 تشرين الثاني/نوفمبر 2013. أنظر ملخص كلمة الكاردينال على الرابط التالي: Dialogue interreligieux: sensibiliser les jeunes, in:

www.zenit.org/fr/articles/dialogue-interreligieux-sensibiliser-les-jeunes

¹¹ الوحدة في الاختلاف: حوار الأديان في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 236.

جانبا، وكما لاحظ ذلك باقتدار الراحل محمد أركون، "حتى إيمانويل ليفيناس (Emmanuel Levinas) وبول ريكور (Paul Ricœur) اللذان أعادا دمج النص اليهودي المسيحي في فلسفة الآخر لا يذكران أبدا ذلك الغريب الأجنبي أو الآخر في المطلق، أي الإسلام والمسلمين. صحيح أنهما ما عادا ينظران إليه كعدو وكما كان يحصل في القرون الوسطى، لكنهما يسدلان عليه ستارا من الصمت ولا يتحدثان إلا عن التراث اليهودي - المسيحي. يحصل ذلك كما لو أن الإسلام لا يشكل جزءا لا يتجزأ من التراث الديني التوحيدي"¹²، وإذا هذا العطب العلمي صدر عن بعض رموز الفكر الفلسفي المتسامح في القارة الأوروبية وفي الغرب عموما، فلنا أن نتصور ما الذي يمكن أن يصدر عن رموز فكرية تتبنى رؤى ومقاربات انعزالية أو متمركزة على الذات الغربية (المسيحية واليهودية)¹³، هناك في الغرب.

1. 2 بالنسبة للعطب الثاني، أي العطب الإيديولوجي، فيتعلق بمواقف بعض التيارات السياسية وبالتالي الإيديولوجية من مشاريع حوار الأديان، ومعلوم أن مبادرات حوار الأديان تلقى قبولا لدى العامة والخاصة، في الشرق والغرب، في ربوع العالم بأسره، باستثناء النفور والشيطنة والتقزيم التي تقابل به هذه المشاريع من طرف تيارين اثنين على وجه الخصوص: تيار علماني (laïque)، وتيار أصولي (Fondamentaliste):

1. 2. 1 فأما التيار العلماني، في الساحة العربية مثلا أو في الساحة الأوروبية، حيث الحضور اللافت والطاغي للمرجعية العلمانية، فيرى أن مشاريع حوار الأديان لا يمكن أن تسحب البساط على خطاب التطرف والعنف، السائد هنا أو هناك، ومن هؤلاء من يعتبر أن "نفس" أطروحات التطرف والعنف يتم عبر تسويات سياسية وليس عبر حوارات الأديان، بل منهم من يذهب إلى تبني

¹² محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 2011، ط 1، ص 329.

¹³ في كتاب مرجعي ينتصر لخيار النقد الذاتي، سوف تخلص الباحثة الفرنسية صوفي بسيس إلى أن أغلب رمز الفكر الغربي المعاصر، في شقيه اليهودي والمسيحي، "اختزلوا العرق الإنساني في هوية أوروبية تقوم على رفض كل هوية تشوه صورة نريدها لنا نحن أهل أوروبا". أنظر:

Sophie Bessis, L'Occident et les autres. Histoire d'une suprématie, Ed. La Découverte, Paris, 2001, (340 pages).

المقاربات الأمنية الاستئنصالية أو المقاربات القانونية الصارمة، في معرض إراحة المتطرفين والمتشددين من الساحة؛

1. 2. 2 وأما التيار الأصولي، في الديانات الثلاث، وليس في دين مُحدّد دون سواه،¹⁴ فإنه يعاني أساسا من فوبيا "شيطنة الغير" غير المحسوب على طائفته الدينية، قبل الحديث عن الغير غير المحسوب على المجال الديني الذي تنتمي إليه هذه الأصولية الدينية أو تلك.

فالأصولية اليهودية¹⁵ أو المسيحية¹⁶ أو الإسلامية¹⁷ غير مقتنعة بجدوى الحوار بين الأديان، ما دامت غير مقتنعة أساسا بجدوى الحوار مع باقي الفاعلين الدينيين الذين ينتمون إلى نفس مجالها التداولي، فالأحرى التفكير في إجراء حوارات والانخراط في ندوات ومشاريع تروج لحوار الأديان، نقول هذا، أخذا بعين الاعتبار معالم الأصولية الدينية في المجال التداولي الإسلامي، أن تنظيم "القاعدة"، - نموذجا - سوف يخرج للوجود "الرسمي"، في غضون 23 شباط/ فبراير 1998، من خلال الإعلان عن ولادة ما سُمي بـ"الجهة الإسلامية لقتال اليهود والصليبيين"، ولا داعي للتذكير بوجود أمثال تنظيم القاعدة، في الفكر والعقيدة، على الأقل، هناك في المجال التداولي اليهودي والمسيحي، قد نجد اختلافات وفوارق في الدرجة، ولكن لا تُجسّد فوارق في النوع، أي لا خلاف بين هذه الأصوليات الثلاث، في شيطنة الغير وتكفيره.¹⁸

¹⁴ ينبغي العلم هنا بأن الأصولية أو التشدد الديني أو التطرف الديني، لم تسلم منها أي ديانة سماوية أو طائفة دينية، ولسنا في حاجة للتوقف عند لائحة عريضة من الأمثلة الدالة في هذا الصدد. أنظر على الخصوص، أعمال الباحثة الأمريكية كارين أرمسترونغ، المُتخصصة في هذا الملف بالذات، ونذكر في مقدمة هذه الأعمال التي جعلت منها قلما مرجعيا عالميا، كتابها الأشهر: "معارك في سبيل الله: الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام".

Karen Armstrong, The Battle for God Paperback, Ballantine Books; 1 edition, January 30, 2001. (480 pages)

¹⁵ تنظيم "تجمع المؤمنين" اليهودي مثلا.

¹⁶ تنظيم "صوت المسيحي الحر" مثلا.

¹⁷ تنظيم "القاعدة" الإسلامي مثلا.

¹⁸ لاحظ الراحل محمد أركون، أن "الأصوليون في الجهة الإسلامية لا يستطيعون احترام الآخرين المختلفين دينيا أو مذهبيا لأنهم معتبرون أنجاسا وكفارًا بسبب عدم اعتناقهم لدين الحق كما يفهمونه. وهناك بالتالي مشكلة في النظرة إلى الآخر في كلتا الجهتين. وهذا الخلط أو التشويش يتجلى حتى في المعجم اللفظي المستخدم من قبل الخطاب السياسي الرسمي للغرب.. الذي يستخدم مصطلح "الإرهابيين الفاشيين" للدلالة على الأصوليين الإسلاميين الراديكاليين. إنه يفعل ذلك من دون أن يتساءل عن السبب الذي دفع ببعض هؤلاء إلى سلوك طريق العنف. كما

وَرُبَّ مُعْتَرِضٍ عَلَى التَّشْوِيشِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنِ التَّيَّارِينَ الْعِلْمَانِي وَالْأَصُولِي (لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين) ضد مشاريع حوار الأديان، سواء لدى الشباب - كما تشغل على ذلك هذه الدراسة - أو لدى القادة ورجال الدين، من منطلق أن هذه التيارات العلمانية والأصولية تُجسّد أقلية عددية في الساحة، هنا أو هناك، لولا أن واقع الحال، يُفيد بأنه رغم أقليتها العديدة، فإنها حاضرة بقوة، من خلال تأسيس الأحزاب وجمعيات والمؤسسات، ومن خلال توظيف الإعلام والثورة التكنولوجية وثورة الاتصالات في ترويج مشاريعها، وبالتالي، تساهم بشكل أو بآخر، في التأثير السلبي والمباشر على مشاريع حوار الأديان.¹⁹

قبل العروج على أهم الأعطاب الذاتية، حري بنا التوقف عند عطبين موضوعيين آخرين، قد يتفاعل معها الباحث على أساس أنهما هامشين، لولا أن استحضار دور الصورة وتأثير وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية اليوم من جهة، ودور مناهج التربية والتعليم من جهة ثانية، يضيف على هذين العطين الموضوعيين تميزاً لا يقل أهمية على العطين سالف الذكر، نقصد العطب النبوي الخاص بمضامين حوارات الأديان، والعطب المعرفي الخاص بتعامل الإيديولوجيات العلمانية والأصولية مع مشاريع حوارات الأديان.

أ - نتحدث أولاً عن التأثير السلبي للصور النمطية التي تروجها وسائل الإعلام على فئة الرأي العام وعلى الشباب بشكل أدق: لا يمكن حصر عدد الأدبيات والملتقيات والندوات التي خُصّصت لهذا الموضوع، أي تأثير وسائل الإعلام في المخيال (imaginaire) المُجتمعي لهذه الفئة من المجتمع أو تلك، وفي ربوع العالم بأسره، وليس هذا مقام التفصيل في مضامين هذه الأدبيات، ولكن ما هو شبه مُجمع عليه، وإذا استحضرننا مثلاً، معالم صورة المسلم لدى الغربي (المسيحي أو اليهودي)، أو معالم صورة الغربي (المسيحي أو اليهودي) لدى المسلم، أن وسائل

لا يطرح الخطاب الغربي المُسيطر أي تساؤل عن الدور السلبي للحركة التفكيكية العامة التي أدت إلى تعطيل جميع أنظمة الدمج الاجتماعي الموروثة والتي لم يحل محلها حتى الآن أي نظام جديد للفكر والمعرفة والممارسة". مجد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مرجع سابق، ط 1، ص 340.

¹⁹ بحكم المتابعة المباشرة لطبائع التدين في المجال التداولي الإسلامي المغربي، نجزم أن مشاركة أحد الفاعلين المغاربة (سواء كان رجل دين فقيه، علامة..)، أو مفكر، أو باحث..) في حوارات الأديان، إلى جانب رجال دين من ديانات وطوائف دينية أخرى، كفيل بصدور مقالات النقد والشيطنة ضد المعني، في أوساط الإعلام الإسلامي الحركي، وخاصة لدى التيار السلفي الوهابي، سواء تعلق الأمر بتيارات "السلفية العلمية" أو "السلفية الإصلاحية" أو "السلفية الجهادية"، وبدرجة أقل لدى التيارات الإسلامية الحركية.

الإعلام الرسمية والمستقلة، أو التابعة لحركات وتيارات طائفية أو إيديولوجية - زيادة على تفاعلات أحداث الساحة السياسية - تساهم بشكل مفصلي في تشكل صور نمطية (stéréotype) حول الغير/ الأخر؛ وبحكم أننا نحن من يتحكم في هذه الوسائط الإعلامية والمعلوماتية، فإننا أيضا، المسؤولون أولا وأخيرا على طبيعة الصورة النمطية التي نريد تسويقها حول الغير/ الأخر، كأن تكون صورة موضوعية، أو عنصرية، كأن صورة مغلوبة أو مُنصّفة، ولتُنتج مضامين وسائل الإعلام ومضامين الأعمال السينمائية ومضامين مواقع التواصل الاجتماعي، كامل الوقت والحرية في قراءة رسائل هذه المضامين، بين أن يتم اختزال صورة أتباع هذه الديانة أو تلك في خانة تليق بالأخلاق والإنسان والقيم المشتركة التي تجمع بين ساكنة البشرية أو في صور مغايرة تماما، تؤسس لثقافة الصراع والشيطنة والتكفير.

ب - ونتحدث ثانيا عن مخلفات مناهج التربية والتعليم في المجال التداولي الإسلامي، والتي، موازاة مع التأثير الذي ستخلفه لاحقا وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية، تساهم سلفا في تشكيل صورة الغير/ الأخر لدى الطفل فالشباب المسلم، ومعلوم عند دارسي مضامين المناهج التربوية والتعليمية أنها تُسَطَّر بناءً على حسابات سياسية ضيقة ومتوقعة، لأن القضية مرتبطة بهوية رقعة جغرافية مُحدَّدة، ولا تختلف الأمور كثيرا مع مضامين المناهج التربوية والدراسية التي يتغذى عليها الجهاز المفاهيمي للأطفال والشباب في المجالين التداوليين اليهودي والمسيحي؛ كما أن مضامين هذه المناهج - في الحالة الإسلامية نموذجاً - لا زالت قائمة على تعليم تقليدي، ولا تخرج عن مقررات توفيقية وتلفيقية، تغيب فيها مناهج ومدارس مقارنة الأديان، والفروق بين الدين والتدين، أو الدين والقيم الدينية... إلخ، بل يتم اختزال الدين المطلوب والمرجو في تدين "أهل السنة والجماعة"، عند السنة و"تدين آل البيت"، عند الشيعة،²⁰ وبالتالي يتم إقصاء باقي أنماط التدين في نفس المجال التداولي الإسلامي، فالأحرى باقي الأديان والطوائف الدينية.

2. في الأعطاب الذاتية

حري بنا التنبيه إلى مُسلمة أساسية ننتقل منها: إذا توقفنا مثلا، عند الأعطاب الذاتية لتفعيل هذا الحوار بين الأديان، والخاصة بالديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، يجب التسليم بأن هذه الأعطاب تبقى أعطابا مشتركة بين أتباع ومعتنقي هذه الديانات - نموذجاً - وليست خاصة بهذا الدين دون

²⁰ يُمثل الشيعة حوالي 18 في المائة من ساكنة العالم الإسلامي.

سواء، كأن تكون خاصة بمعتنقي الديني المسيحي دون سواء، أو خاصة بمعتنقي الدين الإسلامي دون سواء؛

على صعيد آخر، لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار مقتضيات وجود فوارق رئيسية بين معالم هذه الأعطاب، وترتبط مثلا بسؤال الدين وأنماط التدبير في هذا المجال أو ذلك، أو بجدلية الدين والسياسة،²¹ وترتبط أخيرا وليس آخرا، بالتعامل مع المقدس بشكل عام، أو الغيب، وهو التعامل الذي، كما هو معلوم، يتراوح بين تبجيل المقدس (عند المؤمنين عموما)، وتدنيسه (عند المؤمنين بأطروحة "الدين أفيون الشعوب" بتعبير كارل ماركس أو أطروحة "موت الإله" كما سطرها نيتشه)، ولو أن واقع الساحة اليوم، وهو "واقع لا يرتفع"، يؤكد أننا نشهد في العالم بأسره "عودة الدين"، أو "عودة الديني"، بإقرار أقلام ملحدة، قبل الأقلام المؤمنة أو المنتمية إلى هذا الدين أو ذاك، ونجد ضمن هؤلاء اليوم، المفكر الفرنسي الملحد ريجيس دوبريه (Régis Debray)، الذي أقر أنه كان ملحدا، لكنه، أسست معهدا أوروبيا لعلوم الدين لأنه بدا له بأن "الدين عصب حياة، ولا يمكن فهم العالم بدون مقارنة عالم المعتقدات".²²

تأسيسا على هذه المقدمة المفصلية والخاصة بالأعطاب الذاتية الخاصة بكل دين عندما نتحدث عن العوائق التي تحول دون مشاركة الشباب في حوارات الأديان، وأخذا بعين الاعتبار أيضا مقتضيات أثر عربي شهير في المجال التداولي الإسلامي، جاء فيه أن "أهل مكة أدرى بشعابها"، فإننا لن نتوقف عند أهم الأعطاب الذاتية الخاصة بالمجال التداولي اليهودي والمسيحي، مادام "أهل روما أدرى بشعابها" و"أهل نيويورك أدرى بشعابها" .. إلخ، بقدر ما سنتوقف عند معالم هذه الأعطاب الذاتية في المجال التداولي الإسلامي.

²¹ معلوم أن الدين في المجتمعات الإسلامية يكاد يكون أداة في يد السلطة الزمنية الحاكمة، مع وجود منافسة على النطق باسم الدين، من طرف فاعلين دينيين جدد، من قبيل التيار الإسلامي الحركي أو التيار السلفي الوهابي، في حين أن الأمر مختلف بشكل كبير في المجال التداولي الغربي (اليهودي والمسيحي)، حيث يُعتبر بمثابة ذروة عليا مستقلة تفرض هيبتها الأخلاقية والروحية بحرية على وحي جميع المواطنين.

²² يضيف دوبريه في هذا السياق، أن "العولمة تدفع نحو التطرف بسبب التجانس التقني والعلمي الذي هو السبب في عودة الهويات التي تمنحها الديانات أحسن من غيرها، كونها أبعد زمنيا من الإيديولوجيات. وفي المجلد فإن التحديث يساوي الغربية. وعودة الإغتراب والشمولية مرتبطان باتساع التحديث: وكلما عممت كوكاكولا في بلد ما كلما أكثرتم من رجال الدين". جاء ذلك في حوار مطول أجرته مجلة "إفريقيا - آسيا" مع جورج قرم وريجيس دوبريه، أنظر: Georges Corm et Régis Debray : le profane, le religieux et le choc des ignorances, propos recueillis par Georges Sassine et Mahed Nehmé, revue Afrique Asie, Paris, janvier 2013.

يمكن حصر أهم الأعطاب الذاتية التي نجدها في المجال التداولي الإسلامي²³ في عطين أساسيين:

2. 1 هناك أولا مازق الصراع على النطق باسم المرجعية الإسلامية: نقصد بالمرجعية الإسلامية مرجعية فاعل ديني ينهل أو ينتمي إلى مجال تداولي إسلامي، كأن يتعلق الأمر بفاعل ديني في إحدى المؤسسات الدينية، أو فاعل إسلامي حركي (من التيار الإخواني، نسبة إلى الحركات الإسلامية، أو التيار السلفي الوهابي، نسبة إلى التيارات السلفية الوهابية)، أو فاعل إسلامي صوفي.. إلخ، بما يتطلب التفريق بين الدين والتدين: فالدين، كما هو معلوم، يُعرّف بأنه مجموعة معتقدات ومقررات التي لها علاقة بأصول الرؤية البشرية، بينما التدين عبارة عن تمثّل لطبيعة تلك المرجعية الدينية (الإسلامية نموذجاً) عند فاعل ديني معين؛ أو عبارة عن التزام بعقيدة دينية وأداء فرائضها وطقوسها، وفق اجتهادات عقديّة أو مذهبية أو سلوكية. تكمن أهمية التنبيه إلى هذا العطب، لأننا نعاين ما وصفه المفكر اللبناني رضوان السيد بـ"الصراع على الإسلام"²⁴، أو الصراع على النطق باسم المرجعية الإسلامية، بحيث يعتبر كل فاعل ديني من هؤلاء الفاعلين (في المؤسسات الدينية، أو الحركات الإسلامية أو الطرق الصوفية..). أنه مؤهل أكثر من غيره للحديث باسم المرجعية الإسلامية في معرض تمثيل المسلمين في لقاءات وندوات محاضرات تتطرق لموضوع حوار الأديان.

يحدث هذا بشكل عام، وخاصة مع رموز هذه المؤسسات والحركات والطرق، وأن يحدث مع الشباب أولى، وواضح أن مقتضيات هذا المازق سوف تتعكس بشكل كبير على الأداء المنتظر للفاعلين الدينيين الشباب، لنقل، أنها ستعكس على الشباب المتدينين أو غير المتدينين في معرض الحديث عن حوار الأديان؛

لا يقتصر الأمر على هذه المرتبة من الصراع على النطق باسم المرجعية الإسلامية، يُبين مُجمل الفاعلين المتدينين سالف الذكر (قادة مؤسسات، زعماء حركات، مشايخ طرق صوفية..)، بل يمتد حتى إلى نفس الرقعة الدينية المحسوبة على نمط معين من التدين: إذا افترضنا جدا أن أنماط التدين عند المسلمين، تتفرع مثلا على تدين سلفي وتدين شعبي/صوفي وتدين إسلامي حركي وغيره، فإننا لن نعاين "الصراع على الإسلام" فقط بين هذه الأنماط من التدين، وإنما سنعاين

²³ بدهي أننا نجد نظيرا لهذين العطين في باقي المجالات التداولية، وخاصة منها اليهودية والمسيحية.

²⁴ رضوان السيد، الصراع على الإسلام، الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 2004.

نموذجاً مُرَكَّباً من "الصراع على الإسلام" في داخل هذه الأنماط، كأن نعاين مثلاً، "صراعا على الإسلام السياسي" في أوساط الحركات الإسلامية، أو "صراعا على التسلف" في أوساط التيارات السلفية وهكذا، بما يُحيلنا على تأمل مآزق العطب الثاني:

2. 2 يكمن المآزق الثاني في غَلَبَةِ الرؤية الاختزالية للدين عند الشباب المتدينين في الساحة العربية، إلى درجة يختلط فيها الدين مع التدين عنده، والتعامل بالتالي مع باقي الفرقاء، في نفس الرقعة الإسلامية، من رؤية استعلائية دينياً، فالأحرى التعامل مع باقي الفرقاء الدينيين غير المسلمين (من أتباع الديانة اليهودية والمسيحية، نموذجاً)؛

وسوف نأخذ نموذجاً تطبيقياً في هذا الصدد، ويتعلق بالتدين الإسلامي الحركي (نسبة إلى الحركات الإسلامية)، ومرتبط بشكل مباشر بدور الشباب تحديداً، ما دمنا نتحدث عن دور الشباب في تفعيل والمساهمة النظرية والعملية في الحوار بين الأديان، والحديث عن بعض مضامين دراسات وأبحاث صادرة عن فاعلين شباب، باسم "البحث العلمي"، لولا أن نتائج وخلصات هذا البحث العلمي، سوف تخضع لمقتضيات الانتماء الأيديولوجي للفصيل الإسلامي الحركي الذي ينتمي إليه أصحاب هذه الدراسة أو تلك.

نُعاين في المجال التداولي الإسلامي المغربي، وتحديدًا في الحقل الإسلامي الحركي (islamiste)، تنظيمان بارزان: حركة "التوحيد والإصلاح"، وهي حركة إسلامية مُعترف بها رسمياً، وتعتبر الحليف الاستراتيجي لحزب "العدالة والتنمية"، الذي يقود الحكومة المغربية الحالية، ويُصطلح عليها إعلامياً بحكومة "الربيع المغربي"، ثم جماعة "العدل والإحسان"، وهي حركة إسلامية غير معترف بها رسمياً، رغم أنهم تعتبر أبرز حركة إسلامية في الساحة المغربية.

أ - في ثنايا تقرير "المغرب في سنة 2012"،²⁵ الصادر عن "المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات"، وهو مركز بحثي تابع لجماعة "العدل والإحسان"، ويُحرر فيها شباب متدينين من الجماعة، وفي الشق الخاص بأداء الحركات الإسلامية، سوف نعاين تركيزاً أكثر على وزن الجماعة، مع تخصيص خمسة عناوين فرعية حول أداء الجماعة (من ص 31 إلى ص 37)، مقابل التقريم من حركة "التوحيد والإصلاح"، (من ص 37 إلى ص 40) لأنها حركة إسلامية

²⁵ تقرير المغرب في سنة 2012، الصادر عن المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 2013.

منافسة للجماعة، وبالتالي منخرطة في معركة "الصراع على الإسلام السياسي"، ونحن نتوقف فقط عند دلالات الفهرسة الخاصة بأداء الجماعة والحركة، وبالتالي، لن تخرج مضامين الأداء عند خلاصات الفهرسة: التضخيم من وزن الجماعة والتقزيم من وزن الحركة.

ب - نعاين نفس المعطى، ولكن في الاتجاه المعاكس هذه المرة، في فهرس ومضمون تقرير الحالة الدينية في المغرب بين 2009 و2010، الصادر عن "المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة"²⁶، وهو مركز بحثي تابع لحركة "التوحيد والإصلاح" وحزب "العدالة والتنمية"، ويحرر فيه شباب متدينين من الحركة والحزب، حيث نقرأ في لائحة الأسماء العلمية التي اعتبرها التقرير أنها تجسد رموز العلماء والخطباء، أو كما جاء في العنوان المعني: "نماذج من حركة العلماء والخطباء"، حيث نلاحظ غياباً لأي رموز إسلامية حركية خارج الدائرة الإسلامية الحركية التي تمثلها حركة "التوحيد والإصلاح"؛ ومقابل ذلك، وفي فهرس التقرير البحثي الصادر جماعة "العدل والإحسان"، تم وصف مُرشِد ومؤسس الجماعة بأنه "مُجدِّد" [ديني]، مقابل غياب أي إحالة على باقي المراجع الإسلامية الحركية.

وبشكل عام - وهذا أمر نعاينه بشكل واضح وجلّي في مواقع التواصل الاجتماعي - لا زال شعار "كل حزب بما لديهم فرحون"²⁷، شعار الساحة لدى مُجمل أطراف التيار الإسلامي الحركي: أعضاء حركة التوحيد يخاطبون أنفسهم، أعضاء جماعة العدل والإحسان يخاطبون أنفسهم، أعضاء تيار سلفي تابع لمرجع سلفي يخاطبون أنفسهم، أعضاء تيار سلفي محسوب على "الجهاديين" يخاطبون أنفسهم، وبمجرد انخراط هذا العضو أو ذلك في نقاش مع فاعل من حركة إسلامية أو سلفية منافسة، تبدأ النقاشات والجدل والخلاف الذي قد ينتهي إجمالاً بتمرير الاتهامات، وأخذاً بعين الاعتبار أن أغلب المتفاعلين في مواقع التواصل الاجتماعي مُصنّفون في خانة الشباب، فلنا أن نتصور ما الذي يمكن أن يصدر عنهم في معرض تمثيل المسلمين على هامش المشاركة في ملتقيات حوار الأديان: بمعنى آخر، التيار الإسلامي الحركي (في شقيه الإخواني والسلفي)، ومع أنه يُمثل أقلية حركية في المجال التداولي الإسلامي، فإنه لا يتردد في نقد المخالفين ليس فقط خارج الدائرة الإسلامية الحركية، أي نقد من لا ينتمي إلى حركة إسلامية أو

²⁶ تقرير الحالة الدينية في المغرب بين 2009 و2010، الصادر عن المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، الرباط، ط 1، 2013.

²⁷ الإحالة هنا على آية جاءت في القرآن الكريم: سورة المؤمنون، الآية 32.

تيار سلفي، وإنما يمتد الأمر حتى إلى نقد تدبّر فاعلين دينيين ينهلون من مرجعية إسلامية حركية، وبالتالي، يصعب في هذه الأجزاء توقع مساهمات نوعية لمشاركة الشباب المتدينين، ينهل من هذا التدبّر الحركي في ملتقيات وندوات حوارات الأديان.

ليس هذا وحسب، إذا سلّمنا أننا أرحنا جانبا الأعطاب الموضوعية التي تقف وراء مشاركة الشباب في حوارات الأديان، كما تطرقنا إليها سلفا، فإن هذا العطب الذاتي يبقى عقبة بنوية ومفصلية في الأمر، لأنه أمر "لا مفكر فيه" (impensable) لدى المعنيين به، نقصد أن الشباب المتدين المحسوب على مرجعية إسلامية حركية (إخوانية أو سلفية)، لا يعتقد أساسا أنه يعاني من هذا العطب الذي يحول أن يذهب بعيدا في لقاءات حوار الأديان، ما دام مقتنعا، أن نمط تدبّره، يبقى الأقرب إلى النسخة "الإسلامية النقية"، و"الأكثر أرثوذكسية"، ليس فقط مقارنة مع عامة وخاصة المسلمين، ولكن حتى مع باقي الفاعلين الدينيين الذين ينهلون من مرجعية إسلامية حركية.

تزداد حسابات الشباب تعقيدا عندما نستحضر أننا تحدثنا فقط عن الشباب المسلم في مجال تداولي إسلامي، في حين أن الأمور مختلفة ومُعقدة بشكل كبير مع الشباب المسلم المقيم في الدول الغربية (أوروبا وأمريكا مثلا)، حيث تبرز قلائل موازنة هؤلاء الشباب بين قيم الإسلام وقيم المجتمع الغربي التي يعترض عليها الكثيرون، والإحالة هذه المرة، على أكبر التحديات التي تواجه جميع الأقليات المسلمة المقيمة في الغرب، والتي، في الحالة الأمريكية مثلا، برأي إحدى الباحثات، "أصبحت بين خيارين اثنين، بشكل أو بآخر، من منطلق أن غياب الباحثين الإسلاميين الذين تلقوا تعليمهم ونشأوا في الدول الغربية: إما أن يتبع شباب المسلمين ما يعظّم به الأئمة المتوفرون، مع علمهم بأنه قد لا ينطبق مع حياتهم الحديثة، وإما أن يفسروا النصوص المقدسة بأنفسهم، مع وجود المخاطرة بأن تؤدي استنتاجاتهم إلى تحريف التعاليم الإسلامية".²⁸

²⁸ تضيف الباحثة الأمريكية المسلمة جنيف عبده في هذا الصدد، أن "من بين أكثر الصفات المثيرة لشباب المسلمين في أمريكا هي قدرتهم على انتقاء واختيار تلك الجوانب في القيم والثقافة الأمريكية التي يريدون تبنيها، وتلك التي يرغبون في رفضها"، وأن "شباب المسلمين الذين قدّمتم صورة لهم قد يعتبرون هويتهم الإسلامية أكثر أهمية من هويتهم الأمريكية، ولكن ذلك لا يعني رفض ما تقدمه لهم أمريكا، ولكن الأخرى، أن الأمريكيين المسلمين يمكن أن يكونوا أول مجتمع إسلامي في العالم يتصالح مع ما أصبح يُعتقد أنه صراع بين العالم الإسلامي والغرب". لمزيد من التفصيل في اجتهادات الباحثة، أنظر كتابها القيم: Geneive Abdo, Mecca and Main Street.. Muslim Life in America After 9/11, Oxford University Press, USA (August 10, 2007). صدرت ترجمة عربية للكتاب، أنظر: مكة والاتجاه

لقد أوردنا هذه الأعطاب الذاتية، الخاصة بالمجال التداولي الإسلامي، من باب احترام مقتضيات النقد الذاتي الذي نمارسه على العقل الإسلامي (la pensée islamique) والمأمول أن نسمع ونقرأ دراسات ومقالات تندرج في سياق النقد الذاتي الخاص بالعقل اليهودي والعقل المسيحي، حتى لا يتم اختزال وحصر الأعطاب الذاتية فقط عند المسلمين دون سواهم.

بتعبير أفصح: هذه قراءة أولية مُركزة في أهم الأعطاب التي تحول دون مشاركة الشباب في مشاريع حوارات الأديان، ومع أننا توقفنا عند معالم هذه الأعطاب في المجال التداولي الإسلامي، فإننا نحسب، بل نعتقد جازمين، أن الأمر لا يختلف كثيرا عن معالم الأعطاب اللصيقة بباقي المجالات التداولية الدينية، على الأقل تلك التي تهتم المجال التداولي اليهودي والمجال التداولي المسيحي، ومن هنا جسامة المسؤولية الأخلاقية المُلقاة على عاتق النخب الدينية والفكرية في مُجمل هذه المجالات، من أجل التنظير أولا لمواجهة هذه الأعطاب، والعمل الميداني ثانيا من أجل سحب البساط عنها.

والله الموفق.

العام: حياة المسلمين في أمريكا بعد الحادي عشر من سبتمبر، جنيف عبده، ترجمة ليلي زيدان، مراجعة رباب زين الدين، دار النشر: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ط، 1، 2009.

مُعَوَّقات مشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان

الملخص

نستعرض في هذه المداخلة أبرز معوّقات مشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان من وجهتي التكوين المعرفي والتربوية على آداب الحوار. ذلك أنّ الإشكالية الرئيسية التي يتأسس عليها الحوار بين الأديان تتمثل، في نظرنا، في مدى قابليّة المحاور نفسه لكسب رهان الحوار. وقد تبدو فئة الشباب بحكم طبيعتها الجريئة والصريحة والطموحة أكثر الفئات الاجتماعية تفتحا على فضاءات الحوار وعلى فرص تبادل المعارف والخبرات، غير أنّ التجربة الميدانية أثبت وجود معوّقات ذاتية (نفسية، ذهنية، لغوية الخ..) في هذا المستوى تحديدا كما بيّنت الحاجة الملحة إلى تكوين خصوصيّ لشخصيّة المحاور الشاب في مجال حوار الأديان. كذلك، تبرز معوّقات أخرى مرتبطة بطبيعة الحوار بين الأديان من وجهة نظر عقائدية ومعرفيّة تتطلب منهجية خاصة وبنية حوارية ذكية لا تتوفر مقوماتها الإبيستيمولوجية عند الشباب إلا في إطار منظّم وموجّه بعناية دون مصادرة الطبيعة العفوية والجرأة الذهنيّة والنفسية التي يميّزون بها. أخيرا، نتعرّض في مداخلتنا هذه إلى عائق سلوكي-أخلاقي وفي نفس الوقت اجتماعي-ثقافي كثيرا ما يؤدي إلى فشل الحوار الشبابي في المسألة الدينية كما في غيرها من المسائل ويتمثل في نقص التربية على آداب الحوار في مجتمعاتنا العربية-الإسلامية المعاصرة رغم تمثّلنا الجماعي لأنموذج النبوة الكريمة والقيم القرآنية الإسلامية السمة. فالبون يبقى شاسعا بين النظرية والتطبيق خاصة وأننا لم نعدّ شبابنا في مناهج التعليم ولا في بيئتنا الاجتماعية على ممارسة الحوار وفق آدابه المكرّسة في تراثنا العظيم ووفق ما نستخلصه من الثقافات الإنسانية الأكثر حيوية وتفتّحا في عصرنا الراهن.

المقدمة

نستعرض في هذه الورقة أبرز معوّقات مشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان من وجهتي التكوين المعرفي والتربوية على آداب الحوار. وقد اعتبرنا أوّلا

¹ الأستاذ الدكتور نبيل خلدون قريسة [nabil.grissa@topnet.tn] أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة منوبة-تونس، ومنسق مشروع الحوار التونسي-الألماني للثقافات والأديان من الجانب التونسي.

أنه لا فائدة في الحديث عن عائق عدم تشريك الشباب أصلاً في حوار الأديان في مجمل بلادنا العربية واقتصرنا على تشريك الكهول والشيوخ على أساس الخبرة والمعرفة العلمية المتخصصة أو الواسعة الخ.. وهو ما يقع عادة في أطر مؤسساتية رسمية وأهلية. كما اخترنا استعمال لفظة "مُعَوَّق" بدل لفظة "عائق" لارتباط الأولى أكثر بالإرادة الذاتية وبالتالي بمقومات الشخصية الفردية والجماعية.²

ذلك أنّ الإشكالية الرئيسية التي نطرحها في هذه المداخلة تتمثل في مدى قابلية الشباب المسلم للنجاح في رهان الحوار بين الأديان أي في الحوار مع الشباب من ديانات أخرى سواء كانت توحيدية أم غير توحيدية.

لكن ما معنى الحوار؟

ليس الحوار تفاوضاً ولا بحثاً عن تنازلات أو تقاسم أدوار أو وظائف أو منافع أو مواقع... ولا عن مكاسب ونجاحات وهمية أو إفحام ظرفي وغلبة أو انتصار للأنا في ظلمة محيط تعزل فيه نفسها ظناً منها أنّ وجودها وحدها هو المعنى الثابت للحقيقة المطلقة. بل الحوار/المحاورة بحثٌ عن قواسم مشتركة من خلال الاستفادة من الآخر وإفادته لكسب معركة الوجود المشترك لا الوجود المنعزل المطلق بإقصاء الآخر أو نفيه أو محوه أو إذابته في الأنا.

² ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين): *لسان العرب*، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي وموسسة التاريخ العربي، 1999 (ط 3)، مادة "عوق"، ج 9، ص 476-477: "عوق: رَجُلٌ عَوْقٌ: لَا خَيْرَ عِنْدَهُ، وَالْجَمْعُ أَعْوَاقٌ. وَرَجُلٌ عَوْقٌ: جَبَانٌ، هَذَلِيَّةٌ. وَعَاقَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَعْوِقُهُ عَوْقًا: صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ، وَمِنْهُ التَّعْوِيقُ وَالْإِعْثَاقُ، وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا فَصَرَفَهُ عَنْهُ صَارِفٌ... وَتَقُولُ: عَاقَنِي عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَدْتُ عَاقِقٌ وَعَاقَنَتْنِي الْعَوَاقِقُ، الْوَأَجْدَةُ عَاقِقَةٌ، قَالَ: وَيَجُوزُ عَاقَنِي وَعَقَانِي بِمَعْنَى وَاجِدٍ. وَالتَّعْوِيقُ: تَرْبِيبُ النَّاسِ عَنِ الْخَيْرِ. وَعَوْقَهُ وَتَعْوَقَهُ؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ ابْنِ جَنِّي، وَاعْتِقَاقَهُ، كُلُّهُ: صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ. وَرَجُلٌ عَوْقَةٌ وَعَوْقٌ وَعَوْقٌ أَي دُو تَعْوِيقٍ؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ أَي دُو تَعْوِيقٍ لِلنَّاسِ عَنِ الْخَيْرِ وَتَرْبِيبِ لِأَصْحَابِهِ لِأَنَّ عِلْلَ الْأُمُورِ تُحْبِسُهُ عَنْ حَاجَتِهِ... كَذَلِكَ عَيْقٌ، وَقِيلَ: عَيْقٌ إِنْبَاقٌ لَضَيْقٍ. يُقَالُ: عَوْقٌ لَوْقٌ وَضَيْقٌ لَبِيقٌ عَيْقٍ. وَرَجُلٌ عَوْقٌ: تَعْتَقُفُهُ الْأُمُورَ عَنْ حَاجَتِهِ... وَالْعَوْقُ: الرَّجُلُ الَّذِي لَا خَيْرَ عِنْدَهُ... وَالْعَوْقُ: الْأَمْرُ الشَّاعِلُ. وَعَوَاقِقُ الدَّهْرِ: الشَّوَاغِلُ مِنَ أَعْدَائِهِ. وَالتَّعْوِيقُ: التَّنْبِيطُ. وَالتَّعْوِيقُ: التَّنْبِيطُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾، الْمُعَوِّقُونَ: قَوْمٌ مِنَ الْمُتَأَمِّقِينَ كَانُوا يُبْطِئُونَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُمْ: مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا أَكْلُهُ رَأْسٌ، وَلَوْ كَانُوا لَحْمًا لَأَلْتَقَمَهُمْ أَبُو سُهَيْبَانَ وَجَزْبَهُ، فَخَلَّوهُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيْنَا فَهَذَا تَعْوِيقُهُمْ إِيَاهُمْ عَنْ نُصْرَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ تَفْعِيلٌ مِنْ عَاقٍ يَعْوِقُ...". نَعْتَبِرُ أَنَّ الْعَائِقَ فَاعِلٌ خَارِجِي فِي حِينِ أَنَّ الْمَعْوَقَ قَدْ يَكُونُ خَارِجِيًا وَقَدْ يَكُونُ دَاخِلِيًا مِثْلَ الْإِنْتِشَالِ وَالْجَبْنِ وَالنَّفَاقِ...

فالحوار اعترافٌ بالآخر من خلال الاعتراف بالأنا عند الآخر، وهو بحث سلمي هادئ عن المشترك وعن التعايش وتبادل المنافع وعن السلام الدائم والصادق. لذلك نجده في اللغة بمعنى التفاعل العقلي والتبادل الخبير وحتى التشاور والتناصح على أساس العقل المشترك بين كل البشر: "المُحَاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الْمُنْطِقِ وَالْكَلامِ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَقَدْ حَاوَرَهُ. وَالْمُحَوَّرَةُ: مِنَ الْمُحَاوَرَةِ مَصْدَرٌ كَالْمَشْوَرَةِ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ كَالْمَحَوَّرَةِ... أَبُو عَمْرٍو: الْأَحْوَرُ الْعَقْلُ، وَمَا يَعِيشُ فَلَانٌ بِأَحْوَرَ أَي مَّا يَعِيشُ بِعَقْلٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ"³.

والحوار/التحاور/المحاورة، بما هو تعبير مباشر عن وجود للأنا يعكس اعتراف الآخر بها، يؤسس لهويتها وذاتيتها واستقلاليتها في نفس الوقت الذي يؤسس لحياتها بأبعادها الواسعة المتجددة الخلاقة ويبعد عنها أبعد ما يكون المدى مخاطر الموت والفناء والجمود والعزلة...

وإذا كان القرآن الكريم يقدم لنا محاورات أساسية ومرجعية (بين الله تبارك وتعالى و آدم وبين الله عز وجل وإبليس وبين آدم وإبليس ثم بين ابني آدم وبعدها بين نوح وقومه ثم بين إبراهيم وأبيه وقومه وبين موسى وفرعون وهكذا دواليك على امتداد النص القرآني تسلسلياً وتناسقياً)، فإنه يبين لنا بالخصوص أنّ جوهر الحوار ليس إرادة فرض الرأي أو الحكم أو التصور بل إنّ جوهره التقريب بين الآراء والأحكام والمواقف المتنافرة بله المتناقضة والسعي الصادق إلى إقناع الآخر بمعنى كسبه بنزاهة وصراحة لأجل خيره هو قبل خير الذات المحاوره ولمنفعته هو قبل الانتصار للمصلحة الذاتية.⁴ فالحوار أخلاقي المعنى والقصد أو لا يكون.

المُعَوَّقات الذاتية لمشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان

الشباب طاقة حياة وإبداع وتحذّ وجراة وتجاوز. والشباب الفَتَاءُ، ومنه "الْفُتُوَّة"، تلك القيمة الكبرى عند العرب. في المعجم: "الشَّبَابُ: الْفَتَاءُ، كَالشَّبِيبَةِ. وَقَدْ شَبَّ يَشْبُ، وَ- جَمْعُ شَابٍ، كَالشَّبَّانِ، وَأَوَّلُ الشَّيْءِ، وَبِالْكَسْرِ: مَا شَبَّ بِهِ، أَي: أَوْقَدَ، كَالشَّبُوبِ. وَشَبَّتِ النَّارُ، وَشَبَّتْ شَبًّا وَشُبُوبًا، لِأَزْمٍ مُنْعَدٍ، وَلَا يُقَالُ: شَابَتْ، بَلْ: مَشْبُوبَةٌ، وَ- الْفَرَسُ يَشْبُ وَيَشْبُ شِبَابًا، بِالْكَسْرِ، وَشَبِيبًا وَشُبُوبًا: رَفَعَ يَدَيْهِ، وَالخِمَارُ وَالشَّعْرُ لَوْنَهَا: زَادَا فِي حُسْنِهَا، وَأَظْهَرَآ جَمَالَهَا. وَأَشْبَبَ: شَبَّ وَوَلَدَهُ. وَالشَّبُوبُ:

³ ن.م.، مادة "حور"، ج 3، ص 384-385.

⁴ ضمرة (معن محمود عثمان): "الحوار في القرآن الكريم"، أطروحة في أصول الدين، إشراف الأستاذ محمد حافظ الشريدة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، 2005؛ فضل الله (محمد حسين): *الحوار في القرآن: قواعد، أساليبه، معطياته*، بيروت، دار الملاك، 1996 (ط 5).

المُحَسِّنُ لِلشَّيْءِ، وَالْفَرَسُ تَجُوزُ رِجْلَاهُ يَدَيْهِ، وَمَا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، وَالشَّابُّ مِنَ النَّيِّرَانِ وَالْعَنَمُ، وَالْمُسِينُ كَالشَّبَبِ وَالْمُشَبَّبُ وَالنَّسَبُ: الإيقاد، كالتسبوب، وارتفاع كلِّ شَيْءٍ... وَاِمْرَأَةٌ شَبَّتُ: شَابَتْهُ وَأَسْبَبَ لَهُ: أُتِيحَ، كَشَبَّ، بِالضَّمِّ فِيهِمَا... وَالنَّشْبِيُّ: النَّسَبِيُّ بِالنِّسَاءِ. وَالشَّبَابُ، بِالنَّسَبِ: كَالشَّبَابِ، بِالنَّسَبِ: النَّشَابُ، وَرَفَعَ الْيَدَيْنِ. وَأَشْبَبْتُهُ: هَيَّجْتُهُ، وَ- النَّوْرُ: أَسَنَّ، فَهُوَ مُشَبَّبٌ وَمُشَبَّبٌ. وَالْمُشَبَّبُ: الْأَسَدُ. وَنِسْوَةٌ شَبَابُ: شَوَابٌ...⁵

فالشباب قوة حياة ونشاط وحسن وجمال... وقد نعت القرآن الكريم الفتوة بالرشد أي النضج العقلي في مثل قصة ابراهيم الخليل:

"وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهٖ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَاجِبُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ. قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ- إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَاتُوا بِهٖ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفِ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (سورة الأنبياء: 51-67).

وكذلك الأمر في قصة أهل الكهف:

"أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ نَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِ إِلَٰهٍ لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ءِلَٰهِنَا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ مِّنْ أَظْلَمِ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا" (سورة الكهف: 9-15). و"السلطان البين" هنا هو البرهان أو الحجّة الدامغة.⁶

⁵ الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2005 (ط 8)، مادة "الشباب"، ص 99.

⁶ ابن عاشور (مجد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ج 15، ص 275: " وَالسُّلْطَانُ: الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ. وَالْبَيِّنُ: الْوَاضِحُ الدَّلَالَةُ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِذْ لَمْ يَأْتُوا بِسُلْطَانٍ عَلَىٰ ذَٰلِكَ فَقَدْ أَقَامُوا اِعْتِقَادَهُمْ عَلَى الْكُذْبِ وَالْحَطَا، وَإِذْ لِكَ فَرَعَ عَلَيْهِ جُمْلَةً فَمَنْ أَظْلَمُ

فهل يعني هذا أنّ الشباب-الفتوة-فتوة عقلية راشدة تماما؟ ليس هذا هو المقصود فيما رأينا وإنما نعتبر أنّ المعنى المقصود هو الأهلية العقلية للشباب حتى لا يقتصر على الخصال الجسدية وحدها (القوة العضلية، الصحة، الجمال...)، عندئذ يمكن أن توضع فيه الثقة كي يتحمّل المسؤولية في مجتمعه عن جدارة. وقد تبدو لنا فئة الشباب بحكم طبيعتها الجريئة والصريحة بل العفوية والطموحة في أن واحد أكثر الفئات الاجتماعية تفتّحاً على فضاءات الحوار وعلى فرص تبادل المعارف والخبرات، وهذا أمر صحيح إلى حدّ بعيد، إذ أنّ الشباب أكثر إقبالاً على وسائل الاتصال الحديثة ("الانترنت") وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك" و"تويتر" الخ.. وأيسر تكيفاً معها نفسياً وذهنياً (حيث يمكنه قضاء أوقات طويلة بدون انقطاع أو ملل أو عناء).

وقد حذّر الباحثون من إفراط الأطفال والشباب في استعمال "الانترنت" وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية والمواقع الضارة التي تنشر "ثقافة" العنف والكرهية والإرهاب والإباحية، واعتبر بعضهم أنّ هذه الآفة تعود إلى سوء استغلال أوقات الفراغ.⁷

لكننا، أيضاً، ندرك اليوم أكثر من قبل أنّ ما يسمّى بأوقات الفراغ ليس (أو لم يعد) غير وجه من وجوه حصص التكوين الثقافي والبناء المعرفي التي ينبغي استغلالها أحسن استغلال.

وفي الواقع، لم تمنع كلّ تلك المحاذير من مزيد انتشار ظاهرة الإدمان على الاستعمال العشوائي للوسائط الجديدة ولم ينجح حتى في التقليل منه. ورغم محاولات البيئات الأسرية والمدرسية والمؤسسات الرسمية المعنية بمراقبة مثل هذه الانحرافات وتقليلها أو منعها، إلا أنّ مداخل هذه المواقع باتت مستعصية على المنع والرقابة في ظلّ تنامي تقنيات التحايل وفنون المراوغة. وفي كلّ الأحوال، يبقى الوعي الثقافي الراقى والتحليّ بالقيم الأخلاقية الرفيعة وبروح المسؤولية أفضل وسائل الحماية من مخاطر المواقع والوسائط المذكورة.⁸

هذا، مع العلم أنّ الشباب لا يجد غضاضة في أن يتفاعل مباشرة ودون عُقد أو قيود مع المتعاملين والمستفيدين الأجانب من هذه التقنيات والوسائط الاتصالية الجديدة المتجددة باستمرار وبسرعة مذهلة والمفتوحة في سياق العولمة

مَمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا". ونجد نفس المعنى في هذه الآيات: "مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ. فَاتُّوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة الصافات: 154-157).

⁷ منصور (عبد المجيد سيد أحمد): توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، 1411هـ/ 1991م.

⁸ جماعي: قضايا الشباب، الواقع والتطلعات، الرياض، إدارة الدراسات والبحوث، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 1425هـ/ 2004م.

بأشكال غير مسبوقة في تاريخ البشرية. ويبدو الشباب أيضا أقدر من الأجيال السابقة على التعلّم السريع والمعمّق لمبادئ هذه التقنيات الاتصالية ولأعسر مكانها الفنية وبرمجياتها وتفاصيل استخداماتها بل وأسرارها وحيل مستعملها الأذكىاء. فهو بذلك يصبح مؤهلا - نكاد نقول "طبيعيًا"- لبلوغ أعلى درجات التفاعل الحواري والتبادل المعرفي عبر هذه الوسائط الجديدة، بحيث يمكنه بكامل القدرات الذاتية والشروط الموضوعية أن يستخدم أفضل استخدام وأنجعه لتبادل المعارف والخبرات...

بقي الآن أن نحدّد مدى صلاحية أو إيجابية أصناف المعارف والخبرات المتبادلة، أي مدى قدرة الشباب على الفرز داخل الكمّ الهائل من هذه المعلومات التي يتلقاها في كلّ لحظة وانتقاء ما يفيد بدل ما يضرّه. هنا، تأتي أولى المشاكل التي تعترض الشباب وتعترض المتابع له في مستوى تصوّر دوره في مجال الحوار الثقافي. فالشباب الطموح والمنفتح والحيوي يمكنه أن يكون أكثر هشاشة نفسيةً وذهنيةً ممّا نتوقع في مستوى تعامله مع الآخر الذي قد يبدو له بسهولة أرفع درجة معرفية وأقدر على إسدائه الدروس والتوجيهات المنهجية والفنية، نظرا إلى السبق الذي قد يتمتّع به هذا المحاور الأجنبي -خاصة الغربي- في المجال المعرفي المعاصر كثير التشعبات.⁹

من ناحية أخرى، يبدو الشباب أقرب إلى التسليم السريع بالاستعمال "السلبى" (أي المطاوع) لأدوات التواصل الموجودة على الشبكة العنكبوتية بما فيها الأداة اللغوية والذوبان فيها دون حرج أي دون محاولة المراجعة النقدية والسعي إلى استعمال المرجعيّات الثقافية الخاصة بمجتمعه مثل اللغة القومية، فتجده يبحث عن سهولة التواصل وسرعة كطف الثمار وحتى عن القبول الحسن من الطرف المقابل،¹⁰ بدل البحث عن التعبير المستقلّ عن الذات والمعتدّ بها والواثق فيها ومحاولة الدفاع عن الخصوصية عند انتهاكها أو احتقارها أو إهمالها...

لذلك، يصبح من أوكد الأولويات في المرحلة التاريخية التي نعيشها اليوم أن نساعد شبابنا على تمثين شخصيته الفردية والجماعية ودعم قدراته على التحوار باقتدار وبنجاحة في نفس الوقت، مع الحفاظ على كينونته الاجتماعية-الثقافية بكلّ مميّزاتها الخاصة دون الانغلاق على الذات وبطبيعة الحال دون فقدان الاستقلالية الذاتية.

⁹ قميحة (جابر): آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، 1991.

¹⁰ صوفي (عبد القادر بن محمد عطا): آثار العولمة على عقيدة الشباب، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، 2006، ص 12.

علينا أيضا أن نساعد شبابنا على بناء شخصية قويّة معتدّة بنفسها واثقة في قدراتها وفي انتمائها الحضاري، ولبلوغ هذا الهدف تسعفنا البحوث الجديدة لعلم النفس السلوكي في تحديد ملامح الشخصية المتوازنة الواثقة في نفسها وكيفية تنشئتها،¹¹ وذلك في إطار رؤية واضحة وحراكيّة للهويّة الثقافية وللانتماء الحضاري تفاعلا مع التراث العربي-الإسلامي الكبير وفي نفس الوقت مع التراث الإنساني المشترك.¹² ويتطلب هذا الأمر، أيضا، تكويننا معرفيًا عميقًا ومتجددًا حتى لا تُفرض عمليّة التثاقف التي توفّرنا مناسبات الحوار وتلاقي الهويّات الثقافية المتنوّعة أزمةً علاقات بين هويّات متفاوتة القدرة على كسب رهان التثاقف الحقيقي على قاعدة المساواة الثقافية.¹³

ويزداد الأمر دقّة عندما يتعلّق بموضوع حوار الأديان تحديدا، حيث يتطلب تكويننا خصوصيّا لشخصيّة المحاور الشاب الذي قد تتفاقم لديه عقدة الآخر إلى درجة الانبهار به أو التماهي معه والذوبان فيه والاعتراب الخ... دون أن يكون ذلك بالضرورة نتيجة الوعي العقلي أو الاقتناع المنطقي. في هذا المستوى وفي هذا المجال تحديدا، ينبغي أن تكون شخصية المحاور واثقة في ذاتها، واضحة المعالم، مُبينة المنطق لكن لا يعتورها الغرور والاكتفاء بالذات وكأنها كاملة لا تحتاج إلى أن تتعلّم أو أن تراجع قناعاتها أو تتواضع أمام الحقيقة أو أمام الآخر المختلف. فالتكبر والغرور والتعالي آفات قاتلة وهي عدوة الحوار كما هي محبطة لكلّ طرف صادق في الحوار.

¹¹ نجد خاصة نظريات علم النفس الاجتماعي حول تكوين الشخصية باعتبارها تركيبة معقدة ناتجة عن عملية التمثيل الاجتماعي الرمزي والذهني للفرد (وللجماعة) في تفاعل مستمر مع الواقع المادي. انظر:

- Fischer (G.-N.): *Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale*, Paris-Montréal (Canada), Bordas/Dunaud-Presses Universitaires de Montréal, 1987, p. 93-124.

- Benesch (H.): *Atlas de la psychologie*, Paris, Le Livre de Poche (La Pochothèque), 1995, p. 292-293 et p. 368-369.

¹² قريسة (نبيل خلدون): "إشكالية التعايش الثقافي في تونس عبر التاريخ"، في: *الدين وثقافة التعايش في العالم: الواقع والرهانات*، ندوة من تنظيم "منتدى حوار الحضارات والأديان والثقافات" لحركة نداء تونس بالتعاون مع "مؤسسة كونراد أديناور"، تونس 2013، ص 91-117؛ عبد الرحمن (طه): *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، الدار البيضاء بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000 (ط2).

¹³ باري (بريان): *الثقافة والمساواة*، نقد مساواتي للتعددية الثقافية، ترجمة: كمال المصري، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (382-383)، جزءان، نوفمبر - ديسمبر 2011.

المُعَوَّقات الموضوعية لمشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان
ترتبط بطبيعة الحوار بين الأديان، أو حوار الأديان أو على الأصح الحوار حول الأديان، معوّقات خاصة من وجهة نظر إيديولوجية أو ناتجة عن المستويات العقائدية والمعرفية الدينية التي تنتمي إليها الظاهرة الدينية نفسها.¹⁴ وتتطلب هذه الطبيعة الإيديولوجية لمقاربتها منهجية مناسبة وبنية حوارية ذكية وطبيّة ومتعدّدة المستويات في نفس الوقت تعتمد بناء إبيستيمولوجيًا متينا -أي في صلب المنهجية المعرفية والنقدية¹⁵ - لا يتوفّر بسهولة لدى الشباب في تكوينه الذي تسمح به مؤسساتنا التعليمية اليوم مع ما تتميز به من السطحية ومن البحث عن النتائج السريعة.

وقد تنبّه عدد كبير ممّن اهتمّ بموضوع حوار الأديان إلى هذه الصعوبات وركّز البعض منهم على ضرورة التعرّف المباشر والمعمّق على الأديان الأخرى قبل الدخول في حوار معها، بعيدا عن الأفكار المسبقة وخاصة بمنأى عن وهم صراع الحضارات الذي ادّعاه "سامويل هنتنغتون" قبل سنوات.¹⁶
وقد لا يكون الأمر سهلا خاصة وأننا لم نكد نخرج بعد من إطار هذا التصادم الذي لا يزال متلبّسا بطرفي الحوار، حيث أنّه في بلادنا العربية والإسلامية لا يزال مفهوم الغلبة والإفحام طاغيا،¹⁷ وكذلك في البلاد المسيحية لا

¹⁴ قريسة (نبيل خلدون): "مقدمة لدراسة المعتقدات الدينية بإفريقيّة في العصر الوسيط"، مداخلة في ندوة "شهر التراث" بدار الثقافة بتيباز - تونس (يوم 8 ماي 2004). وفي الحقيقة، كما قال "إدغار موران"، لا تتحاور الثقافات والأديان بل يتحاور أصحابها أو معتقوها. انظر الحوار مع الفيلسوف الفرنسي الكبير "إدغار موران" Edgar Morin في موقع: <http://culture-et-debats.over-blog.com/article-320738.html>.

¹⁵ راجع: Jacques Derrida, Gianni Vattimo (dir.): *La religion*, Paris : Seuil, 1996.

¹⁶ انظر على سبيل المثال مقال: Védrine (Olivivier): "Dialogue des cultures et des religions: L'exemple des 'Universités de la Paix de Lourdes'", in <http://www.cafebabel.fr/leurope-a-table-2/article/dialogues-des-cultures-et-des-religions-lexemple-des-universites-de-la-paix-de-lourdes.html>

¹⁷ لا يزال كثير من كتاباتنا يعيد إنتاج منطق المُحاجّة قصد إفحام الخصم كي يسلم بالحقيقة التي نعتقدها، في الوقت الذي أصبح أكثر لزاما علينا تيسير السبيل أمام المحاور لنا لاستكشاف هذه الحقيقة - التي نؤمن بها لكننا لا نملكها ولا نحترها ولا نصادرنا لمصلحتنا الذاتية (فالإسلام دين كوني)- وفق مبدأ الرحمة لا المغالبة: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الأنبياء: 107). لا يزال أمامنا، إذن، عمل كبير كي نستعيض عن مثل هذه الرؤية القاصرة في عصر العولمة برؤية إسلامية متفتحة واثقة في نفسها وعلمية المنهج والغاية.

تزال رواسب الحروب الصليبية حيّة¹⁸ وهو ما ينعكس سلبا على تنشئة الشباب على روح التسامح هنا وهناك. لذلك، لا بدّ من إسناد الشباب المسلم في حواره الديني داخل إطار منظم ومهيكل بعناية فائقة في هذه المستويات الصعبة والمعقدة حتى ينجح في اجتياز امتحان الحوار فلا يتحوّل لديه إلى مصدر لعقدة نقص أو صدمة معرفية غير محسوبة العواقب. ولعلّ لمراكز حوار الأديان في البلاد العربية والإسلامية مسؤولية خاصة في مجال إشراك الشباب في حوارات الأديان وتأطيره التأطير العلمي الكفاء والناجع مثل "مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان" الذي نحن في ضيافته الكريمة أو "مركز الملك عبد الله العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات" (kaiciid)¹⁹ أو "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" ("إيسيسكو") الخ...

يمثل هذا الإشراك الممنهج والمطرّد، يمكن لشبابنا أن يكتسب الخبرة تدريجيًا في مجال الحوارات الدينية، وهو ما يتطلب أيضا تدريبه على مثل هذه الحوارات المعقدة في صلب بينتنا الثقافية وعقيدتنا الدينية بتوعيته بقيمة التفكير الديني العلمي وبأساليبه ومفاهيمه والسماح له بالنقاش الصريح والتفكير الحرّ والاعتقاد عن اقتناع لا عن تبعيّة وتقليد، فمثل هذا التقليد يُصبغ على تفكيره صفة الخذلان أو الاستبداد وعلى مشاعره الدينية طابع الخضوع أو النفاق وهي أسوء الصفات وأخسّها وأقربها إلى أن ترمي به في أحضان الآخر بيّسر وبرودة. طبعًا، لا يعني هذا الإسناد العلمي مصادرة الطبيعة العفوية والجرأة الذهنية والنفسية التي يميّز بها الشباب كما بينّا أعلى. لكن، لا ننسى أنّ مبدأ الحوار/المحاورة ببُعد المتسامح والسلمي قد نشأ مبكرًا مع نشأة الفكر الإنساني المتمدّن ونجده في الأعمال الأدبية والكتب المقدّسة، كما كان أساس التراث الحكمي بما فيه الفلسفي منذ بداياته، ويكفي تذكّر محاورات سقراط ضمن أعمال افلاطون.²⁰ وقد يرتبط الحوار عند كثير من الناس بمعنى الجدل أو حتى الجدليّة

¹⁸ هذا ما تبيّنه للأسف مختلف المواقف والخطب والشعارات المعادية مثلا للمهاجرين العرب والمسلمين في أوروبا في السنوات الأخيرة.

¹⁹ انظر الموقع الرسمي: ([http://www.kaiciid.org/en/the-centre/the-centre-\(kopie.html](http://www.kaiciid.org/en/the-centre/the-centre-(kopie.html)).

²⁰ انظر على سبيل المثال: افلاطون: *محاورة سقراط*، ترجمة: زكي نجيب محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 200؛

- Julia (D.): *Dictionnaire de la philosophie*, Paris, Larousse, 1964, "dialogues de Platon", p. 64-66, « dialectique », p. 63-64.
- Gardes-Tamine (J.) ; Hubert (M.-C.): *Dictionnaire de critique littéraire*, Paris-Tunis, Armand Colin/Masson-Cérès, 1996, "dialogue", p. 83-85.

وكذلك بالمناظرة الكلامية، لكنّ الحوار أعمّ.²¹ وهو في رأينا يعتمد على قواعد اتصالية ينبغي لنا مقاربتها وفق مناهج علمي الاتصال والعلاماتية.²² وحسب اعتقادنا، وعلى أساس تجربة ميدانية،²³ يتمثل أخطر ما يواجه الشباب في حوار الأديان، في مشكلة تحديد المفاهيم والمصطلحات الدقيقة والمناسبة لنقل الفكرة وكذلك لتقبلها من عند الآخر ووضعها في سياقاتها المناسبة لغويًا وتاريخيًا وثقافيًا الخ...

ولعلّ مشكلة الثنائيات تمثّل أحد العوائق المفاهيمية الأكثر صعوبة، فهي تصدر الفكر بمسلماتها وتجمّد آليات التفكير الحرّ عندما تصبح ثابتة مفروضة مسبقاً، فهي تساهم -كما يقول الفيلسوف جورج باتاي- في تسطيح الفكر والعقيدة عندما لا تكون مقترنة، تتجاوزها، بالتعالى الإلهي، فتفتح بذلك الفكر على سلطان الشرّ المتمثّل في انفلات العنف.²⁴ فعلى سبيل المثال نفرض على أنفسنا ثنائية الإيمان/الكفر، مثلما يفرض الغرب المسيحي خاصة على نفسه ثنائية المقدس/المدنس أو ثنائية الكنسي/العلماني (أو اللائكي). ولا يمكننا فهم أيّ من هذه الثنائيات (وغيرها) إلاّ في سياقه الحضاري والديني الخصوصي الذي تشكّل فيه. لذلك، يصبح فهم البعض لثنائيات البعض الآخر امتحاناً لا لملكة الفهم نفسها بل لقدرته على التعامل بتجرّد مع المعطيات المعرفية الجديدة أو الغريبة عنه والتي يعتقد فيها الطرف الآخر وعلى أساسها يحاول فهم الطرف المقابل. وعند تمسك كلّ طرف بمفاهيمه الخاصة يصبح مثل هذا الحوار "حوار الصمّ". ولو أخذنا، على سبيل المثال، تجربة الحوار الشبابي الذي أشرنا عليه إلى جانب زملاء لنا من الجامعتين التونسية والألمانية بين شبّان تونسيين مسلمين

²¹ فضل الله (محمد حسين): *الحوار في القرآن*، م.م، ص 52.

²² لقد سعينا إلى بلورة هذه المقاربة المنهجية حول عدة مسائل من تراثنا من بينها مفهوم الإخبار عند ابن خلدون في كتابنا: قريسة (نبيل خلدون): *ابن خلدون مرآة الجوكوندا*، تونس، دار المعرفة، 2006.

²³ كانت لنا تجربة ميدانية خاصة في موضوع مشاركة الشباب في حوار الأديان طيلة أربع سنوات (2005-2008) في سياق ندوات البرنامج التونسي-الألماني (2Mod) للدراسة والبحث في "التقاطعات الفكرية الأوروبية-المتوسطية (تحديدا العربية-الإسلامية) عبر التاريخ" بالاشتراك مع عدد من الأساتذة الألمان (من جامعة كارلسروه Karlsruhe) والتونسيين (من جامعة منوبة) من خلال تأطير طلبة ماجستير تونسيين وألمان. وقد صدر تقرير عن هذه التجربة باللغة الألمانية في:

Kurt-Jürgen Maaß und Bernd Thum (ed.): *Deutsche Hochschulen im Dialog mit der arabischen Welt*, Universitätverag Karlsruhe, 2009.

²⁴ راجع: Bataille (G.) : *Théorie de la religion*, Paris, Gallimard (Idées), 1973, p. 104.

وآخرين ألمان، فإنّ أبرز استنتاج استخلصناه هو أنّ عائق الفهم الاصطلاحي كان أكثر عسرا ممّا كنّا نتصوّر، حتى أنّ بعضنا ممّن حاول في البداية استسهال استعمال آليات قراءته وتفكيكه وتفسيره النابعة من ثقافته، اصطدم بحاجز سوء الفهم لدى الطرف الآخر. ولا يتعلّق الأمر بإيجاد قواسم مفاهيمية مشتركة أو البحث عن مصطلحات في الوسط بين قطبين متناقضين، بل اكتشف الجميع أنه لا بد في النهاية من إبداع مصطلحات جديدة تأخذ بعين الاعتبار اختلافات المفاهيم ولو الطفيفة في سياقاتها الثقافية المختلفة أي إبداع فكر مقارن جديد غير متوقّر يحترم التنوّع الثقافي البشري ويستفيد من ثرائه اللامحدود.

فعلى سبيل المثال، لا ينبغي الاكتفاء بوضع مقابلة أو مقارنة أو بحث عن المشترك المفاهيمي، كما نعمل في مقارنة الحقول الدلالية للألفاظ المعجمية، بين لفظة "كفر" العربية والتعبير المسيحي "بلاسفيم" Blasphème (يترجم عادة بعبارة: "تجديف")²⁵، أو بين لفظة "جهاد" ومقابلتها المفترضة: "حرب مقدسة"، الخ..

وقد بحث عدد من مفكّري عصرنا الحالي خاصة في الغرب مثل "أومبرتو إيكو" في إشكاليات الترجمة والترادف والاشتقاق من منظور علوم الألسنية والفيلولوجيا والعلاماتية والدلالية والمعجمية...²⁶ وتجاوز بعض الدارسين هذه المقابلة بين اللغات المختلفة إلى المقابلة الاصطلاحية بين المجالات المعرفية

²⁵ ونجد ترجمة لفظة "كفر" في اللغات الأجنبية بتعبير "انعدام الإيمان" impiété، وهو ليس جوهر المعنى الذي نجده في القرآن الكريم كما في المعجم العربي يتمحور حول الإنكار والجدود والتغطية والستر أي التغاضي والتجاهل. انظر: عمر (أحمد مختار) وآخرون: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرياض، مؤسسة سطور المعرفة، 1423 هـ/ 2002م، ص 1094-1095؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، م.م، مادة "الكفر"، ص 470-471: "الكُفْرُ، (بالضم): ضدُّ الإيمان، ويفتح، كالكُفُور والكُفْران، بضمهما. وكَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَبها كُفُوراً وكُفْراناً: جَحَدَها، وَسَتَرها... وكَفَرَ عليه يَكْفُرُ: غَطَّاهُ، وَ- الشيءَ: سَتَرَهُ، كَكَفَّرَهُ. والكافِرُ: اللّيلُ، والبَحْرُ، والوادي العظيمُ، والنهرُ الكبيرُ، والسحابُ المُظلمُ، والزارِعُ، والذَّرْعُ، وَ- من الأرضِ: ما بَعَدَ عن الناسِ، كالكُفْرُ، والأرضُ المُستويَّةُ، والغائطُ الوَطِيءُ، والنَّيْبُ... والظُّلْمَةُ، كالكُفْرَةَ، والداخلُ في السِّلاحِ، كالمُكْفَرُ، كمدحّث، ومنه: "لا تُرْجِعُوا بَعْدِي كُفْراً، يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ"، أو مَعْنَاهُ: لا تُكْفِرُوا الناسَ فَتَكْفُرُوا. والمُكْفَرُ، كَمُعْظِمِ الموثِقِ في الحديدِ. والكُفْرُ: تَعْظِيمُ الفارسيِّ مَلِكُهُ، وظُلْمَةُ اللّيلِ، واسودادُهُ، ويكْسُرُ، والقَبْرُ، والترابُ، والقَرْيَةُ. وأكْفَرَ: لَزَمَها، كاكْتَفَرَ، والخَشْبَةُ العَلِيظَةُ القَصِيرَةُ، أو العَصَا القَصِيرَةُ، وبالضم: القَبْرُ نُطِلُّ به السُّفُنُ. وكَتَفَيْ: العَظِيمُ من الجبالِ، أو النَّبِيَّةُ منها، وبالتحريك: العَقابُ، وَوعاءُ طَلَعِ النَّخْلِ... والتكْفِيرُ في المَعاصِي كالإحباطِ في التَّوَابِ، وأن يَخْضَعَ الإنسانُ لغيرِهِ...".

²⁶ راجع: Eco (Umberto) : *De l'arbre au Labyrinthe, études historiques sur le signe et l'interprétation*, Paris, Grasset-Le Livre de Poche (Biblio essais), 2010.

المتجاورة، حيث نجد تقريبا نفس الإشكالية.²⁷ وقد تبين أن هذه الإشكالية اللغوية-الاصطلاحية أعمق من مجرد اختزالها في مشكلة النقل أو الترجمة. وهذا ما لم ينجح في حلّه الفلاسفة والمفكرون بصورة منهجية على امتداد القرون الماضية فبقي أفقا متحرّكا لحوار الأديان والثقافات، مفتوحا على الإبداعات المحتملة. وللشباب في هذا المجهود، بالتأكيد، دور مؤمّل من خلال تجربة الحوار المباشر وتبادل الأفكار والتجارب المكتف والمفتوح عبر الفضاء الاتصالي المعولم.

كذلك، يجد الشباب عادة صعوبة كبيرة في تحديد الهدف من كل محور يدخله في سياق عمليّة الحوار بالنسبة إلى خريطة المحاور المعرفية المطروحة أمامه. ففي معظم الأحيان، تتداخل لديه المحاور ويقع تشويش في الفهم. وبالتالي، يحصل لديه قصور وتعطلّ في مستوى الاستيعاب الصحيح والتوظيف الدقيق والناجع في الحوار لأفكاره ولأفكار محاوره، بما لا يُقنع هذا الأخير ولا يوصل إليه المعنى القابل للفهم، بل قد يأتي بالنتيجة العكسيّة، فإمّا أن يستفزّه سلبيا عن غير قصد أو أن يُوهمه بمعنى خاطئ أو مشوّه. مثال ذلك ما يتعلّق بمفهوم الألوهيّة أو مفهوم النبوة أو الوحي أو البعث والحساب والجزاء وغيرها من المفاهيم التي تبدو لشبابنا المتحمّس بديهيّة قبل أن يكتشف باندهاش وحيرة وجود اختلافات مربكة بين دلالاتها في مختلف السياقات اللغوية والثقافية-الدينية.

من هنا يأتي الخلط والتشويش والتشويه والحكم الخاطئ والانطباع السيء، وبالتالي ذلك الشعور بالخيبة أو سوء الظن أو الإحباط الذي كثيرا ما يرافق حوار الأديان أو ينتهي إليه.

المُعَوّقات التربوية الذاتية والموضوعيّة لمشاركة الشباب العربي المسلم في حوار الأديان

هناك أخيرا عائق سلوكي-أخلاقي وفي نفس الوقت اجتماعي-ثقافي، كثيرا ما يؤدي إلى فشل الحوار الشبابي في المسألة الدينية كما في غيرها من المسائل، ويتمثّل في نقص التربية على آداب الحوار في مجتمعاتنا العربية-الإسلامية المعاصرة. وليس هذا النقص نابعا من صلب تراثنا، رغم ما يدّعيه البعض على أساس قراءة مبتورة لتراثنا الثقافي والحضاري الثري والمتنوع. فتجربة الرسول ﷺ لا تزال في الحقيقة ماثلة في أذهاننا من خلال مصادر السيرة والتاريخ والآثار

²⁷ كيغان (جبروم): الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صديق محمد جوهر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (408)، يناير 2014.

النبوية (الأحاديث والسُنن)، وهي تمثل انموذجا حيًا للخلق الرفيع في التعامل مع الآخر.

كذلك، يغرس القرآن العظيم فينا مبادئ راقية في هذا المجال ويعلمنا قيما سامية وتعاليم أخلاقية سمحة بمثل قوله تعالى: "فِيَمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن ت لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (سورة آل عمران: 159)، وكذلك: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (سورة النحل: 125)، وبقوله تعالى أيضا: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (سورة يونس: 99).

وقد تتبّع بعض الباحثين أصول آداب الحوار في القرآن الكريم، فحدّدها في النقاط التالية:²⁸

- الاحترام المتبادل مثل الإنصاف وعدم الاستعجال في الرد والهدوء وبسط الوجه والتركيز على الرأي لا على صاحبه.
- البحث عن الحقيقة والسعي إليها عبر التزام الموضوعية والبعد عن التعصّب وإبراز الحقائق الثابتة والرفق واللين.
- حسن الصمت والإصغاء واحترام الحرية الفكرية والتجرّد وتحرير محلّ النزاع والبدء بنقاط الاتفاق.
- الاعتراف بالآخر واحترامه ومعرفة حقيقته بواقعية وتحديد المصطلحات بدقة وتوثيق المعلومات بالأدلة.
- الهدف إلى تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية وتصحيح المعلومات الخاطئة وإظهار سماحة الإسلام وتحقيق التواصل ودعوة الإنسانية إلى قيم الحق العليا.

كما بيّن الشيخ محمد حسين فضل الله أنّ آداب الحوار في القرآن تنبني على احترام العقل والتفكير المستقلّ والمعرفة الجيدة لموضوع الحوار وعدم الانسياق إلى الانفعال أو إلى ما لا يبلغ القصد من الحوار والتحلّي بالحكمة والإيحاء بقوة الموقف مع عدم الغرور الخ...²⁹

وهكذا، يمكننا أن نستخرج من تراثنا الإسلامي بدءا من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ثم بقية كتب التراث الزاخر قواعد تربوية مبدئية وعملية

²⁸ ضمرة (معن محمود عثمان): "الحوار في القرآن الكريم"، م.م.

²⁹ فضل الله (محمد حسين): "الحوار في القرآن"، م.م.، ص 62، 63، 75، 80-82، 220، 342 الخ.

تتقف شبابنا على أساليب الحوار المتحصّر مع الآخر سواء كان ذلك في المجال الديني أو في غيره من المجالات. فلن تعوزنا التجارب في هذا الباب إن نحن صدقنا الوعد والتزمنا بنبل المقصد. حينئذ، يكمن المشكل في ذلك البون الشاسع الذي نشاهده اليوم بين النظرية المبنية على التمثّل الأخلاقي المبدئي والقيمي الإسلامي وبين مناهج التطبيق في حياتنا اليومية وفي فضاءات تلاقينا مع الآخر خاصة ذلك المنتمي إلى أديان مختلفة عن ديننا الحنيف. فنحن نكاد لا نصبر على هذا الاختلاف أو نقبل به. وهذه معضلة كبرى.

يعود هذا البون الشاسع، من ناحية، إلى مناهجنا التعليمية وبرامج التدريس في مستويات التعليم عندنا كافة. وقد وُلد البحث المحموم عن النتائج الكمية السريعة في مستوى التكوين المعرفي وطلب التخرّج بأيسر الوسائل قصد دخول سوق الشغل في سباق وهمي مع الزمن ضعفا رهيبا في التحصيل المعرفي وفراغا فكريا وعقديا لا يمكن تلافيه بسهولة،³⁰ فضلا عن سطحية مأساوية في التعامل مع القضايا والمشاكل المستعصية والمستجدة وكأنّ الأمر لا يتجاوز حدّ الاعتداد المكابر بالنفس والرغبة الجامحة في اقتناص فرص الحياة المصادفة دون الوعي بأبعادها طويلة المدى التي قد تعود بالخسران على الفرد والمجتمع معًا. كما يعود هذا البون إلى ما نعيشه في بيئتنا الاجتماعية، بداية من الأسرة حيث لا ندرّب أبناءنا فعليًا —وهنا لا أتحدّث عن حسن النوايا والشعارات المعلنة— على ممارسة الحوار المفتوح وفق آدابه المكرّسة في تراثنا ووفق ما يمكننا استخلاصه من تجارب الشعوب ومكاسب الثقافات الإنسانية الأكثر عراقة أو الأكثر حيوية وتفتحًا في عصرنا الراهن.

فالأسرة بالخصوص تبقى المدرسة الأولى للتربية الأصيلة والفضاء المباشر للتدرّب على العلاقات المفتوحة مع العالم الآخر وفق القيم والمعتقدات الإسلامية الصحيحة، بعيدا عن الغلو والتعصّب والتطرّف وكذلك بمنأى عن مخاطر التفسّخ والذوبان.³¹ وإذا ما أخّلت الأسرة بهذا الالتزام، يصبح الطفل أو الشاب ضحية خلل بل نقص قيمي وتربوي سلوكي يعسر تداركه. لذلك، نجد شبابنا، في كثير من الأحيان، في حالة غربة بل اغتراب أو أحيانا في حالة انفصام يعاني منها كلّما أتاحت له مناسبة ولو بمحض الصدفة —وما أكثرها في عصر العولمة— أن يتحاور مع الآخر الغريب المختلف دينيا وثقافيا. هذا مع علمنا بوجود

³⁰ كنعان (محمد أحمد): *أزمات الشباب، مشاكل وحلول*، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2003،

ص 35-38.

³¹ نصيف (فاطمة عمر): *الأسرة المسلمة في زمن العولمة*، جدة، دار الأندلس الخضراء،

2006.

فئة لا بأس بها من شبابنا تكون في مثل هذه المناسبات أكثر ثباتا على القيم والمبادئ الأخلاقية وأوضح رؤية فكرية وأمتن قناعة عقديّة. وفي الحقيقة، ليست كثرة المخاوف التي نطلقها حول تهديدات العولمة لثقافتنا وثقافة أبنائنا إلا تعبيراً عن حيرتنا إزاء ما نشاهده من الانحرافات.³² غير أنه، في نهاية المطاف، لا فائدة تُرتجى من المبالغة في هذا الاتجاه بحكم أنّ العولمة تمثل في نفس الوقت رهانا مثلما تمثل تحدياً أمام ثقافتنا أو بالأحرى أمام قدرتنا على تثمين ما في ثقافتنا من مكامن الإبداع وإبراز روح التجدد فيها. وبهذا المعنى تحديداً، ينبغي أن نحمل شبابنا مسؤولية هذا الرهان المستقبلي عبر منابر الحوار وفضاءاته الرسمية والمفتوحة على وسائل الاتصال الحديثة وتقنياتها المتجددة باستمرار. فبالتكوين العلميّ الجيد وبالبناء النفسي المتين والمتوازن والتربية القويمة على آداب الحوار ومكارم الأخلاق الإسلامية، نحن على ثقة تامة في أنه سينجح في كسب هذا الرهان الحضاري الكبير.

الخاتمة

في الختام، تبقى الكلمة المفتاح في نظرنا هي "الثقة"، الثقة في أبنائنا الشبان حتى يتولّوا مسؤوليتهم في تجديد الخطاب العلمي الموجّه نحو الآخر حول الإسلام، وفتح سبل الحوار معه دون عقد. كذلك، ينبغي أن تكون لدينا الثقة في عظمة ديننا الحنيف وقيمته السمحة، بحيث لا نرى داعياً للانكفاء أو التوجس من معانقة العالمية والتفاعل مع الآخر المختلف عنّا، ولا مصلحة لنا في ذلك البتّة، فليس الإسلام دين طائفة مغلقة ولا هو ملك لفئة من البشر بل كان وسيبقى دين الله إلى العالمين.

ونحن على ثقة، أخيراً، بأنّ هذه العولمة، برغم مخاطرها الجمة، تمثل فرصتنا الحقيقيّة في إنجاح مشروعنا الحضاري والارتقاء بمكانتنا إلى مرتبة المشاركة في السلام العالمي باقتدار وفاعلية،³³ وعدم الاكتفاء بالخضوع لفورة الإبداع عند الآخرين التي أبقتنا حتى اليوم في مرتبة التبعية والاستهلاك والتقليد. وهنا، مرّة أخرى، نجد الشباب في مقدّمة هذا الفعل الحضاري المنشود، فاعتقادنا راسخ في أنّه يمتلك القابلية المطلوبة لكسب هذه المعركة المصيرية رغم كل المعوّقات التي استعرضناها في ورقتنا هذه.

³² عمارة (محمد): مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، القاهرة، نهضة مصر، 1999.

³³ راجع: Boase (R.) (ed.): *Islam and Global Dialogue, Religious Pluralism and the Pursuit of Peace*, Ashgate, 2005.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

كما نعتقد أنّ رهان الحوار الحضاري والديني، الذي ينبغي أن نشرك الشباب في تحمّل أمانته -في السياق الصحيح ودون تخوّف مبالغ فيه- إنما أصبح اليوم رهاناً على المستقبل الذي نرجوه زاهراً للأمة القرآن الخالدة.

الشباب والعولمة الثقافية: التحديات وآليات المواجهة

الملخص

ان هدف الورقة الحالية ؛ الاجابة، عبر الفحص والنقد والتحليل، عن اسئلة ملحة وجوهرية تخص هذه الظاهرة التي تحمل بعدا اشكاليا من قبيل: هل تحمل العولمة في طياتها نوعا من الغزو الثقافي؟ هل تهدد العولمة الهوية الثقافية؟ اين هي الموضوعات التي كانت تثير الجدل في علاقات الشباب بالظاهرة الثقافية الاخرى مثل الهوية والحدثة؟ توضيح تاثيرات العولمة الثقافية على هوية الامة؟ كيف ينظر الشباب بعامة، والشباب الجامعي بخاصة الى العولمة والهوية الثقافية؟ دور الشباب والجامعات في مواجهة تحديات العولمة الثقافية، وفي بناء هوية عربية واسلامية، متماسكة، والمحافظة على اصالتها.

هذه الاسئلة يتبعها سؤال جوهرى آخر هو: كيف يمكن لنظم التعليم الجامعية ان تسهم في تحقيق الامن الثقافي بما يساعد الشباب الجامعي على الارتباط القوي بثقافة مجتمعه وتراثه الحضاري والسعي لاثرائه. فلا شك ان هوية اي مجتمع، والشباب في مقدمته، وطريقة رؤيته للواقع مشروطة بمرجعياته الثقافية التي تؤثر على نظراته لنفسه وكيفية تعاطيه مع الاخر، وتفاعله مع العالم عبر حوار هادف وبناء، يوازن بين الاصالة والانفتاح على الاخر لتحقيق التواصل المعرفي والحضاري بين المجتمعات المتباينة ثقافيا وحضاريا وعقائديا، ويؤسس لعلاقة سليمة بينها قوامها الحوار والتعايش، وهو الهدف الاسمى الذي تنشده المجتمعات الانسانية المعاصرة.

المقدمة

اسهمت التحولات الكبرى التي بدأ يعيشها العالم العربي في العامين الاخيرين في بروز فاعل وفعل جديدين في عدد من البلدان العربية، وهو الشباب والحراك السياسي للشباب. وقد عدت هذه الحركة كظاهرة جديدة تستوجب المتابعة والرصد والتحليل. فالشباب قوة اجتماعية هامة بصفته قطاعا اجتماعيا رئيسا في المجتمع، كما انه الاكثر تقبلا للتغيير والاستعداد الموضوعي نحو التغيير، وهو مايضمن مواكبته الحديثة للمتغيرات، والتكيف معها بشكل سلس دونما ارباك. كذلك فان

¹ الدكتورة فرح صابر [farah_s_zand@yahoo.com] استاذ مساعد في قسم التاريخ بكلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بغداد.

الشباب هو الأكثر طموحا في المجتمع، وهذا يعني ان عملية التغيير والتقدم لاتقف عند حدود.

وإذا كانت العولمة هي الظاهرة الابرز لنهاية القرن العشرين او بداية القرن الحادي والعشرين بكل ابعادها الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية، فان البعد والهوية الثقافية للعولمة ربما يعد الأكثر تأثيرا، والأكثر تحديا وخطورة لأنها تمس الثقافة والهوية بمعناها العام. فهي تحاول نشر ثقافة القطيعة على المستوى الكوني من خلال برامج قولبة البشر، اي تنميط الجيل الشاب في المظهر والثقافة، والمرجعيات المعرفية، والادوات، والقيم، والنظرة الى الذات والكون. وعليه فان الشباب هم أكثر فئات المجتمع تماسا مع العولمة وأكثرها تأثرا بمعاييرها وقيمتها، فهم كائنون في العولمة وفي فرصها وتحدياتها وامكاناتها، كما هي في اخطارها ومآزقها.

ومن خلال الزخم المتراكم من المفاهيم، والتباين في المواقف من العولمة كظاهرة ذات بعد حضاري شامل وواسع، يمكن الانطلاق نحو دراسة علاقة الشباب بالعولمة كظاهرة سوسيو- ثقافية تفرز نفسها انطلاقا من دور كل عنصر في تفعيل قيم المجتمع العالمي حاضرا ومستقبلا. وايضا تحديد شكل العلاقة بين الشباب كمفهوم اجتماعي والعولمة كبعد حضاري.

الشباب: مدخل تعريفي

هناك صعوبة في ايجاد تحديد واضح وجامع لمفهوم الشباب. اذ لا يوجد تعريف واحد للشباب، ولعل عدم الاتفاق على تعريف موحد شامل يعود لتباين الاهداف المتوخاة من وضع التعريف، وتباين المفاهيم والافكار العامة التي يقوم عليها التحليل السايكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الاهداف.²

وتعد مرحلة الشباب من اهم المراحل التي يمر بها الفرد، حيث تبدأ شخصيته بالتبلور، وتنضج معالم هذه الشخصية من خلال اكتساب الفرد للمهارات والمعارف، ومن خلال النضوج الجسماني والعقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر.³

ويعكس مفهوم الشباب معاني مختلفة ترتبط بشكل مباشر بالنسق المعرفي المراد استخدامه فيه، والسياق الاجتماعي الذي يوجد فيه، لذا تتفاوت تحديدات

² سالم مفتان بن نجمة، دور الشباب في عملية التغيير المجتمعي، ص 1، منشور في الرابط الإلكتروني:

www.wafainfo.ps/index.aspx

³ المصدر نفسه، ص1.

الفئة العمرية للشباب من الناحية الاصطلاحية تبعا للتيارات والاتجاهات العلمية المختلفة.

وتتفق اغلب الدراسات ان مرحلة الشباب هي مرحلة تغيير كمي ونوعي في ملامح الشخصية تتميز بدرجة عالية من التعقيد، اذ تختلط فيها الرغبة في تأكيد الذات مع البحث عن الدور الاجتماعي والتمرد على ماسبق انجازه، الى جانب الاحساس بالمسؤولية والرغبة في مجتمع اكثر مثالية، مع السعي المستمر الى التغيير والذي يتم من خلاله ضبط حركة الفرد في السياق الاجتماعي والمحيط الذي يعيش فيه ليتحمل مسؤولية المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وحتى تكون تلك المساهمة فعالة فانه يسعى الى اكتساب المؤهلات العلمية والمعرفية والتقنية، مثلما يحاول امتلاك المزيد من الخبرات التي تساعده على الارتقاء بمستوى الانتاج المادي والمعنوي.⁴

وتعد الدراسات والتقارير الصادرة عن هيئات الامم المتحدة وخبرائها ان جميع الذين تقع اعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين هم الشباب من سكان العالم.

ويرتفع سن الشباب في بعض البلدان الى الثامنة والعشرين واثمنا حتى الثلاثين، وبعض البلدان ترفعها الى الخامسة والثلاثين وربما الى الاربعين. وقد ناهز عدد الشباب في العالم في مطلع القرن الحالي 4 ر 1 مليار انسان، اي مايعادل 20% من سكان العالم، ويعيش اكثر من ثلاثة ارباع شباب العالم في البلدان النامية.⁵

واذا كان الشباب هم فرسان التغيير في المجتمعات البشرية، فان العولمة كظاهرة كونية هي الاكثر تركيزا واستهدافا للشباب وبالتالي، فان الشباب هم الاكثر تماسا مع العولمة وتأثيراتها وقيمها.

اما بالنسبة للاقطار العربية فان الاحصاءات تشير الى ان الشباب يشكلون اكثر من نصف عدد السكان في اغلبية البلدان العربية. وترتفع هذه النسبة الى 65% في بعض هذه البلدان.⁶

وتؤكد تقارير الامم المتحدة على حقيقة ان تركيبة السكان في اغلب البلدان العربية هي شبابية. فتقرير التنمية البشرية الصادر عن الامم المتحدة عام 2011 يشير الى ان متوسط العمر في مصر 4 ر 24 سنة، وفي المغرب 2 ر 26 سنة،

⁴ عدنان ابراهيم السراج وامال عز الدين رشيد، خصائص الشباب وسبل توظيفها في التنمية البشرية وتحقيق اهداف التنمية للالفية، مقتبس في: الملتقى العربي الاول. دور الشباب في التنمية البشرية، 15- 16 ديسمبر/كانون الاول 2013، بغداد، 2014.

⁵ www.arab-ipu.org لتفاصيل اكثر يمكن مراجعة: عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1985، ص 6-7.

⁶ www.arab-ipu.org

وفي سورية 1 ر 21 سنة، وفي تونس 9 ر 28 سنة، وفي البحرين 0 ر 30 سنة، وهي ارقام تقترب من متوسط العمر في البلدان العربية ككل الذي بلغ 2 ر 23 سنة، وهذا يعني ان الدول العربية في مجملها بلدان فنية سكانا اذا ما قورنت بمناطق اخرى من العالم حيث متوسط اعمار السكان في العالم 9 ر 29 سنة.⁷ وهذه الحقيقة الديمغرافية يجب ان تكون دائما المحور الاساس لجميع الدراسات والتدابير، والسياسات التي توضع لمعالجة قضايا الشباب بقضايا الجيل الفتى في غاية التنوع، والشباب العربي يواجه تحديات مصيرية تستهدف وجوده وكرامته، بل وانسانيته، وتطرح امامه مهمات كثيرة وكبيرة، ينبغي توفير الامكانيات للقيام بها.⁸

ويعتبر الشباب وقودا لحركات التغيير في كل المجتمعات لما يتمتعون به من حماسة، والجرأة والتجديد والتطلع دائما الى كل جديد، خصوصا في ظل مايشهده العصر الحالي من التغيرات المتسارعة في كل مجالات الحياة، كالثورة المعلوماتية والتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والقفزة الهائلة في نظم الاتصالات وفضائيات الاعلام، وغير ذلك من مظاهر التغيير اللامتنامية، مما يسم حياتنا بعدم الثبات والاستقرار.⁹

ويحتل الشباب مكانة هامة في معظم المجتمعات الانسانية وذلك من خلال دورهم في عملية التغيير الاجتماعي والتحديث لمجتمعهم، فضلا عن اسهامهم في الابداع والابتكار والتجديد، وفي مواجهة القيم التقليدية. وليس من شك ان الظروف المحلية والقومية والعالمية التي يعيش فيها او يتأثر بها جيل الشباب العربي الان تختلف اختلافا جوهريا في النوع والكم عن تلك التي كانت فيها، او تأثرت بها اجيال سابقة.¹⁰

وقد اسهمت التحولات السياسية الكبرى عرفها العالم العربي في السنوات الثلاث الاخيرة في بروز ظاهرة الشباب والحراك السياسي للشباب، كون الشباب ظل ولمدة طويلة غائبا او مغيبا عن الساحة السياسية، حتى ساد اعتقاد اشبه باليقين الى عزوف هذه الفئة اراديا او لاراديا عن العمل السياسي وعدم اهتمامها بالشأن العام.¹¹

⁷ www.insightsmena.com

⁸ www.arab-ipu.org

⁹ نافذ سليمان الجعب، تربية الشباب على ثقافة التغيير، مؤتمر فيلادلفيا الدولي السابع عشر (ثقافة التغيير)، عمان، 2002، منشور في الرابط الالكتروني: www.philadelphia.edu

¹⁰ عزت حجازي، المصدر السابق، ص6.

¹¹ "جيل الشباب في الوطن العربي ووسائل المشاركة غير التقليدية من المجال الافتراضي الى الثورة"، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص11.

وقد تميز جيل الشباب العربي الذي قاد الحراك بالجرأة، والمخاطرة، والسرعة، والانجاز، والقدرة على الحشد والتحدي، والابتكار، والاصرار، وتوظيفه لوسائل التواصل الاجتماعي لشرح افكاره وتطلعاته، وكأحد ادوات الاحتجاج. كل هذه التغييرات جعلت الشباب اكثر قدرة على التفاعل مع الاحداث، ورسم مسارات المستقبل بطرق وآليات جديدة ومبتكرة تعكس رغبة لدى هذا الجيل، واصراراً على المشاركة في الشأن السياسي الجذري، ولكنها مشاركة غير تقليدية تعوض عزوفه عن المشاركة التقليدية.¹²

مفهوم العولمة

ظهر مصطلح العولمة في السنوات الاخيرة الى جانب مصطلح (الكوكبة) و(الكونية) ليعني ان المتغيرات المحلية والاقليمية والدولية تتداخل فيما بينها حيث لا يصبح هناك حدٌ فاصل بين ما هو محلي او اقليمي او عالمي، بل قد تصبح التأثيرات العالمية او الكونية شاملة للاقطار والشعوب كافة.¹³ ارتبط مصطلح العولمة بشكل خاص بالثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة التي تكتسح العالم منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي، فغدت القوة الاساسية المسؤولة عن بروز العولمة وان لم تكن الوحيدة. فالثورة العلمية التكنولوجية هي التي جعلت العالم اكثر اندماجاً، وهي التي سهلت وعجلت حركة الافراد ورؤوس الاموال والسلع والخدمات.¹⁴

ويصف غارودي العولمة بانها "نظام يمكّن الاقوياء من فرض الديكتاتوريات اللانسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق"، كما وصفها آخرون بانها "العقل الالكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدد دون اعتبار للانظمة، والحضارات، والثقافات، والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة".¹⁵ ويلخص عدد آخر من الباحثين تعريفات العولمة انها ظاهرة عالمية امتدت تأثيراتها في جوانب متعددة من الحياة، واخذت ابعاداً اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، واعتمدت على المعلوماتية محتوياً لها للتغيير، وتقنيات الاتصال

¹² المصدر نفسه، ص 9-11.

¹³ سعيد عبدالله حارب، المثقف العربي والتطورات الثقافية: آفاق المستقبل والدور المتوقع، مجلة البحرين الثقافية، العدد 30، المنامة، 2001، ص 165.

¹⁴ محمد علي حوات، العرب والعولمة - شجون الحاضر وفرص المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص 10.

¹⁵ سليمان كايد، دور الجامعات في مواجهة تحديات العولمة الثقافية وبناء الهوية العربية المعاصرة، منشور في الرابط الالكتروني: www.arab-ipu.org.

المتطورة وسيلة للتأثير. كما انها ارتبطت بالتأطير النظري الذي يمثل فلسفة منتجيها في امريكا والغرب عموما والمالكيين لزاما التفوق الحضاري بابعاده المختلفة¹⁶

ولعل الجانب الاقتصادي هو اول الجوانب التي بدأت بتطبيق العولمة عليه ثم تبعه باقي الجوانب. فقد هيمن المفهوم الغربي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي على العالم ، وفرض عليه كل مايتعلق بالتخطيط للتنمية، وانشاء البنى التحتية والخدمات الاساسية، وكذلك البنى الثقافية والحضارية، بحيث اوجدت الدول الغربية آليات اقتصادية واسواق عالمية من خلال الشركات العملاقة العالمية متعددة الجنسيات، واتفاقيات التجارة الدولية، وماتبعتها من اتفاقيات قادت الى هدر سيادة الدولة ومصالحة الفرد لحساب السيطرة الاقتصادية، مما ادى الى التصادم مع التراث الثقافي لمختلف الشعوب من خلال ايجاد ثقافة كونية هددت الخصوصية الثقافية للمجتمعات الاخرى.¹⁷ وبتعبير آخر فان العولمة تعني ذوبان الخصوصية، وانتقال المجتمعات من الخاص الى العام، فهي منظومة متكاملة من المبادئ السياسية والاقتصادية، والمفاهيم الاجتماعية والثقافية أريد تصديرها الى شعوب العالم واجبارها على الاندماج بها وتبنيها.¹⁸ وتمثل العولمة الثقافية احد الواجه البارزة للعولمة من خلال محاولة فرض هوية محددة على المجتمعات والشعوب الاخرى.

العولمة الثقافية

قد يبدو للوهلة الاولى ان العولمة الثقافية هي ترك الحرية المطلقة للثقافات الاخرى ان تعبر عن نفسها، وتنتقل من نطاقها الضيق الى آفاق رحبة وواسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات في ما بينها في ظل ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الانماط الحضارية والثقافية من منطقة الى اخرى.¹⁹ ولكن الواقع يخالف ذلك وينقضه، لان تدفق المعلومات يجري باتجاه واحد من الغرب الى الشرق.²⁰ وكما يشير نعوم تشومسكي "ان العولمة الثقافية ليست سوى نقلة

¹⁶ فاضل خليل ابراهيم، التعليم العربي وتحديات العولمة. مؤشرات ومعالجات، ص2، منشور في الرابط الالكتروني: www.arabthought.org

¹⁷ محمد مصلح الزعبي، العولمة الثقافية واثرها على الوطن العربي، ص11 منشور في الرابط الالكتروني: www.arabthought.org

¹⁸ سليمان كايد، المصدر السابق، ص 12.

¹⁹ محمد مصلح الزعبي، المصدر السابق، ص1.

²⁰ المصدر نفسه، ص1.

نوعية في تاريخ الاعلام تعزز سيطرة المركز الامريكي على الاطراف الاخرى اي على العالم كله".²¹

وبتعبير باحث آخر ان العولمة الثقافية كما يدعي روادها هي انتقال من مرحلة الثقافة الوطنية الى ثقافة عليا جديدة وعالمية، وهي في حقيقتها ليست سوى اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات الاخرى للشعوب، وفرض للثقافة الغربية.²² فالعولمة بهذا المفهوم ظاهرة عالمية شملت تأثيراتها جوانب متعددة من الحياة، وارتبطت بالتأطير النظري الذي يمثل فلسفة منتجها في امريكا والغرب عموما والمالكين لزمام التفوق الحضاري بابعاده المختلفة.²³

وتتجه العولمة الثقافية الى اختزال الكون كله في هوية واحدة متجانسة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا. فالعولمة وفقا لهذا المنهج تعمل على بناء ثقافة واحدة تسعى لتذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الامم. انها محاولة لبناء المجتمع الانساني على مقياس الثقافة الواحدة، والحياة الاقتصادية الواحدة، وبالتالي فانها ثقافة الشركات العابرة للجنسيات والقوميات والثقافات، وهذا يعني ان النظام يعمل باتجاه تفكيك الهويات والمؤسسات بهدف التمكين لهوية واحدة، هي هوية السلعة التي يتسنى لها الهيمنة غير المشروطة على العالم من خلال هذه الهوية السوقية.²⁴

وترتكز العولمة على حماسة الشباب وحيويتهم واقدامهم وتوجههم نحو آفاق المستقبل ذات الانفتاح المتزايد، فهم في قلب العولمة، وفي فرصها وامكاناتها، كما في مخاطرها ومزالقها. وعليه فان الشباب هم اكثر ضحايا العولمة، واكثرها عرضة لتحدياتها وتداعياتها السلبية.

ولهذا فان العولمة بلجوتها الى ثقافة القطيعة على المستوى الكوني عبر عمليات التنميط للشباب في كافة مجالات الحياة انما تهدف الى سلخ هؤلاء الشباب عن ذاكرتهم وتاريخهم وجغرافيتهم، لكي تستبدل بها صناعة المستقبل كهوية للشباب والانتماء الى العالم او الى اللامكان.²⁵ ولهذا ليس ادعاء القول ان العولمة

²¹ سليمان كايد، المصدر السابق، ص3.

²² المصدر نفسه، ص3.

²³ فاضل خليل ابراهيم وجاجان جمعة محمد، تصورات اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة حول ظاهرة العولمة، مجلة بحوث مستقبلية، كلية الحدباء الجامعة (الموصل)، العدد28، الموصل، 2004، ص3.

²⁴ سليمان كايد، المصدر السابق، ص4 - 5.

²⁵ عزت حجازي، المصدر السابق، ص156؛ فاضل خليل ابراهيم وجاجان جمعة محمد، المصدر السابق، 125؛ فاضل خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص3.

الثقافية تعد احد اخطر اشكال العولمة واكثرها تحديا للشباب من خلال ظاهرة الاستقراء بهم، وتغريبهم عن انتماءاتهم المجتمعية.

العولمة الثقافية وتحديات الشباب المسلم

اذا كانت العولمة بمفهومها الواسع هي الاساس الشامل الذي سوف يحدد شكل النظام العالمي الجديد في القرن الحادي والعشرين، فان تداعيات هذا التأثير تقع بالدرجة الاولى على شعوب العالم الثالث، لاسيما المجتمعات العربية والاسلامية فيها. ولعل ابرز نتائج العولمة الثقافية هي الثورة الاعلامية المتمثلة بشبكة الانترنت والقنوات الفضائية التي تروج للثقافة الغربية، وتدعو الى انماط جديدة للحياة، وزرع القيم والافكار الغربية في المجتمعات العربية والاسلامية، والترويج لثقافة الاستهلاك²⁶ وسهلت هذه الثورة الاعلامية على الغرب الاختراق الثقافي للعالم العربي والاسلامي من خلال السيطرة على وسائل الاتصال وقنوات الاعلام المختلفة، وتاثر وسائل الاعلام العربية والاسلامية بمثيلاتها الغربية ومحاولة تقليدها، مما ادى الى طمس الهوية الثقافية، جزئيا، للامة ومحاولة طمس معالم الدين من خلال بث الشبهات والشهوات، واشاعة الانماط السلوكية والمفاهيم الغربية على ثقافتنا²⁷.

ان العولمة باعتبارها نهجا متكاملًا قد تؤدي بهذا المفهوم الى ذوبان الهوية ومكوناتها الاهلية التي تتمثل في اركانها الاربعة، الدين ، واللغة، والتاريخ، والبيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية التي تعيشها هذه الهوية فالعولمة الثقافية كاتموذج للثقافة الواحدة تشكل خطرا على الهوية العربية والاسلامية وخاصة في ظل ضعف التحصينات الداخلية، والانفتاح بلا وعي، في مجال الاعلام على وجه الخصوص، بما يقود الى زرع القيم والافكار المعبرّة عن القوى المسيطرة في وعي الاخرين وبخاصة في فئات الشباب باتجاه فرض نمط ثقافي، وهيمنة ثقافية وحضارية تنتجها مصالح الاقوياء²⁸.

وتستثمر العولمة حالات الاحباط واليأس التي تلازم الشباب العربي من الانظمة السلطوية وعجزها عن تلبية طموحاتهم لدفع هؤلاء تدريجيا نحو تبني قشور الثقافة الغربية واتباع انماط السلوك والمفاهيم الدخيلة على ثقافته الوطنية²⁹. وفي ظل هذا المفهوم تصبح اللغة العربية التي هي وعاء الثقافة العربية والاسلامية لغة هامشية وعنوانا ل "ثقافة متخلفة"، ويجري التركيز بدلا منها على

²⁶ محمد مصلح الزعبي، المصدر السابق، ص5.

²⁷ المصدر نفسه، ص5.

²⁸ سليمان كايد، المصدر السابق، ص3.

²⁹ المصدر نفسه، ص9.

اللغات الأجنبية ولاسيما الإنجليزية. ويتحول الاسلام الذي يشكل اهم مدخلات ثقافة الامة وهويتها "عدوا للتقدم والعلم" وهذا يهيأ بل ويعمق الدعوة الى فصل الدين عن الامور الاخرى، واهمال الجوانب الروحية وتهميشها، والتركيز على الجوانب المادية، والحيلولة دون عودة الاسلام الى واقع الحياة من خلال تصويره بالرجعية، ووسمه بالارهاب.³⁰

كما ان ضعف التعليم الوطني او رداءته، وخصخصة التعليم، واقتصاره على فئات مقتدرة في المجتمع، والبطالة، وعدم تكافؤ الفرص، وانعدام التوزيع العادل للثروة في المجتمع كلها عوامل تخلق اغترابا لدى الشباب، يدفع به بعيدا عن التناغم مع وطنه ومجتمعه، فيتطلع نحو عوالم اكثر جذبا واستهواء، فتصبح الهجرة نحو الغرب، الذي يمثل الفردوس الموعود في الوعي المأزوم، هي اقصى مايتطلع اليه الشباب الواعد والمتعلم. وهكذا تتحول هجرة العقول والكفاءات في المجتمعات العربية والاسلامية الى ظاهرة مستديمة تستنزف طاقات هذه المجتمعات ومواردها البشرية المنتجة.³¹

وفي ظل التدفق الاعلامي والثقافي الغربي المستمر يصبح الشباب المتعولم مدفوعا بدفاعي "اللذة والمتعة" كما تبشر به ثقافة العولمة، و"السيطرة والغلبة" من خلال قوة المعرفة وقوة المال وقوة التكنولوجيا. وبانخراطهم المتزايد في العولمة يتبنى الشباب انماطا سلوكية غير سوية مثل الادمان على الانترنت والعيش في الواقع الافتراضي (العيش على شاشة الانترنت) الذي سيزاحم، او يكون بديلا بالنسبة لهم عن الواقع الفعلي. كذلك هو شأن العولمة ورموزها وابطالها، وقيمها وماتسعى الى انجازه من تنميط كوني للشباب.³²

ولا تقتصر عمليات التنميط التي تقوم بها العولمة واستقرادها بالشباب على الهوية والانتماء والقيم، وتغريبهم عن انتماءاتهم المجتمعية كي تستبدل بها صناعة المستقبل كهوية للشباب والانتماء الى العالم او الى اللامكان، بل تسربت الى علاقة الشباب بالاسرة والسلطات المرجعية التقليدية، التي بدأت تشهد تحولات متسارعة في هذه العلاقة في ظل الضخ الاعلامي اليومي في عالم مفتوح. اذ بدأت هناك بوادر تحدٍ جدّي في المرجعيات. فلم يعد الشباب في الكثير من الاحيان يتخذ من الكبار وخبرتهم وحكمتهم مرجعا موجهها لحياته وتوجهاتها المستقبلية، اذ حلت محلهم مرجعية الشبكة - الانترنت.³³

³⁰ محمد مصلح الزعبي، المصدر السابق، ص5؛ سليمان كايد، المصدر السابق، ص 8.

³¹ "دور المؤسسات الثقافية والتعليمية في مواجهة اخطار العولمة"، منشور في الرابط الالكتروني: www.arab-ipu.org.

³² عزت حجازي، المصدر السابق، ص 156.

³³ فاضل خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص3.

ومع الاعتراف بجديّة التحديات التي تواجه شباب المجتمعات النامية لاسيما العربية والاسلامية من ظاهرة العولمة، والثقافية منها تحديداً، إلا ان الامر الجوهري هنا هو كيف يمكن الحد من التأثيرات الضارة لهذه الظاهرة الكونية، وكيف يمكن توجيه بعض مظاهرها الوجهة الصحيحة للاستفادة منها، واستثمار العلم والمعرفة لدى الشباب وتوظيفها باتجاه التفاعل مع الآخر المختلف، فبدلاً من ان يصبح الشباب متلقياً فقط يتحول الى طرف فاعل، محاوراً ومناقشاً بهدف التأسيس لقاعدة مرجعية للحوار اساسه الفهم المشترك، والايمان بثقافة الحوار، وتجديد الخطاب الفكري والديني.

في معنى الحوار

مع بروز ظاهرة العولمة بابعادها المختلفة، وما نتج عنها من انقلاب في احوال المجتمعات المعاصرة وبشكل خاص في مجتمعات الجنوب، اصبح الحوار الحضاري يحتل مكان الصدارة في اهتمامات الباحثين والمفكرين والسياسيين، كما فتحت الطريق لضرورة قيام حوار بين المجتمعات المتباينة. والحوار هو اعلى مستويات النمو المعرفي والاجتماعي والثقافي لانه يتضمن دلالات حضارية وفلسفية، ويكشف عن مستوى الاداء في ترجمة الوعي ضمن آلية التخاطب القائم على تبادل الادوار الحضارية في تحقيق تكافؤ الفرص في التقديم وفي النهوض بمعطيات الحاضر نحو المستقبل.³⁴

اذن الحوار الوطني ذو الابعاد الثقافية والدينية والقومية، هو فرصة لاكتشاف الذات، وفرصة لمعرفة الآخر. واخيراً انه فرصة لتجاوز المأزق الحضاري والتفوق القسري. فالحوار هو تأسيس لديمقراطية حقيقية، واستيعاب الآليات الحضارية في التعامل مع الآخر، في الاصغاء والفهم وتبادل الآراء، وتأسيساً لمشروع حضاري قائم على التعددية واحترام الرأي الآخر، والتخلص من مأزق الاقصاءات غير الحضارية³⁵ انطلاقاً من الخطاب القرآني القائل: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... (سورة البقرة: 256)، "...وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..." (سورة النحل: 125).

ان الحوار وسيلة حضارية متقدمة، هدفه الالتقاء والتعايش مع احترام الخصوصيات، ولم يكن هدفه القضاء على نقاط الاختلاف او التطابق المطلق "فلا

³⁴ عبد السلام بغدادي، السلم الوطني. دراسة اجتماعية سياسية في قضايا المصالحة والتسامح والصفح والوئام والتآزر الوطني، بيت الحكمة، بغداد، 2012، ص70.

³⁵ سعد مطر عبود، حوار الأديان مفتاح السلام، صحيفة الصباح، العدد 1546، بغداد، 2008/11/25، ص11.

وحدة للعالم الا باختلاف الهويات والتنوع، ولاتنوع الا بوحدة العالم".³⁶ فلا يمكن للثقافات ان تتوحد وتنصهر في هوية واحدة او ثقافة واحدة "فلا اصالة الا بجوهر الاختلاف، كما ان المعاصرة لاتتحقق في السياق التاريخي والاجتماعي الا بالتححرر من وهم المطابقة".³⁷

وبهذا المعنى فان الحوار قيمة من قيم الاسلام الحنيف، واصل ثابت من اصول الحضارة العربية - الاسلامية. وقد اشار القرآن الى قيمة الحوار: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ... " (سورة آل عمران: 64).
وبالنسبة للحوار الذي قد يكون بين طرفين مختلفي الديانة او العقيدة او المذهب، فان النقاش ينبغي ان لا يكون "بشأن صحة عقيدة هذا الفريق او ذلك، بل سينصب على القيم والمشاركات، ويبحث في امكانيات التفاهم في الملفات العالقة وقضايا التعاون".

وفي الرؤية الاسلامية الحضارية، فان الاحترام المتبادل بين الاطراف المتحاوره هو المنطلق الاول والاساس الذي يجب ان يركز عليه الحوار استنادا الى الاية الكريمة: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..." (سورة الأنعام: 108).³⁸

ويفترض في الحوار وجود قواسم مشتركة تكون اطارا عاما وارضية صلبة للحوار، وبالتاكيد فان القيم الدينية اولا، ثم المبادئ الانسانية والقواعد القانونية ثانيا، والاعراف والتقاليد العربية ثالثا، تشكل دافعا قويا ومدخلا سليما لجميع الفرقاء المشاركين في الحوار، وهي جميعا قيم ومبادئ تحكم علاقات البشر بعضهم مع البعض، وتضبط مسار حركاتهم وسكناتهم، وتضع القواعد الثابتة للتعامل فيما بينهم. وفي ذلك ضمان الا يكون الحوار ساحة للجدال العقيم، والتجاوز على الاخرين، والمس بمكانتهم، وتبادل الاساءة فيما بينهم، ولئلا يفقد الحوار صيغته الحضارية والانسانية. ومنطلق العدل والانصاف والمروءة قول الله تعالى " ...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعَدِلُوْا اَعَدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى... " (سورة المائدة: 8).

³⁶ محمود امين العالم، صراع الحضارات ام تعدد ثقافات، مجلة المستقبل العربي، العدد 238، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 79-80.

³⁷ محمد محفوظ، الفكر الاسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص 20.

³⁸ رضوان السيد، حوار الاديان: المسؤوليات والتحديات، صحيفة الشرق الاوسط، العدد 10732، لندن، 2008/4/16، ص 10.

اذن فان التحوار بين المجتمعات مهما تنوعت ثقافاتهما، وتباعدت اوطانها، وتباينت رؤاها الفكرية، ومهما جرت بينها من خصومات او صدامات في الماضي امرٌ حتمي وحيوي، وضرورة مشتركة لاجل خلق فرص نفع متبادل بين الذات والآخر.

الشباب وحوار الأديان: نحو مزيد من المشاركة

يصف احد الباحثين في اشارة رمزية معبرة العالم بانه "قوس قُزح" وذو الوان متعددة من المعتقدات والمذاهب، والأديان، والقوميات، والأفكار. فالناس في العالم يعيشون على الارض ضمن أنظمة متباينة وأديان مختلفة أيضاً، لا بد ان تتعايش مع بعضها البعض، ولا بد لهذا الكم الكبير من البشر ان يعيش تحت مظلة السلام والامن الدوليين.³⁹

والحوار اصلا هو من اجل فهم الذات اولاً، ثم فهم الآخر والتفاعل معه وليس لخوض صراع معه. انه حوار يستند الى اسس او شروط من اهمها، احترام الخصوصيات والاعتراف بالاختلاف كوسيلة للالتقاء والتعايش.

ان التعددية الدينية مقولة "خارجة دينياً" في الاساس وليست من داخل الدين. فالنقاش بشأنها نقاش فلسفي وليس نقاشاً كلامياً. القضية هي ان اثبات احقية او بطلان دين معين ما عاد متاحاً على نحو الجزم والاطلاق. وتدل الدراسات الفلسفية اننا حيال اديان عديدة ومتباينة، يقدم كل واحد منها الادلة على احقيته وصحته.⁴⁰

ان ادعاء احد الطرفين او كلاهما بانه يمتلك الحقيقة يشكل عقبة في طريق الحوار، كما يستوجب وجود مرجعية للحوار تستند الى ضرورة احترام ماتعتنقه اطراف الحوار من افكار، ومعتقدات مما يسهل عملية الحوار ويذلل العقبات.⁴¹ فالفاعلية الثقافية الحقيقية لا ينبغي ان تقتصر على مجرد ردود الافعال ومحاولة الدفاع عن ثقافتنا في مواجهة الآخر، "بل من الضروري بناء الثقة في النفس ومخاطبة الآخر خطاب الند للند، ولدينا من الرصيد التاريخي والثراء

³⁹ محمد محفوظ، الحوار والوحدة الوطنية في المملكة العربية السعودية، دار الساقى، بيروت، 2004، ص 42-43.

⁴⁰ "علاقة العالم الاسلامي مع الاخر واسباب العنف"، مجلة الحكمة، العدد 44، بيت الحكمة، بغداد، تموز/يوليو 2007، ص 187.

⁴¹ هنية مساح احمد القماطي، ازمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، ص 6، منشور في الرابط الالكتروني: www.arab-ipu.org.

المعرفي، والنظرة الكونية والاخلاقية الشاملة مايمكننا بالفعل من ان نكون مشاركين في الحوار الحضاري العالمي بشكل ايجابي".⁴²

ليس الحوار بين المسلمين والغرب في عصرنا الحالي حوارا تفاعليا يسمح بان يؤثر كل طرف في الاخر مع احترام ثوابته، واعلاء قيمه واهدافه، وربما يصاحب الطرف الغربي خاصة السياسي منه درجة من القاء اللوم في مجمله على اخطاء المسلمين التي هي في النهاية سبب الازمات المتتالية بين الحضارة الغربية والاسلام.⁴³

ان مايشجع على الاخذ بنهج الحوار هو ان البشر بطبيعتهم مختلفون، ولذا فانه ادعى لهم ان يتعايشوا او يتعارفوا ويتعاونوا، ولكن هذا الاختلاف الانساني ليس مدعاة للتناذب والتباغض، والنزاعات، والحروب، والصراعات، والخلافات المفتوحة، وانما مدعاة للتفاعل الايجابي والبناء والتعاون؛ بل هو اختلاف غائي، جعل الاسلام غايته ان يكون سببا للتبادل، والتداخل، والتشارك، والتعارف، والتعايش، وللجدل الذي يقوم عليه نظام الحياة.⁴⁴

ولاشك ان الخيار البديل لصدام الحضارات هو حوار الحضارات، فالاسلام كدين وحضارة يريد العالم "منتدى حضارات"، ويقبل مبدأ المبادرة السلمية "... اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً..." (سورة البقرة: 208). ولكن الغرب الاخر يفرض هذا المنهج، وسمح لنفسه التدخل في اسلوب حياة مجتمعاتنا ومناهجنا التعليمية، وخطابنا الديني. وهذا مايشكل لب الازمة الراهنة.⁴⁵

ولما كان الشباب هم الشريحة الاكبر في مجتمعنا اليوم، والشريحة المعنية اكثر من غيرها بالتطورات التكنولوجية في مجال المعرفة والاعلام، لذا من الطبيعي ان يحتل الشباب موقعا مهما في عملية ايجاد حوار جاد مع الاخر يقوم على التعايش والتسامح على المستوى الديني، والثقافي، والسياسي، والاقتصادي بعيدا عن التعصب والتمييز والعنف والارهاب.⁴⁶

واذا كانت العولمة تعني القولية ووضع الناس في قالب واحد فان الاسلام في دعوته للعالمية انما يعبر عن التنوع الثقافي، والاعتراف المتبادل وانفتاح الثقافة الخاصة على الثقافات الاخرى بحيث يكون العالم منفتحا على بعضه مع

⁴² مصطفى النشار، ضد العولمة، ط 2، دار قبا للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 299.

⁴³ نادية مصطفى(تحرير)، مسارات وخيارات في حوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2004، ص 50.

⁴⁴ عبد السلام بغدادي، المصدر السابق، ص 36-37.

⁴⁵ هنية مساح احمد القماطي، المصدر السابق، ص 13.

⁴⁶ "مجدي داغر يناقش الاعلام ودوره في تعزيز الحوار والتعايش"، ميدل ايست اون لاين

ص2، منشور في الرابط الالكتروني: www.middleeast online.

الاحتفاظ بتنوعاته.⁴⁷ وهذه هي السمة البارزة للثقافة الإسلامية، إذ هي تعترف بالآخرين وتحترم خصوصياتهم الثقافية منطلقها في ذلك "يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات: 13).

ان مواجهة تحديات العصر ليست بالاستعلاء أو التطرف أو العنف وإنما تكون المواجهة بالتعامل الانساني، خاصة وان الاسلام يدعو الى التعايش السلمي والتسامح الديني، وهذا لايعني الخنوع والاستسلام، وإنما يكون ذلك في اطار محددات ومتغيرات العصر. ويجب ان تكون العلاقة علاقة تكافؤ، وان تلمس من الاخر رغبته في الحوار من خلال تحليل لغة الخطاب باتجاه العرب والمسلمين، "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (سورة الأنفال: 61).

ولقد اوجد الاسلام جملة من المبادئ التي تؤسس لحالة التعايش الاجتماعي والانساني، وجوهر التعايش هو ان يعترف كل طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية، والعمل على وفق اجتهاداته المذهبية.⁴⁸

وفي هذا المجال يتعين على الشباب الاضطلاع بدور اساس في منع حدوث النزاعات، وتعزيز فرص السلام، وتعميق الحوار بين اصحاب الديانات والثقافات المختلفة. فكلما كانت القيم الاجتماعية التي يؤمن بها الشباب، قيم سامية، نبيلة، تؤكد على مشاعر التعاون والتواد، وعواطف الانتماء المشترك، كلما اسهم ذلك بتصحيح المفاهيم الخاطئة حول الاسلام، وذلك بضبط المصطلحات، وتقديم الافكار الاسلامية من خلال مفردات واساليب التعبير الاوربية التي تخاطب وعي ورؤية غير المسلم للاسلام، وتنقل المسلم من موقع التبرير والدفاع الى وضع الند المتساوي في الحقوق والقيمة الانسانية.

ان احد اهم اشكال الهدم في المجتمعات، استغلال الدين كاداة للتفريق بين اتباع الديانات المختلفة، وجعله اداة للمغالاة والتشدد واستخدامه لالغاء الغير واقصائه، وهذا ضد طبيعة الدين ومبادئه.⁴⁹

والحقيقة الحضارية الاخرى هي ان الحوار يديم التواصل الانساني ويمهد للاتصال الفكري والمعرفي، بل وانه يختزل الكثير من المضمرات الوجدانية التي

⁴⁷ سعيد عبدالله حارب، المصدر السابق، ص 165.

⁴⁸ حسن الصفار، التنوع والتعايش، بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، دار الساقى، بيروت، 1999، ص 94.

⁴⁹ محمد عبد الكريم دياب، مؤثرات حرب الطوائف والمذاهب التي تطل برأسها في مصر، صحيفة القدس العربي، العدد 5498، لندن، 3-4 شباط 2007، ص 29.

تشكل العقد التاريخية التي تنفجر بين أونة وأخرى تحت مسميات شتى، شعاراتية، لاترتقي الى مستوى الحقيقة . ولكي يتحقق الحوار لابد من وجود المحاور المتعلم المدرك، الواعي الذي يؤمن بالآخر او يحترم الآخر.⁵⁰ وهناك الكثير من الشواهد التاريخية التي تعالج موضوعة الاختلاف الدالة على مانحن بصدده. فكل الكتب السماوية وحملتها من الانبياء والرسل تؤكد اشاعة ثقافة الاختلاف والحوار. وكما يتساءل احد الكتاب؛ اذا كان من العصمة ان يتعامل الانبياء والرسل بهذا الانفتاح والاريجية، وبهذا القدر الكبير من الانصاف والمرونة، اليس الاحرى بمن رأيه معرّض للخطأ والخطل ان يقبل الرأي الآخر ويحترمه بل ويعترف بوجوده؟ فكل المدارس المتنورة تعد ان الاختلاف حق تقتضيه انسانية الانسان، وليس امرا طارئا عليها.⁵¹ اذن المجتمع بكل شرائحه وفئاته، والشباب في قلبه باعتبارهم فرسان التغيير وحاملو لواءه، يتحمل مسؤولية كبرى تجاه توحيد حقائق التسامح بين جميع افراده. لذلك فان توطيد حقائق التسامح في المحيط الاجتماعي، هو في حقيقته دفاع عن راهن المجتمع ومستقبله. فاذا كانت الوحدة مطلبا اسلاميا وحضاريا فان الاختلاف هو من الامور الطبيعية في حياة الانسان عبر التاريخ.⁵²

ان الحوار بحاجة الى ثقافة مجتمعية جديدة، قوامها القبول بالآخر المختلف والتعامل معه على اسس حضارية تنسجم وقيم المساواة والعدالة والمواطنة المشتركة. هنا يمكن للقيادات الفكرية والعلمية والدعوية ان تؤدي دورها في السعي الى ترجمة حقيقة الامة المسلمة الواحدة على ارض الواقع. وذلك بتحسين الهوية الثقافية التي قامت عليها هذه الامة، من خلال دعم تشكّل اجيال شابة تشعر بانتمائها الاسلامي وانتسابها الحضاري للامة، وصياغة الفرد المسلم صياغة اسلامية حضارية لها القدرة على التحاور، وترجمة افكارها ورؤاها عبر حوار حقيقي مع الغرب والآخر عموما، يقدم خلالها نموذجا متكاملا للتفاعل الحضاري بين الشعوب رغم اختلافاتها الدينية والثقافية الحضارية.⁵³ واللافت في هذا المجال ان ثورات الربيع العربي قد اسهمت في تبلور نموذج جديد للهوية العربية لدى الشباب الثائر، مازال قيد التشكل، جيل شاب لديه قدرة هائلة على الحشد لقضايا تهم امته وهويته الوطنية. نموذج يعكس تطلعات

⁵⁰ سعد مطر عبود، حوار الاديان مفتاح للسلام، صحيفة الصباح، العدد 1546، بغداد، 2008/11/25، ص11.

⁵¹ ياسين العلواني، ثقافة الاختلاف والحوار، صحيفة الصباح، العدد 1335، بغداد، 2008/3/5، ص10.

⁵² عبد السلام بغدادي، المصدر السابق، ص 82.

⁵³ "دور المؤسسات العلمية والثقافية في مواجهة اخطار العولمة"، المصدر السابق، ص5-6.

شباب، اثبت انه اكثر انفتاحا وتحررا من الاتجاهات العربية السابقة بانتمائها الحزبية والفكرية، فهو اكثر تسامحا مع الاتجاهات الفكرية الاخرى، وهذا يعني انه اكثر قدرة على التواصل مع الاخر، المختلف عنه ثقافيا ودينيا وحضاريا.⁵⁴ ان انجاح عملية الحوار مع الخارج يتطلب تحقيق الوئام الوطني على مستوى الداخل، وهذا لن يتحقق الا ببناء وتعزيز اطر ومؤسسات التفاهم بين مختلف شرائح المجتمع، وذلك لان الكثير من انماط العداة والخصومة ليست وليدة الاختلاف المحض، وانما هي من جراء غياب هذه الاطر والمؤسسات التي تعزز من فرص التفاهم والحوار المباشر.⁵⁵ فالقيام بتوفير الارضية اللازمة للبناء المؤسسي يسهم في توطيد اركان ثقافة الحوار، والتسامح، والسلم والوئام بين مختلف الفئات والشرائح في المجتمع. ويشكل الشباب ركنا اساسيا في تشكيل مؤسسات المجتمع المدني التي تعد آلية مناسبة للمشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الفاعلة في المجتمع، ولتعزيز عملية البناء الديمقراطي وثقافة التسامح والعيش المشترك. ومع تعاظم دور مؤسسات المجتمع المدني على المستوى الدولي تعاظمت مشاركة الشباب وتعززت ادوارهم داخل مجتمعاتهم المحلية والوطنية وايضا على المستوى الدولي من خلال مناهضتهم للعولمة والحروب، والدعوة الى السلام نبذ العنف.

ومن المؤكد ان تحقيق الوئام الوطني، الشرط اللازم لقبول الاخر المختلف عقائديا وحضاريا وثقافيا، لا يمكن ان يتحقق الا اذا كان هناك توجه جاد من لدن مؤسسات الدولة المختلفة، فضلا عن مؤسسات المجتمع المدني المتعددة، علاوة على مؤسسات ووسائل الاعلام المتنوعة (المريئية والسمعية والمكتوبة)، زائدا المناهج التعليمية والتربوية في المدارس والجامعات، لانماء ثقافة الحوار واذكاء روح الحوار في المجتمعات العربية.⁵⁶

ان تماهي هذا البناء الداخلي مع الذات ومع الاخر يوجب بلورة خطاب اعلامي عصري وموضوعي، يكون الشباب مادته وادواته، باستخدام قدراتهم الهائلة على الحشد والتحدي والابتكار باستخدام أدوات العصر التقنية من شبكات الاتصال الاجتماعية، كالمواقع والمدونات وصفحات التعارف الاجتماعي "الفيس بوك" والبرامج الحوارية على شاشات القنوات الخاصة والعامّة. خطاب جديد

⁵⁴ محد العجاتي وعمر سمير، مشاركة الشباب العربي بين الهموم الوطني والطموحات الاقليمية، في: جيل الشباب في الوطن العربي ووسائل المشاركة غير التقليدية من المجال الافتراضي الى الثورة، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص 274-275.

⁵⁵ عبد السلام بغداددي، المصدر السابق، ص 87.

⁵⁶ المصدر نفسه، ص 96.

ومبتكر يتوجه للغرب، يتجاوز المتناقضات ، ويعلو على النزعة العاطفية، ويؤسس لرؤية معرفية اسلامية مستقلة وشاملة، ويرتكز على الانفتاح النقدي، وعلى مفهوم "ثقافة الحوار". خطاب يسهم في اسلمة المعرفة الاسلامية، وتفعيل دور الاقليات المسلمة التي يمكن ان تشكل قوة ضغط فاعلة، خاصة في ظل سيادة اجواء حرية الرأي والتعبير في الدول الغربية، واستثمار قدراتها وامكاناتها في مجتمعاتها، في صناعة اعلام قوي يقوم على نشر الدعوة والذود عن الاسلام والمسلمين، وفتح قنوات الحوار والتعايش مع اصحاب الحضارات والثقافات الاخرى.⁵⁷

الملاحظات والتوصيات

تعد العولمة تحديا حقيقيا للثقافة العربية والاسلامية المعاصرة. ويقتضي التفاعل الحي معها الاستجابة الواعية بكيفية عقلانية تساعد على تعزيز الهوية الحضارية للامة، وصون شخصيتها الثقافية. وهذا يستوجب من الثقافة العربية ان تؤدي دورها المهم في مواجهة تحديات العصر، ليس برفض الاخر، بل بالتحاور معه، وذلك بالتأسيس لثقافة التعامل والتفاعل، لمواكبة تطورات العصر. ومن اجل الوصول بالحوار الى غايته المنشودة يجب ان يتغلب التيار العقلاني في العالم العربي والاسلامي على التيار المتطرف والمخطيء في فهمه لرسالة الاسلام السمحة، والانطلاق من القيم الانسانية المشتركة لبناء جسور التفاهم بين الامم والشعوب، ولا يتم ذلك الا بالنقد الذاتي اولا الذي يؤسس لثقافة الحوار مع الاخر:

- اعادة بناء المنظومة القيمية، واعداد تأهيل دور الشباب قيما ومعنويا للاسهام في برامج الحوار، والتأكيد على الدعوة الى الاسلام بالوسائل السلمية، وبالحكمة والموعظة الحسنة لبيان حقائق الاسلام في خضم التنشويه السياسي الذي بات يتعرض له بشكل لافت ومقصود.
- تعزيز ثقافة الحوار، وذلك باستخدام لغة العصر وادواته من وسائل التقنية المتطورة والاستفادة منها في نشر ثقافة الحوار، وبيان موقف الاسلام من التعايش السلمي بين الحضارات. وكذلك التواصل مع الشعوب الغربية، وتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني لبيان حقائق الاسلام، والتأكيد على ان الاسلام لايعتدي وانما يقاوم من يعتدي عليه ويحتل بلاده، وللامة المسلمة حقها المشروع في الدفاع عن وطنها ومعتقداتها. ويمكن للشباب ان يؤدي دورا محوريا في هذه المؤسسات تتناسب مع ديناميكيته وطاقاته المتجددة.

⁵⁷ "مجدي داغر يناقش الاعلام ودوره في تعزيز الحوار والتعايش"، المصدر السابق، ص 2.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- تضمين المناهج التعليمية مايعزز الوحدة الوطنية والاسلامية، وثقافة التعايش الايجابي مع شعوب العالم.
- استثمار قدرات الشباب في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات لخلق جسور تواصل بين الشباب العربي المسلم وغير المسلمين في الغرب من خلال الدعوة الى حوار جاد وحقيقي يعكس الاسلام الوسطي، ويقدم الفكر الاسلامي من خلال لغة مفردات تمس عقول ووجدان الاوربيين، وتصحح لديهم المفاهيم الخاطئة عن الاسلام.
- تجديد الخطابات الدينية والفكرية التي كانت، في الماضي سببا في تناغم الصراعات والازمات بين الجانبين، وان يكون هذا التجديد جزءا من العمل الدعوي للشباب بغية اعطاء صورة حقيقية عن الاسلام، وان يتضمن اعترافا متبادلا من كلا الجانبين بدورهما المشترك في تطور الانسانية واثراء قيمتها.
- عقد المؤتمرات الدولية التي تعالج موضوع التسامح والحوار مع الاخر، واقرار مبادئ ملزمة للطرفين، تركز على عدم المساس بحقوق الاخر، ووضع قانون دولي يجرّم المساس بالاديان او المعتقدات الدينية لاي جماعة او الاساءة لرموزها.
- اعداد ورش عمل، وتنظيم مؤتمرات لاشراك الشباب في الحوار البناء في الامور الدينية والحضارية تسهم في صقل ادواته المعرفية وقدرته على مخاطبة الاخر المختلف بلغة حضارية تجمع المشتركات، وتقلص مسافات الاختلاف لتبديد عوامل الشك والارتياب بين الجانبين، وتدفع باتجاه تجاوز الرؤية القاصرة للاسلام، والنظر الى المسلمين كشريك مكافيء في الحقوق والقيمة الانسانية.

حنا عيسى¹

ثقافة الحوار مع الآخر لدى الشباب ودورها في التواصل الحضاري

الملخص

الشباب هم الشريحة الأكثر أهمية في أي مجتمع، وإذا كانوا اليوم يمثلون نصف الحاضر فانهم في الغد سيكونون المستقبل، ومن هذه القاعدة جاء القول بأن الشباب عماد المستقبل وبأنهم وسيلة التنمية وغايتها، فالشباب يسهمون بدور فاعل في تشكيل ملامح الحاضر واستشراف آفاق المستقبل، والمجتمع لا يكون قوياً إلا بشبابه والأوطان لا تبنى إلا بسواعد شبابها.. وعندما يكون الشباب معداً بشكل سليم وواعياً ومسلحاً بالعلم والمعرفة، فإنه سوف يصبح أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحاضر وأكثر استعداداً لخوض غمار المستقبل. ولذلك فإن جميع الأمم والشعوب تراهن دوماً على الشباب في كسب رهانات المستقبل لإدراكها العميق بأن الشباب هم العنصر الأساسي في أي تحول تنموي ديمقراطي.. سياسي أو إقتصادي أو إجتماعي، فهم الشريحة الأكثر حيوية وتأثيراً في أي مجتمع قوي تمثل المشاركة السياسية فيه جوهر التكوين. والحديث عن الشباب في مجتمعنا العربي هو حديث عن الحاضر والمستقبل الذي يزخر بتحولات سياسية مهمة تنتقل بشعوبنا إلى آفاق واسعة لارتياح المستقبل وتحدياته ومتطلباته التنموية والديمقراطية.

المقدمة

يشكل الشباب العربي بؤرة وجوه التغيير... فكما أن للآخر دوره فإن للشباب أدواره، تتوزع وتختلف وتتصادم وتتكامل، لكنها في النهاية تبقى مرتعاً تنموياً يستدعي إعادة التكرير من أجل الاضطلاع بشباب قادر على تحمل أعباء المجتمع العربي، قادر على التطوير والتطهير، قادر على صناعة التعبير الحر غير المنمط وغير الملوث، بل تعبير مبني على أعمال الفكر من أجل حوار شبابي عربي-عربي أولاً، وحوار شبابي عربي-عربي ثانياً، غايته إعادة الاعتبار إلى الجوهر الاجتماعي للشباب لتحقيق مشاركته الفعلية في الحياة العامة بما في ذلك الحوار الثقافي.

¹ الأستاذ الدكتور حنى عيسى [hanna_50@yahoo.com] أمين عام الهيئة الاسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، فلسطين.

والعيش المشترك والتعاون والانسجام، من الأساسيات التي قام عليها الإجماع البشري منذ أمد قديم، فاقتضت ظروف الاجتماع البشري والعمل على تطويع الطبيعة لصالح الإنسان، تعاون الجميع بغض النظر عن اختلاف الأعراق والثقافات والأديان، وحرصاً على أن يظل هذا التآخي قائماً بين الإنسان وأخيه الإنسان وتذويب الفوارق، عملت الدول والمجتمعات والمنظمات الدولية المتخصصة (اليونسكو) مثلاً على وضع برامج لتنميين التنوع الثقافي وجعله حافظاً للتنمية من خلال الحوار والعمل المشترك.²

عرض البحث

والبيئة الاجتماعية دور في إرساء ثقافة الحوار والتسامح لدى الشباب، فإن أول ما يتبادر إلى ذهن المتخصصين في علم الاجتماع هي مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتعددة في المجتمع التي يفترض أن تقوم بدور فاعل في تشريب الناشئة القيم الاجتماعية والثقافية التي يرغب المجتمع في استمرارها، ولعل أهم المؤسسات الاجتماعية التي يحسن الحديث عنها في هذا الصدد هي الأسرة والمدرسة، ففي الوقت الذي تقوم فيه الأسرة بتعويد الناشئة على القيم الاجتماعية المقبولة والتي تأخذ في طبيعتها خصوصية الأسرة فإن المدرسة يفترض أن تكون هي الجسر الذي يربط بين خصوصية الثقافة التي يجب أن تقوم بها الأسرة لتعميم ثقافة مشتركة تجمع جميع أفراد المجتمع على هوية ثقافية واحدة. فالأسرة والمدرسة كمؤسسات إجتماعية مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية تأخذ الأول طابع المؤسسة الغير رسمية كما تأخذ الأخرى طابع المؤسسة الرسمية فيكون لها الدور الأكبر في إرساء ثقافة الحوار والتسامح لدى الشباب.³

إلا أنه اليوم حيث يعيش الشباب في بيئة عالمية مشحونة بثقافة الصدام الحضاري يتأكد الحديث عن العلاقات المفترضة بين الحضارات والثقافات في هذا العالم، التي لا زالت تحتفظ لنفسها بمقومات البقاء والاستعداد للنمو والنهوض. فيصبح حوار الحضارات لا يعفي من ضرورة الرؤية النقدية للواقع، ولا بد من القيام بشكل حثيث بنقد الذات والعمل على الخروج من الحالة الفصامية العميقة التي تمتد من الفرد إلى المجتمع، ومن جيل الشيوخ إلى جيل الشباب، الخروج من نرجسية النظرة إلى التاريخ والتراث، الخروج من وهم إمكان تمثل الحضارة دون التلوث بها فكرياً ونمطاً للحياة إن لم نشارك في إنجازها ونسأهم في بنائها.⁴

² <http://www.startimes.com/?t=30034676>

³ <http://www.almotamar.net/news/9025.htm>

⁴ <http://www.hiramagazine.com/archives/title/739>

ويعرف الحوار على أنه مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين مختلفين. وله أهمية كبيرة، فهو من وسائل الاتصال الفعالة؛ حيث يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها؛ ليكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق. والحوار مطلب إنساني، تتمثل أهميته باستخدام أساليب الحوار البناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في جماعة، والتواصل مع الآخرين، فالحوار يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية، وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين. كما يعكس الحوار الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب، حيث تعلق مرتبته وقيمه وفقاً للقيمة الإنسانية لهذه الحضارة وتلك. وتعد الندوات واللقاءات والمؤتمرات إحدى وسائل ممارسة الحوار الفعال، الذي يعالج القضايا والمشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر.

أهداف الحوار

1. إيجاد حل وسط يرضي الأطراف،
2. التعرف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى،
3. البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرؤى والتصورات المتاحة، للوصول إلى نتائج أفضل وأمكن، ولو في حوادث تالية.

ومنهجية الحوار مع الشباب من شأنها أن تعطي ثمارها في تعميق المشروع التنموي الوطني ككل باعتبار أن الحوار معهم سيضيف بعداً جديداً للمشروع برؤية شبابية تنظر للغد بشكل يختلف ربما كلياً عن نظرة الكبار له. فالفجوة بين هؤلاء الشباب وبين الكثير من المؤسسات الرسمية المعنية بهم أساساً خلقت فجوة بين الكثير من البرامج والشباب، ولعل لنا شواهد واقعية كثيرة تكشف تلك الفجوة، مثل أنشطة النوادي الرياضية وبيوت الشباب وأيضاً المنظومة التعليمية على وجه العموم، حيث نلاحظ أنها لا تشبع نهمهم واحتياجاتهم، بل تعتبر فقيرة قياساً لسرعة التغير الثقافي عند شبابنا ورغبته في التفاعل مع معطيات العصر بعقل متأصل في دينه مستوعب لمعطيات العصر. فالحوار مع الشباب من الأهمية بمكان لتقارب الرؤى بين الأجيال وأيضاً لاستيعاب احتياجاتهم ككل في الخطط الاستراتيجية الوطنية وخاصة فيما يرتبط بالمشاريع الشبابية.⁵

ولا بد عند الحوار مع الشباب التنبيه إلى أن طبائعهم ليست واحدة، أو أن لهم سمات متشابهة، وإنما هناك طبائع وسمات متباينة. فيجب على المحاور الناجح

⁵ http://www.kacnd.org/writer_words_descr.asp?idd=94&idd1=315

الإحاطة بأكثر الطبائع والسمات السائدة بين الناس، حيث إنه لا يستطيع في العادة أن يختار التحوار مع النموذج المفضل لديه؛ لذلك وجب عليه التعرف على أكثر الطبائع انتشاراً، وعلى كيفية التعامل مع كل نموذج على حدة.⁶

ويعتبر الحوار بين الثقافات ضرورياً وأساسياً من أجل إرساء السلام، فالإرادة المشتركة التي تحدى في الإسهام، من خلال تضافر الجهود، في سبيل صناعة المستقبل المزدهر للإنسانية، وتشبثنا بالقيم الإنسانية وتعلقنا بمبادئ القانون الدولي التي تستلهم روح الحضارات والثقافات الإنسانية المتعاقبة عبر العصور، تحتم علينا بذل جهود مضاعفة لتشجيع فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات والإسهام في دعم جهود المجتمع الدولي المبذولة على أكثر من صعيد، من أجل إقرار الأمن والسلم في العالم، وإشاعة روح التسامح والتعايش بين الشعوب والأمم، من خلال تعزيز الحوار الموضوعي النزيه بين الحضارات والثقافات. إن تحقيق فعالية أكبر وجدوى أعمق للحوار بين الحضارات والثقافات يقتضي التوسع في إقامة منتديات عالمية تتوزع على أكثر من منطقة وإقليم، تقوم على مبادرات من المؤسسات والمنظمات ذات الاهتمام المشترك، ومن الجامعات والمحافل الثقافية والأكاديمية، على أن تُكرس جهودها لإشاعة قيم الحوار والتعايش، بما يمهّد السبل نحو التقارب والتفاهم، تعزيزاً للروابط الإنسانية التي تجمع بين الشعوب والأمم.⁷

يواجه الشباب في المجتمعات العربية والإسلامية العديد من التحديات ويأتي في مقدمتها:⁸

الازدواجية

فالسمة البارزة لدول ما بعد الاستعمار القديم، هي الازدواجية التي تسببت في انشطار المجتمعات إلى قسمين لا تجمعهما إلا الرقعة الجغرافية؛ "دعاة الثقافة الأصلية" و"دعاة الثقافة الغربية"، مما جعل الصراع الفكري داخل المجتمعات العربية أمراً طبيعياً تتوارثه الأجيال، وبالتالي سادت ثقافة الاحتراب التي تتغذى بالنفي والنفي المضاد، وغابت قنوات التواصل والحوار. ولا بد لنزع فتيل الحرب الأهلية الثقافية التي تتهدد مجتمعاتنا، من تجاوز الازدواجية بابتكار صيغ تركيبية تعمل على إدماج "الأخر" أثناء عملية إعادة بناء الذات؛ هذه العملية التي لو أنها التزمت بتحديد التحديات القائمة وترتيبها حسب سُلّم الأولويات، لظهر أن

⁶ <http://www.akhbar-alkhaleej.com/12768/article/11777.html>

⁷ <http://www.startimes.com/?t=30034676>

⁸ <http://www.hiramagazine.com/archives/title/739>

الصراعات الداخلية التي تستنزف طاقات مجتمعاتنا إنما هي ناتجة عن تناقضات ثانوية واهية بالمقارنة إلى التناقضات المركزية لهذه المجتمعات.

تشنت القوى الفكرية في تحديد ماهية الحوار

تتطلب طبيعة التحديات، تجاوز الخلافات الداخلية والتناقضات الثانوية، حتى يتأتى اجتماع كل القوى الفكرية الصادقة على أهداف محددة ترتبط بطبيعة التحديات الحضارية. وفي هذا المضمار، يجب ترشيد الشباب لتشكيل جبهة ثقافية على أرضية فكرية تتكون أسسها من القواسم المشتركة. وفي سياق الانتقال بالشباب من إشكالية تشنت القوى الفكرية في تجاوز خلافات الذات لحوار الآخر، يتعين علينا واجباً توجيهه لمعرفة من الآخر المرشح لعقد الحوار معه.

افتقاد الرؤية المتوازنة للحوار التام والحوار الناقص

يشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتناقص والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتنى به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة. وعليه فإن الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجدداً منذ أن توقفنا عن صناعة تاريخنا، ونحن عبارة عن موضوع لفعل الغرب، يستثيرنا فننقل، ويأتي رد فعلنا موزوناً ومقاساً على فعله. واليوم شبابنا محتاج لفعل تواصلٍ إنجازي حضاري، وليس لرد الفعل الأني غير التواصل.

ترسيخ مفهوم التنوع الثقافي لتعزيز التعايش والحوار

يعتبر التنوع الثقافي مصدراً مهماً في مجال هوية الإنسان وحقوقها الأساسية. باختلاف الثقافات الذي يحيط بنا اليوم هو نتاج لآلاف الأعوام من تفاعل الإنسان مع الطبيعة والعلاقات بين شعوب ذوي أعراف ومعتقدات وأنماط عيش مختلفة. فعلى أن نجد طريقة نقل بها للأجيال المستقبلية هذا الإرث الذي لا تقدر قيمته بثمن. كما أن توظيفه توظيفاً سليماً من خلال التواصل والحوار وتجذير روح المحبة والتآخي بين أبناء المجتمع الواحد بمختلف أعرافه وثقافته، يعتبر صمام أمان وضامن أساسي لحوار حقيقي يشكل سنداً قوياً للتعايش والتواصل الحضاري.⁹

⁹ <http://www.startimes.com/?t=30034676>

ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟



خلدون عريمط¹

ماذا قدم حوار الأديان الى الشباب؟

المخلص

ظهرت فكرة الحوار بين الأديان والحضارات مع منتصف القرن الماضي عام 1932م. بلقاء أولي بين موفدين من فرنسا للتداول مع علماء الأزهر الشريف في القاهرة، وبعد مرور سنوات على هذه البداية المتواضعة تأكد لصنّاع القرار الدولي أن الحروب الساخنة أو الباردة سياسية كانت أو اقتصادية أو دينية لا يمكن أن تنتج سلاماً وأمناً واستقراراً للعالم بكل مكوناته الثقافية والعرقية والدينية في أية منطقة من عالمنا قديماً وحديثاً خاصة وأن الشعوب والأمم عانت الكثير من نتائج هذه الحروب الدينية والاقتصادية والتي سقط جراها الملايين من الشباب والنساء والشيوخ من أتباع الديانات والحضارات والثقافات على أنواعها. وكثيراً ما كان هذا الشرق بكل مكوناتها مسرحاً لهذه الصراعات وتلك الأطماع وتداعياتها الكثيرة.

عرض البحث

عندما تتجه الإيرادات والأفكار نحو الحوار الموضوعي الصادق والهادف فإن نجاحاته لا يمكن أن تكون مكتملة ومبينة على العدل والحق إلا بالاتجاه نحو تهيئة المناخ العام لتقبل ثقافة الحوار والتلاقي والتعارف بين مكونات المجتمع على الصعيدين الوطني والدولي. ولا شك في أن التركيز على ثقافة الحوار بين الشباب ذكوراً وإناً حاجة ملحة لما لهؤلاء من مكانة كبرى ودور رائد في حمل قضايا هموم وتطلعات وآمال الشعوب والأمم في كل زمان ومكان، ولذلك فإن الأديان والكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى احتضنت ورعت الشباب الذين أخذوا على عاتقهم نشر رسالة التوحيد التي بدأت مع سيدنا آدم عليه السلام بخطاب الله تعالى لملائكته بقوله: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (سورة البقرة: 30). وهذا يعني أن هدف الخلق الأول للإنسان أن يكون خليفة الله على هذه الأرض، خاضعاً لمشيئته، وعاملاً لإقامة العدل والحق والسلام وإعمار الأرض، وعابداً لله تعالى، ساعياً للتعاون والتعارف والحوار للوصول الى

¹الشيخ خلدون عريمط [k-oraymet@hotmail.com] أمين عام للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، دار الفتوى - بيروت.

التكامل الروحي² بين أبناء آدم وبالتالي أبناء البشر الذين كرمهم الله تعالى بالأنبياء والرسل وما حملوه من الله من خير وهداية.

ولأهمية الشباب ومكانتهم كان الأنبياء والرسل في ريعان شبابهم عندما حملوا دعوة التوحيد الى الناس، والمواصفات الشبابية هذه، كانت ملازمة لسيدنا نوح عليه السلام ولأبي الأنبياء سيدنا ابراهيم بقوله تعالى: "قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (سورة الأنبياء: 60)، وهي صفات لمن جاء بعده من الرسل والأنبياء اسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ويحيى وادريس وصالح وموسى والمسيح عيسى ابن مريم ومحمد بن عبدالله عليهم صلوات الله وسلامه وغيرهم، ومن هنا كان قوله تعالى: "يَيَّحِييْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا" (سورة مريم: 12)، كما أن الله تعالى خاطب المؤمنين الذين آمنوا برسالة سيدنا المسيح عليه السلام والذين اضطهدوا وعذبوا ففرّوا بدينهم من أعدائهم وهم في مقتبل العمر بقوله عز وجل: "تَحْنُ نَفْسُ عَلِيَّكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (سورة الكهف: 13).

وفي هذا السياق الهام، كانت دعوة الإسلام التي أعطت أهمية كبرى للشباب ودورهم فاحتضنت تطلعاتهم ورعت عنفوانهم وصدقهم منذ بداية انطلاق الدعوة، وهم أول من اعتنق الإسلام وحملوا رسالته، وجاهدوا لتحقيق أهدافها وغاياتها، فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام نزل عليه الوحي من الله تعالى وهو في قمة شبابه في الأربعين من عمره، فما إن تلقى الوحي لحمل رسالة الايمان والدعوة إليها، حتى كان الشباب من أوائل من آمن وصدق، فأسلم ابن عمه علي بن أبي طالب وعمره اثنا عشرة عاماً، واستجاب للدعوة صديقه أبو بكر الصديق وهو في مقتبل العمر، وكذلك اعتنق عمر بن الخطاب الإسلام وعمره عشرون عاماً، وكذا أسماء بنت أبي بكر وهي دون العشرين من عمرها وهكذا عثمان بن عفان وغيرهم الكثير من الشباب ذكوراً وإناثاً، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كلف الشاب أسامة بن زيد وهو في العشرينات من عمره لقيادة الجيوش دفاعاً عن رسالة الإسلام وفيها العديد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

وهنا تبرز أهمية الخطاب الديني المعاصر الذي يجب أن يوجّه للشباب ذكوراً وإناثاً على السواء من خلال أماكن العبادة والمعاهد والمدارس والجامعات ووسائل الإعلام المتعددة وهي التي تلعب دوراً أساسياً في أيامنا في تكوين ثقافة الرأي العام، وخاصة لدى جيل الشباب من أتباع كافة الأديان والرسل الذين حملوا رسالة الإيمان لتصحيح مسيرة الحياة وإغنائها بالخير والعدالة والرحمة لكل

² الشيخ محمد مهدي شمس الدين: الحوار الإسلامي - المسيحي، ص120، مؤسسة شمس الدين - بيروت 2004م.

الناس. فالشباب هم مستقبل الأوطان والأمم وخاصة في عالمنا الحاضر، والخطاب الديني له تأثير كبير على الشباب والمجتمعات لدى كل الشعوب على تنوعها وأماكن وجودها، وخاصة لدى مجتمعا العربي والإسلامي في هذا الشرق العابق برسالات الإيمان وبالذعوة الأولى لتوحيد الخالق وعبادته على هذه الأرض المباركة.

وعلى الخطاب الديني في أيامنا أيًا كان، أن يلتزم قولاً وفعلاً بحقيقة الدين وأهدافه وغاياته التي أنزلها الله تعالى من خلال الكتب السماوية في الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

فالدين الذي شرعه الله تعالى على أنبيائه ورسله هو في الأساس دعوة لعبادة الله الواحد، قال تعالى: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ" (سورة الشورى: 13)، والدين هو رسالة محبة ورحمة لكل الناس بقوله عز وجل للنبي محمد عليه الصلاة والسلام: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الأنبياء: 107)، وهو - أي الدين - الذي أكرم الله به البشر جاء لتصحيح مسيرة الإنسان، وللتعارف والتلاقي بين الناس ولتعزيز سبل الحوار مع الآخر، للحفاظ على مستقبل الإنسان ودوره في صناعة الاستقرار وبناء السلام بين الشعوب والأمم، ومن هنا كان قوله تعالى: "يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات: 13). ولكي يكون الحوار بناءً وفاعلاً ومنتجاً لا بد أن يبدأ مع الشباب والشباب، من مدارسهم وجامعاتهم وأماكن تواجدهم، فهم صنّاع الحياة وبناءة المستقبل، وليبقى الحوار إيمانياً صادقاً بعيداً عن فكرة الإلغاء أو التهميش، كان قوله تعالى لرسول الاسلام محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (سورة النحل: 125).

وبسبب ذلك فإن على الخطاب الديني لدى المسلمين ولدى أتباع الديانات الإلهية الأخرى والنخبة الشبابية المثقفة والواعدة فيهم بخاصة، أن يرفضوا حكماً نظرية صموئيل هنتنغتون عن حتمية صدام الحضارات والأديان وخصوصاً الغربية اليهودية والمسيحية، والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية،³ وثقافة الحوار بين الشباب من كل أتباع الديانات والحضارات والثقافات هي وحدها الكفيلة بإبطال مشاريع الصدام والصراع التي ترفضها القيم والمبادئ التي حملتها رسالة الله الى خلقه بالدين الذي أنزله الله تعالى.

³ د.محمد عبدالله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، ص345، دار الفكر العربي - القاهرة.

ومهمة الخطاب الديني الآن أن يعود الى حقيقته التوحيدية ودوره الإيماني الإصلاحية وأن يدرك أن الحوار مع الآخر واجب شرعي وضرورة وطنية، وحاجة انسانية للحفاظ على مستقبل الانسان وكرامته ودوره في صناعة الأمن والاستقرار وبناء السلام وإقامة العدالة بين الأمم والشعوب في كافة أرجاء الأرض التي خلقها الله لتكون في خدمة هذا الانسان، وعليه أن يدرك ان التلاقي والتعارف والحوار ركيزة أساسية من ركائز الدعوة الإسلامية، التي حملها رسول الإسلام، الذي خاطب أتباع من سبقه من الأنبياء والرسل بقوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (سورة آل عمران: 64).

فالحوار واحترام الآخر المختلف في المجتمع يشكل صمام أمان لا غنى عنه، كان ولا زال وسيبقى هدفاً يجب أن يسعى إليه المفكرون والمتفكرون والشباب والقادة الكبار من المسلمين ومن أتباع الديانات الأخرى الملتزمين فعلاً بحقيقة ما أنزله الله، وهو دعوة دائمة من علماء المسلمين وقياداتهم الحقيقية، وقد أشار كبار المؤرخين الى ميزة تسامح المسلمين في الأندلس مع اليهود والنصارى، هذا التسامح الذي لم يُسمع بمثله في العصور الوسطى، كان سبباً في نشأة علم لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى في الغرب، وهو علم مقارنة الأديان، أو مقارنة الملل والنحل على اختلافها والإقبال على هذا العلم بشغفٍ عظيم،⁴ ونماذجه متعددة في ثقافة الحضارة الإسلامية التي انطلقت مبكراً مع الحوار الذي أجراه النبي عليه الصلاة والسلام مع مسيحيي نجران، ومن بعده العهدة العمرية التي أقرها الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب عام 638م لأهل بيت المقدس في فلسطين على أساس (الأمان لأنفسهم، وأموالهم وكنائسهم، وصلبانهم... فلا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صلبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم) واقتفى السلطان صلاح الدين عام 1187م، والفتح السلطان سليم الأول العثماني أثر الخليفة عُمر في المحافظة على هذه القواعد، حتى أن الأخير عند دخوله القدس عام 1516م عُرضت عليه وثيقة العهدة العمرية فوضعها على رأسه احتراماً⁵ وهو على مداخل القدس في فلسطين المحتلة والمغتصبة من الحركة الصهيونية في أيامنا هذه، وحديثاً ما يسود عالمنا من لغة التراحم والتعارف والتلاقي في لجان حوار الأديان داخل الأزهر الشريف في

⁴ آدم متز: الحضارة الإسلامية: ترجمة د. أبو ريذة، ص 288 - الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

⁵ وليد الخالدي: القدس من العهد العمرية الى كامب ديفيد الثانية، ص 2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2001م.

القاهرة، وفي ندوات الفاتيكان في روما، وفي لقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز بالفاتيكان ومدريد، وفي مؤتمر الدوحة الدولي لحوار الأديان المستمر سنوياً، وفي عشرات المؤتمرات في البلدان العربية والإسلامية والأوروبية، وفي كلِّ من أميركا وروسيا وشرق آسيا وأفريقيا، لأن الإسلام والمسلمين هم في الأساس دُعاة إيمانٍ وعلمٍ ورحمةٍ ومحبةٍ وتعارفٍ بالحوار بين جميع أتباع الديانات والثقافات والحضارات على اختلافها وتنوعها، وعلى ذلك فحين كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة ساطعة في الأندلس تمتع الناس مسلمين ومسيحيين ويهوداً بتسامح ديني رائع أثمر حوارات دينية رفيعة بين المسلمين والمسيحيين واليهود الذين عاشوا جنباً إلى جنب في الوطن الأندلس متمتعين بحرية الاعتقاد الديني التي كفلها الإسلام وحماها بكلِّ قوّة وعزم.⁶

والثقافة الحضارية للإسلام هذه، ودعوته الدائمة لاحترام الآخر والمحافظة على خصوصيته دفع الكنيسة الغربية ولأول مرة في تاريخها لأن تناقش في مجمعها الفاتيكاني الثاني 1962-1965م، مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية وقد أولى هذا المجمع اهتماماً خاصاً بالإسلام معترفاً بوضعه الديني المميّز⁷ لما له من دور إيماني وتكافل اجتماعي لخدمة البشر.

صحيح أن الإسلام دعا ويدعو الناس للإيمان بالله الواحد الأحد واعتناق العقيدة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، لكنّه في الوقت ذاته ترك للناس حرية الاختيار، ليتحمّلوا مسؤولية هذا الخيار، بقوله عزّ وجلّ: "أَسَأْتِ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" (سورة الغاشية: 22)، ومن هنا كان قوله تعالى لبني البشر من خلال رسالة الإسلام: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ... (سورة الكهف: 29). ولتفعيل ثقافة الإيمان والمواطنة، والثقة المتبادلة، والحوار الموضوعي بين الأمم والشعوب وخاصة قطاع الشباب، من الضرورة العمل معاً، لإيجاد ثقافة مدرسية وجامعية ومجتمعية منظمة يصار فيها إلى التركيز على نشر ودعم ثقافة الحوار من خلال الآتي:

1. تحصين الشباب وضرورة العمل على تفعيل الحوار بينهم كي لا يبقى شعاراً يُرفع في المناسبات المتعددة والأحداث الطارئة وذلك بتصحيح المفاهيم والأفكار المشوّهة المتوارثة والتي لا علاقة لها بالدين، والمستخدم من بعض المجموعات الإلغائية من كل الأطراف التي ترفض الاعتراف بالآخر، سواءً كان هذا الآخر

⁶ د. محمد عبدالله الشرفاوي: المرجع السابق، ص 349.

⁷ ألكسي جورافكسي، الإسلام والمسيحية، ترجمة دخلف محمد الجراد ص 137، سلسلة عالم المعرفة، عدد 215، نوفمبر 1996.

يحمل عقيدةً دينيةً أو توجهاً سياسياً أو فكراً ثقافياً، مما يسيء الى علاقة الانسان بالإنسان وبالتالي الى علاقة أتباع الديانات الإلهية بعضهم مع بعض لا بسبب كونهم جزء من وحدة الأصل الابراهيمي، بل بسبب وحدة الأصل الكوني منذ خلق الله آدم على هذه الأرض،⁸ والسعي للعمل على تعميم قاعدة القبول بالآخر كما هو، وليس كما أريده أنا أن يكون.

2. تسليط الضوء على قيم التسامح ودعم الاعتدال والابتعاد عن ثقافة التطرف والانغلاق، والتعصب الديني والثقافي الذي بدأت تعانيه العديد من المجتمعات في كل مكان مع بداية هذا القرن، الذي تتكاثر فيه التناقضات وتتواصل فيه الأفكار والثقافات نتيجة ما يتدقق إليها من كمٍ كبير من المعلومات وأخبار الحروب والصراعات التي تتناقلها مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام بكافة أنواعه. والعمل على إغناء الثقافة الحوارية لتقبل الرأي الآخر المختلف وعدم رفضه أو معاداته، والانفتاح على وجهة نظره ومناقشتها وإن كان الآخر غير مؤيد لها أو مقتنعاً بها، والعمل على بث ثقافة الإيمان وعبادة الله الواحد، ونشر مفهوم العدالة والحفاظ على حقوق الآخرين في الأرض والعقيدة والثقافة، ونبذ ثقافة الكراهية ولغة القوة وفائض القدرة على ظلم الآخرين وسلب خيراتهم وحقوقهم بأوطانهم.

3. إقامة ورش عمل بين الشباب من أتباع كافة الأديان الإلهية والتأكيد على أن الأديان هي مصدر إيمان ورحمة ومحبة وتكامل وتلاقي بين الناس وليست سبباً للتفرقة أو الصراعات على أنواعها، وعقد دورات تدريبية بمشاركة علماء دين ومفكرين ومتفقين وكتاب وإعلاميين مؤثرين في تكوين الرأي العام إضافةً الى رواد في حوار الثقافات والحضارات، على أن تُعتمد نتائج هذه الورش والندوات في مناهج الجامعات الحكومية والأهلية لتنمي روح ثقافة الحوار بين الأجيال الصاعدة، وعقد مؤتمرات على الصعيد المحلي والاقليمي والدولي لتتناول الموضوعات والقضايا التي تساعد على تنمية روح الحوار والتسامح بين الشباب، وتنامي العلاقات وتشجيع ثقافة الحوار بموضوعية وعلى وجه الخصوص في الاختلافات الفكرية والعقائدية المتنوعة والمتعددة.

4. دعوة وزارات الأوقاف ووزارات الإعلام والثقافة ووزارات الشؤون الدينية وكافة المواقع والمراجع الدينية ومؤسساتها بمشاركة فعّالة من دول منظمة الأمم

⁸ عمر مسقاوي، التراث والحوار بين المذاهب الإسلامية والآخر، ص 93، مكتبة الإيمان، طرابلس - لبنان.

المتحدة لعقد مؤتمرات دورية مشتركة، والدعوة للاجتهاد بإيجاد علم "فقه التعايش"، وإقامة مجامع ثقافية فكرية متوازنة لنشر ثقافة الحوار والتلاقي والتعارف بين القطاعات الشبابية من أتباع الدين الواحد ومذاهبه المتعددة، وأتباع الديانات الأخرى وفِرَقها التي أنزل الله سبحانه وتعالى أصلها على أنبيائه ورسله من قبل.

5. العمل لدفع دول منظمة الأمم المتحدة لاعتماد صيغة العناية بنتقيف الشباب بالعلم والمعرفة والأخلاق على قاعدة الإيمان بالله والقيم المحافظة على كرامة الإنسان وحقه في أرضه وحرّيته أسوةً بكافة المجتمعات المتقدّمة من خلال دعوة الدول والمنظمات الشبابية فيها لتبني ثقافة الحوار بين أتباع الديانات والثقافات والحضارات، أسوةً بحرصها أسوةً بحرص الأمم المتحدة في ميثاقها على الدعوة إلى التسامح والتعاون والتعايش وإنماء العلاقات الودية بين الأمم، وتحقيق التعاون الدولي بينها على أساس الحقوق والعدالة لكل الأمم والشعوب.⁹

6. ضرورة أن تتلاقى إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة للعمل من أجل أن يسود الأمن والاستقرار والعدالة والسلام في العالم،¹⁰ لينعم المجتمع البشري بالحرية والعدالة والأمن والاستقرار، والتفرّغ للبناء وعمارة الأرض بالإيمان والحياة الصالحة، بعيداً عن كل أسباب الحروب والنزاعات والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات جرّاء الممارسات التي تُهضم فيها حقوق الشعوب في العديد من البلدان، وتُحتل أرضها من قوى أجنبية بدعمٍ دولي وخاصة على الأرض المقدسة في فلسطين وشعبها الذي يعاني من العنصرية والعرقية واستعلاء جنسٍ على جنس،¹¹ بحجج واهية تتناقض كلياً مع حقيقة الدين الذي أنزله الله تعالى لهداية البشر وسعادتهم على هذه الأرض التي أوجدها الله تعالى لتكون في خدمة الإنسان المكلف بإعمارها وبنائها بالإيمان والأعمال الصالحة.

وهذا يؤكد مقولة عالم اللاهوت الألماني "هانز كونغ" لن يكون هناك سلام بين الأمم، ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين هذه الأديان، انطلاقاً من الالتزام بعبادة الله تعالى وإقامة أسس

⁹ ميثاق الأمم المتحدة، الديباجة.

¹⁰ د. عبد العزيز التويجري: الحوار من أجل التعايش، ص 76، دار الشروق، بيروت 1098.

¹¹ د. عبدالعزيز التويجري: المرجع السابع، ص 77.

العدالة، ورفض الظلم والعدوان بإرساء معالم السلام والأمان للإنسان الذي هو الأساس في الإسلام وفي بقية الديانات الإلهية الأخرى، بصرف النظر عن انتمائه ولونه وعرقه وموقعه الاجتماعي والذي كرمه الله تعالى بقوله عز وجل: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (سورة الإسراء: 70).

والمنظمات الشبابية في المجتمع المدني في كل البلدان هي العنصر الأساسي في عملية صناعة السلام والعدل، لأن الشباب هم الطاقة والقوة الدافعة المبدعة التي يتوجب على الحكومات وبقية مؤسسات المجتمع الأهلي العاملة والمنتجة أن تهئ لهم سبل العلم والثقافة والمعرفة، وتأمين العمل والمسكن ليتمكن هؤلاء الشباب من بناء أسرهم ومستقبلهم الآمن، وإبعاد شبح الفقر والبطالة التي هي البيئة الحاضنة لما تعانيه المجتمعات المعاصرة، من حالات التمرد والثورة والرفض والذي كثيراً ما يؤدي الى إرهاب الأفراد والجماعات وحتى ضرب أسس ومكونات المجتمع والدولة بسبب سوء الإدارة وعدم الإنماء المتوازن واساءة توزيع الثروة، ونتيجة لما تتناقله وسائل التواصل الاجتماعي والإعلامي من ظلم وقهر وتهجير عرقي أو ديني أو اقتصادي يسود الكثير من المجتمعات في العالم، التي تصنف عالمياً ثانياً أو ثالثاً لدى صنّاع القرار عند القوى الكبرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

ويمكن القول ان منظمات المجتمع المدني الفاعلة بتكاملها وتعاونها مع المنظمات الحكومية من المؤكد أن يكون لها دور كبير وفعال لدى جيل الشباب الذي هو وحده القادر على بناء جسور الحوار والتلاقي مع الآخر بين أبناء الوطن والأمة ومع الأمم والشعوب الأخرى بكل ثقة وقدرة على بناء المستقبل. ولكي يكون الحوار الشبابي هادفاً وراسخاً لا بدّ أن يتّصف المتحاورون بروحية الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر وحقّه بالاختلاف، بعيداً عن التعصّب الديني أو العرقي والأحكام المسبقة، فعندما يتربى النشئ في أسرة روحية على احترام عقائد وشعائر الأسر الروحية الأخرى تكتمل صورة التعايش وتتعزّز مرتكزاته على قاعدة الإيمان والتقدير والاحترام،¹² هذا إذا ما حسّنت تربية النشئ وتوعيته ليكون نواةً صلبة لبناء الأسرة والمجتمع وبالتالي بناء الوطن الصالح، ولا بد من استنباط مجموعة الأفكار والقيم المتبادلة بين المتحاورين لتحقيق الغاية المرجوة من حوارات كهذه تحتاج إليها أمتنا العربية والإسلامية، وخاصة في هذا الزمن الذي يتحوّل فيه العالم الى قرية كونية وحتى الى دار واحدة يعيش فيها أبناء الأسرة بتطلعاتهم وطموحاتهم المتنوعة والمتعدّدة، كما هي حالة الشعوب والأمم

¹² د. محمد السماك: في الحوار والحياة المشتركة بين الطوائف والأديان، ص 285.

في المجتمع الكوني الباحث عن الأمن والاستقرار والسلام نتيجة المظالم والأطماع بثروات وخيرات الآخرين التي نشاهدها ونعيشها أحياناً في أكثر من منطقة في هذا العالم، ونتيجة البعد عن حالة الإيمان ورسالة التوحيد التي أنزلها الله تعالى رحمةً للناس أجمعين.

ومن الملاحظ أن الشباب في الدول النامية وخاصة في وطننا العربي وعالمنا الإسلامي هم الشريحة الكبرى في المجتمع، مما يؤكد على دورهم وقدرتهم على صناعة مستقبل الأمة ودورها سلباً أو إيجاباً. ولذلك فإن كل مراكز الأبحاث تتجه نحو دراسة هموم هؤلاء الشباب وتطلعاتهم، فالبطالة والإهمال والجهل والامية والتهميش هي البيئة الحاضنة لكل المنظمات والمجموعات المتمردة والرافضة للآخر، وفي المقابل فإن احتضان الشباب والعناية بثقافتهم وتنمية روح المحبة والتسامح والتعاون والتلاقي على أسس علمية، وإشاعة ثقافة الإيمان والحوار وحقيقة الدين الداعية لاحترام بني البشر هو الأساس في ترسيخ مبادئ المواطنة والإيثار واحترام حقوق الإنسان والتشجيع على احترام قواعد القانون، والانفتاح للوصول الى ترسيخ القيم المشتركة بين الإنسان والإنسان، على قاعدة أن الناس هم مصدر المعرفة، وبهم تنمو ثقافة التسامح على أساس الإيمان بالله والالتزام بالقيم المشتركة بين الأديان التي أنزلها الله تعالى.

وعلى هذا فإن مسؤولية الشباب هي الأساس في صناعة المستقبل، وما توصل إليه الإنسان من معرفة وعلم وتكنولوجيا، تشوّه دورها وأداءها، مجموعات إلغائية قليلة من أتباع الديانات والحضارات والثقافات، التي أدى إهمالها والتقصير معها بعدم احتضانها من الجمهور الى نشوء هذه المجموعة أو تلك، والتي بدأت تهدد الأمن والاستقرار المحلي والاقليمي وحتى الدولي، بحجة نصره أتباع هذا الدين أو ذلك بمذاهبه أو فرقته، مستفيدةً من تراخي صنّاع القرار المحلي والدولي من رفع الظلم والقهر والعدوان عن العديد من أصحاب الحقوق في الأرض وثرواتها وخيراتها، التي يحاول البعض مصادرتها وحرمان أهلها الحقيقيين من الاستفادة من مصادرها وطاقتها.

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الحوار الإسلامي/المسيحي، مؤسسة شمس الدين بيروت 2004م.
3. د. محمد عبدالله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة 2007م.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

4. آدم متز، الحضارة الإسلامية، ترجمة د.أبوريدا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1992م.
5. وليد الخالدي، القدس من العهدة العمرية الى كامب دايفيد الثانية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2001م.
6. ألكسي جورافكسي، الإسلام والمسيحية، ترجمة الدكتور محمد خلف الجراد، مراجعة د. محمود حمدي زقزوق، سلسلة عالم المعرفة، عدد 215، نوفمبر الكويت 1996م.
7. ميثاق الأمم المتحدة عام 1954.
8. د.عبد العزيز التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، بيروت 1998م.
9. عمر مسقاوي، التراث والحوار بين المذاهب الإسلامية والآخر، مكتبة الإيمان، بيروت 2007م.
10. الدكتور محمد السمّك، في الحوار والحياة المشتركة بين الطوائف والأديان: النموذج اللبناني، مؤسسة الحريري، بيروت 1996م.

الشباب وحوار الأديان: ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟

المخلص

إن الدين الإسلامي إلى جانب الديانات السماوية قاطبة تدعوا إلى التعايش واحترام الآخر، والرسول الأكرم محمد ﷺ هو خير دليل وقدوة يحتدى به في التعايش والحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، فقد كان ﷺ يكرم جاره اليهودي ويدعو الصحابة إلى التحلي بقيم التسامح والاحترام في معاملة أهل الكتاب، وهو ما يفترض أن نتحلى به كمجتمعات عربية نعرف تنوعا دينيا إلا أن الواقع المعاش يعكس صورا غير ذلك خاصة في دول العالم العربي والإسلامي بحيث تنامت في السنوات الأخيرة معدلات الفتنة الطائفية والإرهاب والتعصب الفكري والديني وهو أمر لا بد من محاربته ومنازلته تجنباً لعواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع، بل والعمل على إرساء قواعد مجتمعات متآخية دينيا وعقائديا خالية من أي خطاب طائفي محرض تجاه أي ديانة أو عرق.

المقدمة

خلق الله الإنسان على الفطرة الربانية والرغبة في العبادة، فنراه منذ الأزل يبحث عن خالقه وإله يعبده ويقدم له قرابين الطاعة والولاء، بحيث أنه على مر العصور والأزمان تعاقبت على الإنسان ديانات عديدة وآلهة ابتدعتها لنفسه تارة أو اقتبسها من الطبيعة تارة أخرى، وذلك بغية تحقيق الانسجام والتناغم الفطري الذي خلقه الله عز وجل عليه ألا وهو فطرة العبادة التي هي الهدف من خلق الناس أجمعين "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (سورة الذاريات: 56). وهذه العبادة لا تصح إلا بسلوك قويم واعتقاد راسخ مبني على إيمان قوي بالله و بألوهيته التامة ووحدانيته، لذلك بعث الله الرسل والأنبياء يرشدون الناس ويبلغونهم سبل الاعتقاد السليم وذلك رافة بحالهم وهداية لهم مجنبا إياهم شقاء التخبط في الدينا بقلب فارغ، شاغر لا يعرف طعم الإيمان والتوحيد، والراحة الأبدية والسعادة الأزلية في كنف الخالق ﷻ.

لقد ظل الله عز وجل يبعث برسله وأنبيائه مبشرين برسالات سماوية وأحكام ربانية إلى عباده وخلفائه في الأرض، هذه الرسل والأنبياء التي حدثنا

¹ السيدة نزهة توفيق [taoufik.nezha@gmail.com] طالبة بمعهد الصحافة ومهن الإذاعة والتلفزيون بفاس.

القرآن الكريم بها وحاورها فيما بينها وقدم من خلالها العبر والمواظب عن طريق سرد أفاصيص العصور الغابرة والأقوام الفانية ممن آمنتم بما أنزل سبحانه وممن لم تؤمنوا واستكبرت في الأرض فكان عاقبتها الهلاك وعذاب شديد تحقيقاً للعدالة الربانية وحتى تكون عبرة لكل متعظ.

إن الديانات السماوية المتعارف عليها اليوم من إسلام ومسيحية ويهودية ما هي إلا نتاج تعاقب الرسل والأنبياء على مر العصور، مكونة بذلك منظومة دينية عظمى وجب عليها التعايش فيما بينها والتحلي بقيم الحوار والتكافل الاجتماعي ونبذ الخلافات العقائدية من أجل بناء مجتمعات واعية دينياً ومتضامنة فيما بينها، بعيداً عن كل أنواع الخلاف التي قد ينتجها التباين العقائدي خاصة في بلداننا العربية التي تزخر بتنوع ديني كبير كمصر ولبنان وسوريا والمغرب وغيرها، بحيث يستحيل الوصول إلى مجتمع يعتلي مناصب ومراتب متقدمة في مختلف مجالات الحياة من اقتصاد وتعليم وصحة وهو مازال يتخبط في مشاكل دينية، طائفية، مذهبية أو عرقية.

إن الدين الإسلامي إلى جانب الديانات السماوية قاطبة تدعو إلى التعايش واحترام الآخر، و الرسول الأكرم محمد ﷺ هو خير دليل وقوة يحتدى به في التعايش والحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، فقد كان ﷺ يكرم جاره اليهودي ويدعو الصحابة إلى التحلي بقيم التسامح والاحترام في معاملة أهل الكتاب، وهو ما يفترض أن نتحلى به كمجتمعات عربية تعرف تنوعاً دينياً إلا أن الواقع المعاش يعكس صوراً غير ذلك خاصة في دول العالم العربي والإسلامي بحيث تنامت في السنوات الأخيرة معدلات الفتنة الطائفية والإرهاب والتعصب الفكري والديني وهو أمر لا بد من محاربتة ومنازلته تجنباً لعواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع، بل والعمل على إرساء قواعد مجتمعات متآخية دينياً وعقائدياً خالية من أي خطاب طائفي محرض تجاه أي ديانة أو عرق.

إيماناً منا بدور الشباب كطليعة نخوية وركيزة مهمة وأساسية في تقدم البلدان ونموها باعتبارهم العماد والدعم التي يرتقي بها المجتمع، لا بد من غرس قيم الحوار والتعايش والسلم العالمي في نفوسهم وأذهانهم حتى نعيد بذلك لـ "حوار الأديان" مفهومه الحقيقي الذي أصبح للأسف مثقلاً بالمعاني والأفكار المغلوطة التي تساهم في التعصب أكثر مما تؤدي دورها الحقيقي المنوط بها، ومن هنا سنحاول في هذه الورقة بإذن الله التركيز على أهمية حوار الأديان في تحقيق التعايش والسلم العالمي وسبل غرس قيمه عند الشباب والأجيال الصاعدة بحيث سنتناول دور الإعلام في تكريس مفهوم حوار الأديان والخطاب الديني المعتمد من طرف القنوات التلفزيونية بهذا الصدد، كما سنشير إلى دور الجامعات والمدارس

في تلقين حوار الأديان للطلاب والشباب الجامعي وسنركز على الجامعات المغربية خاصة نظرا لإقامتي بالمغرب.

الخطاب الديني الإعلامي الموجه للشباب

مما لا شك فيه أن الإعلام لم يعد يحتل السلطة الرابعة وحسب في قائمة السلط التنفيذية بل تعدى هذه الرتبة ليتصدر المرتبة الأولى فقد أصبح هو المتحكم الأول والرئيسي في مجريات الأحداث والوقائع في دول العالم بأسره، وذلك بتوظيف وسائله إما خدمة للحق أو الباطل، فقد يسخر الإعلام لنشر أفكار وأجندات خدمة لجهات معينة وتحقيقا لمآرب خفية. لكن في المقابل للإعلام دور عظيم إن استغل استغلالا صحيحا في حماية المجتمع من آفات التعصب والكرهية والعنصرية وذلك عبر البرامج الهادفة التي تساهم في نشر قيم الحوار ونبذ الخلاف والتعصب الديني والفكري والتي تقوم في المقابل بنقل الوقائع والأحداث عبر العالم نقلا حياديا خاليا من التحيز لجهة معينة.

وقد تناول موضوع الخطاب الإعلامي الديني مجموعة من العلماء والدكاترة المعروفين والذين اهتموا وقدموا الدراسات التحليلية في هذا المجال بحيث أنجز الدكتور عبد العزيز محمد القاسم دراسة أشاد من خلالها بدور الإعلام وأهميته في تربية المجتمعات على قيم التعايش والسلام، وهي دراسة بعنوان "الإعلام وواجبه في التعايش والسلم العالمي وحماية المجتمعات من الآفات" موضوع تطرق من خلاله إلى دور الإعلام في تربية الأجيال من الشباب على القيم السمحة من تسامح وتعايش وحوار وسلام كما عرج على ما يجب أن يتحلى به الإعلام حتى يقوم بأداء دوره على أكمل وجه، بحيث أورد في بحثه مجموعة من النقاط المهمة نستشهد ببعض منها أدناه حتى تعم الفائدة .

دور الإعلام في تحقيق السلم العالمي

إن الجذور الإسلامية لمبدأ التعايش السلمي العالمي تنطلق من قاعدة الأخوة الإنسانية التي أقرها القرآن الكريم حيث يقول تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات: 13)، فنظرة الإسلام إلى غير المسلمين لا تعرف التعصب والعداء والكبرياء، وإنما تقوم على التسامح والتعاون والإخاء وعلى احترام العهود والوفاء بها مهما تكن الظروف، من هذا المنطلق يجب أن يسعى الإعلام جاهداً لوضع أسس قوية لبناء علاقات سلمية بين الشعوب الإسلامية والشعوب الأخرى على أن يكون أساس هذه العلاقات هو التعايش السلمي واحترام "الأخر".

على الإعلام أن يوضح ويبرز كيف نظر الإسلام ل"الآخر"

وذلك من خلال استعراض والاهتمام بالآخر من خلال القول والعمل وعدم الهمز واللمز بهم، فإله تعالى يقول: "لَا يَنْهَلِكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (سورة الممتحنة: 8)، وقوله: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (سورة آل عمران: 64)، كما يقول عز وجل: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" (سورة التوبة: 6)، أما الرسول ﷺ فيقول: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى".

على الإعلام أن يوضح التطرف في الديانات الأخرى

يجب على الإعلام أن يؤكد أنه إذا كان التطرف في الفكر موجوداً لدى بعض المسلمين فإنه موجود أيضاً عند الديانات الأخرى، وأن تحقيق التعايش السلمي العالمي يقتضي مواجهة أسباب التطرف الفكري عند كل الأطراف، والقضاء على أي روافد تزكويه وتشعله، وهذا يتطلب نقاشاً ثقافياً يتم من خلال وسائل الإعلام لإيجاد محاور عمل مشترك يتم من خلالها العمل على تقريب وجهات النظر في الأمور التي تسمح بذلك، وهو أمر سيسهل التقارب بين الأمم، ويحقق فرص التعايش السلمي العالمي، ويقضي في نفس الوقت على أي بؤر للتوتر والفتن.

على الإعلام أن يبرز أقوال المنصفين من غير المسلمين

يجب على الإعلام وهو يقدم للعالم الصورة الحقيقية للإسلام، ويبرز علاقته ب"الآخر" أن يركز على ما أنتجه منصفو الغرب من مستشرقين وعلماء وباحثين من مؤلفات تشيد بالإسلام.

"الخطاب الديني في القنوات الفضائية: دراسة وتحليل للمضمون" هو عنوان لدراسة قام بها الأستاذ محمد الغيلاني، أستاذ الفلسفة بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وقد ركزت الدراسة على طبيعة الخطاب الديني الإعلامي المقدم من طرف القنوات التلفزيونية بحيث اعتمد على نقد برامج وإستراتيجية الفضائيات الدينية والتي لا تقدم للمشاهد من وجهة نظره برنامجاً دينياً يستفيد منه بل اعتبر هذه القنوات مجرد استثمارات تعود بالنفع و الدخل الوفير على أصحابها.

هذه الفضائيات تحول التدين إلى منتج إعلامي يخضع لمقتضيات المنافسة في سوق الإعلام والإشهار، كما يخضع لمقتضيات توجهات السياسات الدينية. ولذلك نجد هذه القنوات تعتمد على "منشطين دينيين"، ليس فقط على فقهاء أو علماء متخصصين؛ حيث يقوم هؤلاء باستخدام القرآن والموعظة الدينية والسير استخداما براغماتيا يعتني بالاستقطاب أكثر مما يعتني بالمضمون، ولأن الاستقطاب يفترض الإعجاب، فإن المضمون يغلب عليه طابع انفعالي، لا يخاطب العقول بقدر ما يخاطب الوجدان الديني، ويُستثمر في الموروث العقدي من خلال نَفَسٍ تعبوي وشحن متواصل. وهنا تكمن إستراتيجية هذا الخطاب وفعاليتها، لأنه يشتغل على "اللاوعي الديني"، ويربط المؤمن بحالة نوستالجية وجدانية لا تساعد على المساءلة أو النقد أو التحفظ. فبينة الخطاب يخترقها المقدس، ومن ثم تستمد شرعيتها التي لا يجوز الطعن فيها أو ردها.

من خلال هذين النموذجين نستنتج أن الخطاب الديني الإعلامي الموجه سواء للشباب أو العامة لازال في حاجة إلى مزيد من الجهد والعمل حتى يرقى بمستواه و يستطيع بذلك المساهمة في نشر المبادئ و القيم الحميدة. فحبذا لو تنكب وسائل الإعلام من قنوات تلفزيونية وترددات إذاعية على إعداد برامج توعوية وتربوية تهتم بمجال الحوار والتعايش أكثر من برامج التحريض والتجريح وإهانة الديانات والطوائف المخالفة كما نرى اليوم في كثير من القنوات التي سخرت برامجها وألسنة دعائها ومنشطيها فاستخدمتها كالسيوف الحادة في الحروب إلا أنها سيوف لا تقطع الرقاب وحسب بل تقطع جسور الحوار والتسامح وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يجب علينا كأمة إسلامية تنبذ التعصب وتدعوا إلى الرحمة والتسامح أن نحاربه.

البرامج التعليمية المقدمة من المدارس و الجامعات

إن أي زائر لجامعاتنا المغربية لابد وأن يجذبه تنوع شعبها ومسالكها الدراسية، ولمقاربة موضوع حوار الأديان وكيفية تعاطي المناهج التعليمية سواء بالتعليم الأساسي أو الجامعي معه زرنا إحدى جامعات المغرب التي تدرس ضمن مناهجها مواد عن حوار الأديان. حططنا رحالنا بجامعة سيدي محمد بن عبد بفا، تحديدا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بحيث توجهنا إلى مسلك الدراسات العليا والذي يضم ماجستير بعنوان "الدراسات السامية ومقارنتها" وقد التقينا خلال جولتنا بكلية بمجموعة من الطلبة ممن يتابعون دراستهم بالماجستير سالف الذكر، أخبرنا الطلاب أن المسلك يضم العديد من المواد التي تصب في نبع حوار الأديان والتي تهدف إلى فهم الديانات الأخرى فهما صحيحا بعيدا عن التعصب والأفكار المسبقة والتشدد الديني، فمن بين المواد المدرسة بالمسلك مادة الفكر الديني

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

المسيحي ومادة الفكر الديني الإسلامي وكذا مادة الفكر الديني اليهودي بالإضافة إلى مادة التواصل والتي تعنى بتلقين الطلاب ضوابط التواصل والتحاور الايجابي وسبل التعايش مع أصحاب الديانات المخالفة للإسلام، وقد عبر الطلاب عن عميق استفادتهم من هذه المواد والتي أزالنا من وجهة نظرهم الغبش وسوء الفهم وطهرت قلوبهم من رواسب التعصب والكرهية تجاه الديانات الأخرى.

بعد الانتهاء من جولتنا في مسلك الدراسات العليا توجهنا صوب مسلك اللغات والذي يضم اللغة العربية، اللغة الفرنسية، اللغة الانجليزية، الألمانية والاسبانية، ولكم كانت فرحتنا جمة حينما علمنا أن كل هذه الشعب تدرس موادا عن حوار الأديان، بحيث يتم التطرق لكل ديانة من الديانات السماوية على حدا وذلك بغية التعرف عليها مؤكداً أنه لم يسبق لأي من الأساتذة التعرض لأي دين بأي إساءة أو تحريض أو اهانة.

إن هذه المناهج الجامعية تساهم مساهمة كبيرة في توعية الشباب وتلقينهم مبادئ حوار الأديان والسلم العالمي، إلا انه يجب تعميم مثل هذه المواد و المناهج لتعم دروس التربية الإسلامية في التعليم الأساسي، حتى تكون هناك توطئة وتأثير اكبر فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر. وفيما يلي وثائق زدوتنا بها إدارة الدراسات العليا بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس والتي تشرح أهداف ماستر "الأديان السامية و مقارنتها" تعرف به وبمواده وعدد فصوله الدراسية إلى آخره.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحوظة

المرجو النقر على الصفحات أدناه حتى تظهر الصور

<div style="text-align: center;">  <p>المملكة المغربية جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب و العلوم الإنسانية سلايس - فاس ص ب : 59 - الهاتف : 0535.61.82.26 الفاكس : 0535.61.82.53 مصلحة الدراسات العليا</p> </div> <h3 style="text-align: center;">مسالك الماجستير المعتمدة بالكلية</h3> <h4 style="text-align: center;">من السنة الجامعية 2006-2007 إلى 2013-2014</h4>				
عنوان الماجستير	سنة الاعتماد/تمديد الاعتماد	رقم الاعتماد	نوع الماجستير	منسق مسلك الماجستير
Aménagement,valorisation des ressources territoriales et gestion des risques environnementaux	2010/2007-2006 2011	Géo 74/06	الماجستير	د. محمد لعوان
اللغة العربية والنظريات اللسانية	2010/2007-2006 2011	Let 66/06	الماجستير	د. عبد اللطيف نجيد
الغرب والمحيط الدولي خلال العصرين الحديث والمعاصر	2010/2007-2006 2011	His 67/06	الماجستير	د. سمير بوزويقة
Cross-Cultural and Literary Studies	2010/2007-2006 2011	Let 70(2)/06	الماجستير	د.ة خديجة لو
الأشكال التعبيرية في الأدب العربي بين النظرية والتطبيق	2010/2008-2007 2011	M 07/EA/006	الماجستير	د.عبد الله الغواسلي الراكشي
الدراسات السامية ومقارنة الأديان	2010/2008-2007 2011	M 07/EA/013	الماجستير	د. محمد زهير
مقاصد الشريعة الإسلامية عند مالكية الغرب الإسلامي بين النظرية والتطبيق	2010-2009	-	الماجستير	د. عمر جدية
فقه المعاملات المالية في المذهب المالكي	2010-2009	-	الماجستير	د. الجيلالي المريثي
M.S.T- Multilingual Specialized Translation	2011-2010	-	الماجستير التخصص	د. الحسين الوزاني الإبراهيمي
الخطاب اللساني: مصطلحاته ومناهجه وقضاياها	2011-2010	-	الماجستير	د. عبد اللطيف نجيد
الثرات والتنمية	2011-2010	-	الماجستير التخصص	د.ة ماجدة بنحروبيط
Représentation du monde : Arts et Littérature	2011-2010	-	الماجستير	د. عبد الغاني الهيماني
Régionalisation et projet de développement territorial durable	2011-2010	-	الماجستير التخصص	د. محمد حزوي
Women's Studies	2011-2012	-	الماجستير	د.ة نعيمة لو
Linguistique et littérature Amazighes	2013-2012	-	الماجستير	د. عبد المنعم العزوزي

30 يونيو 2014



أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

التعريف

1.1. المسلك.

(تحديد الميدان، والمواد، والتخصصات حسب درجة الأهمية وفق ترتيب تنازلي)

عنوان المسلك : الدراسات السامية ومقارنة الأديان
الميدان : لسانيات مقارنة- علم مقارنة الأديان - لغة عبرية
المادة أو المواد : اللسانيات السامية المقارنة - علم مقارنة الأديان - لغة عبرية
التخصص أو التخصصات : اللسانيات السامية المقارنة - علم مقارنة الأديان
المفاهيم المحددة للمسلك: المفاهيم المحددة للمسلك: اللغة العبرية في إطار اللغات السامية - اللسانيات المقارنة
- علم مقارنة الأديان

2.1. أهداف التكوين

- تمكين الطالب من رصيد مهم من المعارف المتعلقة باللغة العبرية يجعله أولاً قادراً على التعامل مع نصوص هذه اللغة قديمها وحديثها، ثانياً مؤهلاً لقراءة النصوص الدينية في لغاتها الأصلية، ومقارنتها بالنصوص الدينية لعقائد أخرى، ثالثاً متمكناً من دراسة اللغة العبرية في ضوء علاقتها باللغات السامية الأخرى (خاصة اللغة العبرية).

- تمكين الطالب من معرفة مقارنة بالركائز الأساسية وحيثيات المحيط المرتبطة بنشأة كل عقيدة (الإسلام - المسيحية - اليهودية). ولهذا تم توجيه الماستر في جزء من وحداته الأساسية نحو تحقيق هذا الهدف.

- تأهيل الطالب في هذا الماستر للانخراط في دراسة ومقارنة الأديان وتحقيق تراثها الديني والفكري.

- رد الاعتبار لمدينة فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية التي شهدت لأول مرة في تاريخ اللسانيات ميلاد المقارنات السامية بين لغات ثلاث هن العربية والعبرانية والكلدانية. ويتعلق الأمر بالرسالة المشهورة التي وجهها يهودا بن قريش الناهرتي إلى جماعة يهود مدينة فاس.

- تطوير الآلة الواصفة للغة العبرية من خلال انفتاحها على تناول لغات أخرى (لإسيما اللغة العبرية واللغات السامية الحامية) بالوصف والدرس والمقارنة.

- تشجيع الطالب بقم الحوار الثقافي وتأسيس ثقافة الانفتاح على اللغات والحضارات الأخرى تنفيذاً للتوصيات الملكية السامية التي تُلبت في مناسبات ثقافية ودينية عدة.



3-0 ماسك 2014

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ماستر الدراسات السامية ومقارنة الأديان

الفصل الأول

وحدة تكميلية 76س منسق فرقة: زمر	وحدة أساسية 2 96س منسق فرقة: سيد كتمان	وحدة أساسية 1 96س منسق فرقة: مرشيد رافق	وحدة التقوية والمنهجية 112س منسق فرقة: عبد الحميد فرزوي
الحضارات السامية - مدخل إلى تاريخ الشرق الأدنى القديم 32س درزيفي مأثر تاريخية 44س د بنعد الخليل/ د الخليلي	عقائد مقارنة 1 - الفكر الديني الإسلامي 32س د تمبرت - الفكر الديني اليهودي 32س د كفني - الفكر الديني المسيحي 32س د السقط	أدب وإسائيات مقارنة - اللغة العبرية: قواعد ونصوص 1 32س د سناء الفرندي - اللغة العربية في ضوء اللغات السامية 32س د الخليلي - مدخل إلى الدراسات الحامية السامية د عزلان/ د كفني 32س	لغات ومعلومات وتواصل - نظرية التواصل د المراني 48س - فرنسية أو إنجليزية د عزوي د بن عبد الرزاق 32س - معلومات 32س د سعدي

عدد الساعات: 380س

الفصل الثاني

وحدة تكميلية 76س منسق فرقة: زمر	وحدة أساسية 4 96س منسق فرقة: سيد كتمان	وحدة أساسية 3 96س منسق فرقة: مرشيد رافق	وحدة التقوية والمنهجية 112س منسق فرقة: عبد الحميد فرزوي
الأقليات في الغرب الإسلامي - الأقليات في المغرب 32س الحمصي - الأقليات في الأندلس 44س د كفني	عقائد مقارنة 2 - الأديان في النرس الاستشراقي 32س د مراني - الدراسات الكتابية 32س د كفني - مدخل إلى التوراة 32س د اصيرة	أدب مقارن - اللغة العبرية: قواعد ونصوص 2 32س د فرندي - مدخل إلى الأدب العبري الحديث د 32س د اصيرة - أدب مقارن 32س د المنتصر	لغات ومعلومات وتواصل - نظرية التواصل د المراني 48س - فرنسية أو إنجليزية د عزوي د نغومي 32س - معلومات 2 32س د سعدي

عدد الساعات: 380س



30 سبتمبر 2014

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

الفصل الثالث

وحدة أساسية 8 76 من سبب الوحدة: محمد بوقاي	وحدة أساسية 7 96 من سبب الوحدة: سميد كتمانين	وحدة أساسية 6 96 من سبب الوحدة: رموان الحياطي	وحدة أساسية 5 96 من سبب الوحدة: نواد ساعة
منهجية البحث	عقائد مقارنة 3 - علم مقارنة الأديان 48 - المناظرات الدينية في الفكر الإسلامي 48	اللغة العبرية: قواعد ونصوص وتطبيقات - اللغة العبرية: قواعد ونصوص 3 48 من داعية - ترجمة نصوص من العبرية إلى العربية الخيال 48	أدوات التحليل اللغوي - صرافة 32 من دراغين - معجم 32 من بوقاي - فونولوجيا 32 د ساعة

عدد الساعات: 364 من

الفصل الرابع

وحدة أساسية 12 90 من سبب الوحدة: زمر	وحدة أساسية 11 90 من سبب الوحدة: زمر	وحدة أساسية 10 90 من سبب الوحدة: زمر	وحدة أساسية 9 90 من سبب الوحدة: الفري
تحرير وتقديم البحث	إنجاز وجمع المعطيات	بيبيو غرافيا البحث	مناهج التحليل - علم التحقيق 58 من لعمرو/ د ميمز - علم الاجتماع اللغوي 32 دة زهور

عدد الساعات: 360 من

العدد الإجمالي: 1484 من



30 يونيو 2014

الخاتمة

لقد حاولنا من خلال هذه الورقة تسليط الضوء على عنصرين مهمين في تربية الشباب على قيم الحوار والتسامح بين الديانات وفي بناء مجتمعات متآخية دينيا وعقائديا ألا وهما الإعلام والمناهج الدراسية بالجامعات خاصة، لما لهما من تأثير عميق على الفرد والمجتمع فالإعلام ببرامجه وآلياته يستطيع غرس الأفكار ونشرها بسهولة تامة مما يجعله أداة مهمة وفعالة وجب استغلالها بشكل إيجابي يدر النفع والفائدة، والجامعة بمناهجها الدراسية وباعتبارها فضاء للتنقيف ونشر الوعي ولما لها من مساهمة كبيرة في تكوين الأجيال الصاعدة فالمفكرين والفلاسفة والدارسين هم خريجوا الجامعة حيث نهلوا من نبع معرفتها وتمدرسوا بمدرجاتها على يد نخبة من الدكاترة والأساتذة الأجلاء. من هذا المنطلق اخترنا التركيز حول هذين المحورين ولو كانت المشاركة بسيطة تستلزم مزيدا من الجهد والعمل.

ونسأل الله أن يوفقكم في مهامكم
والسلام

أنس بن حسن الشقفة¹

تجربة الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا في توجيه الشباب نحو الحوار والتعايش الإيجابي مع الآخر

الملخص

تقدم الورقة عرضاً موجزاً لجهود الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا خلال العقود القليلة الماضية لتعزيز الهوية الإسلامية للجالية المسلمة المستوطنة في النمسا خصوصاً، وفي القارة الأوروبية عموماً مع حرصها على نشر ثقافة المشاركة الفعالة في المجتمع من خلال الحوار الموضوعي الهادف إلى إيجاد صيغة مقبولة من قبل جميع مكونات المجتمع للتعايش السلمي الإيجابي، بل للعيش المشترك القائم على قبول الآخر والإحترام المتبادل، رغم اختلاف الدين والمذهب وتعدد الأعراق واللغات، من منطلق فهم التعدد والاختلاف على أنه إرادة الخالق سبحانه، الذي حض الخلق على التنافس في فعل الخير وما ينفع الناس جميعاً. وحيث أن الشباب هم الأقدر على فهم هذا التوجه، والأجدر بتحويله إلى واقع معاش، فقد أولت الهيئة أمر توجيههم في المدارس، والمعاهد، والمنتديات إلى تخطي الحواجز للتواصل مع أقرانهم من أتباع المذاهب والأديان الأخرى، ودعت إلى عقد مؤتمرات الأئمة على المستوى الأوربي للتأصيل الشرعي لهذا التوجه، وإزالة الحواجز والمعوقات الموروثة، التي لم يعد لها سند شرعي تقوم عليه.

التمهيد

تميز النصف الثاني من القرن العشرين بخروج أعداد كبيرة من مواطني البلدان النامية، ومن ضمنها أكثر البلدان الإسلامية للبحث عن فرص للتعليم واكتساب الخبرات والمهارات الجديدة، أو للعمل وكسب الرزق في البلدان المتقدمة في القارتين الأوروبية والأمريكية، وسأقصر حيثي فيما يلي على جمهورية النمسا، حيث أتيح لي أن أعيش تجربة المهاجرين القادمين إليها من البلدان الإسلامية وأن أساهم بقسط متواضع في صياغة وتشكيل صيغة العيش المشترك بين عنصري المجتمع: الجديد الباحث عن فرصه، والقديم المتوجس إلى حد القلق أحيانا من

¹ أنس بن حسن الشقفة [a.schakfeh@gmx.at] الرئيس الفخري للهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا وأمين عام مؤتمر الأئمة والمرشادات الدينيات في أوروبا.

التغيرات السكانية الطارئة والمتسارعة، مما قد يشكل تهديدا لثقافة المجتمع القائم، وعاداته، وتقاليده التراثية الموروثة.

في نهاية العقد الخامس وبداية العقد السادس من القرن العشرين كانت نسبة الشباب بين المهاجرين الجدد قليلة، إذ كان جلهم من الطلبة الدارسين في الجامعات النمساوية، وأما من قدم للعمل ضمن موجات من اصطلاح على تسميتهم بالعمال الضيوف فكان معظمهم ممن تجاوز مرحلة الشباب المبكرة، لا بل كان أكثرهم من الكهول، أي ممن اكتملت شخصياتهم، واستقرت قناعاتهم، وتوجهاتهم الفكرية والدينية، مع ضالة حصيلتهم التعليمية والثقافية، مما شكل بطبيعة الحال حاجزا صلبا يحول إلى حد كبير بينهم وبين التواصل الاجتماعي المثمر مع المجتمع المضيف، الذي كانت لديه حواجزه ومعوقاته الخاصة به، مثل الأحكام المسبقة المبنية على رواسب تاريخية من عهود مضت كانت مثقلة بروح العداة والمواجهة بين عالمي المشرق والمغرب (Orient/Occident)، والنظرة الفوقية المتعالية على هذه الفئة الفقيرة، قليلة الخبرة والثقافة، التي تمارس الحرف والمهن البسيطة، أو تقوم بأداء الأعمال الشاقة القائمة على بذل الجهد العضلي ليس إلا، أي أنها كانت في نظرهم وباختصار تشكل الشريحة الأدنى في المجتمع، مما كان يعرقل ويعيق تفاعلا إيجابيا من طرفهم مع المتغيرات السكانية الجديدة، وتجاه مساكنهم الجدد.

ومما لا شك فيه فإن البعد الديني المختلف لدى الطرفين مع مسلماته الموروثة من عهود مضت، أصححة كانت ومتسقة مع صحيح الدين أم كانت غير ذلك، كان يشكل عبئا ثقيلا على عملية التحوار الهادف إلى التفاهم البناء حول صيغة مقبولة من الطرفين لعيش مشترك حقيقي، ناهيك عن الحواجز اللغوية المستعصية على محاولات الاختراق لاسيما ممن تجاوزت أعمارهم مرحلة الشباب المبكر وقلت بضاعتهم العلمية أصلا، مما دفع المهاجرين الجدد، أو أكثرهم على الأقل إلى التوقع على الذات، وإلى محاولة إيجاد بديل يعوضهم عما يفتقدونه من التواصل الاجتماعي - والإنسان عامة اجتماعي بطبعه - فنشأت المجتمعات الموازية، المشابهة بطريقة أو أخرى لمجتمعات الجيتو (Getto) في العصور الخالية.

مما تقدم تتبين الصعوبة الموضوعية التي كانت تعترض سبيل أية محاولة جادة وناجعة لإقامة حوار حيوي وفعال بين هاتين الشريحتين الاجتماعيتين المتمترستين خلف حواجزهما التكوينية والنفسية الكثيفة.

بالرغم من كل الصعوبات التي أشرت إليها فيما تقدم بدأت محاولات جادة لتقليص الفجوة وتقريب الشقة القائمة بين المجموعتين منذ أواخر العقد السادس من القرن الماضي، وقام بتلك المحاولات رهط من الطلاب وأوائل الخريجين، بحكم

كونهم الأكثر امتلاكاً لأدوات الحوار مع الآخر من حيث التمكن من اللغة، والاضطلاع الأوسع على الثقافة السائدة، وعلى التوجهات الفكرية، والقناعات الدينية لدى الشرائح الاجتماعية المختلفة في مجتمع الأكثرية، من خلال الاحتكاك اليومي المباشر والزمالة على مقاعد الدراسة الجامعية أولاً ثم في حقول العمل المهني الأكاديمي فيما بعد. وإن اقتصرنا تلك التجارب على لقاءات للحوار بين مجموعات صغيرة من الطرفين، فقد كانت مفيدة لما قدمته لهما من معارف عن الآخر، ومن خبرات عملية حول الأسلوب الأنجع في طرح الأفكار وشرح المواقف بحيث تكون مقبولة لدى محاوريه من حيث المبدأ، سواء وافق على صحتها، أو تحفظ تجاهها.

وفيما يخص الشأن الداخلي للجالية المسلمة، فقد كان على الطليعة المثقفة والمحاورة واجب نقل ما تتوصل إليه عبر الحوار مع الآخر، إلى الشريحة الواسعة من المسلمين، التي كانت لديها صعوباتها الذاتية، وأهمها عدم تجانسها عرقياً، ولغوياً، وتراثياً (والمقصود هنا الموروث التراثي الشعبي ومفرداته من عادات وتقاليد). وللتغلب على هذه الصعوبات، أو تخفيف وطأتها على الأقل، كان لا بد لنا من إيجاد وعاء مشترك لكل مكونات تلك الجالية، وتم لنا ذلك في شهر مايو عام 1979 بتأسيس الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا، كوعاء جامع لمسلمي النمسا بكل تنوعاتهم العرقية - اللغوية والدينية المذهبية، والتنظيمية (كجمعيات وروابط اجتماعية وثقافية)، وذلك باعتبار الهيئة جهة تمثيل رسمية لاتباع الدين الإسلامي تجاه الدولة، والكنائس، والمجتمع المدني، بوصفها إحدى هيئات الحق العام (Public Law).

ومنذ ذلك الوقت بدأ العمل المؤسسي لتفعيل وسائل وآليات الحوار بين مكوني المجتمع القديم المستقر والجديد الساعي باتجاه القبول المجتمعي والباحث عن مواطئ قدم ليبي عليها أرضية متماسكة تمكنه من الاستقرار في موطنه الجديد.

ولقد كان العامل الديني وأثاره الإيجابية والسلبية في مقدمة اهتماماتنا لما للمكون الديني لدى الكائن البشري فرداً وجماعات من تأثير ظاهر منظور أحيانا ومستتر كامن في كثير من الأحيان. لذا أقمنا صلات متعددة مع الكنائس، والمنظمات الكنسية، والشخصيات الدينية (كهنة، وراهبات، ورهبان) والمنتدبة، لتبادل الأفكار، وتصحيح التصورات المغلوطة والمشوشة لدى الطرفين، وتقريب وجهات النظر فيما يتعلق بكثير من القضايا الاجتماعية التي تهم جميع أفراد المجتمع بمختلف انتماءاتهم. ومن أهم وأنجع الخطوات في هذا السبيل كانت اللقاءات العفوية والمفتوحة، مثل مآدب الإفطار الرمضانية، والاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية ودعوة الجيران إليها.

كل ذلك ساهم بقدر ما - قل أو أكثر - في تقريب الناس من بعضهم البعض، بحث يمكننا القول بأن السلم الاجتماعي في النمسا كان الأكثر استقرارا منه في كثير من البلدان الأوروبية الأخرى، وأن المنغصات المهددة لهذا السلم الاجتماعي كان لدينا أقل تأثيرا منها في كثير من البلدان المشابهة، مما يمكننا من تجاوز الكثير من الهزات الارتدادية التي كانت تصل إلينا من دول ومجتمعات أخرى، ولا حاجة لذكر الأمثلة المعروفة لدى كل متتبع. ولكننا لا نستطيع الزعم بأننا قد وصلنا في موضوع الاندماج الاجتماعي، والعيش المشترك الإيجابي إلى الهدف المنشود، بحيث نلقي عصا الترحال ونخلد إلى الراحة، فما زالت حواجز نفسية وعاطفية مؤثرة قائمة لدى الكهول والشيوخ من الطرفين، ومن هنا تأتي أهمية التوجه للعمل الفعال والمؤثر في صفوف الأطفال واليافعين والشباب لأن تلك الحواجز إما غير موجودة أصلا لديهم، أو أنها مجرد انعكاسات غير متجزرة لما لدى البالغين من تصورات وقناعات سلبية عن الآخر.

المرحلة المدرسية

في منتصف العام الدراسي 1983/1982 بدأت الهيئة الإسلامية الرسمية في النمسا بتنظيم دروس مادة التربية الدينية الإسلامية في المدارس الرسمية النمساوية لأبناء وبنات المسلمين، وقد حرصنا منذ المرحلة الابتدائية المبكرة على تعريف التلاميذ المسلمين على أديان أقرانهم الآخرين الذين يجلسون إلى جوارهم على مناضد الدراسة، والبدائية كانت بطبيعتها بسيطة لا تعدو تعريف التلاميذ برموز الديانات الأخرى، التي يرونها حولهم، وشرح معانيها لهم كما يفهمها أتباعها، وليس كما قد يكونون قد سمعوه من أفواه بعض البالغين، الذين ربما نقلوا ما سمعوه بدورهم من تصورات قد لا تكون دقيقة، أو مطابقة لما يعتقدده ويفهمه أتباع الديانة المعنية. وهكذا دواليك فكان المنهاج الدراسي يشتمل دائما على تعريف على رموز، وعقائد، وطقوس، وعبادات الجيران، متدرجا من المفاهيم البسيطة إلى المعاني المركبة، إلى صيغ العقائد المتعمقة، وفقا للشريحة العمرية والمرحلة المدرسية للتلاميذ، مع الحرص على نقل كل ذلك عن كتب ومصادر أصحاب الديانة المعنية، حتى تكون المعلومة المنقولة للتلاميذ دقيقة وصحيحة ما أمكن ذلك. كما حرصنا على تصحيح بعض المفاهيم غير الصحيحة والمنتشرة دون سوء قصد في أوساط بعض المجتمعات الإسلامية، فمثلا إذ سألت مسلما عن الكتاب المقدس لدى اليهود، فسيجيبك دون تردد التوراة، وهذا غير دقيق أبدا إذ أن التوراة هو الجزء الأهم من كتاب اليهود المقدس، ولكنه جزء فقط من كل هو أكبر بكثير، اسمه لدى اليهود تناخ (Tanach) وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الأسفار تشكل التوراة الأسفار الخمسة الأولى منها فقط.

والكتاب المقدس لدى المسيحيين ليس هو الإنجيل، كما يتبادر للذهن للوهلة الأولى، بل هو العهد الجديد، الذي تشكل الأنجيل الأربعة (فهو لديهم ليس إنجيلا واحدا، بل أربعة أنجيل مقننة) جزءا منه أيضا، وكل إنجيل منها لا ينظر إليه المسيحيون على أنه وحي مباشر من الله، بل هو رواية أحد الإنجيليين لسيرة السيد المسيح بالهام ورعاية الروح القدس!

هل هذه التفاصيل مهمة؟ وهل ينبغي على التلاميذ المسلمين معرفتها؟ وما فائدة كل ذلك؟ الإجابة من وجهة نظرنا هي نعم وبلا تردد. إذ أن الكتب المقدسة لدى المسلمين (توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، وقرآن محمد، عليهم الصلاة والسلام) هي وحي من الله تعالى منزل على نبي مرسل، وهي ليست كذلك لدى جيراننا. ولا شك بأن معرفة ذلك في غاية الأهمية حتى لا يتحدث المسلم مع قرينه عن مصطلح بمفهومه هو، وهو يظن أن الآخر يفهم من هذا المصطلح نفس المعنى، وليس الأمر كذلك فتختلط الأمور عليهما معا.

وعلى العموم فقد حرصنا دائما، وفي كل المراحل التعليمية على نقل المعلومة من مصادر أصحابها، وليس من مصادرنا، فنحن نعلم ديننا ونشرح مفاهيمه من مصادرنا ومراجعنا المعتبرة، ولكن أديان الآخرين ينبغي عرضها من مراجع أهلها، حتى تكون الأمور منضبطة، وعندما يتحدث الناس مع بعضهم ويديرون حوارهم اليومي، لا يتكلم كل واحد منهم باتجاه وهو يظن أن الآخر يفهم بداهة ما يقوله وما يعنيه.

وقد حرصنا في المراحل اللاحقة على تبادل إلقاء الدروس بين معلمي مادة الدين المسلمين والمسيحيين (من الكاثوليك والإنجيليين) لمرة أو مرتين في العام الدراسي، حتى توجه للمعلم الأسئلة التوضيحية مباشرة من التلاميذ الآخرين فيوضح لهم ما قد يكون قد التبس عليهم من مفاهيم.

المهم بالأمر أن التعليم الديني المدرسي من أهم الوسائل المبكرة، التي تساعد على فهم الآخر، وتسهل عملية العيش المشترك، وتمهد لحوار مخلص وبناء في المراحل اللاحقة. وهنا أود أن أشير إلى أهمية وحساسية إعطاء المعلومة الصحيحة لدى إدارة فعاليات الحوار. فليست هنالك أية فائدة ترجى من محاولة التقرب للآخر عن طريق نقل صورة مشدبة وملطفة عن عقيدة أو مفهوم ديني، بل قد يكون ذلك تضليلا تنجم عنه مضار كثيرة. وهنا أود أن أضرب مثلا على ذلك: في منتصف العقد السابع من القرن الماضي نظم أحد الأديرة الكاثوليكية ندوة حوار مع المسلمين، وكانت محاضرة أحد المشاركين المسلمين تعالج شخص السيد المسيح (عليه السلام) لدى المسلمين، وكان هذا المشارك أكبر مني سنا ومكانة، وقد كنت يومئذ في ريعان الشباب، ولكنني استمعت منه إلى حديث عجيب حول عقيدة المسلمين فيما يتعلق بشخص ومكانة السيد المسيح، إذ أن الرجل قد نقل

بعض الآيات الكريمة التي تصف السيد المسيح في القرآن الكريم، ليفسرها بأن للسيد المسيح مرتبة خاصة متفردة تجعله فوق مرتبة البشر، بل هو كائن بين الله تعالى وبين البشر! فرأيت بأن الرجل قد بالغ في تطرفه وتلفه فجاوز الحد وجانب القصد، فمسيحه الذي وصفه كان أقرب إلى مسيح أريوس الإسكندري (Arius) منه إلى مسيح الإسلام كما وصفه لنا القرآن الكريم. فطلبت الكلمة، وقلت بأن فلانا (أي المتحدث) صديقي وهو أكبر مني عمرا وقدرًا، ولكنني لا أستطيع موافقته على ما قال، فقد رأيت في ما قاله عقيدة أريوس في السيد المسيح وهي أقرب إلي وأكثر جاذبية لي من عقيدة أثناسيوس (Athanasius)، ولكنها ليست عقيدة المسلمين كما بينها القرآن الكريم، وتلوت عليهم ترجمة الآيات التي سكت عنها صاحبي، وهي التي تضع الأمر في نصابه الصحيح وتزيل أي التباس قد يخامر من يتلو أو يسمع الآيات الأخرى، فسيدنا المسيح (عليه السلام) في عقيدتنا بشر مخلوق من الله تعالى، ولكنه بشر مصطفى ومعصوم، ونبي مؤيد من الروح القدس، ورسول الله إلى بني إسرائيل، نحه ونجله كما نحب كل أنبياء الله تعالى لا أكثر ولا أقل. وقد رأيت من واجبي أن أنبه على ذلك وأن أنقل لكم الصورة الصحيحة، حتى نكون صادقين في حوارنا.

من هذا المنطلق حرصنا على تعليم التلاميذ أن القصد من محاوراة الآخر هو تعميق التعارف والفهم المتبادل لمعرفة نقاط الاختلاف للوقوف عندها، ومجالات الاتفاق والقواسم المشتركة للبناء عليها، مع احترام عقيدة الآخر واختياره لها وإن لم أوافقها عليها. فليس القصد هو تقريب العقائد إلى بعضها بحيث تنشأ عنها عقيدة واحدة مشتركة، فقد حدثنا التاريخ عن محاولات في هذا الاتجاه لم تؤد إلى توحيد بل أنتجت مزيدًا من الاختلاف بأن أضافت عقائد جديدة هجينة، مثل محاولة حاكم الهند المغولي (أكبر) للتقريب بين عقائد الهندوس والمسلمين فأوعز إلى شاعر بلاطه (كبير) أن يمزج بين تلك العقائد ويوحدها فصاغ له دينًا جديدًا هجينًا سماه (دين إلهي) فما أرضى الهندوس ولا قبل به المسلمون. إذا لا طائل من وراء مثل تلك المحاولات.

كما حرصنا على تنبيه التلاميذ إلى أن الحوار الموضوعي هو شيء آخر غير الدعوة لدى المسلمين، وغير التبشير لدى المسيحيين، فليس هدف الحوار إقناع الآخر بصحة معتقدك وفساد معتقده، فذلك نسميه مناظرة وليس حوارًا، وإنما الهدف الأول من الحوار هو إزالة المفاهيم المغلوطة، وتصحيح الأحكام المسبقة، وتقويم الصورة النمطية الموروثة في الغالب عن الآخر، حتى يصبح التعايش السلمي بل الإيجابي ممكنًا مع وجود الاختلاف، ما دامت القاعدة المسلم بها من قبل الجميع هي احترام حرية الاختيار والتسليم بتعدد المفاهيم والقناعات، بغض النظر عن صحتها أو فسادها، فما صح عندي قد يكون فاسدًا في تقديرك، وما صح

عندك ربما كان فاسدا في نظري: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" (سورة هود: 118).

كان من الضروري توضيح كل هذه المسائل وتبيانها لتلاميذ المدارس على التدرج، بحيث تكون لدى من يتخرج منهم من المدرسة بالحصول على شهادة الثانوية العامة وقد بلغ الثامنة عشرة من العمر وأصبح شابا يافعا، أرضية صلبة يبني عليها فيما يلي من مراحل العمر مساهماته لتمتين لحمة العيش المشترك.

مؤتمرات الأئمة والشباب

من أجل تأصيل توجهات الهيئة الدينية الإسلامية ونقلها في ذات الوقت كتجربة رائدة إلى بقية البلدان الأوروبية، رأينا ضرورة مشاركة الرئاسات الدينية في البلدان الأوروبية بحوار موضوعي وبناء تناقش فيه قضايا الجاليات الإسلامية في أوروبا من الناحيتين النظرية الأساسية على ضوء المستفاد من النصوص المعتمدة، والواقعية العملية التي تحتاج إلى حلول وأجوبة مستنبطة خلاقة تأخذ الظروف المستجدة والمشاكل الطارئة بعين النظر الجاد، دون التقيد بالأراء المجردة لعلماء أجلاء في العالم الإسلامي لا صلة فعلية لهم بواقع الجاليات المسلمة في أوروبا. ومن أهم قضايا الجاليات المهاجرة التي استوطنت بلدانا فيها أكثر من غير مسلمة، صياغة قواعد مدروسة لمستقبل الأجيال الجديدة تمكنهم من تحقيق توازن معقول بين الحفاظ على الهوية الدينية وزبدة الإرث الثقافي الحضاري، وبين الاندماج الفعال والإيجابي في المجتمع.

ولتحقيق هذا الهدف وبالتفاهم والتعاون مع وزارة الخارجية النمساوية، ومع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، والمؤتمر الإسلامي الأوروبي، وبمناسبة إعلان مدينة جراتز عاصمة للثقافة الأوروبية لعام 2003، تم توجيه الدعوة لعقد مؤتمر للأئمة ورؤساء المراكز الدينية في مدينة جراتز خلال الفترة من 13 وحتى 15 حزيران (يونيو) 2003، حضره 120 مشاركا ومشاركة من 35 دولة أوروبية، كما حضره الدكتور عبد الواحد بالقريز أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، والدكتور بيبينا فيريرو والدنر وزيرة الخارجية النمساوية، والدكتور والتر شفيمر أمين عام المجلس الأوروبي، والدكتور عبد العزيز التويجري مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والدكتور ميخائيل وينينجر ممثل السيد رومانو برودي رئيس المفوضية الأوروبية. وقد تمخضت أعمال ومناقشات المؤتمر عن (إعلان جراتز) الذي أحدث ضجة واسعة في الأوساط الأوروبية في حينه، وأثار اعتراضات وانتقادات حادة من قبل بعض الشخصيات المحافظة، بينما استقبل بكثير من الارتياح والتفاؤل في أوساط الشباب.

فقد أعطى المؤتمر إجابات واضحة على كثير من تساؤلات الشبان والشابات، الذين كانت بعض الآراء الفقهية التراثية، وبعض الفتاوى المثيرة للجدل تقلقهم وتجعلهم محتارين بين خيار الانطواء والعزلة الذي تدعوهم إليه تلك الآراء والفتاوى وبين التطلع إلى الأمام والمشاركة الفعالة في قضايا بلدانهم ومجتمعاتهم الجديدة.

فمن أهم بنود إعلان جراتز إزالة الحاجز النفسي الكثيف الذي كانت تفرضه عليهم القاعدة الفقهية الموروثة، التي تقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، فتبعا لمنطوق هذه القاعدة وعملا بالأحكام المتفرعة عنها فهم - أي المسلمون المقيمون في البلدان الأوروبية - يعيشون في دار الحرب، أو بمعنى آخر يقيمون بين أعداء وإن كانوا في الوقت الحاضر على هدنة معهم! هل يمكن تصور حجم معاناة الشاب أو الشابة الملتزمين دينيا، وهما يواجهان هذه القاعدة وتبعاتها؟ ماذا قال إعلان جراتز في هذا الصدد: "إن تقسيم العالم تبعا للموروث من العصور الوسطى إلى دار للإسلام ودار للحرب لا يمكن تطبيقه اليوم، وليس عليه دليل صريح من القرآن أو السنة، ويعتبر ظاهرة تاريخية ليس لها اعتبار في زمننا المعاصر"

وحتى نكون واضحين فإن مؤتمر جراتز لم يقلل من شأن الفقهاء الذين استنبطوا هذه القاعدة مجتهدين لمواجهة واقع الحال في زمنهم. بل كان اجتهادهم صحيحا ومتقدما على المتعارف عليه والمتبع عند الآخر. فإن تقسيم العالم إلى دار للسلم ودار للحرب لم يكن بدعة اخترعها المسلمون أبدا. بل هي قديمة قدم الإنسان، ولربما كان الرومان أول من قعدها وأصلها نظريا عندما نصوا على أن حدود دولتهم هي حدود السلم الروماني "Pax Romana" وخارجها الحرب والبربرية. ثم اكتسب هذا المفهوم الصفة الدينية عندما أعلن الإمبراطور تيودوسيوس Theodosius عام 391 المسيحية دينا رسميا للإمبراطورية وبدأ باضطهاد غير المسيحيين. ثم استفحل الأمر في القرون الوسطى عندما أعلن أباطرة الأوتونيين (Ottos) دولتهم مقدسة وأصبح اسمها اعتبارا من عام 1157 الامبراطورية المقدسة (Sacrum Imperium)، ليتحول اعتبارا من عام 1254 إلى (Sacrum Romanum Imperium) ثم ليصبح فيما بعد في نهاية القرن الخامس عشر (Sacrum Romanum Imperium Nationis Germanicae) أي الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية، واستمرت كذلك حتى عام 1806 عندما اضطر الإمبراطور النمساوي فرانز الثاني إلى التنازل عن التاج الروماني تحت ضغط نابوليون بونابرت.

وبين هذين التاريخين 391 و 1806 جرت أحداث كثيرة أكدت الصبغة الدينية، لا بل المذهبية للدول بصورة عامة، فمنذ أن أعلن الراهب السكسوني

مارتين لوثر (Martin Luther) أطروحته التاريخية عام 1517 في مدينة فيتينبيرج (Wittenberg) بدأت أحادية المذهب في وسط وغرب أوربا تهتز لتنشأ عن ذلك حروب طاحنة بين ملوك وأمراء دولها، أدت في نهاية مرحلتها الأولى بعقد صلح أوغسبورج (Augsburg) عام 1555 الذي اعترف بالانقسام المذهبي من ناحية، وأكد سيادة أحادية المذهب ضمن كل مملكة أو إمارة من ناحية ثانية، وأعطى كل ملك أو أمير حق تقرير مذهب إمارته ورعاياها المقيمين على أراضيها "reformandi jus"، الذي تختصره القاعدة الشهيرة (quarum regionum religio) التي تشرحها المقولة العربية (الناس على دين ملوكهم)، ولكن وثيقة الصلح تلك أعطت الرعايا المخالفين لمذهب الحاكم حق الهجرة من أراضي إمارته إلى أراضي أمير من أمراء مذهبهم "jus emigrandi"، وإن قصرت تلك الحقوق على أتباع المذهبين الكاثوليكي والإنجيلي اللوثرى فقط.

نجح صلح أوغسبورج بإيجاد صيغة قانونية متفق عليها لتقنين الانقسام المذهبي، غير أنه لم يضمن منع التجاوزات والخروقات الكثيرة فيما بعد، والتي أدت عام 1618 إلى بداية حرب الثلاثين عاما بين الأمراء الكاثوليك والبروتستانت، التي انتهت عام 1648 بتوقيع وثيقة صلح ويستفاليا (Westfalen) في مدينتي (Münster) و (Osnabrück) في نفس الوقت. لم تأت وثيقة ويستفاليا بجديد، بل أعادت تأكيد ما اتفق عليه في وثيقة أوغسبورج، غير أنها وسعت مجال تطبيق تلك الحقوق والأحكام لتشمل أتباع الكنيسة الإصلاحية الكالفينية أيضا.

واستمر هذا الانقسام المذهبي على حدته حتى عام 1781 عندما منح الإمبراطور جوزيف (Josef) الثاني رعايا إمارته الوراثة شرق وجنوب نهر Enns من غير الكاثوليك، وبالتحديد اللوثرين، والكالفينيين، والأرثوذكس براءة التسامح (tolerantia patent) الذي سمح لهم بموجبه بممارسة طقوسهم الدينية في المجال الخاص وليس العام، مع كثير من القيود، ولكنها كانت المرة الأولى التي يسمح فيها حاكم أوربي لرعاياه بإتباع وممارسة طقوس مذهب غير مذهبه في أراضي إمارته - رغم الأحكام المقيدة لتلك الممارسة - ومع الأخذ بعين الاعتبار بأن الأمر اقتصر على أراضي إمارته الوراثة الصغيرة نسبيا، ولم يشمل الإمارات والممالك الأخرى الكبيرة، التي يحمل تيجانها.

لقد توسعت في ذكر هذه الوقائع حتى لا يدور في خلد أحد أن المسلمين هم من اخترع بدعة تقسيم العالم. وأنا في مؤتمر جراتز كنا ننتقص من قدر وعلم الفقهاء الذين قعدوا تلك القاعدة، أبدا بل كان اجتهادهم في محله، فهم قد وجدوا أمامهم واقعا قائما فاستنبطوا له قاعدة وأحكاما. والفقهاء كما هو معلوم فن استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية وتنزيلها على واقع الحال!

والجدير بالذكر أن عددا مرموقا من كبار العلماء في العالم الإسلامي بادروا إلى معالجة هذا الموضوع بطرقهم الخاصة، فقد عمد بعضهم إلى استبدال مسمى دار الحرب، بمسميات شتى مثل: دار العهد، أو دار الدعوة، أو دار الأمان... إلخ. ولم نر في ذلك شيئا من الصواب، إذ أن فكرة التقسيم بحد ذاتها قد تجاوزها تغيير الحال مصداقا للقاعدة الأصولية التي تقول: الأحكام تدور مدار العلل.

كما أزال مؤتمر جراتز التناقض الموهوم بين الحفاظ على الهوية الدينية وبين اكتساب جنسيات بلدان الهجرة التي استوطن أو ولد فيها مسلمون، فقرر: "إن المسلمين يدركون هويتهم الدينية الإسلامية ويؤكدون على انتمائهم إلى مجتمعاتهم الأوربية كمواطنين، ولا يرون تعارضا في ذلك، وبالتالي فإن التجنس لا يتعارض مع الفهم الشرعي لهذه القضية".

كما رفض المؤتمر كل ألوان التطرف فقرر: "إن الرسالة الإسلامية قائمة على الاعتدال والوسطية، وعليه فإنها ترفض ضمنا كل أشكال التعصب، والتطرف، والتواكل".

"إن التعددية في الفهم الإسلامي مطلب إلهي، والتعامل مع هذا المطلب لا يكون إلا بالتنافس على فعل البر، وفي الحوار، وفي فهمه كواجب إسلامي...".

"إن المشاركة الفعالة وتحمل المسؤولية في كل مجالات الحياة هو مبدأ إسلامي أصيل يثري التعايش المشترك في عالم يقوم على التعددية".

"إن الأئمة والعلماء المسلمين يتحملون قسطا مهما من مسؤولية التربية والتعليم، وبناء البنية التحتية الإسلامية، وفي هذا المجال هنالك سلسلة من الواجبات الملحة. فالتعامل مع الأحكام المسبقة والنمطية، والصورة العدائية الموروثة، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق التربية السليمة، والتعليم الصحيح لنشر الوعي المشترك بثقافة التعايش السلمي والدفاع عنها".

ثم توجه المؤتمر إلى جيل الشباب على وجه التحديد فأعلن: "فمن الجانب الإسلامي تعتبر تربية الأجيال الشابة أمرا ملحا، وهنا فقد أثبتت مادة تعليم الدين الإسلامي في المدارس الرسمية نجاحتها. إن تعليم الدين الإسلامي في المدارس يظهر الفروق القائمة بين مبادئ الإسلام وبين التقاليد الموروثة، ويمهد بالتالي لتجاوزها ويشجع على الاندماج الإسلامي الداخلي عن طريق المعايضة التعددية للتلاميذ أنفسهم، مما يساعد على تعميق فهم الهوية الإسلامية الأوربية. إن التعليم والتنقيف الإسلامي المؤسسي بالمستوى المطلوب هو ضمانة ضد الفهم الضيق، والتعصب، واللامبالاة. ولهذا فلا بد من إنشاء كليات علمية في أوربا لتأهيل علماء مسلمين فيها. إن هذه الكليات ستساعد على تطوير فهم فقهي يتوافق مع الحياة في أوربا".

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- ونظرا للنجاح الذي حققه مؤتمر جراتز، وللصدى الواسع الذي لقيه (إعلان جراتز) تقرر تطويره ليصبح مؤسسة دائمة، بحيث ينعقد دوريا كل أربع سنوات، وأصبح اسمه (مؤتمر الأئمة والمرشادات الدينيات في أوروبا).
- في سنة 2005 تمت الدعوة لعقد مؤتمر لأئمة النمسا في مدينة فيينا، يمهد للدعوة لعقد مؤتمر الأئمة على المستوى الأوروبي في العام التالي، أي عام 2006 حيث أن النمسا كانت ستنبأ رئاسة الاتحاد الأوروبي في تلك السنة. وبالفعل فقد انعقد مؤتمر أئمة النمسا في قاعة دار البلدية القديمة في العاصمة فيينا، يوم 24 نيسان (أبريل) 2005، واتخذ مجموعة من القرارات ضمنها بيانه الختامي أهمها:
- "لقد نجح مؤتمر الأئمة في جراتز في حزيران 2003 في وضع قواعد هامة لتوصيف واقع الإسلام في أوروبا وبيان موقفه فيها. وكان إقرار مبدأ العمل الديمقراطي، ودولة القانون، والتعددية، ورفض المغالاة والتطرف، الموثق بالأدلة الشرعية ... قد لاقى قبولا واسعا في الأوساط الإسلامية في أوروبا. ويعد هذا البيان خطوة هامة في مسيرة تزداد وضوحا تهدف لتأصيل الهوية الإسلامية في أوروبا، وهو جزء من خطاب إسلامي يهتم بالمسائل العملية أولا".
 - "يؤكد المؤتمر أن الحوار هو أنجع وسيلة لتلاقح الأفكار بين فئات المجتمع المختلفة وبين الأديان، ويمكنه ضمان الاحترام المتبادل والتعايش السلمي. ومن أجل حوار بناء لا بد من التواصل...".
 - "يرى المؤتمر أن خدمة المجتمع من فضائل الأعمال، التي يدعو إليها الإسلام، ولذا فهم يدعون المسلمين للمشاركة الفعالة في جميع مجالات المجتمع".
 - "يؤكد المؤتمر على واجب كل مسلم ومسلمة، كما هو واجب كل مواطن ومواطنة، في الحفاظ على الأمن والسلام في الدولة والمجتمع".
 - " يطالب المؤتمر مسلمي النمسا بحماية الممتلكات العامة والخاصة وكل الموارد، والمشاركة في مساعدة ضحايا الحوادث والكوارث الطبيعية".
 - "يندد المؤتمر بالإرهاب والعنف، وبكل أشكال التطرف أينما كانت في هذا العالم".
 - "يرى المؤتمر ضرورة أن تهتم الأسرة الدولية وبشكل جاد وعلمي بظاهرة الإرهاب، وتشكل مجلسا من المتفقين وأهل الرأي لبحث هذه المشكلة بشكل مفصل".
 - "يرى المؤتمر أن الأسرة الدولية لم تتفق على تعريف محدد للإرهاب، لذا يؤكدون أن لا علاقة بنيوية للإرهاب بدين معين أو ثقافة محددة، ويؤكدون بأن كل من يهدد المدنيين بعنف أو قتل هو إرهابي، دون النظر إلى أصله ودينه".

- "يوصي المؤتمر جميع الأئمة والمتفقين بمحاربة كل أشكال التطرف وبكل الإمكانيات".
 - "لا يكفي رفض أشكال التطرف المخالفة لما ذكر أعلاه من إجماع، ووصفها على أنها ظواهر فردية وهامشية. إن ضيق الأفق والتطرف، الذي يرفض كل حوار، والذي ينافي حقيقته الدينية الخاصة به، لا مكان له بيننا، ويدعونا لتحمل مسؤوليتنا لترسيخ ووعي أكثر صلابة تجاهه".
 - "إن ثقافة الحوار، الذي يراعي مواضيع ذات اهتمام مشترك هي التي تمكن من بناء الجسور كبديل عن التجاهل واللامبالاة والانعزال".
 - "لقد تنبه المسلمون إلى مساوئ التفوق في مجموعات منعزلة، مما جعلهم يرفضون كل أشكال الانفصال والانعزال عن المجتمع. ولهذا فإن المؤتمرين يؤكدون على الشعار الذي رفعته الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية لدى احتفالها بمرور 25 سنة على تأسيسها: " الإندماج من خلال المشاركة". والمشاركة تشمل النواحي الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية على حد سواء. وإن أمن البلاد هو أمن المسلمين، والازدهار والتطور أهداف مشتركة يجب تحقيقها عن طريق حفظ الدستور والعمل الشخصي الدؤوب".
 - "إن آمال ومطالب مؤتمر الأئمة في فيينا نراها تتحقق من خلال الشبيبة الإسلامية. فها هي الشبيبة الإسلامية النمساوية تفهم نفسها على أنها جيل من رجال ونساء ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جزء من نسيج الدولة، والمجتمع، والديمقراطية، والنظام القضائي. إنهم يترجمون التوجه الرسمي للهيئة الدينية الإسلامية الرسمية إلى واقع محقق، ويفتحون بذلك مجالات واسعة ومستقبلا واعدة للحياة الإسلامية في النمسا".
- خلال الفترة من 7 وحتى 9 نيسان (أبريل) 2006 انعقد مؤتمر الأئمة والمرشحات الدينيات في أوروبا في دورة انعقاده الثانية في قاعة الاحتفالات الكبرى في دار بلدية العاصمة فيينا، بحضور المستشار الاتحادي، ورئيس البرلمان، ووزيرة الخارجية، ووزيرة التعليم والعلوم والثقافة، وغيرهم من الوزراء وكبار مسؤولي الدولة وسفراء الدول الإسلامية والأوربية المعتمدين لدى النمسا، ثم استؤنفت جلسات العمل في قاعة الإحتفالات الكبرى في جامعة فيينا، وانتهت مداورات المؤتمر بإصدار بيان ختامي أختصر منه فيما يلي جزءا من الديباجة، وبعض المقررات الخاصة بالتعليم وشؤون الشباب:
- "لقد نجح (مؤتمر الأئمة ورؤساء المراكز الإسلامية في أوروبا) في جراتر عام 2003 في إثبات أن الإسلام متوافق مع مبادئ دولة القانون، والديمقراطية،

والتعددية، واحترام حقوق الإنسان، ورفض كل أشكال التطرف، والعنصرية، والعنف. وكان هدف المؤتمر الرئيسي تشجيع الاندماج والمشاركة الفعالة في المجتمع لأكثر من خمسين مليوناً من المسلمين في أوروبا، مع الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وكذلك إرسال إشارات واضحة للمجتمعات الأوروبية من أجل تشجيع الحوار والاحترام المتبادل معها، ودحض المخاوف والأحكام النمطية.

وفي مؤتمرنا اليوم في عام 2006 نعود لنكتشف ونؤكد أننا بحاجة لبذل جهد أكبر من أجل الوصول إلى القبول المنشود في المجتمعات الأوروبية. ففي بعض الدول الأوروبية تستغل أقليات عنصرية الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية من أجل التحريض على الأجانب، وخاصة المسلمين منهم لرسم صورة نمطية سلبية لهم تعزلهم عن فئات المجتمع الأخرى...".

- "يعاني الكثيرون من أبناء المسلمين من صعوبات في مجال التربية والتعليم مما يؤدي بالكثيرين منهم، وخاصة الفتيات، إلى عدم متابعة تحصيلهم العلمي، مع ما يرافق ذلك من مشاكل اجتماعية وبطالة عالية".
- "يجب توفير الفرص المتساوية للحصول على الكفاءات العلمية، ورفض كل أشكال التمييز والعداء للإسلام".
- "يجب الاهتمام برياض الأطفال لتكون اللبنة الأولى في تعلم لغة البلاد، وتهيئة الأجيال الجديدة للاندماج الإيجابي في المجتمع كما سبق ذكره أعلاه".
- "إن لتدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية أهمية خاصة في تشجيع الاندماج مع حفظ الهوية الدينية والثقافية، كما سيكون له الأثر الإيجابي في تطوير مدارس تحفيظ القرآن في المساجد والمؤسسات الإسلامية".
- "لا يجوز قصر التعليم بالنسبة للبالغين على تعلم اللغة فقط، بل ينبغي تطوير نماذج تدريبية على كل الأصعدة وفي كل المجالات".
- "ينبغي مراعاة المصطلحات العلمية الإسلامية وغير الإسلامية، حتى لا تختلط المفاهيم، ومن أجل تطوير لغة للتفاهم تزيل سوء الفهم لدى التعبير عن مقاصد الإسلام".
- "الشباب عماد الأمة وأمل المستقبل، لذا يجب ترسيخ هويتهم الإسلامية، وتطوير قدراتهم وكفاءاتهم في جميع المجالات".
- "يجب زيادة وعي الشباب بالاندماج الإيجابي في المجتمع دون التخلي عن هويتهم الإسلامية".
- "يجب حماية الشباب من كل أشكال التمييز المختلفة، وتشجيعهم على التعامل مع التعددية الثقافية، والفكرية، والدينية، والسياسية".

- "ينبغي رفع مستوى التنسيق بين المؤسسات الشبابية الإسلامية في أوروبا".
- "يجب التنبيه إلى دور المجتمع في تشجيع الشباب وإعطائهم الفرصة الكافية للاندماج دون الذوبان، وتوفير فرص العمل الكافية لهم".

خلال الفترة من 14 وحتى 16 أيار (مايو) 2010 عقدت الدورة الثالثة من مؤتمر الأئمة والمرشدين الدينيين في أوروبا، التي افتتحت أعمالها في قاعة الاحتفالات الكبرى في وزارة الخارجية النمساوية، ثم تابعت جلسات العمل في قاعة الاحتفالات الكبرى للأكاديمية الدبلوماسية في فيينا، والتقت فرق العمل المتخصصة في قاعات التدريس في الأكاديمية العريقة. وقد حدد المؤتمرين طبيعة عمل دورة الانعقاد الثالثة على الشكل التالي: "...ركز المؤتمرين على إرشادات تتناسب مع الواقع وعلى المعالجة الدقيقة للمجالات التي تقع في صلب الاهتمامات العامة. ومن أجل إبراز أهمية الصياغة الذكية للأسئلة التي ينبغي الإجابة عليها، فقد أوكل هذا الأمر لورشات العمل. وبذلك تتواصل المسيرة بشكل تدريجي من مؤتمر إلى آخر: من تحديد المواقف في عام 2003، إلى إبراز مجالات العمل في عام 2006، إلى عرض لكيف وأين تكون المشاركة البناءة للمسلمين في أوروبا عام 2010".

وساقصر النقل هنا عن البيان الختامي للمؤتمر على مقتطفات من موضوعي الحوار والشباب فقط:

- "إن تطبيق الإسلام الصحيح يلزم المسلمين باحترام أتباع الأديان والفلسفات الأخرى. ولا يفكر المسلمون البتة بسلب الآخرين حقهم في خصوصيات حياتهم. بل إن التفكير بالتغيير يجب أن يتعلق بمفاهيم كل فرد منا. وكما قرر مؤتمر جراتز، ومؤتمر فيينا فإن هوية الإسلام عالمية تتناغم مع الظروف المكانية المتاحة، لهذا فلا بد من إبراز استقلالية مسلمي أوروبا عن دول وأحزاب العالم الإسلامي، ليحولوا هذا الفهم الديناميكي إلى واقع ملموس. وهذه الاستقلالية يجب أن تظهر جلية حتى في اختيار مواضيع النقاش، لأن الأسئلة المطروحة في أوروبا تختلف عن تلك في الأماكن الأخرى. ويتحمل الأئمة والشخصيات الإسلامية الفعالة دورا جسيما ومسؤولية خاصة في هذا المجال. ولهذا فإن دورهم الوظيفي يحتاج إلى تعريف جديد ينطلق من الواقع الأوربي، مع ما ينبغي على ذلك من نتائج تتعلق بمناهج التأهيل والتدريب والتطوير".

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- "ليتحقق ذلك فلا بد من العمل المؤسسي. وإذا أراد المسلمون التواصل مع المجتمع الأوربي، فإنهم بحاجة إلى ترسيخ شكل قانوني يتناسب مع هذا المجتمع ودوله".
- "التعبير عن موقف تقديري للأطفال والشباب، ليتسنى بذلك أخذ احتياجاتهم مأخذ الجد. مما يعني توفير الأمكنة والإمكانات اللازمة، وتقديم برامج مناسبة، تتيح لهم إمكانيات مشاركة حقيقية".
- "التعجيل بتنفيذ برامج تعليمية شاملة لتمكينهم من التعلم واكتساب المعرفة. وعلى الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهم في ذلك، وخاصة في مجال التعلم المتواصل، وكذلك تشجيع الشباب على السعي للحصول على أعلى الشهادات الأكاديمية، لأن تحسين الوضع الاجتماعي للمسلمين في أوربا لن يتأتى إلا عن طريق التعليم العالي".
- "التصديق ببديهية الهوية الإسلامية الأوربية والتعبير عنها، وعن إمكانية تعدد الهويات: لأن عملية التغيير الاجتماعي تؤخر بالنسبة للجيل الثاني والثالث الوطن الأصل ليحل مكانه الوطن الجديد مع الارتباط العاطفي به".
- "التعامل مع واقع الشباب من كل الجوانب، فالشبيبة تعير اهتمامها للإمام الذي يجيد لغة البلد، والذي نشأ مثلها فيه".
- "تجاوز دور الضحية: لأن من يرى نفسه ضحية ظروف متناقضة وبيئة معادية يشل نفسه بنفسه. لهذا يجب دعم الشباب المسلم روحيا حتى لا يقع فريسة لنمطية الضحية، بل أن ينشط ويدخل الحياة بكثير من الثقة والأمل لتحقيق الأهداف المرجوة".
- "التأكيد على التربية المناسبة للجنسين، بحيث تحصل الفتيات وبشكل متساوي على نفس التشجيع والحريات التي تعطى للفتيان".
- "دعم الأسرة المسلمة: يجب تشجيع الأسر عن طريق الإرشاد والنصائح الموجهة، ومكافحة ظاهرة العنف المنزلي، والنظم الذكورية، التي تسيء للمرأة. وعلى الأئمة استخدام نفوذهم عن طريق الإرشاد والتوضيح لتحسين الظروف في هذا المجال. إذ لا يكفي هنا التنبيه البسيط على أن مثل هذه التصرفات تخالف الإسلام".
- "إيجاد نماذج يقتدى بها: فالشبيبة تحتاج القدوة، التي تلهما فتقتدي بها وتقوي إرادتها في الحياة الخاصة".
- "العمل على قيام مؤسسات إسلامية مستقلة، وعمل شبابي إسلامي يلبي حاجات ورغبات الشباب. يجب ترسيخ وتشجيع العمل الشبابي من الشباب ولأجل الشباب".

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

هذا عرض موجز لبعض الجهود التي بذلتها الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا، ومؤتمر الأئمة والمرشحات الدينيات في أوروبا، من أجل توجيه الشباب نحو ثقافة الحوار، والتناغم مع واقع التعددية الدينية والثقافية، وتبني قيم العيش المشترك.

المصادر

1. Scheipl, Scheucher, Wald, Ebenhoch, Zeitbilder 5, Von den Anfängen der Geschichte bis zum Ende des Mittelalters, Öbvht Verlagsgesellschaft mbH & Co.KG, Wien 2003.
2. Scheipl, Scheucher, Wald, Lein, Zeitbilder 6, Vom Hochmittelalter bis zum Wiener Kongress, Öbv et hpt, In Verlagsgemeinschaft mit Ed. Hölzl, Wien 1999.
3. Pohanka Reinhard, Dokumente der Freiheit, Marix Verlag GmbH, Wiesbaden 2009.
4. Islamische Glaubensgemeinschaft in Österreich, Österreichische Imame-Konferenz, Aktivitäten der IGGiÖ, Wien 2006.
5. Islamische Glaubensgemeinschaft in Österreich, Islam in Europe, Europäische Islamkonferenzen der IGGiÖ, Wien 2006.
6. Islamische Glaubensgemeinschaft, Islam in Europe, Europäische Imamekonferenz, Wien 2011.

رفعت بدر¹

نحو ربيع جديد في العلاقات الإسلامية المسيحية عبر الإعلام والمناهج الدراسية

الملخص

يبني الباحث على ما سبق من أنشطة ومدخلات، سيراً إلى البعد الحقيقي للتربية وكذلك للإعلام، في بناء الشخصية المتكاملة لدى شباب اليوم، في الانفتاح والتفؤل. ويتساءل: هل تسهم مناهج التربية والتعليم في مختلف بلدان الوطن العربي، في خلق حالة "انسجام ووثام وانفتاح" مع الآخر - الديني؟ وهل يخدم "الإعلام الديني" اللفة بين الناس؟ وبعد الوقوف على السلبيات، والإشادة بالإيجابيات، ومن مناهج التربية والتعليم التي تحتاج إلى إصلاح، ليكون اللبنة الأولى بالإصلاح المجتمعي المتكامل، ومن الدعوة إلى أن يكون "الإعلام الديني" خادماً للقيم الإنسانية، يقدم البحث مقترحات من شأنها مساعدة وزارات التربية والتعليم على التركيز على بُعد "الانفتاح" في المناهج التربوية والتعليمية، وكذلك مقترحات للإعلام ليعمل على تشكيل جيل من الشباب واع ومؤمن بأنّ "بناء الجسور" خير من "بناء الجدران" في عالم يحتاج إلى الشجاعة الحقيقية في قوة المحبة لا في قوة السلاح.

المقدمة

لا بدّ من أن تحدث المشاجرات الطفيفة في العائلات والحيّ والمجتمع. إنّما الأمر الأهم هو أن "نسعى لإحلال السلام في أقرب وقت من خلال كلمة أو لفظة. إنّ الجسر أفضل من الجدار: فالجدار يذكرنا بالجدار الذي فصل برلين لسنوات عديدة. وفي قلوبنا أيضاً يمكن أن نجد جدار برلين ننبهه بوجه الآخرين...". "أنا أخاف من هذه الجدران، هذه الجدران التي تُبنى يوماً بعد يوم فتغذي الحقد. نسأل الله تعالى اليوم أن يمنحنا نعمة بناء الجسور عوض الجدران." (البابا فرنسيس، الفاتيكان، 2014\1\24).

بداية، أشكر هذا المركز العالمي للحوار في الدوحة، مديراً وأعضاء على دعوتي لالقاء حديث حول الإعلام الديني ودوره في تعزيز العيش المشترك. في

¹ الأب رفعت بدر [abouna.org@gmail.com] كاهن ومدير عام للمركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام - الأردن.

16\3\2013، شاركت في اللقاء الأول للبابا فرنسيس مع الأسرة الإعلامية التي عملت على تغطية أحداث استقالة البابا والكرسي الشاغر وانتخاب البابا الجديد. "الحقيقة والجمال والخير" ثلاث نقاط ركز عليها البابا الجديد، وكنت في قاعة بولس السادس، أصغي اليه، عائداً بفكري الى منطقة الشرق الأوسط حيث أعيش وأعمل: ان الحقيقة والجمال والخير هي قيم أساسية في حياة الانسان، ونحن مدعوون - كإعلاميين أن نسعى الى خدمتها بكل ما أوتينا من طاقة وقوة. الا انها قيم غائبة عن منطقتنا، ليس في المجال الاعلامي فحسب بل وفي الحياة اليومية، وأنا لا أتكلم عن بلدي الأردن الذي أحمد الله أنه مختلف، لكن الأمر المؤرق أن الشرق غابت فيه "الحقيقة والجمال والطيبة"، وأصبح في عطش دائم اليها.

وسرحت بفكري نحو الشباب الذين هم الشريحة الأكبر في بلادنا (70%) من سكان الاردن، وهم يطمحون كغيرهم من شباب العالم الى عيش هذه القيم وغيرها في أجواء مريحة. وهم ينظرون الى الاعلام اليوم ليس كسلطة رابعة كما كان يُقال، بل كسلطة أولى مؤثرة في شرائح المجتمع كافة. وتنقسم هنا فئات الشباب من متابعين فحسب الى عاملين في مجالات الاعلام والصحافة الواسعة والمتعددة، ومنها الصحافة الرسمية ومنها الخاصة. وانّ الفئة الأكبر لشبابنا العربي هم مستخدمو المواقع التفاعلية من فيسبوك وتويتر وغيرها. وهي مواد رفعت مستوى حرية التفكير والتعبير والتقدير لدى الشباب لدرجة ان اتسعت الفجوة بين الاعلام الرسمي المحافظ والمتحفظ، والاعلام الرقمي الذي لا يعرف حدوداً.

ومن متابعتي اليومية لمواقع التواصل، أجد أن شبابنا العربي أو شباب الشرق الأوسط، لهم حضورهم الفاعل والمحرك، وهو حضور ينعم بحرية لا سقف لها من التعبير، الا انه يفتقر الى روح المسؤولية والحفاظ على أخلاقيات ومثل تحتاجها هذه التطورات المذهلة.

وعودة الى قاعة بولس السادس، لقد خط "فرنسيس" في اول أيامه خارطة الطريق للاعلام - حتى الرقمي منه، ليكون خادماً على الاقل لثلاث قيم أساسية وهي ليست قيماً فحسب بل أمهات لقيم عديدة، أي "الحقيقة والجمال والطيبة". في وسط أجواء تغيب فيها الحقائق وتزيّف، ويلعب الاعلام دوراً في عمليات التزييف، وتغيب فيها قيم الجمال وراء الغبار الذي تخلفه أقدام المهجرين واللاجئين، وتغيب فيه قيم الطيبة والخير، تقع علينا مسؤولية ضرورية وليست ترفية، في تذكير من يقفون وراء الميكروفونات وأمام الكاميرات، أو ببساطة عند الشاشات الصغيرة والكبيرة، بتنشئة أجيال اليوم على قيم أساسية تفتقر اليها "اللعبة الاعلامية".

1. الاعلام اليوم

يقول واحد من كبار المتخصصين في الاعلام، الدكتور عصام موسى : و"لأن الإعلام المعاصر وليد الثورة الرقمية - التي هي مرحلة سنتلونها مراحل أخرى مستقبلا - فإن التسمية الملائمة له هي الإعلام الرقمي، أو الرقمنة، (Digital Media) وليس الإعلام الجديد (New Media)".

عرف العالم الإنترنت والشبكة العنكبوتية المعروفة عالمياً بالويب قبل أكثر من خمس عشرة سنة تقريباً، وكان ذلك إيذاناً بعصر جديد للبشرية. وجاء الويب بجيليه الأول والثاني جالباً معه قيمة الخاصة، ومعاييره المتفردة، مما أثار قلق الكثير من المفكرين والمربين وأصحاب القرار في أنحاء مختلفة من العالم. في بدايات الانترنت كان النشر الإلكتروني أو بناء المواقع مكلفاً مادياً وجمهوره قليل نسبياً، لذلك كان إلى حد ما حكراً على كبرى الشركات والمؤسسات والصحف.

ولكن مع التطورات الإلكترونية الثورية أصبح الأمر أسهل مع مرور الوقت و ازداد جمهوره مع الازدياد الكبير في مستخدمي الانترنت، حيث وفرت "نظام إدارة المحتوى" [Content Management Systems] و"المدونات" [Web Blogs] والمنتديات [forums] بيئة أسهل للناس لكي يضيفوا محتوى إلكتروني إلى الشبكة العنكبوتية التي يزداد روادها طردياً مع الوقت. بالإضافة إلى استخدام البريد الإلكتروني [Email] من خلال إرسال النشرات الأخبارية [Email Newsletters] إلى قوائم البريد الإلكتروني.

وكانت الثورة الكبرى من خلال "شبكات التواصل الاجتماعي" [Social Networks, example: facebook , twitter, youtube, myspace] التي وصلت إلى كل بيت بسبب توفيرها كل الخدمات من خلال موقع واحد، النشر [publication]، التعليق [comments]، المحادثه الفوريه [chat]، الرسائل الخاصة [private messages]، بيئة النقاش [discussion board] الإشتراك في متابعة أخبار كينونه معينه [Groups and Pages]، وغيرها الكثير. وما يختص بالمواقع، يختص ايضا بالفضائيات الاعلامية التي غزت العالم من كل أطراف الأرض، وصارت مساحات متاحة للدلاء بكل دلو.

2. الاعلام مرتبط بحرية التعبير

ولا لعلا ما سليما بدون هذه الحرية. وحرية التعبير مرتبطة بالحرية الأخرى: وأهمها الحرية الدينية. في بلدنا الحبيب، وفي مجمل البلدان العربية، هنالك حريات عبادة. ليس هنالك حرية دينية بالمعنى المكتمل، اي حرية الانسان في اختيار معتقده.

جاء في الارشاد الرسولي: الكنيسة في الشرق، شركة وشهادة الذي وقعه البابا بندكتس 16 في لبنان في 14\9\2012: "الحرية الدينية هي تاج كل الحريات. انها حق مقدس وغير قابل للتفاوض. انها تشمل في الوقت ذاته، الصعيدين الفردي والجماعي، حرية اتباع الضمير في المسائل الدينية، وكذلك حرية العبادة. وتشمل حرية اختيار الديانة التي يرتئي الشخص انها صحيحة والتعبير علانية عن هذا المعتقد. يجب أن يسمح للإنسان بممارسة ديانته والتعبير عن رموزه بحرية، دون أن يعرض حياته وحرية الشخصية للخطر. تستمد الحرية الدينية جذورها من كرامة الشخص، انها تضمن الحرية الاخلاقية وتنمي الاحترام المتبادل. إن اليهود الذين تعرضوا طويلاً لأعمال عدائية، غالباً ما كانت قاتلة، لا يسعهم ان ينسوا فوائد الحرية الدينية. اما المسلمون فيتقاسمون من جانبهم مع المسيحيين الاقتناع بأن الاكراه في ما يتعلق بالدين غير مقبول، خصوصاً اذا تم بواسطة العنف. إن هذا الاكراه، الذي قد يتخذ اشكالاً متعددة وخطيرة على الأصعدة الشخصية والاجتماعية والثقافية والادارية والسياسية، يتناقض مع مشيئة الله. وهو يستخدم اداة لتحقيق مآرب سياسية - دينية، اداة للتمييز والعنف الذي قد يؤدي للموت. إن الله يريد الحياة لا الموت. إنه يحرم حتى قتل القاتل". (رقم 26).

3. الاعلام الديني

إزاء هذا التطور الواضح، والذي لا يستطيع أحد أن يتكهن حول شكل مستقبله وأفاقه الرحبة، كانت الأديان، بمؤسساتها وأفرادها، قد بدأت باستخدام الأدوات التقليدية للاعلام والاتصال، ولا نستطيع أن ننكر الادوار الثقافية والفكرية التي قامت بها، على مدار العصور، لكنها نظرت الى التطورات الاخيرة، بعين التوجس والخوف والترقب والحذر: متسائلة: هل هو حقيقي ما يشهده العالم اليوم الذي يصبح رويدا رويدا "قرية صغيرة"؟ هل العالم مستعد للدخول في عصر "اللاأسرار" واللاخصوصية، بهذا الشكل المثير؟ وقبل ذلك، كان الحذر الواضح: أية انعكاسات على الدين والعقيدة سيجمل هذا التطور؟ وأية تأثيرات على الاخلاق في العالم سوف تثير هذه الثورة الحقيقية؟

الا أن هذه المخاوف لم تستطع الصمود طويلاً، فأدركت الأديان ان "لغة جديدة" قد نشأت ولا مجال للبقاء في شرفة النظارة والمتفرجين، وهيا للدخول في بوابة النشر الالكتروني وعالم الانترنت وعالم الفضائيات. ولتكن هذه الثورة الرقمية الجديدة في تاريخ البشرية عاملاً مساعداً لخدمة الانسان والانسانية!

هنالك اليوم في العالم التكنو - رقمي العديد العديد من القنوات الدينية. التي تهتم باظهار الشؤون الدينية. ولا أتكلم هنا عن الشؤون العادية: من صحف ومجلات ورقية. وانما الحديث عن الحضور الديني فوق الصفحات الالكترونية:

الوف المواقع الالكترونية، ومئات المحطات الفضائية، وهناك بحسب الاحصائيات أكثر من 80 قناة فضائية عربية دينية، بالإضافة الى ملايين المواقع الشخصية التفاعلية.

4. الدور الذي يلعبه الاعلام الديني تجاه الشباب

أولا الدور الايجابي: ان تصب زيتا مداويا على الجرح:
"التقدنا صورة السامري الصالح الذي يضمّد جراح الرجل الذي تعرض للضرب، ويصبّ عليها زيتاً وخمراً، فيصبح تواصلنا مع الآخرين زيتاً معطراً للألم وخمراً طيباً للفرح. وليشع نورنا لا من خلال خدع ومؤثرات خاصة وإنما من خلال اقترابنا بمحبة وحنان من الذي نلتقي به مجروحاً على قارعة الطريق. يشكل تطور وسائل الاتصالات والمعلومات تحدياً كبيراً يتطلب منا طاقات نضرة وتصوراً جديداً لننقل للآخرين جمال الله". (البابا فرنسيس في رسالة اليوم العالمي للاتصالات الاجتماعية، 24\1\2014).
من هنا، فان وسائل الاعلام المستخدمة جيداً من قبل الشباب، تساعد على:

1. معرفة كل شخص بدينه هو: التثقيف الديني ثقافة صحية وسليمة وحقيقية، ومرغبة بالدين لا منفرة ومرهبة منه.
2. بث روح التفاؤل والامل في نفوس الشباب والشابات.
3. مساعدة المؤمنين الراغبين بالصلاة ولا يستطيعون: بسبب المرض والسن. وتوضيح المعنى الحقيقي للأعياد والمناسبات.
4. معرفة نظرة الدين حول مختلف جوانب الحياة.
5. أخلاقيات استخدام الاعلام، بما يخدم المحبة. وبخاصة الانترنت والشباب.
6. دعم الحوار والمعرفة المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين. نحن بحاجة الى أن يعرف الواحد الآخر. الجهل هو الأفة الكبرى التي تواجهنا. ومن الجهل يصدر التعصب والانغلاق والتفوق.
7. دعم توجهات - وتوجيهات - الدين لعالم السياسة بخلق العدالة الاجتماعية، وبالذوات الى الحوار والهدوء ونبذ العنف.
8. تعزيز دور الدين، في دعم قضايا العدل والسلام.
9. تسليط الضوء على المؤسسات التي تملكها الكنائس وبيوت العبادة، من مدارس ومستشفيات ومراكز ثقافية.
10. تسليط الضوء على ما تقوم به المؤسسات الدينية الخيرية من مساعدة للفقراء والعاطلين عن العمل واللاجئين.

11. إبراز الأدوار الأساسية التي تقوم بها المكونات وليس الاقليات في المجتمع الواحد.
12. مساعدة العائلات على الديمومة والمحبة ، من خلال إبراز القيم الأساسية للعائلة المتحابة.
13. الاسهام في خلق اجواء الاستقرار والامان داخل المجتمع، من خلال تربية الحس الوطني واعلاء مبدأ المواطنة.
14. على الصعيد المسيحي ، المساهمة في مبادرات وحدة المسيحيين. والتعاون بين مختلف الكنائس.

5. الدور الذي يلعبه الاعلام الديني في حياة الشباب: ثانيا الدور السلبي: عندما نصب زيتا على النار

15. التركيز على المثير والخلافي في الحوار الاسلامي المسيحي. وتعبئة الشباب كمعسكرات ترفض واحدها الاخرى.
16. التركيز على الجوانب القشورية في ازمة الصوم والاعياد. وعدم تقديم الديانة كمحبة ولطف وتواضع وأعمال حسنة.
17. التعصب والخطاب الالغائي للأخر الديني. هنا نستطيع القول: تجيش اتباع الديانات على الانقسام والتباعد والتباغض، وليس على التعاون والحوار والمساندة المتبادلة .
18. التركيز على، ليس اتباع الدين الاصيلين، ولكن على من يتحول من الدين الآخر الى هذا الدين. انّ الفضائيات الاسلامية تركز على عدد المعتنقين القادمين من ديانات أخرى. وبعض الفضائيات المسيحية تركز على عدد المعتنقين للمسيحية قادمين من الديانة الاسلامية.
19. عدم التواصل مع حياة الناس الواقعية والحقيقية، وعدم التأثير في الاعلام العام.
20. الفضائيات الدينية هي فضائيات خاصة ، فالفضائية الدينية الاسلامية تخاطب المسلمين، والفضائيات المسيحية تخاطب المسيحيين، أو حتى أبناء الطائفة الفلانية والعلائية ... لم نصل بعد إلى فضائية جامعة تعزز الحوار وقيم المواطنة والمساواة.
21. بعض الفضائيات الدينية تركز على بث روح التشاؤم والخوف والتركيز على البعد التنفيري من الدين، وبخاصة في التأكيد اليومي على نار جهنم، والعقاب، وهذا يجعل الدين "ترهييبيا" وليس "ترحيبيا" بالألفة والتضامن بين الناس، على أساس البناء السليم للمجتمعات، وليس فقط على الخوف من الجحيم.

6. البرامج التعليمية المقدمة من المدارس والجامعات

لقد انهيت قبل أيام صياغة تقرير شامل عن المناهج المدرسية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم، والتي تعلم في المدارس، وليس المقصود هو مناهج التربية الدينية، بل المناهج العامة، مثل التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والاجتماعية، وتبين أنها في غالبيتها أحادية النظرة الى الحياة. وتقدم الوجبات الدسمة في قشور الدين وليس في الجوهر والمعنى الداخلي العميق. ولا نستطيع ان ندعو الى اصلاح في المؤسسات الاعلامية، دون ان ندعو الى اصلاح في المناهج التربوية. وكما انّ اعلامنا الديني في غالبيته تعسبي والغائي. فانّ مناهجنا ايضا لا تبين صورة الاخر الديني، وهي تقول ان الدين واحد في الوطن العربي. وتغفل عن ذكر التاريخ العربي المسيحي الحافل والتاريخي. المناهج التي يتعلمها الاطفال والطلاب في المدارس وحتى في الجامعات، هي مناهج الغائية وبحاجة الى توقف عندها. لذلك اقول، بانها لا تربي الحس الحواري والانفتاحي لدى اجيال اليوم ولدى الشباب الذين تزرع المناهج الحالية في نفوسهم جهلا مطبقا بوجود الاخر الديني في مجتمعاتهم العربية.

إنني هنا أفرع جرسين: الاول هو جرس المناهج "الوطنية" المتحجرة، وثانيا هو جرس سنلمسه بعد حين، اي الفرق الشاسع بين فئتين، أو معسكرين من الطلبة والشباب: فئة الذين يتعلمون في مناهج التربية الوطنية. وفئة الذين يتبعون المناهج الاجنبية: الاوروبية او الامريكية. اولئك ثقافتهم تعسبية، وهؤلاء ثقافتهم علمية منفتحة. مجتمعنا العربي سيكون فيه، بسبب المناهج المتبعة، فريقان: فريق انفتاحي وفريق، مع الاسف، انغلاق، لذلك وجبت الدعوة الى اصلاح المناهج، لتتلاءم مع المطالب الحقيقية للأجيال الصاعدة.

7. والسؤال هنا: هل نحن محصنون ضد التعصب؟

هل ستمكن الاجيال القادمة من الصمود في وجه التجارب الداعية الى التعصب والانغلاق؟ العملية التربوية في الماضي كانت محصورة بشخص المعلم، الاستاذ. اليوم هي متعددة المصادر. ومنها البيت والعائلة والشاعر والمدرسة والكنيسة والجامع والاعلام ... وكذلك الاعلام الديني. علينا كمربين ان نلفظن الى ضرورة التربية على المحبة والتقبل، عوضا عن الالغاء والجهل والتعصب.

8. التعاون بين مختلف المؤسسات الاعلامية

وابراز الجانب الايجابي المشرق في الاعلام الديني . وهو دعم قيم العدل والسلام وحقوق الانسان. هنا اسمحوا لي ان اشير الى المؤتمر الذي عقده المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام في الاردن في شهر حزيران 2013: الاعلام

العربي المسيحي، في خدمة قضايا العدل والسلام وحقوق الانسان. ولا يستطيع الاعلام ان يكون سليماً ما لم يسلط الضوء على الحقوق الاساسية للانسان. والا فسيصبح بدون شك ولا تردد خادماً للشيطان. من خلال الدعوة الى الالغاء والحرب والدمار والقتل والتهجير وهدم بيوت الله فوق رؤوس المصلين.

9. التربية على حسن استخدام وسائل الاعلام

هذه ايضا مسؤولية الاعلام الديني الجاد والمؤثر. هنالك ورشات عمل تعقد بين الحين والآخر عن المهنية الاعلامية والاحتراف الصحفي. ولكن الالم من ذلك هو عقد دورات تدريبية على اخلاقيات استخدام وسائل الاعلام الحديثة. هذا دور مؤسسات الاعلام الديني. هذا دور المدارس والجامعات. هذا دور بيوت العبادة: وبخاصة الكنائس والمساجد.

قال الملك عبدالله الثاني، في مؤتمر التحديات التي تواجه العرب المسيحيين، في عمان، في 2013/9/3:

"والهاجس الأكبر لدينا هو أن تترسخ النظرة السلبية والانعزال بين أتباع الديانات، ما يؤدي إلى تفتيت النسيج الاجتماعي. وهذا يتطلب منا جميعاً التركيز على موضوع التربية والتنشئة لحماية الأجيال القادمة، وهذه مسؤولية:

1. الأسرة،
2. وباقي المؤسسات التربوية،
3. إضافة إلى المساجد،
4. والكنائس.

10. المصطلحات المستخدمة في وسائل الاعلام حول الشؤون الدينية في شهر تشرين ثاني 2013، شاركت في اجتماعات الامم المتحدة لحقوق الانسان، وبالاخص حول الحقوق الاساسية للاقليات. وقد اقترحت في مداخلتي وضع قاموس للعلاقات بين مختلف المكونات المجتمعية. من خلال الغاء بعض المصطلحات: مثل الاقليات والتعايش والطوائف، واهل الذمة واهل الكتاب والغاء خانة الديانة من الهويات الشخصية... وصولاً الى مرحلة متقدمة وهي مرحلة المواطنة والمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات.

هنا أشير الى انه حتى كلمة التسامح الديني لم تعد كافية ومعبرة عما نعيشه في عالم اليوم، فالتسامح يعني أن هناك أخطاء وعلينا مسامحتها، أو ان هنالك

طبقة أعلى وطبقة سفلى، والسفلى هي الأقلية الدينية التي عليها أن تنقاد الى ثقافة الدين الغالب أو ديانة الأغلبية.

وعلينا أن نتساءل: هل الأقليات أو المكونات الدينية القليلة العدد بإمكانها أن تعبر عن أنفسها بسهولة ويسر في مجتمعاتنا العربية؟ أم أن هنالك صعوبات؟ وهنا تكمن النقطة الجوهرية، وهي كيفية تربية الأجيال الناشئة والشبابية على حرية التعبير السليم والسلمي والهادئ والموضوعي من جهة، ومن جهة أخرى التدريب على امتلاك "نعمة" الإصغاء للآخر وتفهم آرائه، وعدم النظر إلى الاختلاف كأنه خلاف وصراع.

جاء في وثيقة "الارشاد الرسولي" المذكورة، حول الكنيسة في الشرق الاوسط: "التسامح الديني موجود في العديد من الدول، لكنه لا يؤدي الى نتيجة ملموسة لانه يبقى محدوداً في نطاق تطبيقه. من الامة بمكان الانتقال من التسامح الديني الى الحرية الدينية" (27). أجل علينا ان نربي شبابنا وشاباتنا على استخدام المصطلحات التي تبني جسوراً لا جدراناً بينهم وبين المختلفين عنهم في الدين والعرق والقومية واللغة ولون البشرة... وانني اتساءل هنا، عن المكان الذي يتعلم فيه الشباب هذه المصطلحات الجديدة المطلوبة والضرورية لعالم اليوم.

11. ماذا علينا، كمربين، وكعاملين في الاعلام الديني، أن نقدم لشبابنا اليوم؟
أود أن اقترح هذه الأولويات الاربعة للعيش المشترك من اجل أن نأخذها بعين الاعتبار، وهي دعوة الى وسائل اعلامنا العامة والدينية لكي تكون خادمة للحقيقة والطيبة والجمال: (بالتصرف عن محاضرة الكاردينال جان لويس توران، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الاديان، في مؤتمر العرب المسيحيين، في عمان، بتاريخ 3-9\4\2014):

1. دعونا نستمر بالعيش بعضنا مع بعض وليس بعضنا إلى جانب البعض. إن المسيحيين يعيشون في بلدهم في الأراضي العربية، إنهم سكان هذه المناطق منذ التبشير الأول بالمسيحية. لقد جعل منهم التاريخ أقلية فيما يتعلق بالعدد "قطيع صغير" إلا أنهم مجتمع ذو أهمية.

2. دعونا نكمل الطريق إلى حوار الأديان، بأن نجعله ذا مصداقية. أتساءل كيف نبرّر تفجير كنائس خلال أداء الصلاة؟ يخطف المسيحيون، من ضمنهم الكهنة والأساقفة، كما تشوه بصورة فظيعة كتب مدرسية تمثل ديانات أخرى. وعندما يكون لدينا هذه الانواع من الأعمال المتتالية الوحشية ننتظر بعض الإدانات الصريحة من زعماء دين مسلمين. فغالباً ما يكون الجهل من ضمن

العوامل الأخرى التي تسبب العديد من سوء الفهم، فنحن ما زلنا لا نعرف بعضنا بعضاً بصورة كافية. وفي هذا الإطار، فإن المدارس والجامعات مهمة لمستقبل أفضل.

3. دعونا نتحد، مسيحيين ومسلمين ويهود، في تذكير الجميع أن الدين والعنف لا يتفقان. ومن هذا المنظور فليس هنالك العنف الجسدي فقط وإنما العنف اللفظي.

4. وكما كانت الحالة عبر التاريخ، فإن مساهمة المسيحيين في المجتمع تشكل ضماناً للحرية والتقدم. إن الحريات الدينية تحرر الأفراد والمجتمعات وتعطيهم إطاراً يسهل عليهم النظر إلى الحقيقة المطلقة. كما يشكل الدين والروحانية عاملين أساسيين للجميع ولحياة الأفراد والمجتمع. إن للسلام قيمة عزيزة لدى كل الديانات، فالديانات تساعد كثيراً في الحفاظ على النظام العام والمشاركة المدنية.

أخيراً، علينا ان نبتث التفاؤل والامل في نفوس الشباب العربي المسيحي، على وجه الخصوص، في وجه المخاوف والتحليلات المحبطة، وعلى المسيحيين العرب، عبر اعلامهم، أن يتحلوا بالشجاعة ليقفوا في أرضهم، وان يتأبروا في الحوار بين الأديان، وأن يظهروا بتناغم حياتهم أن الله محبة وسلام. ماذا يمكن ان يعمل شبابنا اليوم؟ وماذا يمكن ان نقدم لشبابنا لكي يكون مدركا ومدرجا الموضوع التقاربي بين مختلف التنوعات وبين اتباع الديانات؟ جاء في الارشاد الرسولي كذلك:

"أنظار العالم كله موجهة صوب الشرق الاوسط الذي يبحث عن طريقه. فلتظهر هذه المنطقة ان العيش معاً ليس امراً مثالياً، وان انعدام الثقة والاحكام المسبقة ليست أمراً حتمياً. فباستطاعة الاديان ان تلتقي معاً لخدمة الخير العام وللمساهمة في تنمية كل شخص وفي بناء المجتمع. يعيش المسيحيون الشرق اوسطيون منذ قرون الحوار الاسلامي - المسيحي، انه بالنسبة لهم حوار عبر الحياة اليومية ومن خلالها. ويدركون غنى الحوار وحدوده. يعيشون أيضاً الحوار اليهودي - المسيحي الأكثر حداثة. ويوجد منذ زمن بعيد حوار ثنائي او ثلاثي الاطراف بين "متقنين او لاهوتيين" يهود ومسيحيين ومسلمين. إنه مختبر اللقاءات والبحوث المختلفة، لا بد من تعزيزه. تساهم في هذا المجال جميع المعاهد او المراكز الكاثوليكية المختلفة - المعنية بالفلسفة واللاهوت وغيرهما - والتي ابصرت النور في الشرق الاوسط منذ زمن بعيد وتعمل أحياناً في ظروف صعبة. اوجه لهم تحية ودية واشجعهم على مواصلة عمل السلام هذا، مدركين ضرورة دعم كل ما من

شأنه التصدي للجهل وتنمية المعرفة. الاتحاد المفرح بين حوار الحياة اليومية وحوار "المتقنين او اللاهوتيين" سيساهم حتماً، بشكل تدريجي وبمعوونة الله، في تحسين التعايش اليهودي - المسيحي، واليهودي - الاسلامي، والاسلامي - المسيحي" (رقم 28).

12. مقترحات وتوصيات

مقترحات بخصوص تربية الشباب على "ثقافة اللقاء" عبر وسائل الإعلام وفي المناهج التربوية المدرسية أو الجامعية:

1. اجراء دراسة معمقة حول المناهج التربوية المقدمة في مدارس الوطن العربي، أسوة بالدراسة التي أعدها المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام في الأردن حول المناهج ودورها في احترام الآخر - الديني. وهنا نعيد التذكير بأن الحديث ليس عن مناهج التربية الدينية، إسلامية كانت أم مسيحية أم يهودية. بل الحديث هو حول المناهج "العامة" المقدمة في المدارس. فلا يمكن القبول في هذا العصر أن تبقى كتب التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والاجتماعية تركز على جانب أحادي لا يعير انتباهاً للاختلافات في الأعراق والمذاهب والمعتقدات والأديان. من حق الأجيال الحالية والقادمة أن تتعلم فن الإصغاء والحوار والتعاون والمواطنة الصالحة، وفيها المساواة الدستورية، عبر المناهج التربوية، وبخاصة في السنوات الأولى من التعلم الأساسي، حيث "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر".

2. إضافة مادة في المدارس الحكومية، وبخاصة في الصفوف العليا والسنة الأولى في كل الجامعات، حول تاريخ الديانات، والمبادرات الحوارية العالمية بين أتباع الديانات.

3. تبني مركز الدوحة للحوار بين الأديان للمقترح الذي قدمه الأب رفعت بدر لصياغة قاموس للعلاقات بين أتباع الديانات، يكون منسجماً مع شرعات حقوق الإنسان وحقوق المواطنة، فلا تعود المصطلحات المستخدمة تدل، كما بيتنا، على صغير وكبير، فوق وتحت، أكثرية وقلّة عديدة. وهذا القاموس، في حال صدوره، يترجم إلى لغات عدة، ويقدم إلى الأمم المتحدة، وبخاصة دائرة حقوق الإنسان في جنيف، ليتم تبنيه عالمياً.

4. تدريب الشباب على استخدام مصطلحات "القاموس" الجديد المقترح لكي لا تكون الكليشات الماضية مُرددة في العصر الحالي الذي أصبح يتطلب "ربيعاً جديداً" في العلاقات بين مختلف المكونات المجتمعية.
5. أسبوع الوثام بين الأديان، لقد تم تبنيه بالإجماع في الأمم المتحدة في نهاية عام 2010، استجابة لاقتراح قدمه الوفد الأردني في الجمعية العامة في تلك السنة، لكن يبدو ان "عقلية" هذا الأسبوع لم تصل بعد الى الشباب. وبالتالي نقترح عمل مسابقات وجوائز وورشات عمل شبابية على مدار الأسبوع الأول من شهر شباط في كل عام، ومن الممكن تنظيم زيارات مشتركة بين شباب مسلمين ومسيحيين ويهود الى الكنائس والمساجد والمعابد.
6. احياء يوم الإعلام العالمي، والتركيز على حسن استخدام وسائل الإعلام التفاعلية والحديثة في خلق أجواء من التناغم والوثام بين الشباب من مختلف الأديان.
7. الى اليوم لدينا فضائيات دينية محصورة في دين معين، وتركز على تقديم ديانة واحدة، وفي الكثير من الأحيان تعرض على الأحكام المسبقة والكرهية تجاه أتباع الديانة الأخرى لذلك ندعو الى فضائية ونامية دينية، ولكن ذات خطاب منفتح، تعزز الايجابيات لدى كل دين وتبرزها، وكذلك تقدم برامج حوارية تستضيف رموزاً دينية من مختلف الديانات للتحدث بحرية، ولكن باحترام تجاه الديانات الأخرى.
8. أطلق الفاتيكان حملة اسمها "روح السلام" من خلال وضع يافطات في الملاعب الايطالية تدعو الى السلام في سوريا. وهي مبادرة يمكن البناء عليها في مختلف الأنشطة الرياضية، وبخاصة كرة القدم سيما وان دولة قطر الشقيقة ستستضيف مباريات كأس العالم عام 2022. وهنا لا ندعو الى خلط الأمور، و انما الى استغلال الأنشطة التي تلاقي اقبالاً شبابياً للتربية على احترام الآخر، من خلال التركيز على ما يجمع لا على ما يفرق.
9. دعم المراكز الاعلامية العربية المسيحية في المنطقة العربية، وذلك للحفاظ على الهوية العربية المسيحية المتجذرة في تاريخ هذه المنطقة. اننا في هذا الصدد نحيا الحكومة القطرية التي دعمت بشكل كبير انشاء كنيسة سيدة الوردية وتم تدشينها في آذار 2008 وأصبحت منارة دينية نموذجية في الوطن العربي. الا ان الصوت العربي المسيحي بحاجة الى تعزيز لتبقى

الفسيفساء المكوّنة لمجتمعاتنا العربية. لقد أسس الكاتب المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام، ويصدر عنه الموقع الإلكتروني "أبونا" www.abouna.org ويحمل شعار: "اعلام من أجل الانسان" عام 2003، وقد حاز في أواخر العام الماضي 2013، على جائزة أفضل موقع عربي مسيحي اخباري. ومثل هذه المراكز والمواقع تستحق التشجيع والدعم المادي والمعنوي، لأنها تحمل خطابا منفتحا، غير متعصب، ولا منغلق ولا يكفر الاخرين.

10. دعم كل ما يصدر عن الشباب من مقترحات والاصغاء الى آمالهم وتطلعاتهم لبناء "ربيع جديد من العلاقات" بين المسيحيين والمسلمين، في العالم العربي.

11. تشجيع وسائل الاعلام المتعددة على البحث عن "صداقات" الماضي، وبلورتها ونشرها، عوضا عن البحث عن النقاط العدائية والجدليات التي لا تفيد ولا تغني عن جوع. ويمكن هنا الرجوع الى سلسلة الاب البروفوسور عادل تيودور خوري: المختص بعلوم الأديان، وبخاصة المسيحية والإسلام، بعنوان: "مسيحيون ومسلمون.. في سبيل التضامن والمودة". وإلى اليوم، نشر جزئين: الأول "انطلاقة جديدة من أجل عيش مشترك في ظل المودة"؛ والثاني: "في سبيل توثيق أواصر القربى بين المسلمين والمسيحيين". (وتصدر عن المطبعة البولسية في بيروت).

12. تدريب الطلبة في المدارس والجامعات، ضمن المشاركات غير المنهجية، على ادارة حوارات فكرية وحياتية، في الفضائيات المتخصصة والمنفتحة في خطابها وتوجهاتها، مثل فضائية نورسات اللبنانية www.noursat.tv، التي تقدم حوارات مثرية وتحترم وجهات النظر، وتقدم الحوار ليس "كهدف" بحد ذاته، وإنما "وسيلة" للوصول في المواطنة وبناء المجتمعات الانسانية على أساس راق يحترم كرامة الانسان وحقوقه الاساسية، وأولها حقه في حرية الدين والمعتقد والعبادة.

الخاتمة

انّ كاتب هذه السطور، هو عامل في المجال الاعلامي الديني منذ أكثر من عشرين عاما. هنالك تياران في المشرق والعالم، للاعلام الديني: اما أن يكون بانيا للانسان ومادا لجسور التواصل ضمن علاقاته المنفتحة نحو الاخرين، أو أن يكون منغلقا على نفسه خائفا مذعورا من الاخرين، وبانيا الجدران بينه وبين اخيه الانسان.

على الاعلام الديني ان يكون من الفئة - والتيار- الاول. وعلى المناهج الدراسية والخطط التربوية ان تكون كذلك من تيار "الجسور" لا تيار "الجدران".
مع البابا فرنسيس، أختم وأقول: "...أنا أخاف الجدران التي تُبنى يوماً بعد يوم فتغذي الحقد. نسأل الله تعالى اليوم أن يمنحنا نعمة بناء الجسور عوض الجدران." (البابا فرنسيس، 2014\1\24).

المراجع العربية

- سينودس الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأوسط، رسالة الى شعب الله، الرسالة الختامية لسينودس الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأوسط، الفاتيكان، 2010\10\23.
- سينودس الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأوسط، لائحة المقترحات الختامية، الفاتيكان، 2010\10\23.
- البابا بندكتس السادس عشر، الارشاد الرسولي، حول الكنيسة في الشرق الاوسط، شركة وشهادة، الفاتيكان، 2012.
- د. علي علي خليفة الكواري (تحرير)، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، اللقاء السنوي العاشر لمشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية، 2000/8/26، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 278.
- د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، الطبعة الثالثة، ص 156.
- د. أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراة 37، بيروت، 2008، ص 264.
- د. أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2011، ص 647.
- د. جبرا الشوملي، العلمانية في الفكر العربي المعاصر، دراسة حالة فلسطين، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراة 71، بيروت، 2008، ص 336.
- منتدى الفكر العربي، المواطنة في الوطن العربي، سلسلة الحوارات العربية، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، 2010، ص 142.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- الحسن بن طلال، *حول المواطنة في الوطن العربي*، مقالات وأوراق أولية، سلسلة كراسات منتدى الفكر العربي، رقم 6، عمّان - الأردن، 2010، ص 54.
- الحسن بن طلال، *المسيحية في العالم العربي*، مكتبة عمّان، 1995.
- طارق متري، *سطور مستقيمة بأحرف متعرجة - عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين*، منشورات جامعة البلنذ، الطبعة الأولى، دار النهار، بيروت، 2007، ص 260.
- الأب ميشال لولو، *الكنيسة الكاثوليكية والإسلام*، ترجمة فاطمة الجامعي الجبابي وعادل بن محمد عزيز الجبابي، منشورات المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، الطبعة العربية الأولى، 2001.
- الأب رفعت بدر، *ضيافة وانفتاح، دبلوماسية الكرسي الرسولي - الفاتيكان، وعلاقاته مع المملكة الأردنية الهاشمية*، منشورات "ابونا، إعلام من أجل الإنسان، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي، عمّان - الأردن، 2009، ص 180.
- محمد أبو نمر، ومؤلفون آخرون، *الوحدة في الاختلاف، حوار الأديان في الشرق الأوسط*، ترجمة عبد علي السعيد، الاهلية، عمّان، الطبعة العربية الأولى، 2013، ص 415.
- مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، *الحضور المسيحي في الشرق شهادة ورسالة*، الرسالة الراهوية الثانية، عيد الفصح، 1992.
- مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، *معاً أمام الله في سبيل الإنسان والمجتمع، العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي*، الرسالة الراهوية الثالثة، عيد الميلاد، 1994.
- البروفسور كرستيان ترول، المطران لويس ساكو، *مسلمون يسألون... ومسيحيون يجيبون...*، دار المشرق، طبعة ثانية، بيروت 2012، ص 111.
- أنيس مسلم، *وسائل الإعلام بين الرأي العام والإدارة الشعبية، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر*، الطبعة الأولى، ص 416.
- أندراوس بشته، ومؤلفون آخرون، *سلام للبشر - المسيحية والإسلام ينظران إلى السلام في أسسه ومشاكله وأبعاده المقبلة - المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون*، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي (حريصا)، المكتبة البوليسية، طبعة ثانية، جونبة، 1997، ص 392.
- د. رضوان السيد، *سينودس مسيحي المشرق ومسائل الحق والنزاع والسلام*، جريدة الشرق الأوسط للندن، لندن، 26\10\2010.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- د. رضوان السيد، سينودس مسيحيي المشرق وعلاقات المسيحيين بالمسلمين، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، لندن، 2010\10\12.
- محمد السماك، أي دور للمسلمين العرب بعد مؤتمر السينودس حول مسيحيي الشرق؟، جريدة السفير اللبنانية، بيروت، 2011\1\28.
- عدد المؤلفين، المداخلات الكاملة لسينودس الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأوسط، عن موقع الفاتيكان الرسمي، www.vatican.va
- عدد من المؤلفين، أعمال مؤتمر التحديات التي تواجه المسيحيين العرب، عمّان، 2013\9\4-3.
- د. عصام الموسى، الرقمنة والربيع العربي في الاردن، دراسة حالة، محاضرة في مركز عبد الحميد شومان الثقافي، عمّان، 2013.
- المجلس البابوي للحوار بين الأديان ولجنة الأزهر الدائمة للحوار بين الديانات التوحيدية، البيان الختامي للجنة المختلطة، الفاتيكان، 2009/2/26.

المراجع الأخرى

- Anthony O'Mahony and John Flannery, *The Catholic Church in the Contemporary Middle East: Studies for the Synod for the Middle East*, Conference The Synod for the Middle East: Catholic Theological and Ecclesial Perspectives, 9-11 June, 2010, held at the Centre for Eastern Christianity, Heythrop College, University of London - London, 2010, p. 560.
- Anthony O'Mahony, *Christianity in the Middle East, Studies in Modern History, Theology and Politics*, Melisende, UK, 2007, p. 538.
- Anthony O'Mahony, *Palestinian Christians Religion, Politics and Society in the Holy Land*, Melisende, UK, 1999, p. 224.
- Anthony O'Mahony and Emma Loosley, *Eastern Christianity in the Modern Middle East*, Routledge, UK, 2010, p. 184.
- Dalla Torre Giuseppe, *La Citta sul monte, Contributo ad una teoria canonistica sulle relazioni fra Chiesa e*

Comunita politica, Editrice A.V.E. Roma, 2d edizione, 2002.

- Valognes Jean – Pierre, *Vie et Mort des Chretiens d'Orient, des origins a nos jours*, Fayard, Fayard, Paris, 1994, p. 874.

الحوار بين الشباب المسلمين والمسيحيين من خلال مركز أركان للفنون والثقافة

الملخص

حلم الشباب المصري الآن هو بناء مصر جديدة حرة بدون تحزبات دينية او طائفية او سياسية والتي تعوق اى تقدم حقيقي للبلاد. لذا تقدم مؤسسة الرعاية الاسقفية للخدمات الاجتماعية بمصر (ابسكوكير) بالاشتراك مع كاتدرائية القديس مرقس الاسقفية في قلب مدينة الاسكندرية بمبادرة تعاون لوطن افضل من خلال مشروع "مركز اركان للفنون والثقافة". فرؤيتنا هي رفع الوعي بين الشباب من خلال الثقافة و الفنون لنبذ التعصب والفرقة والطائفية والوقوف على ارضية مشتركة لبناء وطن جديد. تقوم فكرة المبادرة على مشاركة الشباب المسيحي والمسلم معاً بالتعرف علي الفن الإسلامي والمسيحي ليعرف كل منهم الآخر عن قرب من خلال مدخل فني فيتعلم المسيحيين مثلاً فن الخط العربي والرسم الإسلامي ويتعرف ايضاً الشباب المسلم علي الفن القبطي ورسم الأيقونات ونشأتها. وايضاً من خلال عرض افلام سينمائية تناقش بعض المفاهيم الروحية وتعد مناقشات بعدها لطرح هذه الأفكار ومشاركتها سوياً. مما يخلق جو من الألفة والمحبة وفهم الآخر بطرق جديدة وخلافة تتطرق لبعض المناقشات العقائدية احياناً ولكن لا تعتمد أساساً علي الخلاف العقائدي.

مركز أركان للفنون والثقافة

الحماسة وحب التحدي والأمل والطموح وحب التغيير كلها سمات تميز الشباب بوجه عام وهي أمور تستطيع الأمم والدول أن تستغلها في أنسب الصور، وإذا ما راعتها واحترمتها بإتزان وتعقل في مخاطبة اجيالها من الشباب اللذين هم عماد وأمل أي أمه لها مستقبل. حصدت منهم أزدهاراً وتقدم ورخاء وراقي. فهذه السمات قد خص بها الله عز وجل الشباب دون غيرهم لهذا وجب علي الآباء والعلماء والدعاة وغيرهم توجيه وترشيد وتهذيب هذه السمات عند الشباب، حتى تؤتي بثمارها المنشودة. فلا داعي للعجب إذ ما وجدنا شبابنا اليوم

¹ السيد هاني شكر الله [hanysokralla@gmail.com] مدير العلاقات العامة والإعلام لأبروشية الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا.

يعجف عن سماع الخطابات الدينية المتشددة التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة والتي نجدها في كثير من الأحيان لاتهتم بفهم طبيعة الشباب المليئة بالأمال والطموح والحماسة. ومن المؤسف أن نجد القنوات الدينية الأكثر تشدداً كانت هي الأعلى صوتاً ولها الدور الفاعل فيما وصل إليه المجتمع من تطرف ديني وتدهور أخلاقي.

وينبغي أن يكون الخطاب الديني أياً كانت وسيلة بثه - أن يُبني على مبادئ وقيم من الحق والصدق والخير، ويراعي الخلفية الثقافية والعقائدية والاجتماعية للمتلقى فضلاً عن التزام الوضوح والشفافية في جميع الأحوال والظروف. لذا وجدنا أنه من مطالب التجديد المنشود في الخطاب الديني الإعلامي والحوار بين الأديان هو كسر النمطية والتقليدية لكي تتناسب مع فكر الشباب الذي لا ينظر بعين الاهتمام في أغلب الأحيان لجلسات الحوار الديني في الغرف المغلقة علي مستوى القادة الدينيين واللاهوتيين. وهنا أود أن أشارك السادة الأفاضل من الحضور الكريم لهذا المؤتمر بفكرة رائدة في مجال الحوار الديني بين الشباب تبنتها كاتدرائية القديس مرقس الأسقفية بالأسكندرية وهي مشروع "مركز أركان للإبداع" هذا المركز يقوم بتشجيع الحوار والتفاهم بين الشباب للتخلص من الصور السلبية المشوهة عن الآخر، من خلال الفنون والحوارات المشتركة بين الشباب وجعلت من الشباب جزءاً لا يتجزأ من عملية الحوار بعيداً عن نمطية الحوار التي كانت تجعلهم في أغلب الوقت متلقين غير مشاركين فالمركز يلعب دوراً داعماً في التشجيع على تنمية مواهب الشباب وإنتاج الفنون والثقافات والممارسات الإبداعية، ويدعم الفنانين المعاصرين من الشباب عبر توفير مساحات التدريب وفرص المناقشات التي تقضي على روح التعصب، ولقد لاحظنا كيف نمت الجسور بين هؤلاء الشباب واحتلت الصداقة محل التعصب.

فقد ساهم هذا المركز أيضاً في خلق جو من الصداقة والمحبة بين الشباب تعدهم لمناقشة افكارهم ومعتقداتهم الدينية دون صراع، فأختيار مدخل الإبداع الفني كان ايماناً منا بدور الفن في الرقي بالسلوك الإنساني وإحترام الآخر. أيضاً جاء هذا في إطار استغلال الموروث الحضاري و الثقافي والفني الذي تتمتع به مصر من فن قبطي وإسلامي.

إن الحوار الديني لم يعد عملية تناغي او تناقل بقدر ما يحمل من إثراء وتشارك شامل لثنائية (التأثير والتأثر) تلك الثنائية التي سواء كانت على مستوى الفلسفة او الأدب أو الفنون المختلفة، تتيح للشباب متسع من الحوار البناء والتشارك في الآراء المختلفة في جو مليء بالإحترام وقبول الآخر.

فالهدف الأساسي من هذا المشروع هو رفع الوعي بين الشباب من خلال الثقافة و الفنون لنبذ التعصب والفرقة والطائفية والوقوف على أرضية مشتركة لبناء وطن جديد.

ونظرا للفترة الانتقالية التي تمر بها البلاد وتعدد الرؤى المستقبلية المطروحة وما ينتج عن ذلك من وجود فجوة حقيقية كبيرة بين الاطراف الشعبية المتعددة وتفشى روح التعصب فى نسيج المجتمع الواحد بكل طبقاته يوجد احتياج ملح لخلق مجتمع صحيح يبادر بفتح قنوات حوار صحية يحترم فيها كل منا الاخر ونعطي فيها القيمة الحقيقية لاحترام ثقافة الاختلاف الذى يثرى ويعمق الشخصية ويدعو لبناء الصداقات للعمل معا فى تناغم دون صراعات.

نعمل على تقديم فرصة حقيقة لجميع الخلفيات لممارسة وتعلم الفنون وبناء حوارات وصداقات بين الشباب بأختلاف اديانهم ومعتقداتهم؛ ويأتي هذا من خلال عقد ندوات مختلفة لسماع آراء الشباب فى مجالات عديدة منها الدينية والحياتية، وهذا هو الهدف النهائي لفكرة الحوار بين الأديان هو الوصول لنقاط تلاقي برغم الأختلافات وهذا بالفعل ما يتوصل اليه هؤلاء الشباب بعد اسابيع عدة من التعاون والتعايش المشترك من الحوار وممارسة الفنون المختلفة.

فيقدر ما نحسن فهم ايمان الآخرين نجيد فهم ايماننا. لنبدأ رحلة الحوار المشترك الذي يهدف الي العيش بسلام وتآخي ليصل بنا إلي تغيير كل الصور المشوهة التي كانت ميراث طبيعي لغيباب هذا الحوار الناضج الذي يبدأ من نقاط الاتفاق والتلاقي...

فإن كنت تأمل في السلام فلا يكفي ابدأ بالوقوف عند حد التمني والأمال لأن امنياتك وحدها غير كافية علي تحقيق هذا السلام ولا تنتظر ان تمنحه لك حكومه أو سلطة، لكن عليك ان تبدأ باول خطوة نحو هذا السلام وهي قبول وفهم الآخر رغم الأختلاف. وهذا لا يأتي إلا بالوقوف علي ارضية مشتركة مع هذا الآخر، وتذكر دائما انه لا يوجد منا من يمتلك الحقيقة المطلقة علّ هذا يجعلنا دائما في استعداد لسماع الآخرين في تواضع وان كل فكرة قابلة للمناقشة والبحث.

فهيا ندفع ثمن هذا السلام لننعم به فإن اردت ان تبدأ وتتضم الي هذا الجيل الذي يريد ان يدفع ثمن السلام كل ما عليك هو ان تضع الآخر في حساباتك. ولا أستطيع أن أصف مقدار تأثير المشاركة فى هذه الورش الفنية والاحتفالات على نفوس الشباب والفتيات المشاركين المسلمين والمسيحيين. فمن الواضح أن الفن لكونه لغة تنبع من اعماق الانسان ووجدانه فهو أسلوب ناجح فى تحقيق التفاهم واكتشاف عمق المشاعر الانسانية المشتركة وهذا يحقق ما لا تستطيع الحوارات اللاهوتية أن تحققه أحيانا، لأن الفن ينجح فى توطيد التواصل بين مشاعرو فكر

الشعوب مهما اختلف مستواهم الفكري والتعليمي وذلك لان الفن لغة تستخدمها جميع الشعوب ولغة قادرة على تخطى كل الحواجز والاختلافات. وأود أن أختتم هذه الورقة بذكر تصريحات شخصية لبعض الشباب الذين ترددوا على مركز أركان للثقافة والفنون:

"المسلمين والمسيحيين يعملون معاً لكن ليس لديهم علاقات عميقة وهذا ما يحتاجه المجتمع" (محمد عبد العزيز، قائد فريق التمثيل).

"كنت دائماً أرى الكنائس كأماكن ممنوع على أن أزورها وكانت هناك اشاعات مختلفة تتردد عما يحدث داخل الكنائس، وفي أول مرة جئت الى المركز تأثرت جداً لأنها كانت أول مرة أتى الى كنيسة حيث عاملنى الناس هنا بلطف وشعرت بالسلام" (الأستاذة شيما محمد).

"الإعلام يعطينا انطباعات عن وجود صعوبات بين المسيحيين والمسلمين. لكننا هنا نظهر أن هذا ليس صحيحاً" (أ.عمر منتصر)

خلاصة القول

إذ ما اردنا الوصول بشكل اكثر عمقاً للشباب في خطاباتنا الدينية وحواراتنا المختلفة علينا بالتخلي عن افكارنا التقليدية في وسائل الإعلام المختلفة والوصول إلى الشباب بطرق خلاقية وجديدة تساعدنا علي مواكبة الفكر العالمي والذي يتسع لإستعاب طاقات الشباب وجعلهم جزءاً من الحوار.

إذ ما ارادت أي أمه أن تري مستقبلها جلياً عليها بالنظر أولاً لشبابها.

براهيم أحمد¹

البرامج الجامعية وأثرها في ترسيخ مقومات الحوار الإيجابي لدى الشباب:

برامج مركز حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم/الجزائر- أنموذجاً

المخلص

نحاول في هذه المداخلة أن نقدم لأهمية برامج التعليم الجامعي وأثرها في ترسيخ مقومات الحوار الإيجابي لدى الشباب، وهذا بعرض تجربتنا الشبابية البسيطة والتي نقوم بها في الجامعة من خلال مركز "حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم" إذ يحاول أساتذة المركز والذين أغلبهم من الفئة العمرية الشبابية إعادة النظر في إشكالية الحوار، وفي الوقت ذاته مراجعة شروط هذا الحوار ضمن هذا الزخم الهائل من التنوع الثقافي لإرساء فلسفة جديدة للسلام، كما نعمل في المركز على وضع استراتيجيات جديدة لفهم وتوسيع أهداف الحوار الناجح خاصة منه الشباب المراهق. وسنحاول في هذه المداخلة أن نقدم تجربتنا - من خلال مخبر "حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم"- بعرض برامجنا الحوارية في الدينات والحضارات، والمصطلحات المتعلقة بها، ومدى تمثّل مثل هذه الإشكاليات في الماضي والحاضر والمستقبل، وما هو دور مؤسسات التعليم العالي-خاصة الجامعات في الوطن العربي والإسلامي على وجه الخصوص- والمؤسسات البحثية في حوار الحضارات لدى الشباب الجامعي. كما نحاول أن نحلل النظريات الفلسفية والثقافية والاجتماعية والعلمية التي عالجت إشكالية الحوار الفعال من خلال عرض لأهم البرامج الذي وضعها المركز تحت تصرف الشباب الباحث. لذا ستعيد هذه الورقة النظر في البرامج الجامعية المنظرة لاحتامية الحوار وتحليله.

التمهيد

في البداية يجب التنويه أن مشاركتنا بهذه الورقة البحثية، الغرض منها عرض تجربتنا الجامعية البسيطة من خلال ما استشفيناه من نتائج الباحثين العاملين في

¹ الأستاذ الدكتور براهم أحمد [b_sidimokhfi@yahoo.com] مدير مركز حوار الحضارات التنوع الثقافي وفلسفة السلم كلية العلوم الاجتماعية جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم - الجزائر.

مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم التابع لجامعة مستغانم بالجزائر.

1. تجميع الأبحاث الجامعية في مؤسسة أكاديمية

أ. التعريف بمركز البحث: من نكون؟

مركز "حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم" هو مؤسسة بحثية تابعة لكلية العلوم الاجتماعية بجامعة مستغانم في الجزائر، معتمد من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، يتكون من خمسة فرق بحثية وتتكون كل فرقة بحث من تسعة إلى إحدى عشرة أستاذا جامعيًا بمجموع 49 باحثًا وباحثة أغلبهم من الشباب.

وتجدر الإشارة إلى أن أول ما يطرح في وصف مخبر "حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم"، هو محاولة إعادة النظر في إشكالية الحوار لدى الشباب، وفي الوقت ذاته، مراجعة شروط هذا الحوار ضمن هذا الزخم الهائل من التنوع الثقافي لإرساء فلسفة جديدة للسلام، كما يعمل المخبر على إشكالية أهداف الحوار عند الشباب.

إذ نحاول في مخبر "حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم"، أن نعيد النظر في مفهوم حوار الحضارات، والمصطلحات المتعلقة بها، ومدى تمثل هذه الإشكالية في الماضي والحاضر والمستقبل لدى الشباب، وما هو دور المؤسسات الجامعية التعليمية والبحثية في إرساء دعائم الحوار عنده؟ كما نحاول أن نحلل النظريات الفلسفية والثقافية والاجتماعية والعلمية التي عالجت إشكالية حوار الحضارات. ويعيد المخبر النظر في فكرة حتمية التصادم بين الحضارات والعمل على تحليلها. وهو بذلك يوفر سياقًا مفيدًا لتقديم التعاون على حل إشكاليات الصراع. كما يعمل المخبر على البحث في الجذور القديمة للثقافات والحضارات، بغية فهمها وتحليلها. كما يستطيع المخبر أن يساعد على تمييز دور الثقافة والحضارة في الصراعات المعاصرة، والبحث عن سبل السلام وتعريف الشباب بذلك.

ب. أهداف المخبر/مهام مخبر البحث

يهدف المخبر إلى استثمار وسائل الاتصال والتواصل على أوسع نطاق في خدمة ترسيخ آداب الحوار لدى الشباب، وتوضيح المفاهيم الخاصة بكل أمة من الأمم وخاصة الأمة العربية والإسلامية، وكل ما من شأنه الإسهام في التعايش السلمي والتعاون الإنساني.

تعزيز التعاون والتنسيق بين شباب الجامعات والمؤسسات العلمية في الشمال والجنوب، بهدف بناء جسور الحوار والتواصل بين أساتذة الجامعات والباحثين والمثقفين والمفكرين والإعلاميين وقطاعات المجتمع الأخرى، وتكثيف إصدار الدراسات والإصدارات والترجمات المعنية بالحوار والتفاهم على أساس من الموضوعية العلمية والنزاهة الفكرية، وصولاً إلى قاعدة من التفاهم والفهم المشترك.

تعزيز التعاون في المؤسسات العلمية والجامعات في العالم الإسلامي في مجال الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، والعمل على المزيد من الانفتاح على مؤسسات المجتمع المدني، وتحديث مناهج البحث والدراسة بما يستجيب لقضايا المجتمع ومتغيراته، ويلبي احتياجاته الحقيقية في ميادين المعرفة والبحث العلمي.

2. محاور وحدات المخبر

أ. المحاور:

- المحور 1: تقييم وضعية حوار الحضارات والتنوع الثقافي
- المحور 2: شروط حوار الحضارات والتنوع الثقافي وقنواته
- المحور 3: أهمية الحوار
- المحور 4: أبعاد الحوار: الجدوى والشروط.
- المحور 5: التعاون الدولي والآليات الكفيلة ببناء حوار للحضارات من أجل احترام التنوع الثقافي
- المحور 6: الحداثة وخطابات حوار الحضارات وأثرهم في تكوين ثقافة الشباب
- المحور 7: نظرة الشباب للعولمة و حوار الحضارات والتنوع الثقافي
- المحور 8: الشباب و قضايا الحوار: العنف، الديمقراطية وحقوق الإنسان...
- المحور 9: الشباب وفلسفة للتسامح والتعايش السلمي مع الآخر
- المحور 10: الشباب و مستقبل حوار الحضارات في الألفية الثالثة

ب. كما قمنا بتقسيم المخبر إلى وحدات وهي:

- الوحدة الأولى: الأديان، العولمة، التنمية والسلام
- الوحدة الثانية: الحوار بين الحضارات
- الوحدة الثالثة: وسائل الإعلام، والهوية والحوار مع الآخر
- الوحدة الرابعة: التثاقف، والتنوع الثقافي وحوار الثقافات
- الوحدة الخامسة: إشكالية التسامح بين الفلسفة و الدين

ولربما سنوضح فيما يأتي كيف نعمل داخل المخبر من خلال برمجة وتسطير خريطة طريق من خلال الأهداف المسطرة والمنجزة لكل فرقة بحث وسنكتفي بعرض ثلاثة منها وهي كالآتي:

3. أهداف المخبر من خلال وحدات البحث الوحدة الأولى: الأديان، العولمة، التنمية والسلم تهدف هذه الوحدة إلى:

1. المساهمة في فهم التحولات الدينية التي يتعرض لها مجتمعنا بفعل العولمة المتزايدة والتفكير في السبل التي تجنب بلادنا الوقوع في أزمات جديدة. كما نعمل على تحقيق الاستقرار، التوازن والرفاهية من خلال البحث في الأديان، العولمة، التنمية والسلم... وهي نفس الأهداف التي سطرها البرنامج الوطني للبحث في العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية.
2. جمع وتعبئة الكفاءات الجامعية المحلية على مستوى الجامعة، المهمة بالبحث في الأديان ودورها في تحقيق التنمية والسلم.
3. المساهمة في تكوين مستوى الماستر و الدكتوراه في ميدان دراسات الأديان وتنمية بلادنا، باقتراح عروض تكوينية وتأطير طلبة الدكتوراه وتوفير البيئة الملائمة لإكمال رسائلهم الجامعية.
5. اقتراح وتنشيط ملتقيات وطنية ودولية تتعلق بالموضوعات التي تهتم فريق البحث (كملتقى حوارات في الدين واللغة الذي عقد بتاريخ 15-16 من شهر أبريل 2013 بجامعتنا والذي ضم أكثر من 200 شخصية عربية وغربية تناقش إشكالية الحوار).
6. تثمين الأنشطة البحثية التي يقوم بها أعضاء الفريق من خلال نشر الدراسات والمقالات العلمية في المجلات المحكمة، (وتجدر الإشارة هنا انه تم والحمد لله إصدار مجلة أكاديمية محكمة عنوانها *الحوار الثقافي* تعنى بالمسائل الاجتماعية والإنسانية، وهي مجلة فصلية تصدر عن المخبر).
7. تطوير الكفاءات المتعلقة بالخبرة الوطنية فيما يخص ميدان اختصاص فرقة البحث.

الوحدة الثانية: الحوار بين الحضارات

تهدف هذه الوحدة إلى العمل من منطلق الإيمان بأن الحوار يمكن أن ينتصر على التنافر، وأن التنوع هو فضيلة عالمية، وأن شعوب العالم أكثر اتحادا بمصيرها المشترك من أن تكون مقسمة بهوياتها المتفرقة. إلى جانب التنوع اللامتناهي للثقافات، توجد بالتأكيد حضارة عالمية واحدة قائمة على القيم المشتركة للتسامح

والحرية، وهي حضارة يدل تعريفها على تسامحها مع الآخر، وترحيبها بالتنوع الثقافي، وإصرارها على حقوق الإنسان الأساسية الشاملة، وإيمانها بحق الشعوب في كل مكان، في أن تقول رأيها في الطريقة التي تحكم بها. وهي حضارة تقوم على الإيمان بأن تنوع الثقافات البشرية أمر مرغوب فيه، ولا خوف منه. والحقيقة أن كثيراً من الحروب تنشأ من خوف الناس من الآخرين الذين يختلفون عنهم. ولا يمكن التغلب على هذه المخاوف إلا من خلال الحوار.

وتعمل الفرقة في خريطة طريقها بصورة خاصة، على أن هذه المصطلحات - الحضارات، الثقافات... - ليست حقائق تاريخية ثابتة أو غير قابلة للتغيير، بل هي أشبه بكائنات حية في حالة قلب مستمر، فهي دوماً تتغير وتنمو وتتطور وتكيف نفسها مع الأزمنة الحديثة، والحقائق الجديدة من خلال التفاعل فيما بينها.

كما تبين هذه الوحدة أن مثل هذه التعميمات المطلقة - إذا حدث أن صحت - لا تستطيع أن تصمد أمام اختبار الأزمنة الحديثة، حيث يؤدي التكامل والهجرة والعولمة... إلى توثيق الاتصال بين مختلف الأعراق والثقافات والإثنيات أكثر من أي وقت مضى. ونستطيع أن نرى ذلك اليوم في أنحاء متعددة من العالم. كما تحلل هذه الوحدة أيضاً دور الجامعات في تقوية إشاعة روح الحوار والإسهام في توضيح المفاهيم الدينية والحضارية، تيسيراً للتعايش بين الناس من مختلف الأديان والحضارات، وإلى إعطاء مساحة أكبر للدروس التعريفية بمختلف الأديان والحضارات، التي عرفتها البشرية وتعرفها اليوم. ومن محاورها:

- الإسلام والحوار،
- الغرب والحوار،
- شروط الحوار،
- نحو أبعاد معرفية لحوار الحضارات،
- حوار فكري أم حوار تفاوضي سياسي،
- أهم القضايا الأساسية المعاصرة لحوار الحضارات،
- الذات الحضارية ودورها في عملية التواصل مع المدينة الحديثة،
- التثاقف، والتنوع الثقافي وحوار الثقافات،
- وسائل الإعلام، والهوية والحوار مع الآخر.

الوحدة الثالثة: فرقة "إشكالية التسامح بين الفلسفة والدين"
هدفنا المنشود في فرقة "إشكالية التسامح بين الفلسفة والدين" هو المساعدة على تعميق الحوار، بهدف تحقيق التسامح والسلام بين البشر بصرف النظر عن

خصوصية أديانهم وثقافتهم وحضاراتهم، وذلك من أجل تفادي التصادم والعنف بينهم، ومساعدتهم على تعريف بعضهم البعض دينياً وثقافياً وحضارياً، بهدف التوصل إلى قيم روحية وأدبية مشتركة. كما تعمل هذه فرقة على تحليل إشكالية التسامح ضمن أهم القضايا الفلسفية والدينية الكبرى، في زمن تفتت الصراعات والحروب الجارية حالياً. إذ بتنا نعتقد أنه من أهم القضايا التي تشغل الرأي العالمي اليوم ومستقبلاً هي منع الصراعات بين الأديان، والمناهج الحضارية القائمة، وتشجيع العمل من أجل السلام في العالم، وضمان الوحدة الإنسانية بالرغم من الفوارق الحضارية والدينية والعرقية. هذا يعني كذلك أن هذه الفرقة تعمل دوماً على إظهار وتأكيد أن ديننا الإسلامي يحترم الخصوصيات الدينية والثقافية والحضارية، وفي الوقت ذاته تسعى إلى تفعيل كيفية التعامل الإيجابي مع الحضارات والثقافات والأديان الأخرى مستقبلاً. ومن محاورها:

- إشكاليات التسامح: رحلة تاريخية عبر الدين والفلسفة،
- التسامح والفلسفة،
- التسامح وقضايا العصر الكبرى،
- موقف الدين الإسلامي من التسامح،
- التواصل الثقافي بين الأنا والآخر من منظور المثقفين الجزائريين،
- إشكاليات التسامح وحرية التعبير.

4. نتائج أبحاثنا الجامعية وأثرها في ترسيخ مقومات الحوار الناجح لدى الشباب
لقد أكدت نتائج أبحاثنا الجامعية فيما يتعلق بالسؤال على ماذا نتحاور عند الشباب؟ انه من المفروض التصور أن الحوار يشمل حتى القضايا محل الاتفاق والتي نقول عنها "الثوابت" الدينية والوطنية، لأن الحوار العام هو الذي يوصلنا إلى اختيار الوسائل والطرق المثلى لتفعيل تلك الثوابت على أرضية الواقع المجتمعي، أما دور الحوار في القضايا السياسية والاجتماعية والدينية محل الاختلاف، فيوصلنا إلى تحجيم مساحة الاختلاف وفق ما نسميه "فن إدارة الاختلاف". وطبقاً للقاعدة "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه"، وإن كانت هذه القاعدة الحوارية ومثلها قاعدة "الاختلاف لا يفسد للود قضية"، وقاعدة "اختلاف أمي رحمة"، وقاعدة "المجتهد مثاب وإن أخطأ في الرأي"، لا زالت غير مفعلة في الواقع المجتمعي عند الشباب، لأننا حتى الآن لم يتعلم أو لم يتدرب أو لم يتررب شبابنا على أنه عندما نختلف بأسلوب حضاري لا ينتج خصاماً ومقاطعة مثل بقية الشعوب التي وظفت اختلافاتها بما يسهم في تقدمها.

فعندما يتحاور طرفان أو أكثر فلا بد لهم من مرجع يرجعون إليه عند الخلاف وقد أمرنا الله بالتشاور، ومن صور الشورى التحاور وأمرنا الله أن نرجع عند الاختلاف إلى الوحي المعصوم الذي جاءنا بالعلم الكامل الذي لا يعتريه جهل ولا يطرأ عليه خطأ أو نسيان وهذا الوحي هو ما جاء في الكتاب والسنة قال تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..." (سورة النساء: 59)، أي القرآن والسنة، "...إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..." (سورة النساء: 59)، أي من كان متصفاً بصفة الإيمان فلا يتردد في هذا، "...ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (سورة النساء: 59). وقال تعالى: "وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ..." (سورة الشورى: 10). فهذا الشرط الأول. أما الشرط الثاني الذي وضعناه لشبابنا من خلال البرامج التي سطرنا من أجل تعليمه فن الحوار الحضاري والديني فلا يحق لأحد أن يفرض على الناس من يتكلم باسمه دون تفويض من الشعب وغير المفوض إذا تكلم فهو فضولي، ولا يحق له أن يلزم الشباب بأرائه، فضلاً عن أن يدعي أنه ناطق باسمهم، وإذا كان التحاور يتعلق بمقدرات الأمة ومستقبلها، فعلى الشباب ألا يسمحوا لأحد أن يعيب بدينهم ومستقبلهم ومقدراتهم.

وفيما يتعلق بمقومات الحوار الناجح لدى الشباب فأولها: الإيمان بثقافة الحوار، وهي تعني أكثر من سماع وجهات النظر الأخرى، وهي تعني أيضاً الإيمان بشرعية الآخر وقبوله وحقه في التعبير والمشاركة السياسية، حقاً أصيلاً، لا تفضلاً أو إحساناً أو مئة، لا يحق لأحد مصادرتة أو تهميشه أو تجريحه أو تخوينه أو تكفيره، انطلاقاً من أساس ديني ومعرفي، إذ يجب أن نقر في البداية أن الحقائق المعرفية بيد البشر "حقائق نسبية" مصداقاً لقوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"، ومن عقيدة راسخة بأن "الاختلاف" إرادة إلهية عليا في الكون والطبيعة والحياة والإنسان، يؤكدها قوله تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم". أي أن الله عز وجل خلق البشر من أجل أن يختلفوا ويتنافسوا لينتجوا أفضل ما عندهم ليعمروا الأرض ويرثوا الحياة ويرتقوا بأنفسهم وبمجتمعاتهم عبر عمليات التفاعل أو الحوار الحضاري الخلاق "التعارف". وهذا يتطلب على المستوى الداخلي للمجتمعات، إشراك كافة عناصر ومكونات المجتمع السياسية بما فيهم الشباب مع كفالة عدالة الفرص للكافة في التعليم والعمل والمناصب والإعلام وعدم إقصاء أي طرف تحت أي مبرر، بمعنى آخر، أن "ثقافة الحوار" يقصد بها: التعريف بالآخر ونقل التجارب والخبرات والاستعداد للاعتراف بالخطأ والاعتذار منه، وهي أمور نرددها كثيراً وتنعنى بها طويلاً، لكننا لا نترجمها عملياً عبر المنظومات المجتمعية الحاكمة لثقافة المجتمع ونقصد بها: المنظومة التربوية على نطاق

الأسرة، والمنظومة التعليمية التي لا زالت محكومة بالرأي الأحادي وآفة التلقين، والمنظومة الدينية التي لم تستطع لحد الساعة تقديم صورة حضارية للإسلام عبر الحوار مع الآخر الخارجي، والمنظومة الإعلامية التي تفتقد الموضوعية، وتخلط الرأي بالحقيقة بهدف الإثارة الإعلامية والشعبية، والمنظومة التشريعية التي تمارس تمييزاً ضد الأنثى والأقليات.

1.4 البرامج الشبابية المسطرة لتفعيل الحوار الفعال

الحوار ليس هدف بذاته وإنما هو وسيلة للتعارف والتفاهم والتآلف والتعاون بين الشباب، وليس كل حوار بالضرورة يؤدي إلى نتائج، فكثير من الحوارات ليس فيها فائدة ولا تؤدي إلى أي حلول وفوائد، وذلك لأن الحوار فيها ليس فعالاً، وحتى يكون فعالاً يشترط فيه ما يلي:

- أن يكون فيما يفيد وينفع بين الشباب،
- الاعتراف بحرية الآخرين بين الشباب في الاختلاف والتعبير عن آرائهم،
- الاستعداد لتبادل الآراء والأفكار مع الآخرين من أجل الوصول إلى أفضل البدائل الممكنة،
- تقبل الشباب المحاور إمكانية خطأ وجهة نظره واستعداده لتعديلها في ضوء ما يستجد من أدلة ومعلومات،
- تجنب الإساءة للآخرين مهما كانت حدة الخلاف معهم،
- الصمت وترك الحوار إذا جنح الطرف الآخر إلى الانفعال والغضب واللجاجة،
- تقديم الشجاعة للشباب في إبداء الرأي أمام المخالفين طالما يملك الأدلة والحجج القوية والشجاعة في النزول عن رأيه إذا ثبت خطؤه،
- حسن الإنصات لما يقوله الآخرون وإتاحة الفرصة لهم لطرح أفكارهم دون مقاطعة،
- إجادة استخدام فن السؤال في الوقت المناسب،
- عدم السخرية من المخالفين وعد الاستخفاف بآرائهم،
- عدم الانسياق وراء ما يقال حتى تتوفر الأدلة والحجج الكافية،
- الدقة في اختيار الكلمات والعبارات التي تعبر عن رأيه،
- تجنب الخداع والمرآغة والتلاعب بالألفاظ،

- المسؤولية عما يقال إذ يجب أن يلتزم المشاركون في الحوار بالدقة والحذر في اختيار الكلمات والعبارات التي تعبر عن أفكارهم حتى لا يؤخذ عليهم ما يقولونه بغير قصد.

2.4 موضوعات الحوار

هل كل الموضوعات تصلح لأن تكون مجالاً للحوار بين الشباب؟ هناك موضوعات يتفق الجميع على أنها غير قابلة للحوار. ولذلك لا بد من وضع معايير من خلالها يمكن تحديد الموضوعات التي تقبل الحوار. وهذه المعايير توحد الرؤى وتقلل الاختلاف بين الشباب حيال ما يمكن طرحه للحوار. فهناك أشياء تعد مسلمات دينية أو وطنية يجب أن يتفق الجميع على عدم الخوض فيها.

أ. معايير الموضوعات التي نتحاور فيها

من المعايير التي يمكن أن تكون مقبولة أو متفق عليها بين الشباب:

- ألا يكون الموضوع في أمر ديني غيبي،
- ألا يمس الأمن الوطني أو يعرضه للخطر،
- ألا يسبب فرقة الصف في وقت الأزمات والكوارث،
- ألا يكون الموضوع المطروح بدون هدف واضح،
- ألا يكون من الموضوعات الجدلية التي لا فائدة منها،
- ألا يكون من الموضوعات المتشعبة والتي ليس لها حدود.

وبمساعدة هذه المعايير (أو أي معايير أخرى يتفق عليها الشباب) يمكن الحكم على أي موضوع بأنه موضوع حوار أم لا. والبيئة التربوية غنية بالموضوعات الحوارية، بل إن الحوار أسلوب تربوي بين الشباب من صميم العمل في المدرسة والجامعة والمؤسسات البحثية.

ب. صور الحوار بين الشباب

من سمات الحوار أن له صوراً وأنواعاً متنوعة، لتنوع الهدف والمقصد من المتحاورين الشباب فيه، ولعل من أهم تلك الصور والأنواع التي وجدناها عند الشباب المتحاور أو التي نضعها بين أيديهم للتعرف عليها حتى يستعملها أو يتجنبها في الحوار ما يلي:

1. الحوار العدمي التعجيزي: وهو صورة ونوع من صور وأنواع الحوار يتسم فيه المحاور برؤية السلبيات والأخطاء والعقبات.
2. حوار المناورة (الكر والفر): هذه الصورة من صور الحوار يكون هم المحاور وشغله الشاغل بالتفوق اللفظي من أجل إثبات الذات.
3. الحوار المزدوج: وهذه الصورة من الحوار تأخذ شكل حوار تورية ظاهر غير الباطن لإرباك المحاور.
4. حوار الطريق المسدود: هذا النوع والصورة في قناعته الداخلية (لا داعي للحوار فلن نتفق) وفيه يتم إعلان المحاور تمسكه برأيه ولن يغيره مطلقاً.
5. الحوار السلطوي (اسمع واستجب): هذه الصورة تقوم على إلغاء الطرف الآخر مطلقاً وعلى الطرف الآخر السمع والطاعة فقط.
6. الحوار السطحي: صورة هذا الحوار تقوم على قاعدة تقول (لا تقترب من الأعماق فتغرق) الحوار في هذه الصورة يتم في أمور عمومية لا جوهرية.
7. الحوار الالغائي أو التسفيهي: صورة هذا الحوار تعتمد على قاعدة ومبدأ أساسي يتمثل بالقاعدة التالية (كل ما عداي خطأ): اعتبار المحاور أن رأيه هو الصحيح دائماً والتسفيه بالرأي الآخر.
8. حوار البرج العاجي: فلسفة هذه الصورة من الحوار تقوم على المحاور والذي يتم حواره من خلال في أمور لا تمت لموضوع الحوار من أجل إبراز الحذقة والتميز لديه.
9. الحوار المرافق: وصورته أن المحاور يوافق على كل ما يقال موافقة تامة، دون تمحيص، وفي هذا إلغاء المحاور حقه في الحوار لحساب الطرف الآخر دون نقاش.
10. الحوار المعاكس: وصورة هذا الحوار أن المحاور يلجأ إلى السير في اتجاه مضاد للمحاور (أنا ضدك دائماً).
11. حوار العدوان السلبي: وهذه الصورة من الحوار تعد من أخطر الصور السلبية للحوار حيث يأخذ المحاور شكلاً صامتاً من أجل العناد والتجاهل حيث يصمت المحاور صمتاً سلبياً عناداً وتجاهلاً لكيد الطرف المحاور.
12. حوار استطلاعي فضولي: هذه الصورة من صور الحوار يكون هدف الحوار لمعرفة ما يملكه من معلومات وأفكار.

13. حوار جدلي عقيم: هذه الصورة من صور الحوار يكون هدف الحوار هو فقط من أجل إقحام المحاور والتغلب عليه وخروجه عن الأدب.
14. حوار التناصح والتشاور: هدف هذه الصورة من صور الحوار من أجل تقديم النصح والتوجيه والإرشاد للطرف الآخر مراعي أدب الحوار في هذه الصورة.
15. حوار الإقناع: هذه الصورة من صور الحوار غالباً تأخذ طابعاً تجارياً استهلاكياً أو سياسياً من أجل إقناع الطرف الآخر بوجهة نظرك أو إقناعه بالمنتج الفلاني وهكذا.
16. حوار التفاوض: هذه الصورة الحوارية عندما يكون هناك أهداف مشتركة بين الطرفين المتحاورين سواء في قضية ما أو نحوها فإن الطرف الآخر يتحاور تحاوراً تفاوضياً مع الطرف الآخر.
17. حوار التعارف: هذه الصورة الحوارية غالباً ما تحدث في أماكن الانتظار أو السفر حيث يتحاور الطرفان تحاور تعارفي لقضاء الوقت الذي يجب أن ينتظرانه حتى محطة الوصول أو وصول دور احدهما.
18. حوار الملوك والرؤساء: في هذه الصورة من صور الحوار يكون فيه نوع من البرتوكولات التي تتم عادة بين الرؤساء والملوك وتظهر فيه آداب الحوار جلية في هذه الصورة من الحوار.

3.4 القواعد التنظيمية للحوار الجيد

للحوار الجيد بين الشباب محددات وقواعد تنظيمية، يلزم المشرفين على العملية الحوارية القيام بها سواء كانت من خلال عملية الإعداد المناسب والمسبق للحوار أو التخطيط الجيد له وتهيئة المكان والبيئة المناسبة والداعمة للعملية الحوارية، وفيما يلي نعرض جملة من المحددات والقواعد التنظيمية للحوار الجيد بين الشباب والمتمثلة بالآتي:

1. إعداد خطة للحوار: تتمثل إعداد خطة للحوار، من أولى المحددات والقواعد التنظيمية للعملية الحوارية، والتي تساهم للوصول إلى حوار جيد ومثمر.
2. تحديد موضوع الحوار: عملية تحديد موضوع الحوار يعتبر المحدد الأهم والذي يوجه الحوار لتحقيق أهدافه، لأن الحوار بدون موضوع جدل عقيم وكلام بلا معنى.

3. تحديد المفاهيم: كي يستمر الحوار ويعطي مراده لا بد من أن تتضح المفاهيم لدى المتحاورين وتكون الرؤية موحدة حول المفاهيم التي يتحاورون فيها.
4. تحديد الأهداف: حوار بلا هدف مثل الأطفال اللذين يلعبون الكرة بدون مرمى، فلكي يكون الحوار مثمراً لا بد من وجود أهداف محددة وواضحة لدى المتحاورين.
5. وضع الآليات والقواعد التنظيمية للحوار: هذا الأمر في غاية الأهمية للمتحاورين، كي يعلم كل متحاور القواعد والإجراءات التنظيمية للحوار الذي يتم بينهم.
6. توفير المناخ والبيئة المناسبة: هذه القاعدة والتنظيم يساعد في استمرارية الحوار، والوصول به لتحقيق أهدافه.
7. الإيمان بحرية التفكير: وهذه من التنظيمات التي يجب أن يدركها المتحاورون، لان كل محاور لا يريد أن يسلم عقله للآخر، بل يجب أن يكون من المحددات والتنظيمات، إيمان الفرد المتحاور بحرية رأي الطرف الآخر.
8. الإيمان بحرية التعبير عن الرأي: من الضروري أن تحدد وتنظم عملية الحوار بإعطاء الأمان بأن الفرد يمكنه أن يعبر بحرية تامة عن رأيه، ولا بد من وجود هذا المحدد في كل عملية حوارية ناضجة.
9. مراعاة أدب الحوار: من أهم المحددات والقواعد التنظيمية التي يجب أن يتفق عليها جميع الأطراف المتحاورين، أن يراعوا أدب الحوار، وهذا المحدد من أهم القواعد التنظيمية التي تساعد في استمرارية الحوار بين الأطراف المتحاوره.
10. الأمانة العلمية: يجب أن يكون من القواعد التنظيمية التي تيسر العملية الحوارية، الاتفاق على الأمانة العلمية في النقل، الاستدلال والاستشهاد ونحوها.
11. تقسيم الوقت بين المتحاورين: من أولى القواعد التنظيمية بين المتحاورين تقسيم وقت الحوار بينهما، والاتفاق على ذلك مسبقاً، فكل طرف يفسح المجال للطرف الآخر لتقديم رأيه ووجهة نظره أو الدفاع عنها أو نقد وجهة النظر المطروحة.

12. التركيز على الحوار لا على المحاور: يجب التركيز على الرأي لا على صاحبه، بحيث يكون التركيز بين الطرفين على الحوار نفسه، لا على شخص المحاور أو شخصيته أو مكانته أو عمله.
13. تحديد نقاط الاتفاق والوفاق والاختلاف: تعد قاعدة هامة ونقطة انطلاق بين المتحاورين، حيث يبدأ الحوار من نقاط الاتفاق والوفاق بينهم. وهذه محدد تنظيمي هام يجعل العملية الحوارية تسيير وتنتج نحو الاتجاه الصحيح، والذي يجب أن يبدأ الحوار به.
14. حسن الإنصات والالتزام بأدب الاستماع: هذا تنظيم ومحدد في حال الاتفاق عليه يكون ضمان لعملية حوارية حسنة ومنظمة ومحققة لأهدافها، ولذا وجب التأكيد بين الأطراف المتحاورين بأن يلتزموا بحسن الاستماع والإنصات للطرف الآخر.
15. الالتزام بموضوع الحوار: من أهم المحددات والقواعد التنظيمية، أن يلتزم كل طرف متحاور بموضوع الحوار، وهذا يؤدي إلى نجاح العملية الحوارية وتحقيقها لأهدافها المنشودة.
16. عملية استخدام الأدلة والبراهين: يجب أن يتفق المتحاوران على عملية استخدام الأدلة والبراهين والقوانين والحجج أثناء سير العملية الحوارية، وهذه من المحددات والقواعد التي تؤدي إلى الوصول للحقيقة بين الأطراف المتحاورين في قضية من القضايا.

4.4 كيف يمكن أن يكون الحوار مفيداً؟

يعتبر الحوار من وسائل الاتصال الفعالة وتزداد أهميته على مستوى الأسرة والمدرسة لأن الحوار يقرب وجهات النظر ولكي يكون هذا الحوار مفيداً ومؤثراً لا بد من أمور من أهمها:

1. تحديد الهدف من الحوار: إذا أردنا حواراً مفيداً، لا بد من تحديد هدفه وفهم موضوعه والمحافظة على هذا الهدف أثناء سير الحوار.
2. التهيؤ النفسي والعقلي: إذا أردنا حواراً مفيداً كذلك، لا بد من أن يكون لدى الأطراف المتحاورين تهيؤاً نفسياً وعقلياً واستعداداً لذلك الحوار، والاستعداد

- للعرض وضبط النفس والإصغاء والاستماع وتقبل الرأي الآخر، والتهيب
لخدمة الهدف المنشود من الحوار.
3. عدم إصدار الأحكام: من يريد أن يكون حواراً مفيداً عليه تجنب إصدار الأحكام أثناء سير الحوار، حتى وإن كان الطرف الآخر مخطئاً كي لا يتحول هذا الحوار إلى جدل عقيم بلا فائدة.
 4. محاور شخص واحد: يجب إذا أردنا أن نتحاور أن نحدد طرف الحوار الآخر والتركيز والاهتمام معه فقط، فيغدو الحوار مثمراً ومحققاً لأهدافه.
 5. اختيار الطرف الزمني والمكاني: لحوار مفيد ومثمر اختر الوقت المناسب والمكان المناسب وراعي ذلك مع من تحاوره.

إن الحوار إذا أردناه أن يكون مفيداً يجب أن نراعي فيه جميع الجوانب التي ذكرناها سابقاً، مع علمنا أن الاختلاف أمر ضروري في الطبيعة الإنسانية وأمر وارد لذا نلجأ للحوار عند اختلافنا.

5.4 المقومات الأساسية للمحاور الشاب المحترف

كي يؤتي الحوار ثماره المرجوة لا بد من أن يتصف المتحاوران بصفات ومقومات تساهم في نجاح العملية الحوارية، وهذه المقومات والصفات متى ما امتلكها الشاب المحاور جعلت منه محاوراً متمكناً وناجحاً ومحترفاً، ولعل من أهم تلك المقومات الأساسية والصفات اللازمة في المحاور الناجح والمحترف ما يلي:

1. الإخلاص في الحوار: وهي أنه على المحاور أن يخلص نيته بتحديد الهدف والغاية من الحوار وهو بلوغ الحق.
2. الصدق والأمانة: وهي أنه على المتحاورين أن يلتزموا بالصدق والأمانة في الطرح والنقاش.
3. حسن البيان: كي تكون محاوراً محترفاً ناجحاً لا بد من وضوح كلماتك بسلامة مخارجها، والحديث بهدوء وجمال الصوت ونقاؤه وتسلسل الكلمات.
4. مطابقة القول للعمل: كي تؤثر في الآخرين وتكون محاوراً ناجحاً ومحترفاً لا بد من مطابقة القول للعمل.
5. انبساط الوجه: ولتكون محاوراً محترفاً بارعاً استخدم الابتسامة والبسمة المشرقة مع من تحاوره وكن هادئاً وضابطاً لمشاعرك ودقيقاً في النظر

- للأمور وما وراء الأحداث ومما يؤكد ذلك قول النبي صلى الله وسلم عليه "تبسمك في وجه أخيك صدقة"، أو "تكلم أخاك ووجهك منبسط".
6. تجنب صيد الأخطاء: من صفات المحاور الجيد تركيزه على موضوع الحوار وعدم انشغاله فقط في تصيد الزلات وتتبع الأخطاء التي يقع في المحاور.
7. حسن الاستماع والإنصات: من يستمع جيداً وينصت يكون حديثه مؤثراً هادفاً، ولتكون محاوراً ناجحاً وجيداً ومحترفاً عليك بحسن الاستماع والإنصات، فهذا يساعدك في تقديم أفكاره وآرائك بدقة وقوة متناهية لأن من لا يستمع ولا ينصت لا يستطيع أن يقدم الحجج والبراهين لمحاورة، فكيف بشخص يقدم أدلته وبراهين لمحاورة الذي لم يستمع إليه.
8. الإلمام بموضوع الحوار: من لم يلم بالموضوع الذي يحاور فيه فلن يقدم أفكاراً يستطيع إقناع الطرف الآخر بها، وسوف يكون حوار عقيماً بلا فائدة.
9. احترام الطرف الآخر: يمكننا القول بأن من يريد أن يحترمه الناس عليه باحترامهم، والمحاور هو أحوج ما يكون إلى احترام الآخرين له ووجهة نظره، فالمحاور الذي لا يحترم الآخرين ولا يحترم وجهات نظرهم فليس بمحاور ناجح ولا محترف، لذا من أهم صفات المحاور الناجح هو الذي يحترم ويقدر الآخرين ووجهة نظرهم .
10. الإلتزام بأداب الحوار: من مقومات المحاور الناجح هو أن يلتزم بأدب الحوار قوياً وعملاً، وفي حال غياب أدب الحوار من قبل المحاور أصبح الحديث جدلاً عقيماً بلا آداب.
11. الاعتراف بالخطأ: من يريد أن يكون محاوراً ناجحاً ومحترفاً لا بد عليه إذا حصل منه خطأ أن يعترف به، فهذا من مقومات المحاور الناجح ومن الآداب التي تجعل الحوار أكثر علمية ومهنية.
12. حضور البديهة: كلما كانت بديهة المحاور حاضرة كلما أصبح ناجحاً محترفاً، باستحضار المعلومات والتحضير المسبق للحوار وتوقع الأسئلة والأفكار والحضور الذهني أثناء العملية الحوارية.
13. توظيف الصوت: المحاور الناجح هو الذي يستخدم نبرة صوت مريحة وهادئة حتى يتمكن من شد المحاور معه ويؤثر فيه.

14. تنوع أساليب الحوار: المحاور الجيد هو من ينوع في الأساليب الحوارية، التي يستخدمها سواء من خلال المناقشة أو الأسئلة أو حسب ما يقتضيه الموقف الحوارى.
15. عدم اتهام النيات: المحاور الناجح والمحترف هو الذي لا يتهم المحاورين في نياتهم أو الطعن في أقوالهم ومقاصدهم، بل يحترمهم ويقدرهم ويفرق بين الفكرة المطروحة وصاحبها.
16. اللباقة: من صفات المحاور الجيد أن يكون لبقاً في حديثه، بحيث تقول اكره الأشياء وأقساها بأرق العبارات وأحلاها.
17. رباطة الجأش وهدوء البال : المحاور الجيد هو الذي يصبح هادئاً عند النقاش والحوار وتبادل الآراء والأفكار في القضية المطروحة للنقاش.
18. لغة الجسد: المحاور الشاب الجيد والناجح من يوظف لغة البدن والتفاعل غير اللفظي توظيفاً مناسباً في العملية الحوارية، فهي أكثر تأثيراً وأقوى تعبيراً.
19. الانفتاح وسعة الاطلاع: المحاور الجيد والناجح هو ذلك المحاور الذي يكون منفتحاً على الطرف المتحاورة ولديه سعة اطلاع لما يدور حوله من قضايا وأطروحات، يستطيع توظيفها في حواراته مع الآخرين.
20. جودة المعالجة : لا يكفي أن تقدم رأيك بطريقة مؤدبة ومهذبة ، بل يلزمك إذا أرت أن تكون محاوراً جيداً أن تكون معالجتك للموضوع والقضية المطروحة للحوار والنقاش تنسم بجودة عالية في المعالجة والطرح والنقد.
21. قوة الاستدلال والمعالجة: المحاور الجيد والمحترف والناجح هو ذلك المحاور الذي يكون استدلاله قوياً، بحيث يوظف الأدلة والقوانين والبراهين في القضية المطروحة للحوار والنقاش.
22. قوة الاطلاع: من يريد أن يكون محاوراً جيداً وماهرأ ومحترفاً عليه الاطلاع على كل ما يدور حوله بخصوص القضية المطروحة للحوار والنقاش محلياً وعالمياً.
23. التأثير والإقناع: وهذه ملكه يلزم توفرها في الشاب المحاور، بحيث عليه أن يكون محاوراً مؤثراً بالأخرين ومقنعاً لهم في آرائه وأفكاره التي يقدمها للمحاور الآخر في القضية المطروحة للحوار والمناقشة.

24. اختيار الكلمات المناسبة: من يريد الاحترافية في الحوار وأن يكون محاوراً جيداً، فإنه من اللازم عليه أن يختار كلماته وعباراته التي يستخدمها في حوارهِ مع الآخرين، أن تكون مناسبة لموضوع الحوار وأفكاره المطروحة.

الخاتمة

في الأخير إذا أردنا أن نُعلم شبابنا فن الحوار أو أن نصنع له برامج سواءً دراسية أكانت أو جامعية أو بحثية، يجب أولاً أن نعرف كيف نحاوّر هؤلاء الشباب، فالحوار وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وميوله وأحاسيسه ومواقفه ومشكلاته وطريقه إلى تصريف شئون حياته المختلفة، كما أن الحوار وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وتهيئتها للتعاطي والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة، إذ من خلال الحوار يتم التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم.

والفرد يستطيع أن يتواصل مع من حوله حوارياً مستخدماً فنون اللغة والحوار سواء كان ذلك بالاستماع أو الحديث أو القراءة والكتابة، أي أن الفرد يتواصل ويتحاوّر مع من حوله إما مرسلأ فيتكلم أو يكتب أو مستقبلاً فيسمع أو يقرأ.

من هنا نجد أن الحوار يعد ظاهرة صحية في المجتمع، وركيزة فكرية وثقافية ليس عند الشباب وحسب وإنما عند كافة أعضاء المجتمع، ووسيلة يستطيع الفرد من خلالها أن يوصل ما يريده من أفكار إلى الآخرين بالحجة والبرهان، كما أنه يعتبر الوسيلة الأسلم والاسمى إلى الدعوة والتواصل مع الآخرين والتي دعا إليها الإسلام من خلال الآيات المختلفة الواردة في القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (سورة النحل: 125).

المراجع

1. في أصول الحوار. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة 1416 هـ.
2. محمد معتصم، مراجعات في نظرية صراع الحضارات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، سلسلة مناظرات رقم 129، ط 2005، 1.
3. خالد بن محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في الإسلام، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، 1425 هـ.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

4. أحمد بن عبدالرحمن الصويان، الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن، 1413 هـ.
5. سلمان بن فهد العودة، أدب الحوار، مكتبة الرشد، 1424 هـ.
6. السيد ياسين وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، دار السلام ط 1، 2004، مصر.

روشان عباسوف¹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، "...إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِمُ..." (سورة الحجرات: 13)، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح" (خطبة الوداع).

أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة
أيها الحفل الكريم

يشرفني أن أنقل إليكم تحيات مجلس شورى المفتين لروسيا وعلى رأسه سماحة المفتي الشيخ راوي عين الدين وتمنياته لكم وللمشاركين في هذا المنتدى الإسلامي المبارك النجاح والتوفيق في تحقيق الأهداف الموضوعه له.
قال خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ما نحل والد ولده من نحلأفضل من أدب حسن" (رواه الترمذي).

فهذا أفضل ما يقدمه الوالد لولده التربية الصالحة، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وظيفة الوالدين في تربية الأولاد، فقال ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه".

إن المجتمع الروسي خضع لمدة سبعين عاماً من القرن العشرين لحكم الإلحاد المتشدد، الذي حارب علناً وبلا هوادة كل الأديان بشكل عام، ودين الإسلام على وجه الخصوص. فقمعت بوحشية كل منابر الخطب والدروس الدينية، وأحبطت كل محاولات تنشئة الأولاد تنشئة إسلامية. لا يمكن لمن لم يعيش في دول الاتحاد السوفيتي السابق أن يتخيل ظروف العيش تحت القمع في القرن العشرين.

أكثر من ثلاثة أجيال من مسلمي روسيا تأثروا بهذه الظروف، فكان عليهم إخفاء إيمانهم وعقيدتهم في قلوبهم. فمن الأشكال الغريبة لهذا القمع، أن الوالدين إن سميا ابنهما اسماً إسلامياً فكان يتم استدعاءهما والتحقيق معهما. الحمد لله أن هذه الممارسات قد أصبحت ماضياً منسياً. وقد تأثر أيضاً بمثل تلك الممارسات أتباع الديانات الأخرى في روسيا، وقد انعكس هذا على جميع مجالات حياتهم

¹ السيد روشان عباسوف [dfarmc@gmail.com] نائب رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا ومدير الإدارة لمجلس شورى المفتين لروسيا.

وخاصة في مجال العلاقة بين الأديان، وأصبح هذا جلياً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وروسيا كما تعلمون بلد متعدد الأديان والقوميات.

عاش على أرض روسيا التاريخية الكثير من القوميات أتباع الديانات التقليدية بعلاقة طابعها السلام والوئام فيما بينهم لقرون طويلة، وسبب ذلك يعود لسياسة الدولة الروسية. وبفضل تلك السياسة استطاع أتباع هذه الديانات من الحفاظ على عقائدهم وعلومهم الدينية من جيل إلى جيل. فمن الواضح تماماً أن هؤلاء الذين لا يعرفون عقائدهم الدينية، ليسوا قادرين على وضع أنفسهم بشكل صحيح في ما يتعلق بالحياة الدينية. ولكن على الرغم من الاختلاف فهناك ما يكفي من التشابه للتواصل الإيجابي والتعاون وتبادل المنفعة المشتركة. هكذا عاشت تلك القوميات في روسيا في فترة ما قبل الثورة الشيوعية في عام 1917، وأفضل دليل على ذلك هو أن هذه البلاد الواسعة لم تعرف معنى الحروب الدينية.

إن التحدي الأكبر لمسلمي روسيا الآن هو تطوير وتنمية التربية الإسلامية بشكل أعمق للجيل الجديد. فيجب عليهم أن يتعلموا أن الإسلام ليس فقط إيماناً في القلوب وحمل الأسماء الإسلامية فقط، بل الإسلام هو معرفة وفهم الدين فهماً عميقاً كمنهاج حياة، ودوره في تقدم الحضارة الإنسانية على كافة الأصعدة عظيم، ودوره في تحقيق هذه الوظيفة حاسم.

إن المؤسسات الدينية لا بد أن تلعب دوراً أكثر نشاطاً في تنظيم التربية الإسلامية الصحيحة، مع التركيز بشكل أساسي على العقيدة و التنمية الثقافية والمهنية الدينية للشباب المسلم، وعليها حمل هذه المسؤولية العظيمة. ففي نهاية المطاف يقع عليها عاتق مصير الإسلام في بلدنا. ومن ناحية أخرى وهي هامة أيضاً أنه يجب عليها تفعيل الحوار البناء للمسلمين مع أتباع الديانات التقليدية الأخرى في روسيا.

إن جيل الشباب هو مستقبل أمتنا، وأفضل دليل على ذلك أن الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم في تلك الفترة المجيدة من ولادة الإسلام كانوا من الشباب، قد آمنوا بالنبى ﷺ وساندوه في تثبيت دعائم الدين وإعلاء كلمة الحق في شتى بقاع الأرض. فيجب على شبابنا أخذ المثل الأعلى من ذاك الجيل المبارك بالتسلح بالعلم والمعرفة والفهم الصحيح للدين لإعلاء قيم الإسلام السمحة في مجتمع متعدد الثقافات و الأديان مثل المجتمع الروسي. ومن الضروري أيضاً أن يتقنوا الأساليب القويمة الفعالة في الحوار البناء مع أتباع الديانات والعقائد الأخرى.

اليوم ليس فقط مسلمو روسيا بل وأتباع الديانات التقليدية الأخرى في روسيا تعاني من نقص الثقافة الدينية. فأى زائر يأتي إلى بلدنا يلاحظ أن دور العبادة أكثر زوارها من المؤمنين كبار السن. إلا أنه وبالمقارنة مع الآخرين نجد

ولله الحمد أن عدد الشباب المسلم اليوم يفوق عدد كبار السن في ارتياد المساجد للعبادة والمشاركة في المناسبات الدينية. علاوة على ذلك وبفضل الله سبحانه وتعالى يحاول تأكيد التزامه الديني الغيور باتباع قواعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، في المنزل والعمل و في علاقاته مع الآخرين وفي نواحي الحياة الأخرى.

ولله الحمد والمثنة، أن الدور الطبيعي للدين يعود تدريجياً عن قناعة راسخة بأهميته، وهو متواجد في جميع نواحي الحياة في روسيا. الكل يعود إلى التدين بما فيهم ملايين المسلمين إلى جذورهم الدينية والقومية. ومما يتلج الصدر أن هذا ملاحظ على تعاقب الأجيال مما يدل على عدم عودة الإلحاد الذي كان في روسيا طوال القرن العشرين. إن الحقيقة الواضحة أن الدين لدى شباب اليوم له مكانة بالغة الأهمية، وهذا ينعكس جلياً في سلوكياته الصحيحة في نواحي الحياة الدنيوية. مع كل هذا، فإنه من غير الممكن أن لا نأخذ في عين الاعتبار حقيقة لا يمكن إنكارها، أن العامل السيكولوجي يؤثر في حياة الشباب إضافةً إلى عدة عوامل مؤثرة أخرى، مثل التربية الدينية السليمة والمستوى التعليمي والثقافي، والبيئة الاجتماعية العامة. بطبيعة الحال، كل هذه العوامل الموضوعية تؤدي إلى تحقيق التوازن الصحيح في حياة الشباب ونجاحهم في التعامل مع أتباع الديانات والثقافات الأخرى، وبالتالي ضمان تجنب سلوك المواجهة معهم، وفي حالة حدوث أي نوع من التوترات الدينية أو العرقية، نجد القدرة على التغلب عليها وبالتالي يتحقق كل من السلام والمصالحة والحوار.

يجب أن نغرس عند الشباب اعتقاداً قوياً أن الحوار الحضاري المثمر هو أنجح وسيلة دينياً ودنيوياً للتعايش بين مختلف الديانات والثقافات ويساعد على منع الصدام بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة وهذا سواءً على المستوى الفردي والإقليمي وحتى العالمي. ببالغ السرور نؤكد اليوم أن المؤسسات الدينية في روسيا، للمسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، تلعب دوراً هاماً في تعزيز السلام والوئام بين الأعراق والأديان حيث يتم البحث باستمرار ضمن سياق دولتنا متعددة الطوائف والقوميات والأديان عن نقاط التقاء مشتركة للتواصل بين المجتمع والمنظمات الدينية والسلطات العامة. وفي مثال إيجابي لما ذكر، من بين مؤسسات الدولة والمنظمات غير الحكومية التي تلعب دوراً مهماً في تعزيز دور الشباب في الحوار بين الأديان، أود أن أذكر الشراكة الرائدة بين منظمة دينية مثل مجلس شورى المفتين لروسيا، والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والدينية في الدولة.

مجلس شورى المفتين لروسيا - المؤسسة الدينية المركزية لمسلمي روسيا
وينطوي تحت لوائه أكثر من 2000 جمعية دينية وغيرها للمسلمين في أكثر من 60 منطقة على الأراضي الروسية. ويرعى المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية والخيرية والاقتصادية للمسلمين. ومنذ تأسيسه برئاسة المفتي الشيخ راوي عين الدين في عام 1996 قد ساهم بتطوير النشاط الاقتصادي وتعزيز مكانة روسيا.

وفي مجال الشراكة دولياً يتعامل مع أكثر من 40 بلداً، مثل قطر والمملكة العربية السعودية ومصر وإيران وماليزيا والكويت والمغرب وعمان وتركيا وتونس وألمانيا وسويسرا والصين وغيرها. ويساهم بنشاط من خلال الزيارات والنشاطات المتبادلة للمنظمات الدولية والروسية على حدٍ سواء. أيضاً يشارك في الحياة السياسية في روسيا داخلياً ودولياً وسط ترحيب عالمي. أيضاً يعمل بنشاط في مجال التعليم بالشراكة مع الدول الأخرى من خلال إرسال الطلاب لإتمام تحصيلهم تعليمهم العالي.

ومنذ ما يقرب عن 20 عاماً، يساهم مجلس شورى المفتين لروسيا في تسهيل شعائر العبادة بحرية ودون قيود. ويوفر مساعدات كبيرة في إنشاء وبناء وصيانة المساجد ودور العبادة، وينظم حملات الحج إلى الديار المقدسة للمسلمين، ويشارك في الأنشطة الخيرية، وينشأ المؤسسات التعليمية الدينية للأطفال وبالبالغين، ويساهم في صيانة العلاقات الدولية وتطوير التعاون الدولي في مختلف المجالات. ويقوم أيضاً بالمؤتمرات الوطنية والدولية والندوات والفعاليات الثقافية التي تهدف إلى تعزيز دور الشباب في الحوار بين الأديان. وأقام بالتعاون مع وزارتي الثقافة والخارجية الروسيتين وبدعم من حكومة موسكو العديد من النشاطات السنوية، مثل مسابقة موسكو الدولية لحفظ القرآن الكريم التي وصل عدد البلدان المشاركة فيها إلى 36 بلداً ونسعى إلى زيادة المشاركة. أيضاً ينظم سنوياً معرض موسكو الدولي لمنتجات الحلال "موسكو حلال اكسبو". فضلاً عن تنظيم جميع أنواع المنتديات والمؤتمرات مثل "منتدى الشباب"، حيث يناقش ممثلو جيل الشباب من جنسيات وأديان مختلفة سبل حل مشاكلهم العصرية. ومن ضمن ما نفخر به من نشاطات سنوية ثقافية وتعليمية أيضاً، الخيمة الرمضانية التي تقام في النصف الثاني لشهر رمضان المبارك. وهي من أهم المنابر الدينية والدعوية، فهي تستقبل المسلمين وغيرهم، حيث يعقد فيها الندوات الثقافية والتعليمية والحوارات الحضارية البتاءة. وتساهم في تنوير حياة المسلمين الدينية. ومثل هذه النشاطات الإيجابية تجذب اهتمام الكثير من الناس في روسيا الاتحادية. هذا في روسيا، أما في الدوائر الغربية فنجد مع الأسف يسوقون الإسلام كعدو بعدما كانت الشيوعية عدوهم الأول زمن الاتحاد السوفيتي. لعدة سنوات،

ونحن نعمل بنشاط مع المنظمات غير الحكومية في جميع المناطق من بلادنا الواسعة. في تعاون وثيق مع أتباع الديانات الأخرى، حيث نقيم الموائد المستديرة والمؤتمرات ومجموعة متنوعة الأنشطة الثقافية والتعليمية والخيرية، التي تهدف إلى تقريب وجهات النظر بين الشباب متنوعي الأديان والثقافات. ونقيم سنويا المناسبات الخيرية بهدف مساعدة المحتاجين من الأيتام والأسر الفقيرة والمعاقين الذين يخضعون للعلاج في المستشفيات. ونحمد الله سبحانه وتعالى على ما عندنا من إمكانيات نساعد المسلمين وغيرهم من المحتاجين. ونفاجئ المشاركين في المنتدى بأن مجلس شورى المفتين لروسيا يشارك أيضاً في العديد من البطولات الرياضية المتنوعة مثل بطولة كرة القدم وغيرها من الأنشطة.

ونفيدكم أيها الإخوة بأن الهدف من هذه الأنشطة والفعاليات العديدة هو تعزيز ثقافة الحوار بين الأديان والثقافات في روسيا. كل هذه الأنشطة تساعد مجلس شورى المفتين لروسيا من مواجهة تحديات التغيير السريع في عصرنا الحالي، وتساهم بشكل ملحوظ في الحفاظ على السلام والوئام في هذا البلد العملاق المتعدد الديانات والقوميات والثقافات. لن يكون هناك مبالغة في القول أن اليوم وأكثر من أي وقت مضى، أن هذا النجاح أصبح واضحاً وأن مدى استمراره يتوقف علينا جميعاً بتطوير وتعزيز سياسات التعايش بين الناس من جنسيات وأديان مختلفة داخل المجتمعات المتعددة الجنسيات ومتعددة الأديان. فرفاهية الشعوب والدول مرهون بذلك، وأعتقد أنني لا أبالغ عندما أقول أنه حتى وجودها أيضاً.

مما لا شك فيه فإن الحوار بين الأديان وخاصة للشباب يساهم في إقامة تعاون أتباع الديانات والقوميات المختلفة في مكافحة التهديدات العالمية، التي تجلب الكوارث للبشرية الجمعاء، والحديث هنا بطبيعة الحال عن هذا التهديد الخطير المتمثل في الإرهاب الدولي. في هذا الصدد نتفق مع رئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين الذي حث الأمة في الاجتماع الأخير برؤساء الإدارات الدينية في روسيا على إتباع أحكام الإسلام السمحة، التي تتوافق مع تطور الواقع الاجتماعي المعاصر. ويعارض ايديولوجية الاصطدام، من خلال التنشئة التربوية والتعليمية الصحيحة للشباب المسلم، والأندية النسائية التعليمية للمرأة المسلمة.

في الوقت الحالي نكتف جهودنا لتشجيع الشباب على إنشاء أنواع مختلفة من المؤسسات والجمعيات المحلية، والتي تهدف في المقام الأول إلى تنسيق العلاقات بين الأعراف والأديان. وبذلك يمكننا بناء جيل جديد واع يسير وفق تعاليم الإسلام السمحة ما يأمن مستقبلاً آمناً من الأمراض والعلل، في مجتمع صحي مبني على أساس قوي.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

أسأل الله عزّ وجلّ النجاح لهذا المنتدى المبارك في دولة قطر، الذي يجمع شخصيات دينية وعامة بارزة الفعل في أمتنا الإسلامية الذين لا أشك أن مشاركتهم ستكون فعّالة وناجحة في مناقشة كل المشاكل التي نواجهها. وأسأل المولى عزّ وجلّ أن يبارك الذين ساهموا في قيام هذا المنتدى وكل المشاركين فيه، فهو يعتبر حدثاً مهماً بالنسبة لمسلمي روسيا.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من نوايانا وأعمالنا في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين

أشكركم جزيل الشكر على حسن الاستماع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دور المنظمات الحكومية وغير الحكومية في تفعيل مشاركة الشباب في حوار الأديان: تجربة هيئة الوفاق الفلسطيني نموذجاً

المخلص

أما ورقتي اليوم فهي تأتي ضمن المحور الثالث للمؤتمر: ماذا قدم حوار الأديان للشباب؟ البند الثالث: دور المنظمات الحكومية وغير الحكومية في تفعيل مشاركة الشباب في حوار الأديان. ففي أي بلد أو قطر تقوم التنمية بأنواعها سيما الاجتماعية والثقافية والفكرية والدينية أيضاً على مثلث بأضلاع ثلاثة هي القطاع العام (الحكومي) والقطاع الأهلي (الجمعي) والقطاع الخاص (المؤسسات الخاصة والأشخاص الطبيعيين)، ولا يمكن لقاطرة التنمية أن تستقيم و تؤدي رسالتها في أي من المجالات السابقة بمعزل عن عمل وجهد هذه القطاعات الثلاثة والتكامل بينها، ومجال حوار الأديان قد يكون أكثر من غيره بحاجة الى تضافر وتكامل جهود العاملين فيها سواء كانوا مؤسسات أو منظمات حكومية أو مؤسسات وجمعيات أهلية أو شخصيات نخبوية ومراكز خاصة من أجل ارساء رسالة التسامح والتعايش والحوار بين أتباع الديانات السماوية وحتى الوضعية لافشاء السلام والأمن والتعاون في المجتمع الكوني ومحاصرة نزعات الحروب والأرهاب والصراعات التي لا تبقي ولا تذر.

المقدمة

[الأخ أ.د. ابراهيم النعيمي المحترم، رئيس مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان في قطر الشقيقة- رئيس المؤتمر، الأخوة والأخوات، السادة والسيدات، الحضور الكريم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد]

اسمحوا لي في البداية أن أتقدم بالشكر والثناء لمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان وعلى رأسه معالي الدكتور ابراهيم النعيمي واخوانه خلية النحل النشطة على الدعوة الكريمة لي للمشاركة في وقائع هذا المؤتمر السنوي للمرة الثانية على التوالي حيث تشرفت وليبيت دعوتهم بشخصي العام الماضي والمشاركة في المؤتمر العاشر "تجارب ناجحة في حوار الأديان" واليوم يدخل هذا المؤتمر سنته

¹ الدكتور جميل سلامة [alwifaq2011@yahoo.com] أمين عام لهيئة الوفاق الفلسطيني.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

الحادية عشر على التوالي بيد أنني أشارك فيه بورقتي وانا في بلدي نظرا للحصار المفروض على غزة حيث أظن وحال اغلاق معبر رفح دون سفري ووصولي اليكم ولعلها مناسبة لأستصرخ ضمائرکم لرفع الصوت عالیا لرفع الحصار الظالم على قطاع غزة، ینعقد مؤتمرکم الدوري كل عام بثوب جديد وبهمة أكبر عن سابقه حتى اضحت الدوحة - حماها الله - قبة عالمية للحوار والتسامح بين الأديان واتباعها یجتمع فيها الفرقاء للتعاون والتنسيق لصناعة مستقل أفضل للبشرية بعيدا عن مساحات الكراهية والحقد و الثأر و نار الحروب والصراعات الدامية التي تخلف للبشرية الدمار والهلاك وتخالف كافة مبادئ الشرائع السماوية والوضعية على السواء.

[الإخوة والأخوات، السادة والسيدات]

أقف بينکم اليوم نيابةً عن بلادي فلسطين ..الأرض المقدسة التي اجتباها الله لتكون مهبط رسالاته وأنبيائه فهي قبلتنا الاولى كمسلمين ومسرى رسولنا محمد الذي جاءها قادما من مكة لعاصمتها القدس الشريف حيث صلي اماما بسائر الأنبياء والمرسلين ومنها كان معراجہ الى السموات العلا حتى سدرة المنتهى، وفي رحاب مدينتها بيت لحم ولد ونشأ وترعرع رسول المسيحية عيسى عليه السلام وكانت المهد أول كنيسة مسيحية تشيد على وجه الأرض ففلسطين منشأ الدين المسيحي ومنها انتشرت المسيحية للعالم برمته، وهي أرض انبياء بني اسرائيل موسى ويعقوب واسحق ويوسف وداود وسليمان عليهم السلام وفي رحاب مدينتها خليل الرحمن يسجى أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام، وهي بذلك ترسم أول لوحة للتسامح والوفاق بين الأديان والتعايش المشترك بين أتباعها رغم جثم الاحتلال الاسرائلي على ثراها واستعمار أرضها و شعبها الضارب في أعماق التاريخ.

واستمرار لهذه الروح والرسالة التاريخية جاءت هيئة الوفاق لتحمل المشعل.. مشعل الوفاق في رحاب الديار المقدسة، وحيث أنني أمثل الهيئة في هذا المؤتمر فمن المناسب التعريف بايجاز بها وبتجربتها في مجال الوفاق والحوار الديني ودور الشباب في أجندتها وتعزيز دورهم للمشاركة الفاعلة فيه. فهیئة الوفاق اطار شعبي وطني مستقل يؤمن بالمشروع الوطني الواحد والشراكة والمصالحة الوطنية ويسعى لاعادة ترتيب البيت الفلسطيني على اساس عقد اجتماعي جديد بين كافة ابناء الشعب الفلسطيني وجميع مكوناته السياسية والعرقية والدينية والاجتماعية بهدف اقامة نظام سياسي يقوم على الديمقراطية وحقوق الانسان والتسامح والوئام والوحدة الوطنية والمساواة في الحقوق والواجبات وادارة التنوع الفكري والديني والسياسي في فلسطين على اساس احترام الاخر

والتكامل بين مختلف الطاقات، ونبذ خطابات واعلام الفتنة والفئوية والتشردم وترشيد الاعلام الوطني وتصويب بوصلته نحو خطاب الوحدة والمصالحة واستعادة اللحمة الوطنية وفق استراتيجية جامعة للمشروع الوطني. ومن مبادئ ومحددات هيئة الوفاق كرامة الانسان بغض النظر عن دينه او جنسه او انتمائه والوحدة الوطنية والتعايش المشترك والحفاظ على التنوع والتعددية ورفض الانقسام والصراع واعتماد الحوار والتوافق وحدهما كاداة لحل الخلافات الوطنية. ومن ابرز دوائر عمل هيئة الوفاق الحوار والوفاق الديني بين اتباع الديانات السماوية في فلسطين حيث خصوصيتها الفريدة في العالم كمهد للديانات السماوية الثلاث، وترعى الهيئة حاليا الوفاق الاسلامي المسيحي في فلسطين، وقد نظمت مؤتمرا وطنيا شهيرا تحت عنوان "الوفاق الاسلامي المسيحي في فلسطين" بحضور كافة القوى والجماعات الاسلامية المختلفة والطوائف المسيحية المتعددة وتوج المؤتمر بالاعلان الاسلامي المسيحي كدستور ناظم للعلاقات الدينية في فلسطين. وانبثقت عنه لجنة المتابعة الاسلامية المسيحية التي تتابع تفاصيل العلاقة وادارتها بين الجانبين وتكرس نموذجاً للتسامح الديني والتعايش المشترك والحوار بين أتباع الديانات السماوية. وتعمل الهيئة على مد جسور التعاون مع كافة المؤسسات الدولية المماثلة لتبادل التجارب والخبرات نحو مجتمع عالمي انساني يسوده السلام والمحبة والاحترام المتبادل .

عرض البحث

وفي بلادي فلسطين باعتبارها مهد الديانات السماوية الثلاث وهي مركز اتباعها في شتى أصقاع الكون، نقوم في هيئة الفلسطيني بدور رئيس في تنشيط دور القطاع العام والأهلي والتنسيق بينهما لخدمة حوار الأديان سيما بين المسلمين والمسيحيين وتنسيق الجهد التكاملي في هذا المجال ونولي الشباب جيل المستقبل وقادته أهمية خاصة باعتبارهم محور أي تغيير وأداته وعلى عاتقهم مستقبل الحوار، وسنتطرق فيها ان شاء الله بالتفصيل لهذه التجربة والدور الذي نضطلع به في هذا المجال وطموحاتنا المستقبلية التي تؤكد دورنا في ارساء حوار ديني منهجي وحضاري عموده الشباب ومركز قيادته وآليات تفعيل دورهم المستقبلي باذنه تعالى وفي هذا السياق أتناول تجربتنا كمنظمة شعبية ائتلافية ومؤسسة مجتمع مدني غير حكومية في تفعيل مشاركة الشباب في حوار الأديان في بلادي فلسطين، وذلك من خلال البنود التالية:

1. تأسيس مفوضتين مستقلتين في هيئة الوفاق لحوار الأديان والشباب

فبالرغم من أن هيئة الوفاق تتولى تجسيد رسالة الوفاق الوطني في بلادنا من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية الخ. ولها هيكل تنظيمي مكون من مفوضيات متخصصة وفقاً لكل نوع من هذه الجوانب ووفق الفئة أو الشريحة التي يتم مخاطبتها، فإن هيئة الوفاق تولي ملف حوار الأديان والشباب أهمية خاصة وأولوية متقدمة وهذا يعود إلى أن الوفاق الديني في فلسطين وهو جزء لا يتجزأ ومكون رئيس من مكونات إستراتيجية الوفاق الوطني الشامل في فلسطين نظراً لخصوصية فلسطين في العالم باعتبارها مهد وأرض رسالات السماء الثلاث وهي قبله المسلمين الأولى ومسرى رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام ومعراجه إلى السماء وهي أيضاً منبع الدين المسيحي ومنشأ ونشأة رسوله عيسى عليه الصلاة والسلام وأن المواطنين المسيحيين في شتى محافظات فلسطين ومدنها يشكلون جزءاً رئيساً من النسيج الاجتماعي الفلسطيني وهم شركاء إخوانهم المسلمين في مسيرة التحرر الوطني والتنمية والبناء ويشكلون أحد أعمدة التجارة والاقتصاد في فلسطين.

ولهذا فقد أسست الهيئة مفوضية الوفاق والحوار الديني كدائرة مستقلة لرعاية هذا الملف في فلسطين وتتولى هذه المفوضية الإشراف على كافة جوانب الحوار الديني سيما بين المواطنين المسلمين والمسيحيين على السواء نظراً لأن ملف الحوار مع اليهود شبه متوقف أو محدود نظراً لأن الحاخامات والمؤسسات الدينية اليهودية في فلسطين المحتلة (إسرائيل) جزء لا يتجزأ من الحركة الصهيونية الاستعمارية المعادية لشعبنا ولحقوقه المشروعة في الحرية والاستقلال التي كفلتها المواثيق والشرائع الدولية، وتدير هذه المفوضية عملها بالتنسيق الدائم والمنتظم مع القوى الإسلامية المختلفة في فلسطين (حماس، الجهاد، الدعوة والتبليغ، حزب التحرير، السلفيون الخ). وكذلك القيادات الروحية للكنائس المختلفة في فلسطين كالكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية وغيرها من خلال تنظيم اللقاءات والاجتماعات والندوات وورش العمل والحوارات وغيرها.

وباعتبار الشباب أمل الشعوب والأمم وهم مستقبل الأديان والحضارات ومشاريع النهضة فإن هيئة الوفاق إدراكاً ووعياً منها لهذه الطاقة الإبداعية الخلاقة ولرعايتهم وإدماجهم في ملف الوفاق الوطني بوجه عام وملف الوفاق والحوار الديني على وجه الخصوص أنشأت مفوضية خاصة بهم تتولى تأطيرهم والتنسيق معهم ومع أطرهم المتنوعة سيما التمثيلية منها وتوظيف جهودهم وطاقتهم لخدمة هذا الهدف السامي، كما أن مجلس الهيئة يعمل على توظيف حكمة وتجربة الكبار مع طاقة واندفاع ويافاعية الشباب في تزواج جميل لدفع مسيرة الحوار الديني في بلادنا كما ونوعاً للأمام وتقديم نموذج فلسطيني رفيع للخارج ليحافظ شباب

فلسطين على تراث آبائهم وأجدادهم من التسامح والوفاق الديني التاريخي وحفظ الوصية وإعمالها مستقبلاً للأجيال القادمة.

2. التوعية والتثقيف

نعاني في الساحة الفلسطينية من تراجع وضعف الوعي بالحوار الديني وأهميته سواء على مستوى الكبار أو الصغار وقد يعود ذلك لأسباب متعددة لعل في صدارتها الاهتمام بالسياسي والاقتصادي على حساب الحوار الديني نظراً لوقوعنا تحت الاحتلال الإسرائيلي والحصار المستمر على الأراضي الفلسطينية وشظف العيش الذي يعاني منه أبناء شعبنا بغض النظر عن فئاتهم العمرية، بيد أننا في هيئة الوفاق ورغم إدراكنا لهذا الواقع المرير مقارنة مع شعوب أخرى تعيش في بلاد مستقلة ذات سيادة وتنهأ برخاء اقتصادي واستقرار اجتماعي إلا أننا نؤكد دوماً أن طوق النجاة لنا كفلسطينيين هو الوحدة الداخلية والوفاق الديني وأن الحوار الديني والوفاق الإسلامي – المسيحي هو جزء هام من مسيرة الوفاق الفلسطيني وحالة صحة وعافية للنسيج الاجتماعي لشعبنا، وفي هذا السياق فإننا نسعى جاهدين لتعميم التوعية والتثقيف في مجتمعنا عموماً وشبابه خصوصاً أفقياً وعمودياً عبر نشر هذه الثقافة في أوساط أجيالنا المختلفة من خلال وسائل عديدة منها تنظيم الندوات وورش العمل والمحاضرات الشعبية والنخبوية لكسر الحواجز النفسية وجدران الفصل بين أبناء الديانتين الإسلامية والمسيحية باعتبارهما الديانتين الرئيسيتين في أوساط شعبنا، وتشمل هذه المحاضرات المنتديات الثقافية والجمعيات والمراكز العلمية والجامعات والمدارس والمعاهد والنادي الرياضية ومؤسسات المجتمع المدني وغيرها وقد نظمنا في هيئة الوفاق العشرات من هذه النشاطات والفعاليات في هذه المؤسسات لفئات عمرية مختلفة سيما فئة الشباب (16-40) سنة وتركت أثراً ايجابياً واسعة في المجتمع الفلسطيني وخلقت رأياً عاماً حاضناً لمنهج الحوار الديني في بلادنا.

3. إدارة الأزمات

نشبت العديد من الأزمات بين المواطنين المسلمين المسيحيين على حد سواء وفي محافظات عدة من وطننا على خلفيات اشتباك عقائدي وديني أو على مستوى دور العبادة أو المؤسسات أو الوقف الديني أو العقارات الحكومية وأولويات كل طرف فيها، وكان الشباب عادة بحماوة صدورهم واندفاعهم مسببو هذه المؤسسات وبالتالي ما كان لأي حل أن ينجح ويصمد في نزع فتيل الأزمة ومعالجتها بمعزل عنهم وعن دورهم، وهذا يبرز محورية دور الشباب في ملف الحوار الديني في بلادنا وأي بلد آخر.

وفي هذا السياق تتصدى هيئة الوفاق لمعالجة هذا النوع من الأزمات وتقديم الحلول الناجعة والجذرية لها ولعل من أبرز وأهم هذه النشاطات العلاجية المؤتمر الوطني المركزي الذي نظّمته هيئة الوفاق في شهر أغسطس 2012م في فندق الكمودور في غزة تحت عنوان "الوفاق الإسلامي - المسيحي في فلسطين" نتيجة عدة أزمات تفاقمت قبل المؤتمر بين الجانبين الإسلامي والمسيحي فارتأت الهيئة عدم التعامل بشكل مجتزأ مع كل أزمة على حدة وقامت بتنظيم مؤتمر وطني جامع لوضع ميثاق ناظم و دائم للعلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين وهذا ما تم بالفعل حيث شارك في المؤتمر جميع القوى الإسلامية في فلسطين السياسية منها والمجتمعية على حد سواء وكذلك رؤساء وقادة الكنائس المسيحية المختلفة في بلادنا وفي مقدمتهم البطريرك ميشيل صباح بطريرك القدس جنبا إلى جنب مع الشيخ د. سالم سلامة، رئيس رابطة علماء فلسطين وتوج المؤتمر بجملته هامة من التوصيات العملية الهامة علاوة على اعتماد وإقرار الإعلان الإسلامي المسيحي كميثاق دستوري مرجعي وناظم للعلاقات بين الجانبين، كما قامت هيئة الوفاق بمعالجة مقر الكنيسة الأرثوذكسية مع مسجد الأمين محمد بغزة وغيرها من القضايا الأخرى وهي بذلك تحث الشباب على أن يكونوا مفاتيح لعلاج الأزمات وليس وقوداً ومسبباً لها.

4. التدريب

تدرك هيئة الوفاق أن التعليم اللامنهجي هام للغاية وهو فرع مكمل للتعليم المنهجي وأن التدريب أحد أبرز أدوات هذا التعليم و لذلك تعمل من خلال وحدة التدريب فيها على تفعيل تأطير وتأهيل العناصر الفاعلة والنشطة في مجال حوار الأديان أو المهتمة به ولذلك قامت بتنظيم عدة دورات تدريبية في حقول عدة من مجالات حوار الأديان منها "الوفاق الديني رافد للوحدة الوطنية"، "مسلمون ومسيحيون مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات"، "آليات الحوار بين أتباع الأديان"، "دور الشباب والطلاب في تدعيم الوفاق الديني"، وتعتزم الهيئة تنظيم برنامج تدريبي متكامل لطلاب المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعات، وكان لي شرف أن أكون المدرب الرئيسي في هذه الدورات الى جانب اخواني لما لي من خبرات متراكمة في هذا المجال على المستوى الوطني والخارجي، ونطمح مستقبلاً بإذن الله إلى تأهيل وتدريب المدربين لتوسيع دائرة التدريب لمختلف الفئات العمرية.

5. التشبيك والعلاقات الاجتماعية

تعي هيئة الوفاق الفجوة والبون الشاسع بين القول والفعل والنظرية والتطبيق وكما يقول المثل الشعبي البريطاني *there is grand difference between theory & practice* وهي بذلك تعمل على إعمال وتنزيل ملف الحوار الديني من الإطار النخبوي إلى الفضاء القاعدي ليلا مس مكونات النسيج الاجتماعي كأسر وعائلات وأحياء إضافة إلى نقل الحديث من مراكز النخبة والثقافة إلى واقع الناس وحياتهم المجتمعية من خلال تنزيل مبادئ وقيم الحوار الديني إلى سلوك مجتمعي بين أفراد المجتمع مسلمين ومسيحيين، ولذلك فهي تدعم بقوة وتيسر تنظيم لقاءات مباشرة بين طلاب المدارس الإسلامية والمسيحية وبين الشباب الإسلامي والمسيحي وحتى بين العائلات وتكوين جماعات مختلطة من الديانتين لكسر الحواجز النفسية والاجتماعية ومد جسور التواصل اليومي والدائم بينهم وتنظيم أمسيات ومسابقات ومشاركات بين الجانبين في المناسبات والأعياد الوطنية والتزاور العائلي في المناسبات الاجتماعية وتقديم الشباب كواجهة وصدارة لهذه اللقاءات لما لذلك من أثر بالغ في إنجاح ذلك وديمومته وتطويره وبصراحة فان ثمره هذه اللقاءات كانت ايجابية وأجمل ما توقعنا حيث أراحت النفوس وأثلجت الصدور وخلقت أجواء ثقة وأريحية بين الجانبين وعززت قيم التسامح والتعايش المشترك والتراحم بين أتباع الأديان.

6. دور الشابات

النساء نصف المجتمع ومربيات النصف الآخر، والمجتمع يقوم على ركيزتين أساسيتين الذكر والأنثى مصداقاً لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الروم: 21). كما يقول المثل (المرأة وطن الرجل، والرجل بلا وطن يبقى لاجئاً). وبالتالي لا يمكن الحديث عن حوار ووافق ديني في بلادنا بمعزل عن شراكة الجنسين ولو اقتصر على الذكور دون الإناث لبقى مجتزأ ومبتوراً، وانطلاقاً من هذه الأرضية تولي هيئة الوفاق المرأة عموماً والشابات خصوصاً أولوية في أجندتها بوجه عام وفي ملف الحوار على وجه الخصوص من خلال مفوضية المرأة حيث تشارك الشابات في الدورات التدريبية التي تنظمها الهيئة واللقاءات التثقيفية، فالمرأة هي التي ترضع أبناءها المبادئ والقيم الدينية وثقافة الحوار إذا كانت من الأصل تحملها ومقتنعة بها فيتثقف المرأة تنقف أسرتها بأكملها وتعمل الهيئة على تأهيل مدربات في مجال الحوار الديني فقد تكون أقرب لبنات جنسها من المدرب الرجل.

7. دور أماكن العبادة (المساجد - الكنائس)

يقر العالم اليوم في ظل الخواء الديني الذي ساد فترات طويلة في مجتمعاته أن هناك توجهات تصاعدياً تجاه الدين عموماً وأن دور العبادة سيما الإسلامية والمسيحية أضحت تشكل مراكز ومحطات استقطاب لجمهور الناس سيما الشباب منهم حيث نجد المساجد في فلسطين وكذلك الكنائس المسيحية تعج بجمهور الشباب من الجنسين تبحث عن علاج للفراغ الروحي في حياتها ولتقترب من الله الخالق المدير لكل شيء وبحثا عن الاستقرار النفسي والأمان الديني والروحي وهذا دفعنا في هيئة الوفاق للتنسيق مع الجهات الرسمية المشرفة على دور العبادة هذه كوزارة الأوقاف والشؤون الدينية المشرفة والراعية للمساجد والجوامع الإسلامية والرئاسات الروحية للكنائس في فلسطين من خلال تضمين خطبها الأسبوعية ورسائلها الدينية يوم الجمعة وقداس الأحد قيم الحوار والوفاق الديني لروادها من المصلين والعباد سيما الشباب الذين يشكلون السواد الأعظم من هؤلاء لصقل الشباب روحياً وغرس في نفوسهم قيم الإيمان الحقيقية التي تؤمن بالله الواحد الأحد ووحدة عقيدة التوحيد وأن الأديان السماوية ورسالة الأنبياء والمرسلين تخرج من مشكاة واحدة، وبالتالي أهمية تعزيز الحوار بين أتباعها والتفاهم بين أبنائها وشبابها وحثهم على تبادل الزيارات والتهاني في الأعياد الدينية لدى الطرفين.

8. الطلاب: أمل الحوار الديني

يشكل الطلاب في مستويات الدراسة المختلفة نخبة الشباب وروادهم وبالتالي فإن العمل معهم وتأهيلهم يعني النجاح في كسب قطاع الشباب لصالح رسالة الوفاق الديني والأغلبية الساحقة من الشباب يلتحق بالتعليم الذي يشكل في فلسطين نسبة عالية ومتقدمة جداً مقارنة بالشعوب والدول الأخرى سواء كان ذلك على مستوى المرحلة قبل الجامعية بشعبها الثلاث (الأساسية - المتوسطة - الثانوية) أو مرحلة التعليم الجامعي وينتشر في فلسطين التعليم بأنواعه الحكومي والأهلي والخاص والديني حيث توجد المدارس الشرعية والمدارس الكنسية لكل طائفة التي تدرس المنهاج الحكومي إلى جانب المقررات الدينية الخاصة بها.

وإدراكاً منا لأهمية هذه الشريحة الطليعية نقوم بين الفينة الأخرى بزيارات ميدانية للمدارس والجامعات والالتقاء بهؤلاء الطلبة والطالبات وشرح قيم ومعاني الوفاق الديني بين المسلمين والمسيحيين وبين الطوائف المختلفة والمذاهب في كل دين، وقد هالنا من واقع هذه اللقاءات روح العداة لدى البعض والتكفير نتيجة تأثرهم بالمتطرفين والجهلاء وعدم الوعي برسالة الأديان ومبادئها وروح التسامح والوفاق التي تحث عليها وهذا أبرز الفراغ القائم الذي بحاجة إلى

جهد متواصل ودؤوب لزرع قيم الوفاق والحوار في جيل الناشئة والشباب أمل وغد الأمة ونسعى الآن للتنسيق مع وزارة التربية والتعليم العالي والجهات المختصة ذات العلاقة لوضع مقرر او مساق دراسي بعنوان الحوار الديني والحضاري ضمن المنهاج الدراسي لطلابنا إلى جانب تشجيع البحث العلمي في مجال الحوار والوفاق الديني في جامعاتنا ومؤسسات التعليم العالي وجعل هذا المجال ضمن أجندة عناوين طلاب الدراسات العليا ومذكرات التخرج على مستوى الدرجة الجامعية الأولى والدبلومات المتخصصة.

9. الإعلام ووسائل الاتصال الاجتماعي

الإعلام اليوم هو من يصنع الرأي العام الوطني في أي بلد وحتى العالم، الإعلام اليوم أضحى عابر للقارات في ظل انتشار تقنياته الحديثة سيما الفضائية والانترنت، فالإعلام اليوم له وسائل متعددة فهناك الإعلام المرئي والقنوات الفضائية التي تنقل الحدث بصورة مباشر في أي بقعة من العالم وهناك الصحافة المكتوبة كالمجلات والجرائد بأنواعها وهناك الإعلام الإذاعي عبر الإذاعات المختلفة، وفلسطين اليوم فيها العديد من القنوات الفضائية والإذاعات وعدد من الصحف والمجلات إلى جانب شبكة المعلومات العالمية الانترنت ولأغلب المؤسسات في فلسطين حكومية أو أهلية أو خاصة مواقعها الخاصة بالإضافة إلى المؤسسات والجهات الدينية الإسلامية والمسيحية.

إن الشباب يعتبرون هدف هذه الوسائل الإعلامية ومحط اهتمامها وعبرهم تمر رسالاتها المختلفة وبالتالي نعمل في هيئة الوفاق من خلال التشبيك مع هذه الوسائل ولترشيد خطابها في مجال الحوار والوفاق الديني لنشر قيم التسامح والدين والتعايش بين أتباع الأديان السماوية والبعد عن ازدراء الأديان أو تحقير الأنبياء والمرسلين والمس بهم او نشر الفتنة الدينية ولغة التطرف والتحريض والكرهية، وأقوم وإخواني في هيئة الوفاق بشكل دوري بالمشاركة في العديد من برامج هذه الوسائل الإعلامية وإجراء المقابلات والحوارات الإعلامية لنشر قيم ومبادئ الحوار الديني سيما قطاع الشباب من المستمعين، وهذا لعب بلا شك دوراً ملموساً وملحوظاً في كبح جماح التطرف والانغلاق وإحلال لغة الثقة والاحترام المتبادل بين المؤمنين الموحدين.

10. طموحات مستقبلية

- إنشاء مركز تدريب دائم في هيئة الوفاق لنشر ثقافة الوفاق الوطني بوجه عام والوفاق الديني خصوصاً.
- إعداد دليل إرشادي لحوار الأديان لتعميمه على الشباب والطلاب والعامّة.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- وضع مقرر دراسي عن الحوار والوفاق الديني بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم العالي ضمن المنهاج الدراسي المقرر.
- إنشاء موقع انترنت دائم للحوار الديني في فلسطين كمهد للديانات السماوية الثلاث.
- المزيد من التعاون مع المنظمات الدولية المعنية بالحوار الديني سيما الشبابية منها لتبادل التجارب والخبرات في هذا المجال.

في الأخير، فإننا في هيئة الوفاق نتطلع لمؤتمر كرم الكريم وللجهات الراعية له والمشاركين فيه الى ايلاء فلسطين الخصوصية التي تستحق كأرض الأديان ومهبط الأنبياء ودعم أهلها لتبقى حاضنة للوفاق الديني في المنطقة والعالم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ماذا قدم الشباب لحوار الأديان؟



دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم

الإهداء

إلى أرض البرتقال الحزين... فلسطين.
إلى كل من عشقوا تراب هذا الوطن وأضأوا بدمائهم قناديل السور الحزين...
شهداءنا الأبراء.
إلى جامعة دولة فلسطين... القدس.
إلى شباب المستقبل... أبناء الديانتين الاسلامية والمسيحية في فلسطين بعامة
وبمحافظة بيت لحم بخاصة.
إلى كل لاجئ يحلم بالعودة لوطنه السليب... فلسطين.
إلى حملة لواء العلم... طلبتنا الأعزاء.

الباحثان

الشكر والتقدير

يتقدم الباحثان بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم ومد يد العون
لاخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود ويخصان بالذكر: جامعة القدس الحبيبية
إدارة ورئاسة، وأبناء الديانتين الاسلامية والمسيحية في محافظة بيت لحم، والسادة
في مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، ولا ينسيان طلبة الجامعة: ختام عجارمة،
وعبد الله عدوي، وخليل أبو عيطة لمساعدتهم الباحثان في عملية جمع بيانات
الدراسة.

الباحثان

¹ الدكتورة بسام بنات [bassambanat@yahoo.com] أستاذ مساعد، علم اجتماع (أساليب
وتقنيات البحث العلمي)، رئيس دائرة علم الاجتماع التطبيقي، كلية الآداب، جامعة القدس،
فلسطين.

² السيدة مجد حنا [m_missu_2@hotmail.com] باحثة مرشحة لدرجة الماجستير، معهد
التنمية المستدامة، جامعة القدس، فلسطين.

الملخص

هدفت الدراسة الحالية التعرف إلى دور الشباب الفلسطيني (مسلمين ومسيحيين) في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم مهد المسيح عليه السلام. عالجت الدراسة موضوعها كظاهرة متعددة الأبعاد، تناولتها الأبحاث النظرية والميدانية، ولم تركز عليها من بعد واحد. وتتبع أهمية الدراسة كونها باكورة الدراسات الميدانية التي تستطلع آراء الشباب المسلمين والمسيحيين في المحافظة حول سبل تعزيز المشاركة المجتمعية لما لها من دور مهم في تنمية المجتمع وحوار الأديان. فالمشاركة المجتمعية هي العملية التي تتيح لجميع أفراد المجتمع فرصة التعبير عن آرائهم، وتفهم بعضهم البعض، واحترام الخصوصيات، والعمل جنباً إلى جنب في ترسيخ دعائم المجتمع المدني ومنظّماته المختلفة.

وتحقيقاً لذلك طوّر الباحثان استبانة ورّعت على قسمين رئيسيين: اشتمل القسم الأول بيانات عامة عن المبحوثين: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي، وتناول القسم الثاني مقياس المشاركة المجتمعية الذي تضمن 25 فقرة. وطبقت أداة الدراسة على عينة بلغت 380 شاباً وشابة من المسلمين والمسيحيين بمحافظة بيت لحم، اختيرت بالطريقة الطبقيّة العشوائية. وبعد جمع البيانات عولجت إحصائياً باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

أظهرت نتائج الدراسة أن للشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين دور كبير في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم. وبينت النتائج تشديد المبحوثين على دور المشاركة المجتمعية في تعزيز الروابط الدينية بين أبناء الديانتين في محافظة بيت لحم من خلال عدة مؤشرات جاء في مقدمتها: أن الصديق الجيد جيد سواء كان اسمه محمد أو حنا، وأن تنمية المجتمع المدني مسؤولية كل مواطن، وأن لكل شخص الحق في أن يعبر عن رأيه حتى لو كان لمعظم الناس رأي آخر، وأنهم يشاركون أبناء مجتمعهم مناسباتهم المختلفة بغض النظر عن ديانتهم، أو ثروتهم، أو وجهات نظرهم السياسية، وأن المشاركة المجتمعية هي السبيل الأفضل لتمكين أبناء الديانات المختلفة من تفهم بعضهم البعض، لأنهم يعطون فيها القضايا المجتمعية قدراً من الأهمية، وأنهم يحبون الاشتراك في الأعمال التطوعية التي تخدم أبناء الديانات المختلفة في محافظة بيت لحم، وأنهم يشعرون بارتياح عند مشاركة أبناء الديانات الأخرى في عمل مجتمعي، وأنهم ينسجمون مع أبناء الديانات المختلفة ويستمتعون بوجودهم معهم.

وأكد الشباب أنه من الواجب أن يتنازل الشخص عن بعض حقوقه في سبيل سعادة من يهمله أمرهم، بالذات وأن المشاركة المجتمعية تتجلى بوجود التعددية الدينية، حيث أن الأديان السماوية تؤمن بالله نفسه وتبشر بمبادئ أخلاقية

واجتماعية متشابهة، على الرغم من اقتناعهم بأن ديانتهم هي الديانة الصحيحة، ومع ذلك أكد الشباب من المسلمين والمسيحيين أنه يهتم حضور الندوات التي تعنى بأمور الديانات المختلفة في المحافظة، وأنهم يحبون القراءة عنها. وأكد المبحوثين أن هناك فروقات بين الجماعات الدينية في مجتمعهم لكن الفروقات الأخرى أهم بكثير، وأنهم يفكرون في مستقبل العلاقات بين أبناء الديانات المختلفة في محافظة بيت لحم بكل تفاؤل.

وأكد الشباب المسلمين والمسيحيين في محافظة بيت لحم أن مشاركتهم المجتمعية مع أبناء الديانات المختلفة غيرت من اتجاهاتهم نحو الحياة، مؤكدين أن تخوف البعض من التعرف إلى الديانات الأخرى أمر مبالغ فيه، وعارض المبحوثين الشباب وجود مسافة بين أبناء الديانات المختلفة في المحافظة أو صعوبة عضوية جماعة متعددة الديانات، وعارضوا أيضاً مقولة من ليس معي فهو ضدي.

وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق في دور الشباب الفلسطيني (مسلمين ومسيحيين) في تعزيز المشاركة المجتمعية بمحافظة بيت لحم وفقاً لمتغير الديانة، حيث أظهر الشباب وعلى اختلاف ديانتهم مشاركة مجتمعية عالية. وبينت النتائج وجود فروق في دور الشباب الفلسطيني (مسلمين ومسيحيين) في تعزيز المشاركة المجتمعية بمحافظة بيت لحم وفقاً لمتغيرات: الانتماء لمنظمات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي، بحيث كلما ازداد الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، وارتفع المؤهل العلمي، والسكن المختلط (مسيحيين ومسلمين) ازدادت درجة المشاركة المجتمعية والعكس صحيح.

وكان من أهم الاستنتاجات التي خلصت لها الدراسة أن المشاركة المجتمعية تشكل حجر الزاوية وخطوة رئيسية تجاه تفعيل دور الشباب في حوار الأديان وتنمية المجتمع الفلسطيني، بالإضافة إلى تعزيز الانتماء لمنظمات المجتمع المدني والمستوى التعليمي لمفهوم المشاركة المجتمعية لدى الشباب المسلمين والمسيحيين بمحافظة بيت لحم، تحقيقاً لمبادئ العدالة والمساواة ومشاركة الآخرين في صنع القرار.

وخرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات ومن أهمها: العمل على تعزيز مبادئ المشاركة المجتمعية لدى الشباب من مختلف الأديان من خلال عقد ندوات ومؤتمرات تعنى بالممارسات والمضامين ذات العلاقة بالمشاركة المجتمعية، بحيث تدعم قيم المشاركة المجتمعية لدى المواطنين الفلسطينيين بعامة ولدى الشباب من مسلمين ومسيحيين بمحافظة بيت لحم بخاصة، والعمل على إقامة مشاريع تشجع المشاركة المجتمعية من جميع فئات وشرائح المجتمع، هذا

بالإضافة إلى ضرورة ادخال قيم المشاركة المجتمعية في المناهج التعليمية الفلسطينية.

1.1 المقدمة

يتكون المجتمع من عدة جماعات يتفاعلون مع بعضهم البعض بطريقة منظمة، وتربطهم علاقات اجتماعية تتميز بالتنظيم والاستقرار، ولهم ما هو مشترك من مصالح وأهداف، تديرها مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والمعايير التي تنظم سلوكهم وعلاقاتهم لضمان بقاء المجتمع واستمراره وتطوره.

وتمتاز كل جماعة باهتمام أعضائها بمعايير سلوكية معينة نابعة من القيم التي يؤمنون بها، والتي تميزهم عن أعضاء الجماعات المجتمعية الأخرى، وتقوم كل جماعة بممارسة الضغط على أعضائها للتمسك بتلك المعايير حفاظاً على كيان الجماعة وبقائها واستمرارها (عثمان، 1999).

وتعتبر فلسطين مهد الديانات السماوية الثلاث: الاسلام والمسيحية، واليهودية، عاش فيها أبناء الديانتين الاسلامية والمسيحية جنباً إلى جنب وشكلوا نسيجاً اجتماعياً متماسكاً. فكلاهما يشترك بثقافة فلسطينية عامة، ويختلفون في بعض السمات الخاصة، التي يفرزها التباين الثقافي داخل المجتمع الواحد والذي يسمى بالثقافة الفرعية.

فقد أشارت النظريات والدراسات السوسولوجية أن الانسان اجتماعي بطبعه، يعيش ضمن جماعات. فمنذ أن وجد الانسان على هذه الأرض اندفع لعيش في جماعات حياة اجتماعية، فالفرد لا يستطيع أن يستمر وجوده وحياته اليومية دون المجتمع، فيكون على اتصال دائم بالآخرين، ويشاركهم حياتهم ونشاطاتهم اليومية، لأنه من خلال هذه المشاركة يستطيع اشباع حاجاته المختلفة ضمن القيم والعادات والتقاليد التي وضعتها الجماعة، وبذلك يكون مقبول اجتماعياً. فمن هنا نرى الدور الكبير للجماعة والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد في تشكيل شخصيته وسلوكه الاجتماعي (Banat, 2014).

ويعتبر الإنسان محور التنمية، فتلبية احتياجاته وحل مشكلاته، وتحسين نوعية حياته من أهداف التنمية. ولتحقيق ذلك لا بدّ من مشاركة أفراد المجتمع في وضع الأهداف وتحديد الأولويات من أجل توفير دعم جماهيري للمشروعات المحلية ومساندتها. فالمشاركة المجتمعية لها أهمية كبيرة في تحقيق التنمية، فهي توفر المعلومات اللازمة لإقامة أي مشروع مجتمعي، إلى جانب انها تعمل على تعليم المشاركين مواجهة المشكلات اليومية والتعاون في حلها.

فالمشاركة المجتمعية هي العملية التي تتيح لجميع أفراد المجتمع فرصة التعبير عن آرائهم، وتفهم بعضهم البعض، واحترام الخصوصيات، والعمل جنباً

إلى جنب في ترسيخ دعائم المجتمع المدني ومنظّماته المختلفة. ونظراً لأهمية المشاركة المجتمعية جاءت الدراسة الحالية بهدف التعرف إلى دور الشباب الفلسطيني بمسليمه ومسيحييه في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم.

2.1 الاطار النظري للدراسة

1.2.1 لمحة تاريخية عن المشاركة المجتمعية؛ ظهر مفهوم المشاركة المجتمعية في أواخر الاربعينات من القرن الحالي كخطوات أولية للمساعدة في التطوير والتدخلات المخطط لها من أجل الارتقاء والتغيير في المجتمعات بعامة. أما في الستينات فقد هدفت هذه الاولويات الى اشغال الناس المحليين في تطوير مجتمعاتهم عبر خطوات أعمال لتطوير المجتمع الذي بدوره بنى البنية التحتية للمجتمعات الريفية والمدنية، وهذا قام بتطوير مهارات وقدرات الناس وتشجيعهم أن يكون لهم بعض المسؤولية. إن تطوير المجتمع في هذا الوقت كان يهدف الى بناء منظمات معتمدة على المجتمع يستطيع من خلالها الناس المحليون العمل بها بشكل نشيط وفعال. فلقد شهدت الخمسينات والستينات حركة تطوير مزدهرة خاصة في افريقيا وآسيا (Abbott، 1996).

وفي أواخر الثمانينات لوحظ أن الشعب الفقير قد استثنى من جهتين أولهما: من مساهمة مجتمعية واسعة، وثانيهما: الاشتراك المباشر في عملية التطوير. وفي نفس الوقت بدأ صناع سياسة التطوير يبتكرون الاستراتيجيات التي من خلالها يستطيع الفقراء المشاركة في جهود التطوير. ومنذ بداية التسعينات عادت وكالات التمويل الاساسية للتطوير بنقلها الى الوراء وغيرت المصادر للارتقاء بتطوير تشاركي معترفة بالمشاكل الناجمة عن تطوير لا تشاركي (Abbott، 1996).

2.2.1 مفهوم المشاركة المجتمعية؛ تعرّف المشاركة المجتمعية في اللغة بأنها تلك العملية التي يقتسم فيها المرء مع غيره تأدية عمل ما (غنيم، 2001). وفي مفهومها الشامل تعني العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمجتمعه وتكون لديه الفرصة في المشاركة لوضع الأهداف العامة (سالم، 1999).

ويعرفها البعض بأنها تلك المشاركة القائمة على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، ومشاركة الأفراد والجماعات والقيادات في كل ما يتصل بالحياة في المجتمع المحلي بعامة، وفي كل ما يتعلق في تنمية موارد الناس الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بخاصة، يسهم فيها كل مواطن بما يستطيعه أو يملكه بدافع

من رغبة حقيقية نابغة من اتجاه اجتماعي، ومبادئ ثقافية أخلاقية. وتعرف المشاركة في التنمية على أنها مساهمة السكان والمجموعات المستهدفة في صنع القرارات وتنفيذ النشاطات التنموية في المجتمع (Lisk، 1985). فالمشاركة المجتمعية هي حجر الزاوية في ممارسة تنظيم المجتمع وبدونها لا تتحقق أهداف المجتمع (خاطر، 1984). ويشير مركز موارد التنمية (2010) أن للمشاركة المجتمعية أنواع عديدة ومن أهمها:

أولاً: المشاركة بتبادل المعلومات: وهي تزويد السكان بمعلومات فيما يخص المشاريع المراد اقامتها، ومنحهم الفرصة للمشاركة في اتخاذ القرارات.
ثانياً: المشاركة بالاستشارة: وهي الحالة التي يتيح فيها المسؤولون على أي مشروع تنموي ابداء رأيهم في الأمور المتعلقة بذلك المشروع.
ثالثاً: مرحلة التنفيذ: وهي تنظيم المواطنين أنفسهم وتكوين جماعات للعمل في المشاريع التي تعينهم بفعالية تامة لإنجاز المهام الملقاة على عاتقهم.

3.2.1 أهمية المشاركة المجتمعية؛ إن المشاركة المجتمعية هي لب العملية التنموية، لهذا تعد مشاركة المواطنين التطوعية سواء بالفكر أو المال أو الجهد من مبادئ تنمية المجتمع، كما تمثل قدرة العناصر النشطة في المجتمع المحلي على فهم طبيعة العمل الاجتماعي ومحاولة تغييره إلى الأفضل. وتعمل المشاركة المجتمعية على تحقيق العديد من الفوائد، إذ أنها تساعد الأفراد على عملية النمو الشخصي، وهذا بدوره يؤدي الى تحقيق اصلاحات اجتماعية مناسبة، كما أنها تعمل على زيادة علاقات التعاون والترابط بين جماعات المجتمع.

4.2.1 دور المشاركة المجتمعية في تنمية المجتمع المدني؛ تختلف المشاركة في مجال النشاطات التنموية من قطر الى آخر ومن مكان لآخر. والذي يقرر شكل المشاركة السائدة في المجتمع هو اختلاف البنى والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من مجتمع لآخر، فاختلاف أشكال المشاركة يرتبط بشكل أساسي بهذه العوامل. إن عملية المشاركة تقوم على مبدأ أساسي يتمثل في مدى قدرة المجموعات المستهدفة في التأثير على عملية صنع القرارات وتوجيهها بما يتناسب مع احتياجاتهم. وقد كان لهذا المبدأ دور كبير في مجال التنمية الوطنية لما تحققه من تنمية تنصف بالعدل والاتزان، فهي تنمية تهتم وتأخذ بعين الاعتبار حاجات السكان وتعكسها في عملية صنع القرار. ولا يمكن القول أنه يوجد مشاركة حقيقية فاعلة إلا إذا اشتمل نظام التخطيط للتنمية على مؤسسات وهيئات تعمل على

تسهيل المشاركة للسكان وخصوصاً في عملية صنع القرار التنموي وعلى كافة المستويات، فوجود تلك القيادات الواعية يسهل ويساعد في توعية السكان بالمشاكل التي تعترض طريقهم فتتكاثف الجهود للتغلب على هذه المشكلات مما يؤدي إلى تحسين مستوى حياتهم نحو الأفضل (عبد الجبار، 2008).

5.2.1 ايجابيات المشاركة المجتمعية؛ تمتاز المشاركة المجتمعية بعدد كبير من الايجابيات كما أشار غنيم (2001) نجملها فيما يلي:

1.5.2.1 تعطي المشاركة المجتمعية للمخططين مجالاً أوسع للتأثير في تحديد طبيعة خطط التنمية.

2.5.2.1 تساعد المشاركة المجتمعية على انتشار الديمقراطية كونها تتيح للأفراد المشاركة والتعبير عن آرائهم.

3.5.2.1 تعمل المشاركة المجتمعية على زيادة دور المشاركين في إدارة المشاريع فتحولهم من منفذين إلى مساهمين في اتخاذ القرارات.

4.5.2.1 تساعد المشاركة المجتمعية على التوافق بين الاهداف المرسومة والحاجات الفعلية للمجتمع.

5.5.2.1 تعزز الثقة بين المستويات العليا والدنيا والجمهور من خلال اقامة علاقات انسانية جيدة بين الطرفين.

6.5.2.1 تحسّن نوعية القرارات التي يتم اتخاذها، بحيث يمكن المسؤول من التعرف إلى آراء موظفيه وخلق سبل الاتصال والتواصل الجيدة بينهم.

7.5.2.1 تساعد في بناء وتطوير القدرات المحلية في الأنشطة التطويرية.

8.5.2.1 تعمل المشاركة المجتمعية على تطوير الشعور بالمسؤولية.

9.5.2.1 تعزز المشاركة المجتمعية الروابط بين أبناء المجتمع الواحد وتزيد من تفهمهم لبعضهم البعض.

6.2.1 مبررات المشاركة المجتمعية؛ للمشاركة مبررات ودوافع كثيرة يجملها الامام (2008) فيما يلي:

1.6.2.1 مبدأ المساواة؛ انطلاقاً من القيم الإسلامية، فإن مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق الأساسية والواجبات هي مرتكز أساسي تتم بموجبه المشاركة في التنمية المحلية.

2.6.2.1 استبعاد المجتمع المحلي؛ إن التنمية المستدامة في أي مجتمع لا يمكن أن تتم بغير مساهمة أفراد المجتمع، فالتنمية ليست مسؤولية الجهات الحكومية وحدها، بالذات وأن كثيراً من البرامج والمشاريع لم تنجح وفشلت في تحقيق أهدافها بسبب غياب المجتمع المحلي في إدارة المشاركة المجتمعية.

- 3.6.2.1 إدراك المواطنين لمشكلاتهم واحتياجاتهم وإمكاناتهم؛ إن المواطنين في أي منطقة هم أدرى بخصائص ومشاكل مجتمعاتهم، لذلك من المنطق أن يكون لهم دور يؤدونه بناء على معرفتهم بمجتمعهم، وهو دور تكاملي مع جهات أخرى.
- 4.6.2.1 البيروقراطية؛ إن النظم الإدارية في المجتمعات النامية تتسم بالبيروقراطية والتعقيد في الإجراءات، فمشاركة أفراد المجتمع ستكون دافعاً لتوفير حاجات المجتمع، وذلك لما لديهم من رغبة في تحقيق ما يتطلعون إليه.
- 5.6.2.1 غياب الشعور بالمسؤولية؛ يعتبر غياب الشعور بالمسؤولية من قبل المواطنين بمشاكل مجتمعهم عامل أساسي لعدم تكرار الفرد واهتمامه بما يدور في مجتمعه، تجاه هذا الموقف تصبح المشاركة المجتمعية أمر ضروري لتوعية المواطن وغرس الشعور بالمسؤولية ليصبح عضواً فاعلاً في مجتمعه.

3.1 مشكلة الدراسة

تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي: ما دور الشباب الفلسطيني بمسليمه ومسيحييه في تعزيز المشاركة المجتمعية بمحافظة بيت لحم؟

4.1 مبررات الدراسة

جاءت هذه الدراسة نظراً للدور الحيوي الذي يلعبه الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية وأثر هذه المشاركة في تنمية المجتمع المدني بمحافظة بيت لحم. وقد دفعت الباحثان عوامل أخرى إلى إعداد هذه الدراسة ومن أهمها:

1.4.1 قناعة الباحثان بأهمية دور الشباب في تعزيز المشاركة المجتمعية في المجتمع الفلسطيني بعامة وفي محافظة بيت لحم بخاصة.

2.4.1 حداثة الموضوع وقلة الدراسات فيه بالذات التي تناولت دور الشباب من المسلمين والمسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم.

3.4.1 السعي الى تعميق الوعي لدى كافة فئات المجتمع بأهمية المشاركة المجتمعية.

4.4.1 رغبة الباحثان في التعرف إلى الآثار التي تتركها المشاركة المجتمعية في تعزيز الروابط الدينية بين أبناء الديانتين من مسلمين ومسيحيين في محافظة بيت لحم.

5.4.1 التعرف الى الفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم وفقاً لمتغيرات الدراسة: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي.

5.1 أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة الحالية كونها تبحث موضوعاً مهماً في محافظة بيت لحم مهد المسيح عليه السلام، بالذات وأنها تحوي أكبر تجمع لأبناء الطائفة المسيحية في فلسطين الذي يعيشون جنباً إلى جنب مع إخوانهم المسلمين في الصراء والضراء، هذه المحافظة التي تمثل نموذجاً حياً من التعايش الاسلامي المسيحي بمظاهره المختلفة والتي جاء في مقدمتها المشاركة المجتمعية لأبناء الطائفتين من الشباب عماد المستقبل. فقد تعرض الشباب خلال عملية المشاركة المجتمعية هذه إلى تجارب وخبرات مشتركة أطلعتهم على خصوصية الديانات الأخرى، وزادت من تفهمهم لبعضهم البعض. ومساهمة من الباحثان في تشجيع الأبحاث التي تسلط الضوء على نماذج ناجحة لتعاون أبناء الديانات المختلفة وإيماناً منهم بهذه القضايا، أخذوا على عاتقهما إجراء هذه الدراسة، خصوصاً وأن المكتبة الفلسطينية تحتاج إلى أبحاث ميدانية عميقة تتناول هذه المواضيع وتتفاعل معها، وتضع الأسس العلمية للارتقاء بقضاياهم وبهم دينياً وثقافياً واجتماعياً. وستكون هذه الدراسة مرجعاً مهماً للمهتمين في مجال المشاركة المجتمعية لأبناء الديانات المختلفة، وذلك بما سنكتشفه من معلومات حول موضوعها. كما ستوفر هذه الدراسة قاعدة من المعلومات لصانعي القرار في المجتمع الفلسطيني بعامة وبمحافظة بيت لحم بخاصة، لاعطاء فرصة للشباب الفلسطيني من المسلمين والمسيحيين في أخذ أدوارهم القيادية في تعزيز المشاركة المجتمعية.

6.1 أهداف الدراسة

يتمثل الهدف الرئيس لهذه الدراسة في التعرف الى دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم. أما الأهداف الفرعية للدراسة فيمكن تلخيصها فيما يلي:

1.6.1 التعرف الى دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم.

2.6.1 التعرف الى مؤشرات دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم.

3.6.1 التعرف الى الفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم وفقاً لمتغيرات الدراسة: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي.

7.1 تساؤلات الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1.7.1 ما دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم؟

2.7.1 ما مؤشرات دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم؟

3.7.1 هل هناك فروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم وفقاً لمتغيرات الدراسة: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي؟

8.1 متغيرات الدراسة

تحتوي الدراسة الحالية متغيراً تابعاً هو المشاركة المجتمعية لدى الشباب الفلسطيني في محافظة بيت لحم بأبعاده المختلفة، كما ضمت الدراسة المتغيرات المستقلة الآتية: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي. وقد قيست متغيرات الدراسة إجرائياً كما هو واضح في أداة الدراسة (ملحق رقم 1.21.1).

9.1 فرضيات الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى التحقق من صحة الفرضيات الآتية:

1.9.1 لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الجنس.

2.9.1 لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الديانة.

3.9.1 لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني.

4.9.1 لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير مكان السكن.

5.9.1 لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

6.9.1 لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ بين متغير العمر ودور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم.

10.1 مصطلحات الدراسة

مصطلحات الدراسة تكون على النحو التالي:

1.10.1 المشاركة: مجموعة الأنشطة التي يسعى من خلالها المواطنون إلى التأثير في المجتمع، سواء بطريقة مباشرة من خلال صياغة السياسات العامة وتطبيقها، أو بطريقة غير مباشرة من خلال اختيار المسؤولين الرسميين في المجتمع (البنك الدولي، 2004).

2.10.1 المشاركة المجتمعية: العملية التي تتيح لجميع أفراد المجتمع المحلي وجماعته المؤهلة بموجب القوانين فرصا للتعبير عن آرائهم ودورا في اعداد الخطط والمشروعات المحلية وتنفيذها ومتابعتها والرقابة عليها، بشكل مباشر وغير مباشر بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتحسين نوعية حياة السكان وإشباع حاجاتهم بعدالة دون الاضرار بالمصالح القومية أو هي

تعبئة جهود أفراد المجتمع وجماعته وتنظيمها للعمل مع الاجهزة الرسمية وغير الرسمية لرفع المجتمع اقتصاديا واجتماعيا (سيكوناني، 1997).

3.10.1 محافظة بيت لحم: هي واحدة من المحافظات الستة عشر الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وتغطي مساحة من الضفة الغربية، وتقع على بعد 10 كم إلى الجنوب من مدينة القدس، وللمدينة أهمية عظيمة لدى المسيحيين كونها مسقط رأس المسيح عليه السلام. ويبلغ عدد سكان المحافظة (169402) نسمة منهم (147842) مسلمين مقابل (21560) مسيحيين (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2013).

11.1 حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة الحالية على عينة محدودة من الشباب الفلسطيني من المسلمين والمسيحيين في محافظة بيت لحم للعام 2014/2013، مع افتراض تمثيل العينة المختارة لمجتمع الدراسة.

12.1 منهج الدراسة

استناداً إلى طبيعة الدراسة وأهدافها استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي، وذلك لملائمته لأغراض الدراسة، من حيث رصد وتحليل واقع مشكلة الدراسة في الوقت الحاضر وكما هي في الواقع من خلال وصفها، وتفسيرها، والتنبؤ بها، وهو المنهج المناسب والأفضل-في رأي الباحثان- لمتل هذه الدراسات.

13.1 مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من جميع الشباب المسلمين والمسيحيين في الفئة العمرية 15-30 سنة في محافظة بيت لحم البالغ عددهم (46727) شاباً وشابة، منهم (41316) مسلمين مقابل (5411) مسيحيين للعام 2014/2013 (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2013).

14.1 عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة بحيث تكون ممثلة لمجتمعها بالاعتماد على الأسس الإحصائية لاختيار العينات بالطريقة العشوائية. وتكونت العينة من (380) شاباً وشابة، أي بنسبة (0.81%) من مجتمع الدراسة. وتم حساب حجم العينة بنسبة خطأ مقدارها 5% من مجتمعها، بالاستناد إلى موقع حساب العينات

www.surveysystem.com، كما هو واضح في ملحق رقم (2.21.1). وفيما يلي توضيح بخصائص العينة الديمغرافية:

1.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الجنس: أشارت النتائج أن 50% من أفراد العينة ذكور مقابل 50% إناث.

2.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الفئة العمرية: بينت النتائج الواردة أن 15.5% من المبحوثين في الفئة العمرية 15-19 سنة، 38.1% في الفئة العمرية 20-24 سنة، وكان 46.4% منهم في الفئة العمرية 25-30 سنة.

3.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الديانة: أشارت النتائج أن 50% من أفراد العينة مسلمين مقابل 50% مسيحيين.

4.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني: بينت النتائج أن 45.8% من المبحوثين ينتمون لمؤسسات المجتمع المدني العاملة في محافظة بيت لحم، وكان 54.2% لا ينتمون لمثل هذه المؤسسات.

5.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير مكان السكن: أشارت النتائج أن 61.6% من أفراد العينة يسكنون في مناطق مختلطة (مسلمين ومسيحيين)، وكان 38.4% منهم لا يسكنون في أماكن سكن مختلطة.

6.14.1 توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير المؤهل العلمي: بينت النتائج أن 18.4% ممن شملتهم العينة حاصلين على مؤهل علمي ثانوي فما دون، مقابل 26.3% دبلوم متوسط، وكان 55.3% منهم من حملة درجة البكالوريوس فأعلى.

15.1 أسلوب وأداة جمع البيانات

استخدمت الدراسة الحالية أسلوب المسح بالعينة، والاستبانة أداة لجمع البيانات. ولفحص دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم، طوّر الباحثان استبانة تكونت من قسمين رئيسيين: اشتمل القسم الأول معلومات عامة عن المبحوثين من حيث: الجنس، والعمر، والديانة، والانتماء لمؤسسات المجتمع المدني، ومكان السكن، والمؤهل العلمي، في حين ضم القسم الثاني مقياس المشاركة المجتمعية الذي تكوّن من 25 فقرة، علماً بأن طريقة

الاجابة عن أداة الدراسة تركزت في الاختيار من سلم خماسي، على نمط ليكرت (Likert Scale)، وذلك كما يأتي: أوافق بشدة، أوافق، بين، لا أوافق، ولا أوافق بشدة. وقام الباحثان بالتحقق من صدق أداة الدراسة وثباتها كما يلي:

1.15.1 صدق أداة الدراسة؛ تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكمين الذين أبدوا عدداً من الملاحظات حولها التي تم أخذها بعين الاعتبار عند إخراج الأداة بشكلها النهائي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تم التحقق من الصدق بحساب التحليل العاملي (Factor Analysis) لفقرات الأداة، وأشارت النتائج الواردة في ملحق رقم (9.21.1) أن التحليل العاملي لأغلبية فقرات أداة الدراسة دال إحصائياً، وتتمتع بدرجة مقبولة من التشعب، وأنها تشترك معاً في قياس دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم، في ضوء الإطار النظري الذي بني المقياس على أساسه.

2.15.1 ثبات أداة الدراسة؛ تم حساب الثبات لأداة الدراسة بأبعادها المختلفة بطريقة الاتساق الداخلي بحساب معادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha)، وأشارت النتائج الواردة في ملحق رقم (10.21.1) أن أداة الدراسة بأبعادها المختلفة تتمتع بدرجة عالية من الثبات، حيث بلغت قيمة الثبات (0.85).

16.1 المعالجة الإحصائية للبيانات

بعد جمع بيانات الدراسة قام الباحثان بمراجعتها تمهيداً لإدخالها للحاسوب، وأدخلت إلى الحاسوب بإعطائها أرقاماً معينة، أي بتحويل الإجابات اللفظية إلى رقمية، حيث أعطيت الإجابة أوافق بشدة 5 درجات، أوافق 4 درجات، بين 3 درجات، لا أوافق درجتين، ولا أوافق بشدة درجة واحدة، وذلك في الفقرات الموجبة وعكست في الفقرات السالبة، بحيث كلما ازدادت الدرجة ازداد مستوى المشاركة المجتمعية لدى الشباب الفلسطيني في محافظة بيت لحم والعكس صحيح. وتمت المعالجة الإحصائية اللازمة للبيانات باستخراج الأعداد، والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية. وقد فحصت فرضيات الدراسة عند المستوى $\alpha \geq 0.05$ ، عن طريق الاختبارات الإحصائية الآتية: اختبار t.test، واختبار تحليل التباين الأحادي one way analysis of variance، واختبار توكي tukey test، والتحليل العاملي Factor Analysis، ومعامل الثبات كرونباخ ألفا Cronbach Alpha، وذلك باستخدام الحاسوب باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS. ولفهم نتائج الدراسة يمكن

الاستعانة بمفتاح المتوسطات الحسابية وذلك كما هو واضح في ملحق رقم (11.21.1).

17.1 نتائج الدراسة

1.17.1 مقدمة؛ فيما يلي عرضاً كاملاً ومفصلاً لنتائج الدراسة للإجابة عن أسئلة الدراسة وأهدافها والتحقق من صحة فرضياتها باستخدام التقنيات الإحصائية المناسبة.

2.17.1 نتائج أسئلة الدراسة:

1.2.17.1 دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم؛ أشارت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (12.21.1) أن للشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين دور كبير في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذا الدور (3.91) من (5) درجات، مع انحراف معياري (0.48).

2.2.17.1 مؤشرات دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم؛ بينت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (13.21.1) تشديد المبحوثين على دور المشاركة المجتمعية في تعزيز الروابط الدينية بين أبناء الديانتين في محافظة بيت لحم، وذلك من خلال عدة مؤشرات جاء في مقدمتها: أن الصديق الجيد جيد سواء كان اسمه محمد أو حنا بمتوسط حسابي (4.33)، وأن تنمية المجتمع المدني مسؤولية كل مواطن (4.32)، وأن لكل شخص الحق في أن يعبر عن رأيه حتى لو كان لمعظم الناس رأي آخر (4.31)، وأنهم يشاركون أبناء مجتمعهم مناسباتهم المختلفة بغض النظر عن ديانتهم، أو ثروتهم، أو وجهات نظرهم السياسية (4.26)، وأظهر الشباب حُبهم للنشاط في أي حركة اجتماعية من أجل حقوق كافة المواطنين في مجتمعهم (4.22)، بالذات وأن عليهم الاهتمام بما يجري حولهم من أمور (4.21)، وحرصهم على الاهتمام بالآخرين في مجتمعهم (4.20)، وأن المشاركة المجتمعية هي السبيل الأفضل لتمكين أبناء الديانات المختلفة من تفهم بعضهم البعض (4.19)، لأنهم يعطون فيها القضايا المجتمعية قدراً من الأهمية (4.14)، وأنهم يحبون الاشتراك في الأعمال التطوعية التي تخدم أبناء الديانات المختلفة في محافظة بيت لحم (4.13)، وأنهم يشعرون بارتياح عند مشاركة أبناء الديانات

الأخرى في عمل مجتمعي (4.12)، وأنهم ينسجمون مع أبناء الديانات المختلفة ويستمتعون بوجودهم معهم (4.11).

وأكد الشباب أنه من الواجب أن يتنازل الشخص عن بعض حقوقه في سبيل سعادة من يهمله أمرهم (4.10)، بالذات وأن المشاركة المجتمعية تتجلى بوجود التعددية الدينية (4.10)، حيث أن الأديان السماوية تؤمن بالله نفسه وتبشر بمبادئ أخلاقية واجتماعية متشابهة (4.09)، على الرغم من اقتناعهم بأن ديانتهم هي الديانة الصحيحة (4.05)، ومع ذلك أكد الشباب من المسلمين والمسيحيين أنه يهتم حضور الندوات التي تعنى بأمور الديانات المختلفة في المحافظة (4.05)، وأنهم يحبون القراءة عنها (3.95). وأكد المبحوثين أن هناك فروقات بين الجماعات الدينية في مجتمعهم لكن الفروقات الأخرى أهم بكثير (3.94)، وأنهم يفكرون في مستقبل العلاقات بين أبناء الديانات المختلفة في محافظة بيت لحم بكل تفاؤل (3.89).

وأكد الشباب المسلمون والمسيحيون في محافظة بيت لحم أن مشاركتهم المجتمعية مع أبناء الديانات المختلفة غيرت من اتجاهاتهم نحو الحياة (3.88)، مؤكدين أن تخوف البعض من التعرف إلى الديانات الأخرى أمر مبالغ فيه (3.26)، وعارض المبحوثين الشباب وجود مسافة بين أبناء الديانات المختلفة في المحافظة (2.83) أو صعوبة عضوية جماعة متعددة الديانات (2.58)، وعارضوا أيضاً مقولة من ليس معي فهو ضدي بمتوسط حسابي (2.25).

3.17.1 نتائج فرضيات الدراسة

1.3.17.1 الفروق في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الجنس؛ بينت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (14.21.1) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الجنس، حيث كان للشباب وعلى اختلاف جنسهم دور كبير في تعزيز المشاركة المجتمعية في المحافظة، وبذلك تكون الفرضية الأولى قد قبلت.

2.3.17.1 الفروق في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الديانة؛ أشارت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (15.21.1) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين

ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الديانة، حيث كان للشباب بمسلميه ومسيحييه دور كبير في تعزيز المشاركة المجتمعية في المحافظة، وبذلك تكون الفرضية الثانية قد قبلت.

3.3.17.1 الفروق في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني؛ بينت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (16.21.1) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني. وكانت الفروق لصالح الشباب الذين ينتمون لمؤسسات المجتمع المدني في المحافظة، الذين كان دورهم أكبر في تعزيز المشاركة المجتمعية بمتوسط حسابي (4.02) مقابل (3.82) لغير المنتمين، وبذلك تكون الفرضية الثالثة قد رفضت.

4.3.17.1 الفروق في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير مكان السكن؛ أشارت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (17.21.1) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير مكان السكن. وكانت الفروق لصالح الشباب الذين يسكنون في مناطق مختلطة (مسلمين ومسيحيين) في المحافظة، الذين كان دورهم أكبر في تعزيز المشاركة المجتمعية بمتوسط حسابي (4.01) مقابل (3.76) لغير الساكنين في مناطق مختلطة، وبذلك تكون الفرضية الرابعة قد رفضت.

5.3.17.1 الفروق في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير المؤهل العلمي؛ بينت نتائج الدراسة الواردة في ملحق رقم (18.21.1-19.21.1) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ في دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم حسب متغير المؤهل العلمي. وكانت الفروق لصالح الشباب ذوي المؤهل العلمي بكالوريوس فأعلى الذين كان دورهم أكبر في تعزيز المشاركة المجتمعية بمتوسط حسابي (4.00) مقابل (3.57) لذوي المؤهل العلمي ثانوي فما دون. ونستطيع القول أن

دور الشباب في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم يزداد بازدياد المؤهل العلمي والعكس صحيح، وبذلك تكون الفرضية الخامسة قد رفضت.

6.3.17.1 العلاقة بين متغير العمر ودور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم؛ أشارت النتائج الواردة في ملحق رقم (20.21.1) إلى عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند المستوى $0.05 \geq \alpha$ بين متغير العمر ودور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم، وبذلك تكون الفرضية السادسة قد قبلت.

18.1 استنتاجات الدراسة

بالاستناد إلى نتائج الدراسة خلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات نجملها فيما يلي:

1.18.1 المشاركة المجتمعية تشكل حجر الزاوية وخطوة رئيسية تجاه تفعيل دور الشباب في حوار الأديان في المجتمع الفلسطيني.

2.18.1 تعزيز الانتماء لمنظمات المجتمع المدني لمفهوم المشاركة المجتمعية لدى الشباب المسلمين والمسيحيين في محافظة بيت لحم، تحقيقاً لمبادئ العدالة والمساواة ومشاركة الآخرين في صنع القرار.

3.18.1 تعزيز المستوى التعليمي لمستوى المشاركة الشباب لدى الشباب المسلمين والمسيحيين في محافظة بيت لحم، بالذات وأن التعليم يعني المزيد من المهارات والخبرات وتفهم الآخر.

4.18.1 إن تخوف البعض من التعرف إلى الديانات الأخرى كتقافات فرعية أمر مبالغ فيه.

19.1 توصيات الدراسة

استناداً إلى نتائج الدراسة واستنتاجاتها يوصي الباحثان بما يأتي:

1.19.1 العمل على تعزيز مبادئ المشاركة المجتمعية لدى الشباب من مختلف الأديان من خلال عقد ندوات ومؤتمرات تعنى بالممارسات والمضامين ذات

العلاقة بالمشاركة المجتمعية، بحيث تدعم قيم المشاركة المجتمعية لدى المواطنين الفلسطينيين بعامة ولدى الشباب من مسلمين ومسيحيين بمحافظة بيت لحم بخاصة.

2.19.1 العمل على إقامة مشاريع مجتمعية تشجع الشباب على المشاركة المجتمعية من جميع فئات وشرائح المجتمع.

3.19.1 ضرورة ادخال قيم المشاركة المجتمعية في المناهج التعليمية الفلسطينية.

4.19.1 إجراء دراسات تطبيقية تتناول قضايا تهم الشباب الفلسطيني بمسلميه ومسيحييه.

20.1 المراجع

- 1.20.1 المراجع العربية
1. الإمام، عبد العظيم (2008). دور المشاركة الشعبية في التنمية المستدامة في المجتمعات المحلية الريفية في افريقيا. الخرطوم: جامعة الخرطوم.
2. البنك الدولي (2004). إدارة حكم أفضل لأجل التنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. البنك الدولي للإنشاء والتعمير، بيروت: دار الساقي.
3. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2013). الاسقاطات السكانية. رام الله، فلسطين.
4. خاطر، أحمد (1984). طريقة تنظيم المجتمع. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
5. سالم، وليد (1999). دليل تدريب مدربين حول قضايا الديمقراطية. القدس: مركز بانوراما.
6. سيكوناني، الفيرا (2007). المشاركة المجتمعية والشعور بالمسؤولية اتجاه المجتمع والرفاه الاجتماعي.
7. عبد الجبار، عبد الحكيم (2008). دور المشاركة الشعبية في تنمية المجتمع المحلي: دراسة اجتماعية ميدانية. رسالة ماجستير غير منشورة، صنعاء: جامعة صنعاء.
8. عثمان، إبراهيم (1999). مقدمة في علم الاجتماع. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

9. غنيم، عثمان (2001). *التخطيط أسس ومبادئ*. عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
10. مركز موارد التنمية (2010). *التنمية بالمشاركة: الدليل التدريبي*. القاهرة.

2.20.1 المراجع الأجنبية

- Abbott, J. (1996). *Sharing the city: Community participation in urban management*. London: Earthscan.
- Banat, B. (2014). Samaritans caste: a history of thousands of years. *International Journal of Humanities and Social Science*, 4, 6(1): 175-180.
- Lisk, F. (1985). *Popular participation in planning for Basic Needs*. England: Gower Publishing Company.

21.1 ملاحق الدراسة

ملحق رقم (1.21.1). أداة الدراسة
بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القدس
Al-Quds University



كلية الآداب – دائرة علم الاجتماع التطبيقي

أخي الشاب / أختي الشابة

تحية وبعد،،،

يقوم الباحثان بإجراء دراسة حول "دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية بمحافظة بيت لحم"، وقد وقع عليك الاختيار عشوائياً لتكون ضمن عينة الدراسة، لذا نرجو منك التعاون معنا بتعبئة هذه الاستبانة بما يتوافق مع وجهة نظرك، علماً بأن بيانات الدراسة هي لأغراض البحث العلمي فقط، وسيتم الحفاظ على سريتها، ولا يطلب منك كتابة اسمك أو ما يشير اليك، شاكرين لك حسن تعاونك.

إعداد: د. بسام بنات، أ. مجد حنا

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

القسم الأول: معلومات عامة

الرجاء وضع دائرة حول رمز الإجابة التي تنطبق عليك

- (1) الجنس: ذكر/أنثى
- (2) العمر/سنة
- (3) الديانة: مسلمة/مسيحية/
- (4) الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني: منتمي/غير منتمي
- (5) مكان السكن: مختلط (مسلمين ومسيحيين)/غير مختلط
- (6) المؤهل العلمي: ثانوي فما دون/دبلوم/بكالوريوس فأعلى

القسم الثاني: المشاركة المجتمعية

أرجو منك قراءة الفقرات الآتية بعناية، والإجابة عنها بوضع دائرة حول رمز الإجابة التي تراها / ترينها مناسبة.

الرقم	الفقرات	أوافق بشدة	أوافق	بين بين	لا أوافق	لا بشدة
1.	أحب أن أكون ناشطاً في حركة اجتماعية من أجل حقوق كافة المواطنين في مجتمعي	1	2	3	4	5
2.	أشارك أبناء مجتمعي مناسباتهم المختلفة بغض النظر عن ديانتهم، أو ثروتهم، أو وجهات نظرهم السياسية	1	2	3	4	5
3.	أحب أن أشارك في الأعمال التطوعية التي تخدم أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي	1	2	3	4	5
4.	أعطي القضايا المجتمعية قدراً من الأهمية	1	2	3	4	5
5.	أهتم بالآخرين في مجتمعي	1	2	3	4	5
6.	أشعر بالارتياح عندما أشارك أبناء الديانات الأخرى في عمل	1	2	3	4	5

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

					مجتمعي	
5	4	3	2	1	7. يهمني حضور الندوات التي تعنى بأمور الديانات المختلفة في مجتمعي	
5	4	3	2	1	8. إن تخوف البعض من التعرف على الديانات الأخرى في مجتمعي أمر مبالغ فيه	
5	4	3	2	1	9. من الواضح أن هناك فروقات بين الجماعات الدينية في مجتمعي لكن الفروقات الأخرى أهم بكثير	
5	4	3	2	1	10. أنسجم مع أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي وأستمتع بوجودي معهم	
5	4	3	2	1	11. أفكر في مستقبل العلاقات بين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي بكل تفاؤل	
5	4	3	2	1	12. أحب أن أقرأ عن الديانات الأخرى في مجتمعي	
5	4	3	2	1	13. عليّ أن أكون إنسانا مهتما بما يجري حولي	
5	4	3	2	1	14. من الواجب أن يتنازل الشخص عن بعض حقوقه في سبيل سعادة من يهمله أمرهم	
5	4	3	2	1	15. تنمية المجتمع المدني مسؤولية كل مواطن	
5	4	3	2	1	16. لكل شخص الحق في أن يعبر عن رأيه حتى لو كان لمعظم الناس رأي آخر	
5	4	3	2	1	17. من ليس معي فهو ضدي	
5	4	3	2	1	18. تتجلى المشاركة المجتمعية بوجود التعددية الدينية في مجتمعي	
5	4	3	2	1	19. إنني على اقتناع بأن ديانتني هي الديانة الصحيحة	

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

5	4	3	2	1	20. إن الأديان السماوية تؤمن بالله نفسه وتبشر بمبادئ أخلاقية واجتماعية متشابهة
5	4	3	2	1	21. الصديق الجيد، جيد سواء كان اسمه محمد أو حنا
5	4	3	2	1	22. من الأمور الصعبة أن تكون عضواً في جماعة متعددة الديانات
5	4	3	2	1	23. إن المشاركة المجتمعية هي السبيل الأفضل لتمكين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي من تفهم بعضهم البعض
5	4	3	2	1	24. مشاركتي المجتمعية مع أبناء الديانات المختلفة غيرت من اتجاهاتي نحو الحياة
5	4	3	2	1	25. أشعر ببعد المسافة بيني وبين أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي

شاكرين لكم حسن تعاونكم معنا

Research Aids

- Sample Size Calculator
- Sample Size Formula
- Significance
- Survey Design
- Correlation

"Best Survey Software"



TopTenReviews selected The Survey System as the Best Survey Software of 2013.

"The Survey System gains our highest marks for survey creation, analysis and administration methods, making it the best survey software in our ranking... This is the only product in our lineup that offers all features and tools we considered. For these reasons, The Survey System earns our TopTenREVIEWS Gold

Sample Size Calculator

This Sample Size Calculator is presented as a public service of Creative Research Systems [survey software](#). You can use it to determine how many people you need to interview in order to get results that reflect the target population as precisely as needed. You can also find the level of precision you have in an existing sample.

Before using the sample size calculator, there are two terms that you need to know. These are: **confidence interval** and **confidence level**. If you are not familiar with these terms, [click here](#). To learn more about the factors that affect the size of confidence intervals, [click here](#).

Enter your choices in a calculator below to find the sample size you need or the confidence interval you have. Leave the Population box blank, if the population is very large or unknown.

Determine Sample Size

Confidence Level: 95% 99%

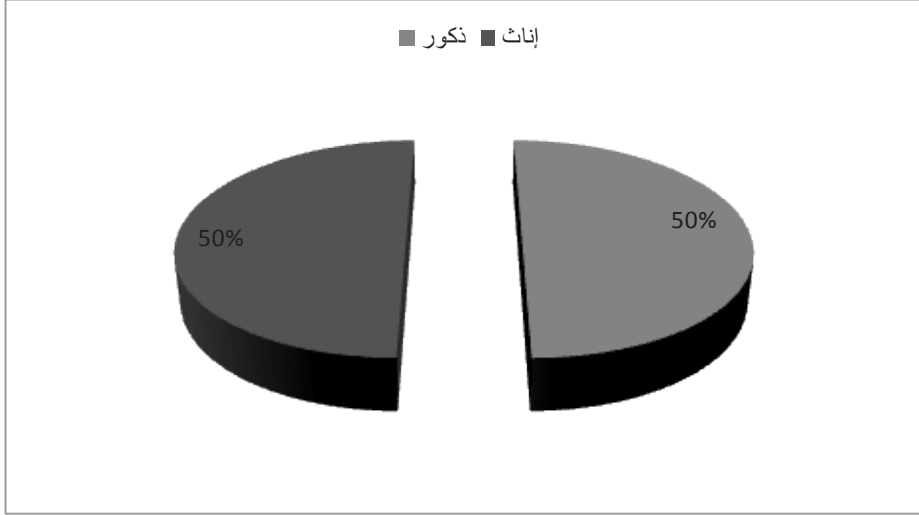
Confidence Interval:

Population:

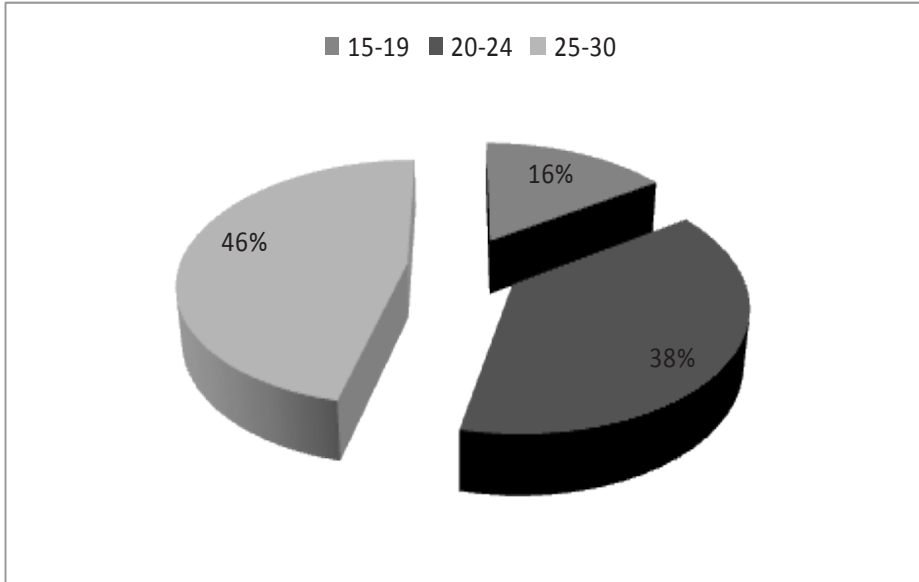
Sample size needed:

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (3.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس

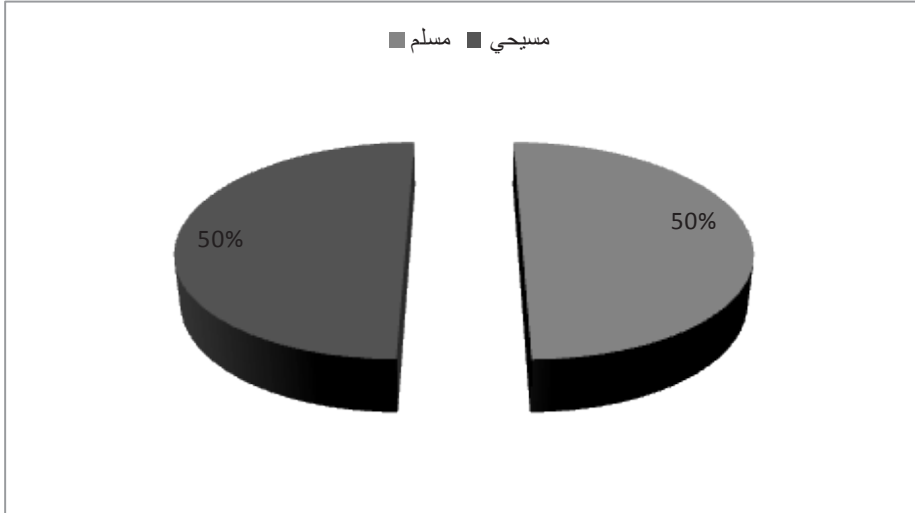


ملحق رقم (4.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير الفئة العمرية

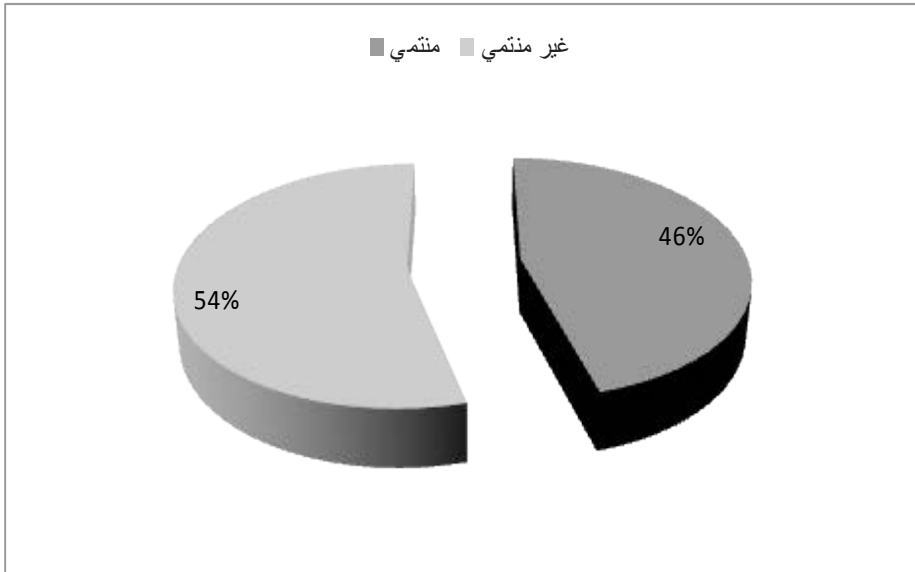


أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (5.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير الديانة

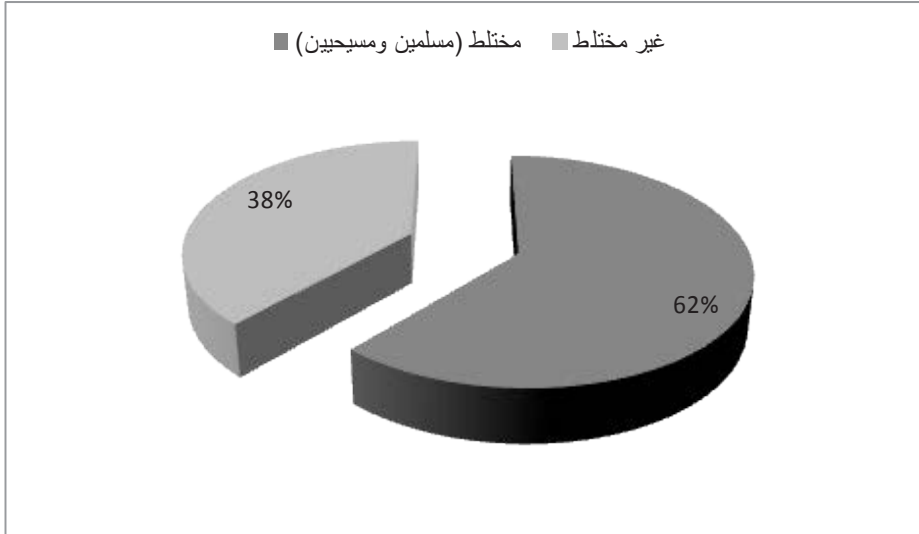


ملحق رقم (6.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني

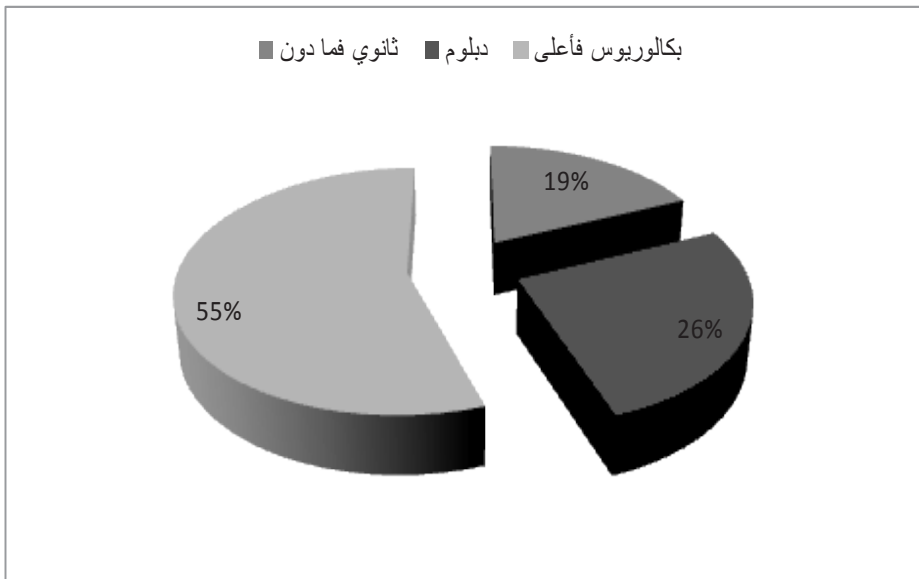


أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (7.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير مكان السكن



ملحق رقم (8.21.1). توزيع أفراد العينة حسب متغير المؤهل العلمي



أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (9.21.1). نتائج التحليل العاملي (Factor Analysis) لصدق فقرات أداة الدراسة

الرقم	الفقرات	درجة التشبع
1.	أحب أن أكون ناشطاً في حركة اجتماعية من أجل حقوق كافة المواطنين في مجتمعي	0.78
2.	أشارك أبناء مجتمعي مناسباتهم المختلفة بغض النظر عن ديانتهم، أو ثروتهم، أو وجهات نظرهم السياسية	0.66
3.	أحب أن اشتراك في الأعمال التطوعية التي تخدم أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي	0.68
4.	أعطي القضايا المجتمعية قدراً من الأهمية	0.71
5.	أهتم بالآخرين في مجتمعي	0.69
6.	أشعر بالارتياح عندما أشارك أبناء الديانات الأخرى في عمل مجتمعي	0.82
7.	يهمني حضور الندوات التي تعنى بأمور الديانات المختلفة في مجتمعي	0.85
8.	إن تخوف البعض من التعرف إلى الديانات الأخرى في مجتمعي أمر مبالغ فيه	0.75
9.	من الواضح أن هناك فروقات بين الجماعات الدينية في مجتمعي لكن الفروقات الأخرى أهم بكثير	0.65
10.	أنسجم مع أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي وأستمتع بوجودي معهم	0.68
11.	أفكر في مستقبل العلاقات بين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي بكل تفاؤل	0.65
12.	أحب أن أقرأ عن الديانات الأخرى في مجتمعي	0.74
13.	عليّ أن أكون انساناً مهتماً بما يجري حولي	0.88
14.	من الواجب أن يتنازل الشخص عن بعض حقوقه في سبيل سعادة من يهمله أمرهم	0.78
15.	تنمية المجتمع المدني مسؤولية كل مواطن	0.66

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

0.68	لكل شخص الحق في أن يعبر عن رأيه حتى لو كان لمعظم الناس رأي آخر	16.
0.77	من ليس معي فهو ضدي	17.
0.72	تتجلى المشاركة المجتمعية بوجود التعددية الدينية في مجتمعي	18.
0.88	إنني على اقتناع بأن ديانتني هي الديانة الصحيحة	19.
0.82	إن الأديان السماوية تؤمن بالله نفسه وتبشر بمبادئ أخلاقية واجتماعية متشابهة	20.
0.72	الصديق الجيد، جيد سواء كان اسمه محمد أو حنا	21.
0.80	من الأمور الصعبة أن تكون عضواً في جماعة متعددة الديانات	22.
0.67	إن المشاركة المجتمعية هي السبيل الأفضل لتمكين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي من تفهم بعضهم البعض	23.
0.88	مشاركتي المجتمعية مع أبناء الديانات المختلفة غيرت من اتجاهاتي نحو الحياة	24.
0.77	أشعر ببعد المسافة بيني وبين أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي	25.

ملحق رقم (10.21.1). نتائج معامل كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) لثبات فقرات أداة الدراسة

بيان	عدد الفقرات	قيمة ALPHA
ثبات أداة الدراسة	25	0.85

ملحق رقم (11.21.1). مفتاح المتوسطات الحسابية

المتوسط الحسابي	دور الشباب في تعزيز المشاركة المجتمعية
2.33-1	منخفض
3.67-2.34	متوسط
5-3.68	عالي

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (12.21.1). الأعداد، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية لدور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم

المتغير	العدد	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	النسبة المئوية %
دور الشباب في تعزيز المشاركة المجتمعية	380	3.91	0.48	78.2

*المتوسط الحسابي من 5 درجات.

ملحق رقم (13.21.1). الأعداد، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية لمؤشرات دور الشباب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم

مؤشرات دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	النسبة المئوية %
الصديق الجيد، جيد سواء كان اسمه محمد أو حنا	4.33	0.97	86.6
تنمية المجتمع المدني مسؤولية كل مواطن	4.32	0.94	86.4
لكل شخص الحق في أن يعبر عن رأيه حتى لو كان لمعظم الناس رأي آخر	4.31	0.94	86.2
أشارك أبناء مجتمعي مناسباتهم المختلفة بغض النظر عن ديانتهم، أو ثروتهم، أو وجهات نظرهم السياسية	4.26	0.97	85.2
أحب أن أكون ناشطاً في حركة اجتماعية من أجل حقوق كافة المواطنين في مجتمعي	4.22	0.88	84.4
عليّ أن أكون انساناً مهتماً بما يجري حولي	4.21	1.03	84.2
أهتم بالآخرين في مجتمعي	4.20	0.89	84.0
إن المشاركة المجتمعية هي السبيل الأفضل لتمكين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي من تفهم بعضهم البعض	4.19	0.91	83.8
أعطي القضايا المجتمعية قدراً من الأهمية	4.14	0.88	82.8
أحب أن اشترك في الأعمال التطوعية التي تخدم أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي	4.13	0.87	82.6

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

82.4	1.00	4.12	أشعر بالارتياح عندما أشارك أبناء الديانات الأخرى في عمل مجتمعي
82.2	0.81	4.11	أنسجم مع أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي وأستمتع بوجودي معهم
82.0	1.00	4.10	من الواجب أن يتنازل الشخص عن بعض حقوقه في سبيل سعادة من يهيمه أمرهم
النسبة النوعية %	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي *	مؤشرات دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية
82.0	0.96	4.10	تتجلى المشاركة المجتمعية بوجود التعددية الدينية في مجتمعي
81.8	1.17	4.09	إن الأديان السماوية تؤمن بالله نفسه وتبشر بمبادئ أخلاقية واجتماعية متشابهة
81.0	0.92	4.05	إنني على اقتناع بأن ديانتني هي الديانة الصحيحة
81.0	0.97	4.05	يهمني حضور الندوات التي تعنى بأمور الديانات المختلفة في مجتمعي
79.0	0.94	3.95	أحب أن أقرأ عن الديانات الأخرى في مجتمعي
78.8	1.06	3.94	من الواضح أن هناك فروقات بين الجماعات الدينية في مجتمعي لكن الفروقات الأخرى أهم بكثير
77.8	0.99	3.89	أفكر في مستقبل العلاقات بين أبناء الديانات المختلفة في مجتمعي بكل تفاؤل
77.6	1.02	3.88	مشاركتي المجتمعية مع أبناء الديانات المختلفة غيرت من اتجاهاتي نحو الحياة
65.2	1.35	3.26	إن تخوف البعض من التعرف إلى الديانات الأخرى في مجتمعي أمر مبالغ فيه
56.6	1.35	2.83	أشعر ببعد المسافة بيني وبين أبناء الديانات الأخرى في مجتمعي
51.6	1.44	2.58	من الأمور الصعبة أن تكون عضواً في جماعة متعددة الديانات
45.0	1.11	2.25	من ليس معي فهو ضدي

*المتوسط الحسابي من 5 درجات.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (14.21.1). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدالة الإحصائية
ذكر	190	3.92	0.47	378	0.426	0.671
أنثى	190	3.90	0.49			

ملحق رقم (15.21.1). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الديانة

الديانة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدالة الإحصائية
مسلم	190	3.88	0.52	378	-1.373	0.170
مسيحي	190	3.95	0.43			

ملحق رقم (16.21.1). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني

الانتماء لمؤسسات المجتمع المدني	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدالة الإحصائية
منتمي	174	4.02	0.40	378	4.033	0.000
غير منتمي	206	3.82	0.52			

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (17.21.1). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير مكان السكن

مكان السكن	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدلالة الإحصائية
مختلط (مسلمين ومسيحيين)	234	4.01	0.37	378	4.634	0.000
غير مختلط	146	3.76	0.58			

ملحق رقم (18.21.1). نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (one way analysis of variance) للفروق في دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير المؤهل العلمي

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	2	9.876	4.938	23.848	0.000
داخل المجموعات	377	78.059	0.207		
المجموع	379	87.935	-----		

ملحق رقم (19.21.1). الأعداد، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم تعزى لمتغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ثانوي فما دون	70	3.57	0.69
دبلوم	100	3.96	0.30
بكالوريوس فأعلى	210	4.00	0.41
المجموع	380	3.91	0.48

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ملحق رقم (20.21.1). نتائج معامل الارتباط بيرسون (person correlation) للعلاقة بين متغير الفئة العمرية ودور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية في محافظة بيت لحم

المتغيرات	العدد	قيمة (ر)	الدلالة الإحصائية
الفئة العمرية*دور الشباب الفلسطيني في تعزيز المشاركة المجتمعية	380	0.030	0.574

ساجدة سالم محمد أبو سيف¹

مبادرات شبابية لنبذ التعصب الديني: نماذج من مواقع التواصل الاجتماعي²

الملخص

باتت مواقع التواصل الاجتماعي ملاذاً للشباب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم وميولهم، بل ومن خلالها انطلقت الكثير من المجموعات الحوارية والصفحات والمبادرات والرؤى الاجتماعية القابلة للترجمة على أرض الواقع إلى مشروعات حقيقية، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك برأي المحللين والمختصين وذلك لأنه من الممكن التنبؤ بما يُخطّط له في المستقبل بتحليل محتوياتها إذ تشير المحلّة الاقتصادية "نورينا هيرتز": "إنه يمكن لتحليل المحادثات في موقع 'فيس بوك' أو تغريدات المستخدمين على 'تويتر'، أن تساعد في تقوية التوقعات المستقبلية للأحداث" فهي ليست مواقع للتسلية فقط، بل أخذت ترسم السياسات وتفقد المظاهرات وليس أدلّ على هذا من أنّ صنّاع القرار أصبحوا يترقّبونها، ويراقبونها في الوقت نفسه.

المقدمة

التعصب من الظواهر الاجتماعية شديدة الخطورة، لا سيما عندما يتخذ شكلاً عداًئياً عنيفاً، وهو ليس قصراً على دين واحد أو عرق واحد أو حتى منطقة جغرافية واحدة بل هو ممتد ومنتشر ويزداد تبعاً للأحداث السياسية الاجتماعية التي تجري، ويمكن القول بأنّ مفاهيم "التعصب والتطرف والتشدد.." أصبحت شائعة وتدلّ على أنّ الانشداد لجانب واحد من جوانب الهوية الفردية وإغفال الجوانب الأخرى ولا سيما تلك التي تعمل على تشارك الفرد مع الجماعة الإنسانية الكبرى هو أحد أهمّ عوامل انتشار التعصب في العالم اليوم.

¹ الدكتورة ساجدة سالم [sageda_salem82@yahoo.com] محاضر في الدراسات الإسلامية لغير الناطقين باللغة العربية في عمان - الأردن.

² لقد استخدمت المؤلفة في هذا البحث كثيراً من المراجع والملاحظات من مواقع الكترونية مثل فيسبوك وتويتر. وبسبب التغيير الدائم في هذه المواقع حيث يتم الغاء بعض المعلومات منها مع مرور الوقت من ناحية، وبسبب الصعوبة في تحويل كتابة تلك العناوين الألكترونية من Word إلى PDF لأجل طباعة الكتاب هذا من ناحية أخرى، قرر المحرر الغاء معظم الهوامش التي تتضمن الملاحظات المذكورة أعلاه.

وبالحديث عن المنطقة العربية فإنّ تداعيات الحروب في الفترة الأخيرة أسفرت عن تقاوم ظاهرة التّعصّب الديني والمذهبي والطائفي، لا سيما بين الشباب الذين يسهل قيادتهم وتوجيههم والإملاء عليهم، فلم يغدو التّعصّب عند الكثير من الشباب تعبيراً عن رأي ما أو تسجيل موقف ضد جماعة أو أخرى بل تقاوم ليتخذ أشكالاً عنيفة.

ولكن ويمكن القول بأنّ مثل هذه المواقف من الشباب لا يمكن تعميمها، بل هناك نماذج مشرقة لشباب يعملون وعملوا على إشاعة قيم الحوار والتسامح الديني والانفتاح والتّقدّم، وباستقراء سريع لمواقع التّواصل الاجتماعيّ يمكن رصد العديد من الحوارات والنقاشات وتبادل الآراء حول هذه المسألة وهذا يشير فيما يشير إليه بأنّ مثل هذه الظاهرة أخذت تسترعي انتباه الشباب وتدفعهم إلى التّساؤل حولها ومحاولة تحديد مواقف واتجاهات بخصوصها. ومن الملاحظ وجود بوادر شبابية تنبذ مثل هذه الظاهرة وتحاربها سواء من خلال مناقشات أو مجموعات شبابية اتّحدت على محاربة التّعصب، ومن هنا فإنّ هذه الورقة ستحاول عقد استقراء سريع لأهمّ الصّفحات التي أنشأت وفقاً لدوافع تنبذ التّعصّب وتتخذ موقفاً محرضاً ضده، وستحاول أن تجيب عن أسئلة من مثل: ما هي الدوافع الكامنة وراء إنشاء هذه الصّفحات؟ ما مدى تفاعل الجمهور معها؟ إلى أي مدى يمكن تسجيل حوارات ونقاشات وتغريدات ذات فعالية وتأثير؟ وغيرها.

باتت مواقع التّواصل الاجتماعيّ ملاذاً للشباب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم وميولهم، بل ومن خلالها انطلقت الكثير من المجموعات الحوارية والصفحات والمبادرات والرؤى الاجتماعيّة القابلة للتّرجمة على أرض الواقع إلى مشروعات حقيقية، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك برأي المحلّين والمختصين وذلك لأنّه من الممكن التنبؤ بما يُخطّط له في المستقبل بتحليل محتوياتها إذ تشير المحلّلة الاقتصاديّة "نورينا هيرتز": "إنه يمكن لتحليل المحادثات في موقع 'فيس بوك' أو تغريدات المستخدمين على 'تويتر'، أن تساعد في تقوية التوقعات المستقبلية للأحداث"³ فهي ليست مواقع للتسلية فقط، بل أخذت ترسم السياسات وتقود المظاهرات وليس أدلّ على هذا من أنّ صنّاع القرار أصبحوا يترقبونها، ويراقبونها في الوقت نفسه.

فمواقع التّواصل الاجتماعيّ لم تعد مقتصرة على تبادل الصّور والأخبار والنّهاني، بل أخذت تشكّل واقعا افتراضياً موازياً للواقع الحقيقي، وأصبح بإمكان الباحثين والخبراء والمحلّين متابعة أي قضية كانت أو نقاش يدور حول الأحداث الجارية أو تبادل الآراء بمجرد تصفّح هذه المواقع.

³ <http://www.almasryalyoum.com/News/details/299026>

وبناء على ما سبق فإنّ هذه الورقة ستحاول أن تستقرىء موقف الشّباب من مفردات "التّعصّب الدّيني" من خلال مواقع التواصل الاجتماعي لتقف على اتجاهاتهم الفكرية بخصوص هذه المسألة وحواراتهم ونقاشاتهم حولها، وستحاول أن ترى إلى أي مدى يمكن أن تكون هذه الحوارات جدّية، وأن تترجم نتائجها الإيجابية إلى مبادرات حقيقية تنبذ التّعصّب.

أولاً: مبادرات شبابية عبر شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك

في المحاولات الأولى للبحث عن مفردة "التّعصّب"⁴ داخل شبكة الفيس بوك، تجد هناك المئات من المجموعات والأشخاص الذين حملوا في تعريفهم هذه المفردة أو تسموا بها، سواء لتبنيها أو لنبذها. وهناك مجهودات لافتة من قبل البعض لنبذ مختلف أشكال التّعصّب: سواء الدّيني، الفكري، الرياضي، الاجتماعي، المذهبي إلخ، وإذا ما تعمّقنا أكثر فإننا سنعثر على مجموعات أو صفحات تتحدث عن التّعصّب الدّيني وتنبذه وتناقش حول هذه المفاهيم، وسنقف على نتيجة مفادها أنّ هناك عددا لا بأس به من مجموعات مغلقة ومفتوحة وصفحات تناولت هذه الفكرة.

عناوين الصفحات

إنّ التسميات التي أطلقها الشباب هي أول ما يثير الانتباه، والتي تعبّر بظاهرها عن محتوى عميق قد يكون من منطلقات دينية أو سياسية أو مذهبية كلها ترمز إلى الواقع المؤلم الذي يعيشه الشباب في ظل مثل هذه التّعصّبات. فعلى سبيل المثال: "أنا ضد التّعصّب الدّيني"، و"عالم واحد خالي من التّعصّبات والحروب"، "مسلمين مسيحيين مصريين ضد التّعصّب"، و"الشعب يريد إسقاط التّعصّب الدّيني"، و"أعلنّاها حرباً ضد التّعصّب الدّيني والعرعرة"، و"مسلم فخور ضد التّعصّب الدّيني"، "شباب الأزهر ضد التّعصّب والتفرّق الدّيني"، و"أصدقاء ضد التّعصّب والتطرّف الدّيني والسياسي"، و"أنا أكره التّعصّب". وباستقراء لهذه العناوين يمكن أن نلاحظ بسهولة أنّ مفردة التّعصّب قد تكرّرت فيها إمّا بصيغة المفرد أو الجمع "التّعصّبات"، أو ما يدلّ عليها "التطرّف". وجاءت معظمها مع دوالٍ أخرى من مثل "الحروب، التفرّق، العرعرة"، وكلّها عبّر عن موقف

⁴ أخذت كلمة التّعصّب من العصبية، وهي أن يدعوا الرجل إلى نصره عصبيته، والوقوف معها على من يُناوئها، ظالمة كانت أو مظلومة. ومن معانيهما أيضا المحاماة والمدافعة والنصرة، أنظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج1 ص: 607. ويكون ذلك على مستوى الأفكار والمشاعر، والأقوال والأفعال، أنظر: خالد علّال، التّعصّب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، 2008، ص6. والتّعصّب الدّيني هو الغلو في الدين والرأي إلى حدّ التحامل على من خالفهما بشيء فيما يدين وما يرى، أنظر: أضواء على التّعصّب، ص13.

بناهض هذه الفكرة: "ضدّ، عالم خالي من...، إسقاط، حربا ضد، أكره". وبقراءة سريعة لبعض عناوين الصّفحات والنّيّ أوردت مثلا عليها يمكن القول بأنّها جاءت كردود أفعال لأحداث سياسيّة اجتماعيّة وقعت بالفعل، فتهاذى الشّباب محاولين إعلان مواقفهم ورفضهم لها.

المتفاعلين (المعجبين)

وبالنظر إلى هذه الصفحات نجد أنها تحوي أعضاء وأعداد معجبين لا بأس بهم، وصل في إحدى الصفحات إلى ما يزيد عن ألفي عضو، والملاحظ على هؤلاء المعجبين ندرة وجود تفاعل ونشاط من قبلهم، والاقْتصار على الإعجاب فقط في أكثر الأحوال، من مثل:

"الشعب يريد إسقاط التعصّب الديني"، و"أصدقاء ضد التعصّب والتطرف الديني والسياسي" - إذ تكاد تخلو من وجود أي تفاعل أو نشاط فيها.

وهذا يشير إلى أنّ مثل هذه الصفحات أنشئت كردود أفعال مباشرة وسريعة لأحداث حقيقية، ويمكن القول أنّها جاءت بمثابة تسجيل موقف أكثر منها لقيادة تغيير أو إعلان مبادرة حقيقية، وذلك لأنّها كانت تخلو من الحوار وتبادل الآراء وكان همّها نبذ موقف ما وليس محاولة تحليله أو الوقوف عند تداعياته وأسبابه. ولكن هذا لم ينسحب على كلّ الصفحات بل كانت هناك نماذج أخرى لصفحات كانت تعجّ بالآراء والحوارات والتفاعل على نحو ما سأوضح تالياً:

الحوارات والنقاشات والأفكار

إن كانت المحاولات الأولى في إنشاء مثل هذه الصفحات والمجموعات على شبكة الفيس بوك تشير إلى وجود حس مشترك وعام لدى فئة معينة من الشباب إلى نبذ مثل هذه الظاهرة، فإنّ النّظر إلى محتوى هذه الصفحات هو الذي سيعطينا إشارة أوضح إلى عمق نظر الشباب وتنّبهم إلى هذه الظاهرة، ومدى استيعابهم لمفاهيم التسامح والموضوعية والتعايش السلمي والانفتاح على الآخر.

تحمل الصفحات شعارات قوية وأهداف ورؤى ذات بعد فكري يشير إلى الموضوعية والتسامح، فمثلا في صفحة "مصريين ضد التعصّب" يرى مؤسسوها أنّها "صفحة ضد التعصّب، والطائفية، والكرامة تكمن في أنك إنسان بصرف النظر أنت مسلم، مسيحي، يهودي، بهائي، ملحد، أنت إنسان"، وفي صفحة أخرى "مسلمين مسيحيين مصريين ضد التعصّب" يقول مؤسسوها أنّ الصفحة "محاولة لمنع محاولات إشعال الفتنة والاحتقانات بين المسلمين والمسيحيين"، وتكشف صفحة أخرى أنّ سبب إنشائها هو لكشف من يثيرون الفتنة وعلاقة التعصّب الديني بالأحداث التي تشهدها المنطقة العربية وهذا في صفحة

أعلنها حرباً ضد التعصب الديني والعرعرة"، وصفحة أخرى تقول بأهمية السلام والمحبة لإنقاذ العالم الإنساني، صفحة "عالم واحد خالي من التعصبات والحروب".

وبالنظر إلى محتوى هذه الصفحات والمنشورات التي تعرضها والصور والمناقشات التي تتم داخلها نلاحظ الآتي عليها: بعض تلك الصفحات تقول بنبذ التعصب والدعوة إلى الموضوعية والتسامح لكنّها في محتواها الداخلي تتعصّب لإحدى الطوائف أو الأديان أو مذاهب سياسيّة، كصفحة "أعلنّاها حرب ضد التعصب الديني والعرعرة"، و"مصريين ضد التعصب"، و"عالم واحد خالي من التعصبات والحروب". وبعض الصفحات لا تحتوي على منشورات ذات علاقة بالهدف العام وتكاد تخلو من منشورات حوارية قوية وتكتفي بنشر صور عامة وأدعية كصفحة "مسلم فخور ضد التعصب الديني"، و"كلنا ضد التعصّب"، و"مسلمين مسيحيين مصريين ضد التعصب".

عبّرت بعض الصفحات عن مضمون قوي، تحدّثت فيه عن نبذ التعصّب ومضارّه على المجتمع وخطورة التحيز لبعض الأطراف دون وعي، وعرضت منشورات لأهمية التسامح الديني، وصور تعبّر عن مدى التسامح الديني، لكنّها لم تحظ بتفاعلات من الأعضاء كما يجب، كصفحة "أنا ضد التعصّب الديني"، و"معاً ضد التعصّب".

إن مثل هذه المبادرات الشبابية ما هي إلا محاولات للتعبير عن وجود مشكلة على أرض الواقع تسمّى "التعصب الديني"، وهذا بحدّ ذاته إنجاز يسجل لها، لكنّها في الوقت عينه لا تبيّن مدى تفهّم الشباب لمفهوم "التعصّب" والموضوعية، كما تغيب عن هذه المبادرات مفاهيم وحوارات مهمّة حول الانفتاح والتعايش السلمي والتسامح الديني وتقبّل الآخر والتركيز على المفاهيم المشتركة بين الأديان والنظر إلى الإنسان فرداً مهما في بناء المجتمع بغض النظر عن مكونات هويته الدينية.



صورة 1

نظرة عامة (الهوية والانتماءات)

إنّ ادراكنا لمفهوم الهوية ومكوناتها هو أول خطوات التعايش السلمي، لأنّ هوية كل شخص إنّما تتشكل من "جمهرة من العناصر لا تقتصر فقط على تلك المدوّنة على السجلات الرسمية، فهناك الانتماء إلى تقليد ديني وإلى جنسية وإلى مجموعة إثنية أو

لغوية وإلى عائلة وإلى مهنة ومؤسسة ووسط اجتماعي ما والقائمة أطول من ذلك، ويفترض أنها غير محدودة⁵؛ فالهويات تتعدد، وتعددها هو الذي يشكّلنا ويميز كل فرد فينا عن غيره، ولا بدّ أن ندرك هذه التعدد فينا وفي غيرنا وندرك المعاني الكامنة خلف تلك الهويات، قال تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (سورة الحجرات: 13). وهذه حكمة إلهية تقتضي تنوع البشر واختلاف أشكالهم وألوانهم وأماكن عيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم، والحكمة الأسمى أن تتعارف هذه البشرية وتستفيد معا من هذا التنوع.

كتب أحدهم على حائط مجموعة "أصدقاء ضد التعصّب والتطرف الديني والسياسي": "يا ليت كل شخص منا يتعصب للخالق وليس للطوائف، يتعصب للوطن وليس لرأعيه، يتعصب لعمله وليس لانانيته، فكلنا خلق الله ما يميزنا فقط، هو عملنا"، وفي ذلك دعوة إلى توسيع مفهوم الانتماءات، وتعددها كما يقول حائط آخر في صفحة "معا ضد التعصب": "لا تتهمني في ديني لكوني اختلفت معك سياسيا"، وهذا مدلول قوي على تعدد الانتماءات في الهوية الواحدة التي يشير إليها الشباب فانتمائي السياسي ليس بالضرورة يعبر عن انتمائي الديني وعلينا أن نحترم هذه الانتماءات ونفرق بينها، وفي صورة رقم 1 والتي نشرت في الصفحة ذاتها، دعوة من الشباب إلى توسيع مفوم النظر إلى الهوية الشخصية وعدم التركيز على مكون أحادي للهوية ومحاسبة الفرد من خلاله، بل محاولة منهم إلى البحث عن الانتماءات الأوسع والمشاركة بين الجميع - وهو هنا الانتماء القومي- لنبدأ أي فكرة عن التعصب والخلاف، وهذا يشير إلى عمق في الفهم، وقدرة على بدء حوار مع الآخر بغض النظر عن مكونات هويته المختلفة مع الآخرين.

في استطلاع⁶ أجراه مركز الجزيرة للدراسات خلال الفترة من 15 نيسان إلى 25 أيار 2013 على عينة شملت 8045 شابا وشابة من الشريحة العمرية 17 إلى 31 عاما في كل من مصر وتونس وليبيا واليمن بهدف التعرف على مواقف الشباب وتوجهاتهم إزاء تطورات أوضاع بلدانهم بعد الثورة، واستشرافهم لمستقبلها، يشير محور الهوية والانتماء في الاستطلاع أنّ غالبية الشباب في البلدان المبحوثة تميل إلى تغليب الانتماء إلى الإسلام على انتماءاتها الوطنية والقومية. فقد اختار جل المستجوبين في تونس وليبيا واليمن عبارة "مسلم" كخيار أول بنسب عالية، باستثناء مصر حيث أجاب 61.6% بأنهم مصريون أولا، فيما قال 35.2% أنهم مسلمون أولا، بينما لم يحظ الانتماء العربي إلا على نسبة 1.7%.

⁵ أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نبيل حسن، دار ورد، ط1، 1999، ص14.

⁶ <http://studies.aljazeera.net/reports/2013/07/2013728132952362541.htm>

إنّ محاولة البحث عن الإلتواء المشترك بين الشباب كما يشير الاستطلاع سواء كان الدين أو البلد بحسب الظروف التي تحيط بكل فئة، وبكل بلد، وبحسب الإلتواء الذي يربى به الشباب عن إحداث أي فتنة أو إثارة أي مشكلة، وجعله الأساس في عملية البناء والتنمية وبدء حوارات متنوعة مع الآخر، يتيح فرصة للأفراد لاستكشاف انتماياتهم المتنوعة ليس فقط الدينية أو الفكرية، لأنّ محاولة تقسيم الأفراد تقسيمات أولية بناء على مكوّن واحد من مكونات هويته يجعلنا نضعهم في صناديق مغلقة وجامدة، مما يجعل المكوّنات الأخرى "...مثلا بين الأغنياء والفقراء، أو بين أعضاء الطبقات والمهن المختلفة، وبين من يوالون مذاهب سياسية مختلفة، وبين القوميات المختلفة ومواقع السكن المختلفة وبين المجموعات اللغوية، الخ، هذه التقسيمات سوف تُطمس وتُغرق بهذه الطريقة المزعومة أولويتها لرؤية الاختلافات بين البشر"⁷، فاختزال الهوية إلى انتماء واحد يضع الأفراد في موقف "متحيز ومذهبي ومتعصب ومتسلط، وأحيانا انتحاري، ويحولهم في أغلب الأحيان إلى قتلة أو إلى أنصار للقتلة"⁸.

إنّ فكرة البحث عن انتماء مشترك بين الشباب، هي إحدى أقوى وأكثر الأفكار فاعيلة في نبذ التعصبات والوصول إلى لغة حوار مشتركة، ففي صفحة "مصريين ضد التعصب" يرى مؤسسوها أنّها "صفحة ضد التعصب، والطائفية، والكرامة تكمن في أنّك إنسان بصرف النظر أنت مسلم، مسيحي، يهودي، بهائي، ملحد، أنت إنسان"، وهذا إصرار منهم على الاشتراك في الإنسانية، وهو جزء مهم لمقاومة كل توصيف مهين قد يتعرض له الفرد من الثقافات المختلفة، ويجعل



صورة 3



صورة 2

له قيمته واحترامه، كذلك فعل أصحاب صفحة "عالم واحد خالي من التعصبات والحروب" والتي تقول: "بأهمية السلام والمحبة لإنقاذ العالم الإنساني" لذلك تحاول

بعض الصفحات نشر فكرة التسامح الديني من خلال صور

معبرة تدعو إلى الانسجام والترابط، أنظر صور 2 و3. "إنّ القواعد التي يقوم عليها الحط من قدر الآخرين لا تتضمن فقط المزاعم المغلوطة، لكن أيضا الوهم

⁷ أمارتيا صن، الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، ترجمة، سحر توفيق، عالم المعرفة 352، يونيو 2008، الكويت، ص 13.

⁸ أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 31.

أنَّ هوية مفردة يجب أن يربطها الآخرون بالشخص لكي يحطّوا من قدره"⁹، لذا فإنَّ التأكيد على مفهوم الهوية وتعدّد الانتماءات، واحترام مكوّنات الهوية الفردية والبحث عن الانتماءات المشتركة والتي تساهم في البناء والحوار مثل هذه المفاهيم يجب أن تؤكّد عند الشباب.

يشير حائط مجموعة "معا ضد التعصب" إلى أنّ الممارسات تعكس هوية الشخص وليس دينه، أنظر صورة رقم 4، وهذه منطلقات مهمة لفهم السلوك الانساني وعلاقته بالانتماء الديني، فالتصرفات التي يقوم بها المتعصبين إنّما تعبر عن سلوكهم الشخصي لا عمّا يملّيه عليه دينهم. وإن بداية الوعي عند الشباب بأنّ نظرتنا هي



صورة 4

التي "تحتجز الآخرين في انتماءاتهم الأضيق في أغلب الأحيان، ونظرتنا هي القادرة على تحريرهم أيضاً"¹⁰، كل ذلك مؤشر لصناعة مستقبل شبابي واع محاور ومنطلق.

ثانياً: تغريدات على تويتر

والبحث في تويتر لا يختلف كثيراً عن الفيس بوك فمن الواضح الاهتمام الكبير من قبل الشباب بالحديث عن ظاهرة التعصّب، والبحث الأولي يظهر لك المئات من التغريدات في هذا الشأن. ومن الملاحظ أنّ هذا الحديث يزداد بمرور الأيام، أو تناسبا مع ذكرى تاريخية، ففي يوم 1/25 بلغ عدد التغريدات 17 تغريدة - بحدود بحثي-، وتتفاوت أعداد التغريدات من يوم لأخر قد تصل إلى 19 تغريدة، لكنّ وبشكل عام لا يكاد ينقضي يوم إلا وستجد تغريدة واحدة على الأقل.

وكل ذلك يعطينا مؤشراً عاماً على بدأ انتشار الوعي بخطورة ظاهرة التعصّب الديني، وأنها تكمن خلف أغلب الصراعات والحروب التي تعاني منها مناطق كثيرة في العالم وفئات عديدة لا سيما المنطقة العربية. وهذا إنجاز يسجل للشباب، لا سيما في فترة عصيبة كهذه الفترة، والتفاتها منهم إلى خطورة هذه الظاهرة والحديث عنها وتداولها فيما بينهم ينبئ عن تقدّم على الصعيد الفكري

⁹ أمارتيا صن، الهوية والعنف، ص 4.
¹⁰ أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 24.

والديني والوعي بالمحيط وقدرة على استقراء أسباب المشاكل والأزمات التي تعاني منها المنطقة وتحليلها ومحاولة إيجاد حلول لها من قبل الشباب.

نظرة في المحتوى (الانتماء الديني والتعصب الديني)

الناظر في التغريدات الشبابية يلمح فيها عمقا وتقهما وقدرة على تحليل ظاهرة التعصب الديني وتناولها من عدة مجالات، كوصفها، آثارها على المجتمع، حلول للتخلص منها الخ.

عندما نقرأ قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" (سورة البقرة: 256)، فذلك يؤكد حقائق مهمة فالدين من الانتماءات السامية التي ينتمي إليها الأفراد، لذا لا بد لهذا الانتماء السامي أن يبدأ برقي، وقمة الرقي في الانتماء الديني أن يكون بالافتتاح والاختيار والحب لتقبل مبادئه وحمل رسالته فالإكراه على الدين مرفوض جملة وتفصيلا، ومع سمو هذه الانتماء ورفيقه إلا أننا لا يمكن رؤيته بأنه "النظام الوحيد لتصنيف الناس عبر الكرة الأرضية"،¹¹ بالتالي فإن "تجاهل كل شيء إلا الدين معناه طمس حقيقة الاهتمامات التي تحرك الناس لتوكيد هوياتهم التي تتجاوز الدين بكثير"،¹² فإن كان الانتماء الديني جزءا من "تأكيد المرء لذاته، واعتقاده بسمو الفئة التي ينتمي إليها، فهذا لا يترتب عليه بالضرورة ازدياد الآخرين لأن المرء لا يحتاج إلى من أجل تأكيد ذاته إلى مقارنة نفسه بغيره، أو التسلق على أكتاف الآخرين"،¹³ تشير بعض التغريدات إلى مثل هذا المعنى فتقول: "الإلتزام الديني لا يعني التعصب الديني، فالإلتزام أساسا التقوى، والتعصب وليد الجهل"، و"إن الدعوة لمحاربة التعصب الديني لا تعني محاربة الدين وإنما معالجة سلوك التعصب الذي سيؤدي للتصادم بين الأفراد".
والإصرار على جانب واحد في الهوية الإنسانية كالإصرار على تعريف الفرد بانتمائه الديني فقط سيغذي روافد التعصب ويجعل العالم أكثر التهابا واحتقانا، كما أن الشعور القوي والمطلق للفرد بانتماء واحد وانغلاقه على جماعة واحدة دون تقبل للآخر سيزيد من فرصة التنافر والتعصب ضد الآخرين، ولننظر إلى هذا الحوار الذي دار في إحدى التغريدات:

¹¹ أمارتا صن، الهوية والعنف، ص 13.

¹² المصدر السابق، ص 138.

¹³ مجموعة مؤلفين، أضواء على التعصب، دار أمواج، ط1، 1993، ص 161.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

عالية العربي @Alyaa_AIGarni ١٧ مايو

أولادنا ينشرون ثقافة الشتم والتكفير وتحقير المخالفين من المدرسة والمسجد نحتاج إلى حل المشكلة من الجذور حملة_مكافحة_الشتم#

فتح الرد إعادة تغريد * تفضيل *** المزيد

تلمح التغريدة إلى مشكلة اجتماعية دينية وتربوية خطيرة، تعود إلى فكرة الانغلاق وتربية الاتباع على عدم قبول الآخر، بل تصل المشكلة إلى حد تكفير المخالفين، فيما يرد عليها بعضهم:

محمد الهاشمي @IRAQiiiiii ١٧ مايو

@Alyaa_AIGarni @1111sssssSmail ووصل بينا الحال الى أكل قلوب البشر !!!

فتح الرد إعادة تغريد * تفضيل *** المزيد

يعبر المغرّد عن استيائه اتجاه هذه المشكلة، حتى أنّه عبّر عن فظاعة هذه المشكلة بأنّه كأكل قلوب البشر.

عالية العربي @Alyaa_AIGarni ١٧ مايو

@Bahrain111111 @Alyaa_AIGarni التعصب الديني و الحقد ضد الآخر يؤدي إلى مثل هذه المناظر الإجرامية المؤسفة..ولو أتاحت الفرصة للشيعه لغاموا بنفس التصرف،لاللطاقية

فتح الرد إعادة تغريد * تفضيل *** المزيد

تعود المغردة لتبين أنّ هذه المشكلة التي قالت عنها إنّما تعود للتعصب الديني، والتعصب الطائفي وإنّ الطوائف قد تستغلّ الفرص للانتقام من بعضها بسبب التعصب.

محمد الهاشمي @IRAQiiiiii ١٧ مايو

@Alyaa_AIGarni ولكن للتاريخ ولأنصاف الناس .. لم نر في يوم من الايام شيئا قام بهذا الفعل !! ولم نر سنيا .. بل هم التكفيريون الشواذ

فتح الرد إعادة تغريد * تفضيل *** المزيد

يضع المغرّد الأمور في نصابها حين يبيّن أنّ الانتماء الطائفي ليس هو السبب الحقيقي لمثل هذه المشكلات، بل فئة شاذة تكفرّ الناس حسب أهوائها وتتعصب لانتمائها بشكل سيء.

عالية العربي @Alyaa_AIGarni ١٧ مايو

@Bahrain111111 @Alyaa_AIGarni التعصب الديني يعمي البصر والبصيرة ويؤدي إلى نتائج كارثية...لنقف صفا واحدا لمحاربهه .. لا للتعصب الديني ولا للطائفية العبيضة

فتح الرد إعادة تغريد * تفضيل *** المزيد

إخفاء المحادثة

تنتهي المغردة الحوار بإرجاء كافة المشاكل للتعصب الديني والطائفي الذي يعمي البصر والبصيرة وتدعو إلى محاربته. وفي تغريدات أخرى يقول البعض: "التعصب الديني: أقوى كراهيه في أضعف عقل!" و"التعصب الديني ليس إلا

عرض من أعراض مرض التعصب الجاهلي المصاب به مجتمعنا والذي يكاد أن يقضي علينا!" و"التعصب الدين، لا دين له"، و"التعصب الديني أحد أشهر أصنام العصر الحديث".

إنّ السؤال الذي ينبغي أن نسأله ليس فيما إذا كان دين ما محباً للسلام أو محباً للحرب؟ لكن كيف للمتدين - أيا كان - أن يجمع بين معتقداته أو ممارساته الدينية وملاحم أخرى للهوية والالتزامات والقيم الشخصية¹⁴ كأن يكون متعصبا أو متسامحا؟ تقول بعض التغريدات: "يسلب التعصب الديني الناس ما لديهم من براءة وفضائل فطرية، ويمنحهم جدلا وسوء ظن وتكفيرا وتنفيرا"، و"التعصب الديني لا يجعلك أكثر ايمانا بل يجعلك من اشد المشككين في عقيدتك"، و"التعصب والتطرف الديني ضد العلم وطالب العلم".

تحدث بعض التغريدات عن رجال الدين، فنقول: "أحيانا نقابل أشخاصا يصدّعون رؤوسنا بنقد التعصب الديني والمتطرفين، لكنهم سرعان ما يتمترسون وراء انتمائاتهم الطائفية عند أول أزمة، و"سيبدأ المستقبل الحقيقي لهذا البلد.. يوم ينتهى التعصب الديني.. وسينتهى التعصب عندما يعرف الجميع الفرق بين الدين ورجال الدين"، وقد يعود انعدام الثقة بين الشباب ورجال الدين إلى أنّ رجال الدين هم المتحدثون الرسميون دائما باسم الدين، رغم وجود بعض الخلافات أحيانا بين الأفراد وبين ما يقدمه رجال الدين، لكنهم بالنهاية يشكلون الواجهة الرئيسية عند الحديث عن التصنيفات الدينية، بغض النظر عن الأفراد الذين يمثلونهم وتنوعهم واختلاف هوياتهم الأخرى رغم أنّهم يشتركون في الانتماء الديني إلا أنّهم يختلفون في الكثير من المكوّنات، وفي استطلاع آراء قبطية نشرته BBC حول تقجير كنيسة بالاسكندرية، يرى بعضهم أنّ هذه التقجيرات تعود لتحريض رجال دين للناس على ذلك: "المسيحيون والمسلمون في تعايش مشترك، فهم جيران وزملاء. ولكن هناك العديد من المسلمين، وللأسف، يستمعون الى شيوخ الفضائيات الذين يدعون الى كراهية المسيحيين، وبالتالي تحدث المشاحنات"¹⁵.

"يبدو أننا نبالغ غالبا بتأثير الأديان على الشعوب، في حين أننا نهمل على العكس، تأثير الشعوب على الأديان"¹⁶، فتبدو بعض الممارسات السلبية لبعض الأفراد وكأنّها انعكاس لما يراه ذلك الدّين، والتعصب الديني هو إحدى تلك الممارسات، والتي يحاول الشباب جاهدين في البحث عن حلول لهذه الظاهرة التي

¹⁴ أنظر: أمارتا صن، الهوية والعنف، ص 62.

¹⁵ أنظر:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/01/110104_jive_coptic_eg_yptians_panel.shtml

¹⁶ أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 55.

تتعرض حربا وعفا على المجتمعات، تقول هذه التغريدة: "أيها المرأون، توقفوا عن الدفاع عن الله بقتل الإنسان، ودافعوا عن الإنسان كي يتمكن من التعرف إلى الله"،¹⁷ فيبدو البحث عن انتماء أوسع وأشمل للأديان هو من أول بوادر التخلي عن التعصب، والبحث عن الغاية الأسمى للأديان هو الأساس، فهي لا تحتاج لبفائها وخلودها إلى أرقاة الدم، بقدر ماتحتاج إلى أفراد يحملون همّ تطبيقها بأسمى وأروع المعاني التي جاءت لأجلها.

وتحت عنوان نشرته BBC في صفحتها "شارك برأيك" على موقعها نشرت: إلغاء خانة الديانة: تعزيز للمواطنة أم طمس للديانة؟¹⁸ وذلك بناء على حملة أطلقها الشباب على تويتر تحت اسم "حاجة تخصني"، وهي تهدف إلى العمل "على وقف التدخل في حياة المواطنين من قبل الدولة، وإزالة خانة الدين من الوثائق الرسمية، وأهمها بطاقة الهوية الشخصية،¹⁹ فبحسب موقع BBC "يرى البعض ان الحملة تسعى إلى المساواة وإنهاء التمييز بين أبناء الوطن الواحد، ويرى آخرون أن الأمر ضمن مسلسل لطمس الهوية الدينية التي يجب أن يفخر بها كل مصري"، من وجهة نظر بعض الشباب أنّ هذا الموضوع قد يوجب المشكلات الدينية بحيث ينظر في الهوية الشخصية على خانة الدين وهذا قد يؤثر في النظرة إلى الشخص، بينما يرى الآخرون أنّ هذا قد يؤدي إلى طمس الهوية الدينية، لكن هل المشكلة فعلا في حذف خانة الدين أو إبقائها؟ أم المشكلة في الاتجاه الفكري الذي يحمله بعض الناس والذي يجعلهم يحكمون على الشخص من خلال دينه؟

تبحث تغريدات أخرى عن حل لمشكلة التعصب فتقول: "على كل... موالاته ومعارضة إنشاء مؤسسات فكرية ومدنية للتقريب في الفكر الديني وانتشاله من مآهات التعصب وذلك بعيدا عن تدخل السلطة"، فالحل لا يقتصر هنا على مجرد بوادر وحوارات إنّما يحتاج إلى دعم مؤسسي بعيدا عن أي تحيزات أو تعصبات تساعد على الحوار الديني المتحضر والمنفتح. ويرى البعض أن البناء والأصلاح لا يتم ولن يتم إلا إذا تخلى الناس عن التعصب للدين والسياسة والفكر فتقول بعض التغريدات: و"ما بتقدر تبني وطنك الا لما تشيل جرتومة التعصب الديني والسياسي من قلبك"، و"لو نترك التعصب الديني والتعصب للمذاهب

¹⁸ أنظر:

http://www.bbc.co.uk/arabic/interactivity/2013/04/130416_comments_id_religion.shtml

¹⁹ راجع:

http://www.bbc.co.uk/arabic/interactivity/2013/04/130416_comments_id_religion.shtml

واعتمدنا على الاخلاق وحسن المعاملة ليكونون السنة و الشيعة زي السمن على العسل ولكن المشتتين موجودين".

يمتلك الشباب قدرة عالية على التخلص من ظاهرة التعصّب الديني، والرقى بالمستوى الفكري والديني لديهم إلى أعلى المستويات وإذا ما وصلوا على هذا النحو فستكون النتائج رائعة على المستوى البعيد، إنّ البدايات التي نراها بالشباب تنبئ عن نهايات رائعة تحتاج إلى مزيد من الوقت والدعم، فالنظر إلى الأفراد على أنّهم أصحاب هويّات متنوعة ومتعددة، والتخلي عن فكرة تعريف الشخص بمكوّن واحد من مكوّنات هويته كالاقتصار فقط على تعريفه الدائم أنّه فقط مسلم أو مسيحي أو بوذي أو يهودي الخ بالتالي اسقاط كل الأفكار السلبية والتعصّبية على الأفراد بهذا المنظور الأحادي فإنّ ذلك يطمس كل محاولة جادة إلى التأكيد على ضرورة التنوع والاختلاف فنحن بالنهاية لسنا متماثلين والتكاثّر ليس للتماثل بل للتمايز بكل انتماءات الهوية عند الأفراد، واحترام كافة القيم والمكوّنات لديهم، والنظر إليهم بنظرة شمولية واسعة نبحث فيها عن الانتماء المشترك لنستطيع الدفع إلى الأمام وإلى السلام بنفس القوة والثبات اللذين تحرّك بهما العالم نحو العنف والحرب.

الخاتمة

إن كان أمر "الاختلاف" و"التنوع" بين البشر ضرورة عمرانية أوجدها الخالق عزّ وجلّ، فإنّ أهمّ دواعي هذا الاختلاف هو "التعارف": "...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..." (سورة الحجرات: 13)، حيث يغدو التعارف مطلباً للانفتاح وتبادل الخبرات والمعارف بين البشر، ومن أهم أسس التعارف تقرير مبدأ التسامح الديني. ولن يتم تقرير مثل ذلك المبدأ إلا بفهم واسع ومنفتح للهوية الفردية بكافة انتماءاتها، والنظر نظرة شمولية للفرد، والتخلي عن النظرة أحادية الانتماء لأنّ ذلك يؤثر في نظر الفرد لنفسه وللمجتمع وللآخرين، كما أنّ انفتاح الأفراد على الآخرين والتعرف إلى انتماءاتهم الأخرى كل ذلك سيسهم في تلاشي ظاهرة التعصّب الديني.

لقد بدأ الشباب بتقدير أهمية هذه المفاهيم في حياتهم العامة، نظرا لما يعانیه واقعه من حروب وأزمات تحول دون التطور والتقدم، فانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي مبادرات شبابية وحوارات وتغريدات تنبذ التعصّب الديني وتدعو للانفتاح والتسامح والحوار. مثل هذه المبادرات والحوارات يجب أن تتلقى الاحترام والتشجيع والدعم الكافي لتتمكن من الاستمرارية والتطوير، فكل ذلك ستنعكس آثاره على مستقبل الأمة والعالم، لذا ولتحقيق ذلك فإنني أوصي بالنقاط الآتية:

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- على المفكرين وأصحاب العقول الواعية والذين يحملون على عاتقهم نشر فكرة التسامح الديني أن يدخلوا إلى هذه المبادرات والحوارات ويساهموا بأرائهم ويثروا النقاشات.
- على الإعلام بكافة أشكاله دعم هذه المبادرات وتسويقها إعلامياً للمساهمة في نشر هذه الأفكار لأكبر شريحة من الشباب.
- على الجهات الرسمية والمنظمات والمؤسسات تقديم دعم حقيقي ومادي للمبادرات الشبابية وتهيأة فرص للممارسات العملية والتطبيقية للشباب لاختبار هذه المفاهيم على أرض الواقع.

والله الموفق..

الشباب الإسلامي والمسيحي بين جدلية الحوار والتعصب الديني: نماذج ومواقف

الملخص

لقد بات من الواضح في الراهن المعاصر أن العالم أجمع يعيش تحديات كبرى على كافة المستويات، لعل أهمها تنامي التوترات والنزاعات الدينية والمذهبية والعرقية وموجات التعصب الديني على مستوى الوطن العربي والعالم برمته، وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وثورات الربيع العربي الدامية، الأمر الذي أثمر الرؤى الإقصائية والنظرات الإسقاطية لأرباب الأديان، ولا سيما عند أتباع الديانتين المسيحية والإسلامية، وقلل من فرص الحوار والتعايش السلمي، وأثر على الاندماج الوطني والسلام الديني والاجتماعي بين الأفراد والجماعات والطوائف على اختلاف انتماءاتهم.

ولقد أصبح من الواضح عبر السنين ومن خلال عقود من الحوار مع المسلمين أن ليس هناك بديل عن الحوار كوسيلة فعالة لحماية وتأكيد واستقرار التعايش المشترك ونبذ التعصب والعنف ونزعات الكراهية اتجاه الآخر، ويبدو الآن أن الحوار لا ينبغي أن يقتصر على دوائر المختصين وقادة المجتمع الدينيين والسياسيين، بل من الأهم أن تسود ثقافة الحوار بين المكونات الأساسية في المجتمع وأهمها الشباب، بوصفها الفئة الأكثر رغبة في الارتباط بالآخرين ومعرفة المزيد عنهم، والأقل معارضة لبناء جسور التواصل بين الأديان؛ لأن مهمهم هو مناهضة الظلم وتجاوز التخلف وتحقيق النهضة لأوطانهم والتعايش السلمي لمجتمعاتهم.

وفي الختام يستشرف البحث إلى طرح رؤى وتصورات عن الآفاق الراحبة التي يمكن أن تنفسح أمام حوار الشباب الإسلامي والمسيحي المثقف والواعي بضرورة إشاعة روح التسامح والتعايش وثقافة الكونية المشتركة بين الأديان.

1 الدكتورة جميلة زيان [zian_jamila@yahoo.fr] أستاذة التعليم العالي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فاس، المغرب.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد أصبح من الواضح عبر السنين ومن خلال عقود من الحوار مع المسلمين أن ليس هناك بديل عن الحوار كوسيلة فعالة لحماية وتأكيد واستقرار التعايش المشترك ونبذ التعصب والعنف ونزعات الكراهية اتجاه الآخر، ويبدو الآن أن الحوار لا ينبغي أن يقتصر على دوائر المختصين وقادة المجتمع الدينيين والسياسيين، بل من الأهم أن تسود ثقافة الحوار بين المكونات الأساسية في المجتمع وأهمها الشباب، بوصفها الفئة الأكثر رغبة في الارتباط بالآخرين ومعرفة المزيد عنهم، والأقل معارضة لبناء جسور التواصل بين الأديان؛ لأن مهمهم هو مناهضة الظلم وتجاوز التخلف وتحقيق النهضة لأوطانهم والتعايش السلمي لمجتمعاتهم...

ولقد أتاحت ثورة الاتصالات والمعلومات وزخم أنشطة الهيئات والمؤسسات والمنظمات والاتحادات لهؤلاء الشباب، وبخاصة الإسلامي والمسيحي، حرية واسعة في التعبير عن آرائهم عموماً حول المواطنة والقيم الدينية المشتركة والحياة المشتركة، وبالمقابل أتاحت المجال لشهود سجلات دينية عنيفة بين شباب مسلمين ومسيحيين تتطوي على انتقادات حادة سلبية للديانتين... الأمر الذي يبرز بوضوح أهمية الدور المحوري للشباب الإسلامي والمسيحي في تنشيط التعايش والحوار أو إشاعة روح التعصب والكراهية اتجاه الآخر...

ومن هنا ارتأيت أن أتناول بالبحث موضوع: "الشباب الإسلامي والمسيحي بين جدلية الحوار والتعصب الديني نماذج ومواقف" وهو موضوع يرمي إلى تحديد مفاهيم الحوار والتعصب الديني عند المسلمين والمسيحيين، ولا سيما لدى الشباب، ثم تقديم نماذج ومواقف معاصرة من خلال أنشطة شبابية حوارية، ثقافية وتربوية وإعلامية واجتماعية يقوم بها شباب مسلمون ومسيحيون ينتمون إلى الوطن العربي (مصر لبنان)، وأوروبا (ألمانيا أنموذجاً)، ويستشرف البحث في الختام إلى طرح رؤى وتصورات عن الآفاق الرحبة التي يمكن أن تنفسح أمام حوار الشباب الإسلامي والمسيحي المثقف الواعي بضرورة إشاعة روح التسامح والتعايش وثقافة الكونية المشتركة بين الأديان.

المبحث الأول: جدلية الحوار والتعصب الديني: تعريف وتأصيل

المطلب الأول: المقصود بجدلية الحوار والتعصب الديني

يستعمل مصطلح الجدلية في معنى كل فكر يأخذ بعين الاعتبار وبشكل جذري دينامية الظواهر التاريخية وتناقضها،² فكل شيء يخضع لعملية جدلية تبدأ بالقضية أو الطريقة ثم نقيضها وأخيرا الحصيلة، كما أن كل شيء يحمل نقيضه في ذاته وتتمخض عن الصراع بينهما الحصيلة.³

وأصل الحوار المرادة في الكلام⁴، والمقصود به في سياق الأحداث الثورية التي جرت وما تزال تجري في البلدان العربية، ذات التنوع الديني والمذهبي خاصة، وفي ظل مثيرات التوتر الحالي بين الغرب والعالم الإسلامي؛ النقاش الجاري اليوم بين شباب إسلامي ومسيحي بشكل مواجهي face to face من خلال أنشطة وبرامج حوارية، ضمن مؤتمرات وورش التدريب، وحلقات البحث وبرامج الإعلام ولقاءات الحوار؛ وبشكل افتراضي من خلال صفحات الويب وشبكات التواصل الاجتماعي، ويتعلق هذا النقاش بتبادل الأفكار والمعارف وردود الأفعال، والتشارك في إبداء وجهات النظر وإثارة المسائل بصدد القضايا الدينية والتركيز على القواسم المشتركة للوصول إلى معرفة علمية حقيقية بالدين الآخر، تسمح بدفع الشبهات وتوضيح سوء الفهم؛ وهو حوار اجتماعي ووطني حول قضايا العيش المشترك والوحدة الوطنية والاندماج الحضاري؛ لضمان الأمن والاستقرار وفض النزاع والتفكير في مجاوزة التخلف والأزمات، والاتحاد للحصول على الحقوق في المواطنة الكريمة، والتشارك في مقاومة الظلم والاستبداد.

وإذا كان المقصود بالحوار هو إنتاج قواعد التفاهم والتعايش والشروط الضرورية للاعتراف والاحترام والتسامح، فإن هذا الحوار لا يجدي عندما يكون في خلفية المحاور النفسية والفكرية نزعة الإقصاء والتشدد ومرارة التعصب، فما معنى التعصب؟

يدور التعصب حول معاني الشد والطي⁵ والمراد به ضمن هذه الجدلية، وفي سياق بحث الشباب المعاصر عن الهوية وحماية القيادات والجماعات الدينية

² الجدل والجدلية: محددات أولية، نزار العاني، مجلة التجديد، السنة الثانية 1418، العدد الرابع- ماليزيا.

³ ينظر الرابط الإلكتروني على موقع: www.almaany.com.

⁴ معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني/ 134.

⁵ ومنه "يقال لكل شد عصب، والعصيب في بطن الحيوان لكونه معصوبا، أي مطويا" (يراجع: المفردات/ 348).

وسط التحديات، حالة نفسية وذهنية وسلوكية يقع فيها الشباب الإسلامي والمسيحي وتتشكل في ظل أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية خانقة، وفي أرضية القطيعة والانغلاق عن الآخر وتعليم الحقائق الإيمانية دون نقاش وحوار، وتتمظهر من خلال السجال الديني في مواقع الدردشة خاصة، المنطوي على الخطاب المكفر وإنتاج الصور النمطية السلبية وترويج الإشاعات، وتبادل التهم والانتقادات، وإظهار الشعارات الدينية، وإصرار كل طرف على أن دينه فقط من يمتلك معانقة الحقيقة، كما تتمظهر- في أخطر أشكالها- من خلال ترويع الأمنين، وارتكاب جرائم القتل والتدمير والتخريب. وإذا كان هذا هو القصد من جدلية الحوار والتعصب الديني، فما هو موقف الإسلام والمسيحية من هذه الجدلية؟

المطلب الثاني: المنظور الإسلامي والمسيحي للحوار والتعصب الديني

إن الرسالتين الإسلامية والمسيحية حرمتا التعصب بكل أشكاله لمواجهة الكفر والجحود والإصرار والصدام والتضارب، وأرستا مبدأ الحوار والقبول بالتعايش والتسامح مع الآخر، اعتباراً لسنة التنوع والاختلاف واحتراماً لكرامة الإنسان وحرية وإعلاء لشأن عقله، وتحقيقاً للتعارف والتألف وتبادل المصالح مع أخيه الإنسان؛ فالإسلام انطلقت دعوته في مجتمع كان يسوده التعصب الأعمى للقبيلة ولدين الآباء والإصرار على إرث الأوائل وأوهامهم، إلى درجة الغزو والتأثر والقذف. وقد سفه القرآن الكريم المشركين وعاب عليهم تعصبهم لأفكار آبائهم بقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" (سورة البقرة: 170). ونهى الرسول الأكرم عن عصبية الجاهلية في قوله: "من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية، أو يغضب لعصبية، فقتل؛ فقتله جاهلية"،⁶ وإنما نهى عليه السلام عن هذه العصبية لأنها تعين على الظلم، وهو ضد العدل والتجرد للحق والانتصار له، لذا قال في تعريفها: "العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم"،⁷ ومن هنا لم يدع الإسلام لاستخدام القوة عصبية أو انتقاماً أو عدواناً، وإنما لدفع الظلم أو منع وقوعه وضمان الحرية الدينية والأمان من الاضطهاد في حركة التدافع، المؤسسة على حكمة الله في الاختلاف، بتصريح الآية الكريمة: "أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

⁶ صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، 105/3، عن أبي هريرة، رقم: 4125.

⁷ تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمن المزي: 9/421، عن واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة.

وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَيَنْصَرُنَّ لِلَّهِ مِنْ بَيْنِهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (سورة الحج: 39-40).

إن منح الإنسان الأمان من الآثار المدمرة للتعصب والاضطهاد وإشاعة مبادئ السلام والتعايش الإنساني هو مقصد الأديان والأنبياء. فهذا المسيح عليه السلام جاء ليحطم الطائفية والتعصب والعنف ويزرع المحبة والتسامح في القلوب، فقد كتب عن السيد المسيح أنه كان "لا يخاصم ولا يصيح"⁸ "وإذا شتم لم يكن يشتم عوضا وإذا تألم لم يكن يهدد"⁹ وكيف وهو الذي قال: "أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم"¹⁰.

فهذه الوصية المقدسة بمحبة الأعداء ترفع الحقد والكرهه نهائيا من قلب الإنسان، فيتلاشى التعصب ويظهر التسامح والتقبل، فالمسيح، باعتباره "مخلصا ومخلصا إلى حد الموت في سبيل الله"¹¹، هو مصدر المحبة، والمحبة تلغي الانقسام والصراع، وتبث الألفة والمودة والأخوة.

إن هذه القيم الإنسانية السمحة التي تشترك فيها المسيحية والإسلام تنفي الإكراه والتسلط والتعصب في حق الآخرين، وإذا انتفى ما يفرض بالإنسان إلى الشجار والتفرق والتشردم والاعتداء، كانت الحجج والبراهين هي وسيلة الاقتناع والإيمان، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان، ومن هنا وضع الإسلام أسلوبا من أهم أساليب التفكير والإقناع والاقتناع، وتوضيح المواقف وجلاء الحقائق وهداية العقول والتدرج بالحجة والبرهان، وهو أسلوب الحوار بكل أنواعه وأشكاله، وقد جعل منه المنهج الأنجح في دعوته وتدبير الخلاف مع خصومه وابتناه على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال تعالى: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..." (سورة النحل: 125). وأرشد سبحانه المسلمين إلى جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن، إقرارا للوسطية في الفهم والإحسان في القول وحفاظا على التعايش السلمي والاحترام المتبادل: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..." (سورة العنكبوت: 46). فالحوار

⁸ إنجيل متى 12: 18-21.

⁹ إنجيل بطرس 2: 22-24 والرسول عليه السلام قال فيما ترويه عائشة رضي الله عنها: لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صحابيا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح" (رواه الترمذي برقم 2016، صحيح سنن الترمذي، الألباني: 2/ 284).

¹⁰ إنجيل متى 5: 44-45. وهذا الخلق الدمث يلتقي بشكل كبير مع ما تدعو إليه هذه الآية الكريمة: "...وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..." (سورة البقرة: 237).

¹¹ الانتلاف والاختلاف بين المسيحية والإسلام، أحمد الحذيري/145.

ليس فرصة للجدل المذموم وإطلاق الأقوال البذيئة، والتراشق بالحجج؛ لأنه ينطلق من المساحات المشتركة لتأكيدهما، وذلك يتطلب الالتزام بالأسلوب الحسن وفضائل الأخلاق، ومن تم أفسح القرآن الكريم في حواراته مع مخالفيه مساحة تجعلهم في نفس المستوى، بصفته لا يحتكر الحقيقة فيما يعتقد من آراء وأفكار، لأن هناك احتمال الخطأ والصواب، وهذا ما توضحه الآية الكريمة: "...وَأِنَّا أَوْ إِنَّا كُفَّرْنَا لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (سورة سبأ: 24)، بعيدا عن كل قذف أو تسفيه لمعتقدات الآخر، ومن هنا أمر الرسول عليه السلام أن يقول لمشركي مكة بعد رفضهم دعوته لهم إلى الإسلام: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" (سورة الكافرون: 6). والناظر في سيرة رسول الله عليه السلام، يجد أنه كان أكثر الناس أدبا في الحوار والسلوك، وأشدهم حياء وتواضعا، وأوفرهم مجاملة للآخرين، وحتى مع المشركين، باستثناء شؤون تبليغ الرسالة.¹²

وفي الأناجيل نجد الحوار هو لغة السيد المسيح، كان يستخدمها مع الأفراد؛ مثل السامرية، ونيقوديموس ومريم، ومرتا، ومع جماعة التلاميذ ومع جموع اليهود¹³ حين تحدث معهم عن اتهامه بأن به شيطانا وأعلن بالدليل الساطع والحوار الموضوعي الهادئ قصد الله في تجسيد الكلمة الأزلي، ليسحق الشيطان ويحرر البشرية من سيطرته وسلطانه.¹⁴ وحتى في توبيخه عليه السلام الكتبة والفريسيين على ريائهم، كان يستخدم أسلوب الإقناع، مقدما البراهين الكتابية والمنطقية ومحققا ما قيل عنه من نبوات في الكتب المقدسة.¹⁵

وهكذا تظهر هذه النماذج الفريدة بجلاء أن ثقافة الحوار وقيم التسامح والتعايش والعدل أصيلة وكونية عند المسلمين والمسيحيين على السواء، بل وفي جميع الأديان السماوية، لأنها مشروع رباني إذا تحقق في عالم الإنسان، صار مصدر أمان وأساس بناء السلام.

أما التعصب الديني والعنف والعدوان، فهي مفاهيم فردية طارئة على الفطرة البشرية، لأنها من صنع الذات الإنسانية السلبية، ومن وحي أنانيتها وغرورها وكبريائها وحرصها على تأمين مصالحها. ولهذا فإن الصراعات الدينية التي أثمرت الدمار للبشرية على مر التاريخ "قد تنتسب إلى أي شيء - كما يقول القس مقار - ولكنها لا يمكن أن تنتسب إلى اسم المسيح الذي هو بريء منها إلى

¹² والنماذج من حوارات الرسول مبنوثة في كتب الحديث والسير والأخبار، وكلها توصل للحوار وثقافة الحوار والمناظرة عند المسلمين.

¹³ لغة الحوار من نظرة مسيحية، على الرابط الإلكتروني: www.calam1.org/a/1110.

¹⁴ لوقا 11: 20-14.

¹⁵ مثل ما جاء في متى 12: 18_21.

الأبد"،¹⁶ كما أنها لا يمكن أن تلصق باسم الرسول عليه السلام الذي جاء بالإسلام من أجل السلام بين الأديان: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الأنبياء: 107).

إن التواصل والحوار والتفاعل بين مختلف المكونات الاجتماعية المسيحية والإسلامية هو ما ينهي هذه الصراعات والدعوات التعصبية، ويفتح الطريق لعلاقات قوية تؤسس للتعايش السلمي والتفاهم والاحترام المتبادل. وذلك أشد ما تحتاج إليه البشرية في هذا العصر المتسم بالاختلاف والنزاع والتوترات الدينية والمذهبية والتفاعلات العالمية، وتنامي الصور النمطية المسيئة للأديان ورموزها المقدسة، وسيادة ثقافة نفي الآخر على الحياة المشتركة والخلاف المدمر على الاختلاف البناء.

في أتون هذا التوتر الخانق، وفي سياق التطور التكنولوجي والإعلامي الهائل؛ تتعاضد فائدة الحوار والتواصل أكثر من أي زمن مضى، لكن من المرشح أكثر لتعزيز ثقافة الحوار وتنشيط آليات التواصل بين الأديان وبين الجماهير؟ هل هي الزعامات الدينية والقيادات السياسية والمختصون الذين دعوا إلى حوار الأديان منذ ستينيات القرن الماضي ضمن محافل ومؤتمرات ومناظرات دون أن يحقق نجاحا ملموسا في تغيير الواقع؟ أم هي قيادات المجتمع من الشباب التي تفاعلت مع أحداث مجتمعاتها وعبرت عن مواقفها من خلال المنتديات والمواقع الالكترونية والحركات الاحتجاجية الشعبية، واللقاءات والورشات التدريبية، والمعسكرات الصيفية؟

لقد بات من المؤكد الآن أهمية ضم الشباب المسيحي والإسلامي للأنشطة الحوارية لتعزيز الحوار الديني والوطني والاجتماعي وتحقيق أهدافه في المصالحة واستتباب السلم الأهلي والأمن القومي؛ ذلك بأن هؤلاء الشباب بما يمتلكون من حيوية دافقة، وطموح عال، وحسن مرهف، وتطلع إلى مستقبل واعد، وسجية طليقة لا تحمل الكثير من عقد النزاع والتعصب؛ هم الأكثر رغبة في الانفتاح على الآخر وتطلعا إلى معرفته وفهمه والتعايش معه، خاصة إذا تربوا تربية سليمة قوامها التدين الإيجابي والتعليم والثقافة. وهنا يرتفع سؤال: إلى أي طرف من طرفي الجدلية المعروضة على بساط البحث يميل الشباب الإسلامي والمسيحي؟ إلى الحوار أم إلى التعصب الديني؟
وجواب ذلك في المبحث التالي:

¹⁶ إيماني والقضايا المسيحية الكبرى، القس إلياس مقار، ص: 479، دار الثقافة، مطبعة الجيل، ط 3.

**المبحث الثاني: الشباب الإسلامي والمسيحي بين جدلية الحوار والتعصب الديني
نماذج ومواقف
المطلب الأول: نماذج من الوطن العربي
حالة مصر**

من المؤكد أن المشاركة في الحوار، قبل الثورة المصرية، كانت تقتصر في الغالب على النخب الدينية والفكرية من المسلمين والمسيحيين، لما تتطلبه هذه المشاركة من رمزية في السن ومهارات خاصة واحترافية وخبرة بقواعد الحوار وأدبياته. وفي هذا الصدد يعترف أحد منسقي الحوار: "لقد وجدنا أن معظم الحوارات تقتصر على النخب ورغم أنهم يتشاطرون فهما مشتركا لكنهم لا يتواصلون مع قطاعات المجتمع الأساسية"¹⁷. وهو الأمر الذي يفضي بالحوار إلى قلة الفعالية والتأثير على الجماهير خارج قاعة الحوار، لأنه يصبح شكليا ولا ينفذ إلى جوهر القضايا، ومن هنا فقد ساد في أوائل هذه الألفية شعور لدى الكثير من المصريين بأن الوقت قد حان لتغيير آلية الحوار من الاقتصار على النخب والانتقال بها من مستوى المؤسسات إلى المستوى الشعبي العام، حيث توجد فرصة أكبر للتعاون والتفاهم المشترك. ولعل من أهم الفئات الشعبية المعنية أكثر بصياغة المستقبل وإزاحة مشكلات الواقع لتحقيق الاندماج في الكيان الاجتماعي جيل الشباب، فهم الترياق لعالم الحوار الذي تحكمه النخب، رغم أن هذه الأخيرة تنظر إليهم "أنهم يفتقرون للكفاءة المطلوبة ولتجارب الحياة وللمهارات رغم امتلاكهم للرغبة والحماس"¹⁸. وإلى هذا المعنى يشير أحد المشاركين في مجتمع الدراسة حيث يقول: "إن أهم أنواع الحوار هو حوار الشباب الذين لا يمثلون أي طرف، والمشكلة أننا نهتم بنسب التمثيل كثيرا في حين أن ذلك ليس ضروريا"¹⁹، بيد أن الشباب يحتاجون إلى تدريبهم على الحوار وإشراكهم على أساس ما لديهم من رغبة وتطلع إلى التعرف على الآخر.²⁰

وانسجاما مع ضرورة التلاحم بين الجيلين للمشاركة الفعالة في الحوار المسيحي الإسلامي، وجدت تجارب ناجحة حول إشراك الشباب في تعزيز ثقافة الحوار ونبذ ثقافة الخلاف، وهي تندرج ضمن أنشطة منظمات الحوار، ولعل أهمها:

¹⁷ يراجع: الوحدة في الاختلاف حوار الأديان في الشرق الأوسط، محمد أبو نمر، أمل الخوري، إيميلي ويلتي، ص: 280.

¹⁸ الوحدة في الاختلاف، 282.

¹⁹ المرجع السابق، نفس الموضوع.

²⁰ المرجع السابق - بتصرف.

1. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أحدث المركز القبطي للدراسات الاجتماعية عام 1994، بمبادرة من مجموعة من الشباب الأقباط الذين أسسوا مجموعة التنمية الثقافية عام 1985، وقد شكل المركز والمجموعة ذراعي الأنشطة الثقافية والحوارية التابعة للكنيسة القبطية: "حيث عملت المجموعة مع الشباب بشكل أساسي تحت مظلة أسقفية الشباب ويعمل المركز مع النخب الفكرية ومجموعة البحث المصرية تحت مظلة أسقفية الخدمات من ناحية أخرى".²¹

لقد ركزت المجموعة من خلال أنشطتها الثقافية والفكرية على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، وعلى استحضار فكرة المواطنة، واستبعاد مفهومي "الذمة" و"الأقلية" في التعامل مع المسألة القبطية، وذلك انسجاماً مع الأهداف المنشودة، والتي من أهمها - بحسب مجال هذا البحث- "مد جسور الحوار لكل طبقات المجتمع وتشجيع الشباب على المشاركة الحيوية والفعالة" و"خاصة" الذين جمعوا بين الحكمة والحماس".²²

2. الكنيسة القبطية الإنجيلية

وتقوم بتعزيز أنشطة الحوار من خلال الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، وهي منظمة تنموية اجتماعية من بين إحدى أكبر منظمات التنمية في مصر. وقد عملت على جمع المسيحيين والمسلمين معا لتعزيز التفاهم المشترك والتسامح بين الديانتين، بشأن القضايا المتعلقة بالدين والثقافة والمجتمع، وقدمت ضمن منتدى أنشأته "الحوار الثقافات" برنامجاً جديداً لرجال الدين من الشباب المسيحي والإسلامي، وهو برنامج بدأ المنتدى العمل عليه سنة 2003 بتنسيق مع وزارة الأوقاف المصرية. وإلى هدفه المنشود يشير أحد قادة المنتدى بقوله: "إن هدف البرنامج هو خلق جو من التفاهم بين رجال الدين والشباب المسيحيين والمسلمين، فحين يتعايش الشيخ والقس يتعايش المجتمع الذي ينتمي إليهما بالتبعية، وسيعمل الشيخ والقس معا، في المرحلة التالية، على القيام بالأنشطة التنموية، ويتناول هذا البرنامج قضايا عامة كالتعددية والمواطنة وما أشبه".²³

هذه بعض المنظمات الفاعلة في مجال الحوار الفكري والديني والاجتماعي والوطني والتي تميزت بضم الشباب من الديانتين إلى المفكرين

²¹ مقتطف من كلمة قائد المجموعة سمير مرقص: الوحدة في الاختلاف/ 286 - بتصرف.

²² الوحدة في الاختلاف/ 286-287- بتصرف.

²³ الوحدة في الاختلاف/ 288-290.

والقادة الدينيين، وكونها أنشأت بمبادرة قبطية في الغالب²⁴ لا يعني أن المنظمات الإسلامية التي تجسد الصحة الإسلامية المتنورة²⁵ لم تهتم بالأنشطة الحوارية ذات العلاقة بالأجيال الشابة، بل إن الموضوعات المطروحة على بساط النقاش؛ كالقيم والأخلاقيات المشتركة، وقراءة قضايا الأقباط من منظور إسلامي أصيل... هذه الموضوعات تؤكد أن الشباب المثقف الواعي كان مشاركا لا مشاهدا في حلقات النقاش والحوار.

وعلى الرغم من ذلك، ظلت معظم مبادرات الحوار المتعلقة بالجماهير والشباب ضعيفة وغير قادرة على الاستمرار والنمو في المجتمع المصري، وإن كانت قد خلفت أثرا إيجابيا لبناء العلاقات بين المسلمين والأقباط. ولاشك أن هذا القصور في مساحات الحوار، وضعف المبادرات الحوارية للشباب المصري هو الذي دفع بهؤلاء نحو استثمار تكنولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام الجديدة خاصة بعد تنامي النزاع بين قوى التحكم وقوى التحرر في مصر وتزايد الحاجة إلى تعزيز النسيج الوطني وإجراء المناقشات والمجادلات وتقديم المقترحات لمعالجة أزمة الانتقال السياسي بعد مرحلة ثورة يناير وما بعدها.

نعم، إذا كان لكل عصر إعلامه ولكل زمن أبطاله، فإن الإعلام الموازي على الانترنت وفي الصحف والفضائيات هو الذي مهد للثورة وشحذ همم الشباب نحو الإصلاح والتغيير؛ فأصبحوا قادة الثورة وليس وقودها فحسب،²⁶ حيث استطاعوا أن يخلفوا من خلال موقعي فيسبوك وتويتر، وتقنيات الهواتف المحمولة، شبكات من الاتصال الاجتماعي التي يسرت على المحتجين العمليات الإعلامية والتنظيمية اللازمة لقيام أنشطة الثورة، وأصبحت تستخدم للحشد والتعبئة، ولم تستخدم فقط لتداول الأخبار الشخصية بين الأصدقاء.

لقد أتاحت وسائل الإعلام الجديدة لثورة الشباب و"شباب الانترنت" فضاء فسيحا لتأسيس حوارات ومناقشات بديلة لا تسيطر عليها النخب التقليدية كبار السن، وتدوين احتجاجات معارضة للنظام السابق والمجلس العسكري الحاكم، خاصة بعد استعماله العنف ضد الثورة السلمية للمواطنين، فبرزت حركة "شباب 6 أبريل" وحركة "كفاية"، وحركة "الإخوان المسلمين" وحركة "كفاح"

²⁴ ومرد ذلك - في تقديري المتواضع - إلى أن الأقباط، ولاسيما بعد مرحلة السبعينات، عانوا من التمييز الديني والسياسي والاقتصادي، واتهموا بالعمالة والخيانة والرغبة في تقسيم البلد لصالح الأجنبي، فكانوا هم المعنيين أكثر بمبادرات الحوار، لأن همهم هو الشعور بالأمن والأمان.

²⁵ مثل حزب الوسيط الإسلامي وجمعية الإخاء الديني.

²⁶ بدليل أن طلاب الجامعات قادوا مظاهرات حاشدة يوم الجمعة 20 فبراير الجاري تحت شعار: "الشباب طليعة الثورة" تضامنا مع معتقلي الرأي في السجون المصرية.

و"شباب مصر المسلم" و"شباب مصريون" و"مصريون ضد الفساد" وحركة "الأقباط متحدون" و"شباب مسيحيون ضد الانقلاب"...

لقد اتخذت هذه الحركات والاتلافات فضاءات للتواصل على الانترنت لتنسيق التحالفات الوطنية والتجمعات والمظاهرات الشعبية لدعم الشرعية ورفض الانقلاب ومواصلة التصعيد الثوري السلمي، كما اتخذت تلك الفضاءات لتبادل التعليقات الساخرة بصدد الأحداث السياسية والأمنية المتقلبة، وتبادل الأخبار حول الاختطافات والاعتقالات، وإحصاء الشهداء، وجمع التوقيعات ضد الانتقام والتعذيب في السجون المصرية، وتبادل الآراء حول الأداء الحكومي ومحاسبة المسؤولين وإذاعة السخط العام في دول العالم.

إن هذه الشريحة الشبابية الثورية المتميزة بمهاراتها الاتصالية والتنظيمية عبر شبكة الانترنت رفعت شعارات الوطنية والوحدة والتضامن مع جموع الشعب²⁷ مسلمين وأقباط؛ مثل: "الوطنية فوق السياسة والمبادئ فوق المصالح" و"لا للفتنة" و"لو الفتنة حصلت لا هيبقى فيها مسلم ولا مسيحي قاعدين" و"مصر لكل المصريين" و"لا للتعصب" و"شعب واحد هم واحد وطن واحد" و"الحكاية مش إخوان... الحكاية شعب اتهان". إن هذه الشعارات التي لا تزال تنتاسل على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي إلى حدود كتابة هذه السطور، تشير، بل تصرح بأن الأزمة الراهنة ليست أزمة حوار ديني فقط، حوار بين المسلمين والأقباط، أو حوار المسلمين والأقباط فيما بينهم، وإنما المشكلة في الحوار بين كافة الكيانات السياسية والأطراف الحزبية التي تشكلت عقب ثورة 25 يناير وتضخمت مع مرور الأيام وتردي الأوضاع، لاسيما بعد الانقلاب العسكري الأخير، فانكفت تلك الكيانات السياسية بأنساقها التقليدية وضعف تجاربها حول رؤيتها وأهدافها الخاصة، مما جعلها تنعزل عن الحوار مع الآخر، وتسبب إلى بعضها البعض، ومن تم أصبحت السمة الغالبة على المشهد السياسي هي الخلاف وليس الاتفاق.

إن كثيرا من الشباب الرافضين للانقلاب يرون أن الخروج من شرك الأزمات وإنهاء الفترة الانتقالية وبناء النظام المصري المنشود يستلزم تجاوز الخلاف الديني والاتفاق حول من يخدم ويعطي الحقوق ويوفر الحياة الكريمة والعدالة والحرية، وإلى هذا المأمول ألمع المفكر الوطني القبطي أسعد عبد الملاك، حين قال في حوار أجري معه: "أنا مع التدين... وأنا أرفض التعصب... وأدعو إلى التسامح على أرضية دينية... وتلك سمة الشعب المصري، بأنه متمسك بدينه وتكون هناك آلية للتعامل مع ثوابت الدين التي تقبل الآخر، والفيصل هنا أن

²⁷ يدل على ذلك رموز كثير من الحركات؛ مثل رمز "اليد المجمعة" لحركة شباب أبريل.

تكون دولة يتمتع بها كل المصريين بحقوقهم عند ذلك... لن يفرق معي من الذي سيحكم".²⁸

ولاشك أن هذا الإحساس الفطري بالتدين الإيجابي والمواطنة الصادقة هو الذي ترجمته القوى الشبابية الثورية من خلال احتجاجاتهم وحواراتهم ومواقفهم البطولية التي سجلوها بمداد الفخر على شبكة التواصل الاجتماعي، فقدموا نموذجا رائعا للحوار الإسلامي المسيحي، الذي يغلب الانتصار للمبادئ على التعصب للدين، ولعل حركة "شباب مسيحيون ضد الانقلاب" تجسد هذا النموذج بوضوح، وهي حركة أسسها الناشط القبطي "رامي جان" مع مجموعة من الشباب المسيحي، والمتصفح لموقعها على الفيسبوك يطالعه رمز يحمل أكثر من دلالة على المعارضة والتضامن مع الغضب الشعبي الراض للانقلاب؛ فهو يجمع بين صورة الصليب وشعار رابعة العدوية، ويظهر أثر هذا التوحد بين قوى التحالف الوطني من خلال تبادل الشباب المسلم والمسيحي عبارات التهنة والشكر والمودة والاحترام والأخوة بمناسبة رأس السنة الميلادية الأخيرة، والتي تزيد من حرارة التفاعل والتلاحم، فوجد أحد الشباب المسلم يكتب تعليقا بتاريخ 8 يناير 2014، يقول فيه: "تهنئة للأخوة المسيحيين بالعيد، أعاده الله علينا جميعا بالأمن والسلام" ويرد رامي جان على التهنة برسالة: "أشكر كل من كتب لي وهنأني بالعيد، خاصة الشباب وقيادات الإخوان المسلمين، مصر واحدة مهما حاولوا" ويرد أحد المنتمين لجماعة الإخوان: "أنا من الإخوان ونحترم رامي جان"

وفي أثناء الإخبارات عن الاعتقالات والتعبئة والتحريض على مقاطعة الدستور يصرح بيان الحركة بتاريخ 7 يناير "بأن القضية ليست طائفية كما يريد البعض، وإنما قضية إنسانية ووطنية لوطن يسرق من بين أيدينا وأمام أعيننا، هذا ولن تقتصر المظاهرات على المسيحيين فقط بل هناك عدد كبير من إخواننا المسلمين سيشارك معنا هذه الفعاليات" ويضيف: "الحكاية مش إخوان الحكاية شعب اتهان"

وتعرض الصفحة، تلطيفا لأجواء التوتر المشحونة، واستجاشة لذكرى العلاقة الطيبة والقواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، حوارية بين مسلم ومسيحي للشاعر محمود أمين؛ إذ يقول: "إحنا اللي أيامنا أعياد وموالد وصلاتنا وصيامنا لربنا الواحد"، "يا كنيسة يا أزهر يا فاطمة يا مريم"، "مديت إيديك الاثنين طول عمرنا في الفرح والحزن مصريين"، ويضيف متفاعلا مع الأحداث ضد الظلم والاستبداد "قالوا الإسلام سيحكمنا... صخب وصراخ وعويل... يا أمة أحمد ما العيب... أن يحكم فينا التنزيل... هذا القرآن يعلمنا عيسى ولدته بتول... لا

²⁸ ينظر هذا الحوار على الرابط الإلكتروني: <http://www.riifs.org/uploads>

تخشى الظلم يا وطني... الرجال الإخوان عدول... لن نترك العسكر يخذعنا... أنا مسلم يا مسيحي أصيل"، ويؤكد رامي جان، بتاريخ 31 دجنبر 2013، في كلمة له لشباب مصر، ثباته على مبدئه في الدفاع عن حقوق الإنسان المصري وإدانته للقمع والقتل، وفي تعليق له بتاريخ 9 يناير، يحذر المصريين ممن يريد التفرقة بينهم؛ فيقول: "نحن واحد أقسم لكم أن الإخوان ليس لديهم مشاكل مع المسيحيين احذروا من الفرقة ومن المندسين بينكم"

إن هذه المواقف الثورية تعكس النموذج الوحدوي المصري الأصيل، الذي دافع عنه المصريون قاطبة في تاريخهم العريق، رغم ما اعتوره من فترات الصراع وعدم الاستقرار.

في ضوء ما تقدم، لا نعجب أن تتهم حكومة الانقلاب رئيس الحركة بأنه "من الإخوان" و"يدافع عنهم"، حيث يصرح رامي جان، في حوار له مع جريدة "المصريون"، وبعد إجراء الاستفتاء على الدستور الأخير: "أن جهة أمنية طالبت برأسه لأنه دافع عن فتاة منقبة تم القبض عليها مع رجل ملتج" "وأن الكنيسة لا تتواصل معه وتعتبره خائنا لأنه رفض اتباعها سياسيا، ورفض أن يغض الطرف عن إدانة حوادث الاعتقال والقمع والقتل والمطالبة بالديمقراطية والحرية. ولهذا وجه رامي جان رسالة للشباب المسيحيين بتاريخ 23 يناير، يحذرهم من تصديق القيادات، ويذكرهم بوقائع تدين تورطها في استغلال الأحداث الدموية للتفرقة، فيقول لهم: "عودوا لإنسانيتكم وانسوا الاختلاف في العقيدة! إنها الثورة والفرصة الأخيرة لإصلاح هذا الوطن! اخرجوا وغدا ستصرح الكنيسة أنها كانت على خطأ في سياستها مع الثورة".

وبعيدا عن هذه الجهود الحوارية النضالية التي تؤكد الوحدة الوطنية وتهدف إلى تفعيل دور الشباب في الإصلاح والتغيير والتطوير، تعرف مصر في أوج أزمتها الحالية، أنشطة شبابية تواصلية، تهدئ من أجواء التوتر المشحونة بالعداء، وتعيد الاطمئنان والأمان إلى النفوس، ومن ذلك ما قامت به قيادات دينية إسلامية ومسيحية من تنظيم مؤتمر وحدة وطنية بالفيوم، بمشاركة المئات من الشباب المسلمين والمسيحيين، في وقفة تأخ ومشاركة لرسم الابتسام على شفاه أهالي الفيوم، بعيدا عن التعصب والسياسة والأحزاب والحركات الثورية.

لقد اجتمع الشباب المسلم والمسيحي بميدان الثورة يحملون أعلام مصر، فيما قامت فتيات الكنيسة الإنجيلية برسم هذه الأعلام على وجوه الأطفال، وتوزيع البالونات والحلوى عليهم وسط الأغاني الوطنية والشعبية؛ وذلك تذكيرا للشباب بحوار الحياة المشتركة التي جمعت بين المسلمين والأقباط أيام الزمن الجميل، وبأن المصريين نسيج واحد وأشقاء وأحباء في الله، وأبناء وطن واحد، ويشربون من نيل واحد.

إنه تعبير عملي صادق عن بداية أمل جديد لمصر جديدة ودولة ذات مرجعية دينية وسياسية موحدة، تقطع مع عهود الفساد والاستغلال، وتصان فيها الحريات وتعطي الحقوق لجميع الناس، دون تمييز أو إقصاء أو استفراد.

حالة لبنان

1. إسهام الشباب اللبناني في مبادرات الحوار الإسلامي المسيحي بعد الحرب الأهلية

بعد الحرب الأهلية تشكلت أول مبادرة رسمية لحوار الأديان تحت لواء اللجنة الوطنية للحوار بين المسلمين والمسيحيين عام 1993، وهي المجموعة الوحيدة التي تمثل قيادات مختلف المجموعات الدينية والطائفية بشكل رسمي في البلد، ثم تتابعت المبادرات بالتدرج وتنوعت، فتضمنت "جهودا شاركت بها الكنائس والقادة الدينيون المسلمون من ناحية والمفكرون العلمانيون ومنظمات المجتمع المدني من ناحية أخرى، كما تضمنت تلك الجهود مبادرات قامت بها المنظمات المحلية والدولية معا بالإضافة لما أسهمت به المؤسسات الأكاديمية".²⁹

وقد اشتملت تلك الجهود والمبادرات لقاءات ومحاضرات وندوات ومؤتمرات وورش تدريب ومعسكرات صيفية، ومشاريع تنموية. شارك فيها الشباب المسلم والمسيحي تنظيما وتأطيرا، وذلك بوصفهم طلاب مدارس ومعاهد وجامعات، أو ميليشيات سابقة. ولعل النماذج التي نسوق بعد تبرز لنا مواقف الشباب اللبناني من الحوار ومدى تفاعلهم مع تجاربه وأنشطته وإسهامهم الفاعل في تعزيز قيم التعايش والسلام والمصالحة والوحدة، وتجاوز الأزمات والأفكار النمطية والعصبية الطائفية، ويمكن تصنيفها بحسب طبيعة التجارب والمبادرات التالية:

1.1 المعسكرات الصيفية الشبابية

وهي سابقة مهمة في التعايش لعدة أيام أو أسابيع، لمعرفة الشباب بعضهم البعض، والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والتنموية والثقافية، والمساهمة في إلقاء المحاضرات وحضور حلقات البحث والنقاش حول القضايا الحساسة وقضايا العيش المشترك. ومثال ذلك أحد معسكرات الدراسة والعمل الذي نظمه مجلس كنائس الشرق الأوسط (MECC)، ومجموعة العمل العربي حول الحوار بين المسيحيين والمسلمين (AWGMCD)، وأقيم في منطقة "حمانا" في لبنان، وقد وفر هذا المعسكر فضاء مناسباً للتعايش حيث يعمل الشباب المسيحيون والمسلمون

²⁹ الوحدة في الاختلاف / 177.

معا في الخدمة والتنمية الاجتماعية، وينفذون مشاريع مثل إعادة تشجير مستشفى معين وتلميعة، ويشاركون بحلقات نقاش ويستمعون إلى محاضرات حول قضايا متنوعة، كالمواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان والتعايش والإعلام والتغيير وما شابه.³⁰

إن إقامة المعسكرات في كل أنحاء لبنان أتاحت للشباب بيئة صحية للتداول والتعبير عن آرائهم ومواقفهم وآمالهم وآلامهم، وهو لون من "حوار الحياة" التي تجعل الشاب المسلم والمسيحي يعيشان معا ويكتشفان الأشياء معا ويعملان معا، وينميان معا مجموعة من المفاهيم والمفردات المشتركة، ويتحاوران معا حول الأفكار المسبقة والسطحية المتوارثة، ويتجاوزان معا حدود الانتماءات الطائفية؛ الأمر الذي يساعد على معرفة أفضل بالآخر، وتفهم أحسن لجذور الخلاف، كما يساعد على تقوية التعايش السلمي، وإلغاء الطائفية والتطرف الناتج عن الجهل بالآخر واعتزاله.

1. 2 مشاريع حل النزاعات وبناء حالة التعايش والمصالحة والسلام

إن من أهم الأنشطة التي انخرط فيها الشباب اللبناني أنشطة الورش التدريبية حول حل النزاعات بين المكونات الاجتماعية المتنوعة في لبنان، والتي استهدفت تدريبهم على مهارات التواصل وبناء الثقة ومشاريع التعاون من أجل إنشاء الانسجام والتعايش والمصالحة بين هؤلاء الشباب، ولعل من أهم التجارب التي تم تنفيذها بهذا الصدد، تجربة المصالحة بين الدروز والمسيحيين في منطقة "الشوف" الجبلية، التي نظمتها الشبكة اللبنانية لحل النزاعات عام 1998، واستهدفت الشباب خاصة،³¹ ووجد مشروع آخر لحركة "مبادرات التغيير" المختصة في حوار الأديان والتنمية الذاتية، يهدف إلى إجراء المصالحة بين مكونات الشعب اللبناني من خلال دعوة أربعة من أعضاء الميليشيات السابقة عام 2002، (اثنين من المسيحيين واثنين من المسلمين) كانوا قد قاتلوا بعضهم بعضا خلال الحرب ليجتمعوا معا ويتصالحوا ويصفحوا عن بعضهم البعض.³²

1. 3 مشاريع الحوار الديني والفكري الأكاديمي والشعبي

احتضنت عدد من المراكز التربوية والمدارس والمعاهد والمؤسسات الجامعية الشباب الإسلامي والمسيحي بغرض التوعية بأهمية حوار الأديان وضرورة

³⁰ الوحدة في الاختلاف / 181-182- بتصرف.

³¹ الوحدة في الاختلاف / 199.

³² الوحدة في الاختلاف / 202-204- بتلخيص.

العيش المشترك، وتدريبهم على مناقشة الموضوعات الدينية والفكرية المختلفة بأسلوب حضاري ومنهج أكاديمي، وتجاوز الانقسامات الطائفية والسياسية والأفكار النمطية، وتقبل التنوع الديني، ولعل أهم المشاريع المنجزة بهذا الخصوص، مشروع معهد القديس يوسف للدراسات الإسلامية المسيحية³³ (IEIC)؛ حيث يسعى هذا المعهد إلى تعزيز معرفة المسيحيين والمسلمين بالإسلام والمسيحية بروح من الاحترام المتبادل وحسب المناهج الأكاديمية، ومن ثم فهو يقدم للطلبة الملتحقين به، منذ إحقاقه بمدرسة العلوم الدينية في الجامعة عام 2000، دراسات أساسية عن المسيحية والإسلام، ودروس حول الأديان وعلم المناهج ومقررات متخصصة في المبادئ اللاهوتية والفلسفية للحوار الإسلامي المسيحي والفكر الديني المعاصر وعن التوراة والقرآن.³⁴

وبالإضافة إلى حلقات البحث والورش التدريبية حول العلاقات بين المسلمين والمسيحيين يتدرب الطلاب المسيحيون والمسلمون في المعهد على ثقافة الحوار والتعاون والعيش المشترك، من خلال تبادل النقاش حول تجارب معيشة؛ لاكتشاف عقيدة الآخر في سياق إنسانيته، والتحرر من مشكلة التعميم والأفكار النمطية المسبقة الناجمة عن البرمجة السلبية في البيوت والمدارس والأماكن العامة والإعلام... وغاية ذلك تفعيل دور هؤلاء الشباب في نشر ثقافة الحوار لدى قطاع أوسع من الجماهير³⁵ وهو ما توخاه المعهد من خلال تشكيل لجنة للحوار المسيحي الإسلامي عام 2002 وإحداث موقع إلكتروني لها، مما يتيح المجال للشباب من جميع المجتمعات المسيحية والإسلامية للتداول في جو من الاحترام والمتبادل.³⁶

وبالإضافة إلى هذه الأنشطة الجامعية التي تربط بين الحوار الفكري المنظم والحوار العملي، يتحدث أحد نشطاء الحوار من الدروز عن مشروع ناجح ساهم في إيجاد التقارب والتعاون بين طلاب المدارس، التي تنسم في لبنان بالانغلاق والافتقار إلى التنوع الديني؛ وهو المشروع الذي نظم زيارات بين المدارس المسيحية في "جونيا" والمدارس الإسلامية في "بيروت"، وكان يؤتى بالتلاميذ من إحدى المدارس ليقضوا يوماً في أحد الصفوف في مدرسة مختلفة.³⁷

³³ نشأ عام 1977 بإدارة كاثوليكية، الوحدة في الاختلاف/206.

³⁴ الوحدة في الاختلاف/206- بتصرف.

³⁵ الوحدة في الاختلاف/208- بتصرف.

³⁶ نفس المرجع/209.

³⁷ المرجع نفسه/228.

2. موقف الشباب اللبناني من الحوار والتعصب الديني في خضم الثورات العربية
لقد هز الربيع العربي الثوري جميع بلدان المنطقة العربية تقريبا، ورغم أن لبنان اتبعت سياسة: "النأي بالنفس" اتجاه الأوضاع الإقليمية المجاورة، لإبعاد اللبنانيين عما يدور حولهم من صراعات والتركيز على التضامن والوحدة بين المسلمين والمسيحيين؛ إلا أن الشباب كان أكثر الشرائح المجتمعية تفاعلا مع الأحداث حيث أخذوا يبحثون عن موقعهم في خضم هذه الثورات العربية، ولعل الأثر المباشر لذلك في الفترة الحالية هو ارتفاع مستوى التدين بشكل لافت وهو يختلط بالانتماء إلى أحزاب أو تيارات مسيحية وإسلامية تنحو في الغالب نحو التشدد والتعصب حيث تبين - كما ورد في دراسة جامعية³⁸ - أن واحدا من كل ثلاثة شباب "يكرهه" الآخر، إذا كان لا ينتمي إلى طائفته، كما أنه يرفض الزواج بشخص من طائفة أخرى وهذا التمييز الطائفي الناتج عن التنوع الطائفي في لبنان يدفع الشباب اللبناني، تلبية لحاجة الانتماء والاحتماء، إلى إظهار تدينهم الرمزي أولا وليس تدينهم السلوكي، وهو ما يعبر عنه باللحي الطويلة والحجاب للمسلمين أو الصلبان وصور القديسين للمسيحيين، وقد ساهمت شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز هذه الظاهرة وإشاعتها على نطاق واسع؛ حيث أحدثت على موقع "فايسبوك" العديد من الصفحات المتخصصة في التبشير الديني من قبل مختلف الطوائف، والتميزة في الغالب بالتطرف الواضح من خلال التحريض على الأديان والمس بمقدساتها، والدعوة إلى تبني مواقف استئنافية تتخطى غالبا الحدود اللبنانية إلى الحدود المجاورة، وفي هذا يقول إحدى شباب الفايسبوك: "إن شبكات التواصل الاجتماعي هي الطريقة الأساسية لإظهار رد فعل الشباب تجاه ما يجري في المنطقة العربية اليوم، ويضيف أن هناك حالة غليان خاصة بين الطوائف والمذاهب، وهذا ما يدفع كل شخص إلى التمسك بدينه والتعمق به أكثر لكي لا يكون في موقع المتفرج على ما يحصل فيما هناك انتهاك لحرمة بعض الطوائف".
ويرد شاب آخر سبب المبالغة في إظهار التدين لدى الشباب المسيحي إلى الخوف والقلق من اندثار الثقافة المسيحية في ظل بروز تيارات كثيرة متشددة في المنطقة العربية، كما يرد ذلك أيضا إلى تيارات وأحزاب سياسية تحمل راية

³⁸ أجرتها الجامعة الأمريكية في بيروت تحت عنوان: "في وصف الشباب اللبناني: دراسة وطنية ونفسية- اجتماعية" : ينظر: التعصب الديني إلى ارتفاع بين شباب لبنان: بحث عن الهوية والحماية وسط التحديات": فيرونك أبو غزالة (2013/5/27) على الرابط الإلكتروني: www.alhayat.com/details/517567

المسيحية وتشجيع أجواء التشدد في لبنان، مستغلة الدين لأهداف ومصالح سياسية³⁹ ومن هنا يندد كثير من الشباب بهذا النظام التقسيمي الفاسد، ويردون أصل المشكلة إلى القيادات والمرجعيات الروحية التي يحرض بعضها على النزاع والافتتال، يصرح بهذا بعض الشباب، ضمن مشاركته الحوارية في الجامعة اليسوعية،⁴⁰ حيث يقول واصفا مشهد رجال الدين: "يتحدثون أمامنا بالمحبة لكنهم يعودون لينشروا الفتنة في الخفاء".⁴¹ ويقترح حلا لهذا الواقع التقسيمي: "لنتفاهم مع بعضنا البعض". وعلى هذا التفاهم والتناغم بين الشباب يعول كثير من قادة الدين والمجتمع المدني المتتورين في لبنان، حيث توجه المطران عصام يوحنا درويش إلى الشباب⁴² قائلا: "نحتاج اليوم إليكم" لمواجهة العزلة والانقسام وتفعيل الحوار بين الأديان.⁴³ وهو ما أكده أحد الشباب المتتورين معبرا عن أمل الشباب اللبناني في مستقبل واعد: "لا نريد أناسا تمثلنا طائفيا، بل نريد من يخدمنا، ولا يهم من أي طائفة أتى".⁴⁴

إن الحوار من منظور الأجيال اللبنانية الشابة هو أحد الوسائل المثلى للتعاشيش المشترك المفضي إلى إيجاد مواطنين ولاؤهم للوطن وليس للطائفة، وهو الأمر الكفيل بنزع فتيل الكراهية والتعصب وإنهاء استغلال الدين في السياسة؛ لأن الدين الذي أصله محبة وتعاون وسلام، لا يمكن أن يكون سببا للانقسام أو جزءا من الإشكال.

³⁹ المقال السابق، على نفس الرابط - بتصرف- لهذا كانت نزعة الطائفية السياسية هي الميزة الأساسية للنظام اللبناني، وهي من أهم التحديات في طريق حوار الأديان: (ينظر حول ذلك: الوحدة في الاختلاف/220).

⁴⁰ مع طلاب ثانويين وضمن برنامج "العيش المشترك الإسلامي - المسيحي" بتاريخ 2012/03/06. ينظر الحوار على الرابط الإلكتروني: www.shabab.assafir.com/article.aspx/5722.

⁴¹ يؤيد هذه الحقيقة المريرة قول أحد الباحثين "إن رجل الدين والسياسي هما أكثر من يبيت في الناس روح التعصب والكراهية التي تفضي إلى القطيعة تم النزاع في كثير من الأحيان"، الوحدة في الاختلاف/المقدمة.

⁴² في لقاء نظّمته جمعية "نهار الشباب" بالتعاون مع مؤسسة فرييريش ايبيرت وفي إطار مشروع "قادة شباب الغد في لبنان" بتاريخ 2013/04/25: ينظر على الرابط الإلكتروني ucipliban.org/arabic.

⁴³ المرجع نفسه - بتصرف.

⁴⁴ ينظر الحوار على الرابط الإلكتروني: shabab.Assafir.com/article.5722.

المطلب الثاني: نماذج من أوروبا (ألمانيا)

لقد استقبلت ألمانيا، كسائر دول أوروبا، وقبل الحرب العالمية الأولى أعدادا هائلة من المسلمين من بلدان عربية وإسلامية، نسجوا علاقات متميزة مع مجتمعهم الغربي، وحرص معظمهم على الحفاظ على هويتهم الإسلامية وخدمة مجموعتهم، ولما استقر بهم المقام بدأت أجيالهم الشابة على الخصوص تستشعر أن ألمانيا وطنها، وتسعى إلى التأثير في محيط الجالية المسلمة، ونسج خيوط التعارف الفاعل وتأسيس حوار الحياة مع المسيحية الغربية، حيث كان لها الفضل في إنشاء المؤسسات الشبابية والمجالس والمنتديات الإسلامية؛ ومنها المنتدى الإسلامي الأوربي للشباب والطلاب⁴⁵ الذي يهتم بالتواصل مع المؤسسات الشبابية للأديان والأفكار الأخرى، ومؤسسات الشباب المسلم التي تسهم في تأطير الشباب وتوعيتهم بالقيم المشتركة بين المسيحية والإسلام، كما تعمل على الموازنة بين حفاظه على هويته الإسلامية واندماجه في مجتمعه الغربي والمساهمة في خدمته وتطويره على كافة المستويات.

إن هذه الشريحة من الشباب الإسلامي التي حققت الاندماج والريادة وتبوأت مواقع متقدمة في المجتمع الألماني، هي التي تنصدر الآن منابر التنقيف والتأطير والحوار، وتناقش مع الجهات الأمنية والسياسية الألمانية الخلافات والمشاكل بسبب البطالة والاندماج الذي يطرح منذ سنوات، وهي التي تحاول الآن وتعاون مع الشخصيات والمؤسسات والهيئات والجمعيات المعتدلة، أن تخفف من مشاعر الرهاب الإسلامي المعمقة في أوروبا والعالم الغربي والتي أثارها التمثيلات الخاطئة والصور النمطية المشوهة في الأذهان لكل من المسيحية والإسلام عبر قرون التماس والصراع، وضخمتها فواعل السياسة ووسائل الإعلام المغرضة اليوم، وخاصة بعد واقعة 11 سبتمبر 2001.

وإذا كانت كثير من وسائل الإعلام الغربية، ومنها الإعلام الألماني تسهم بشكل كبير في تقديم صور سلبية للعرب والمسلمين والتحريض على الصراع وتهميش الحوار من خلال تأجيج شعور المسيحية الغربية بالفتور والخوف والارتياب اتجاه الأعداد المتزايدة من المسلمين التي باتت تهدد أمنها وهويتها، فإنه - وفي المقابل - نجد بعض وسائل الإعلام الموضوعية تعمل، من خلال إعداد برامج حوارية وشبابية، على خلق مناخ ملائم للحوار يتيح لأبناء الأقليات والجاليات الإسلامية في ألمانيا مناقشة قضايا دينية وأخلاقية واجتماعية وسياسية؛

⁴⁵ وهي مؤسسة تضم اليوم أكثر من 40 مؤسسة شبابية وطلابية قطرية على الساحة الأوروبية، ومقرها الأساسي في مدينة بروكسل: يراجع مقال: "الإسلام والمسلمون والعمل الإسلامي في أوروبا (الواقع - المعوقات، الأمل)"، أحمد الراوي، على الرابط الإلكتروني: islamtoday.net/files/wedi/p3.htm

مثل قضايا الهوية والاندماج، ورؤية الشباب لمفهوم التسامح الديني، وثقافة الاختلاف وتقبل الآخر والتعايش السلمي المشترك وأسباب رفض بعض الشباب للحوار وغيرها من القضايا الهامة والحساسة التي طرحتها مثل قناة Deutsche Welle الألمانية على بساط الحوار، وقدمت من خلاله وجهات النظر المختلفة لكفاءات علمية شبابية، يمكن أن تسهم في تشكيل موقف الشباب من جدلية الحوار والتعصب الديني.

وهكذا، يعتبر البرنامج الحوارى المشترك بين القناة الألمانية Deutsche Welle والقناة المصرية "الحياة" "شباب توك" والذي يقدمه الإعلامي الشاب جعفر عبد الكريم من أنجح البرامج الحوارية الشبابية التي تعرض على بساط النقاش قضايا هامة تعنى بالإسلام الغربى والمشرقى، وعلاقته بالمسيحية الغربية والشرقية، وقضايا التعايش بين الأديان وأسباب التطرف فى أوروبا، والحوار بين الشباب العربى والأوروبى. ولعل من أهم الحلقات التي كشفت عن رؤى الشباب المختلفة لمفهوم التسامح ولمواقفهم إزاء الحوار قبولاً ورفضاً، الحلقة التي سجلت في موضوع: "رؤية الشباب لمفهوم التسامح الديني" بتاريخ 24 أكتوبر 2012.⁴⁶ لقد شاركت في الحوار حول هذا الموضوع كفاءات إسلامية شابة مهاجرة، أخذت مكانها في منظومة العمل السياسى والثقافى والدينى فى ألمانيا، وعززت موقعها الإعلامى بالتعبير عن مواقفها وأرائها بكل حرية وموضوعية وبحسب جهتها ومسؤوليتها.

لقد افتتح الإعلامى الشاب الحلقة بتحديد مفهوم الحوار، بوصفه آلية ناجحة للتخلص من الأفكار المسبقة لدى أتباع الديانات المختلفة عن بعضهم البعض، ثم طرح الإشكالية التالية: كيف يمكن ترسيخ ثقافة الحوار بغض النظر عن الدين؟ ولماذا يرفض بعض الشباب الحوار مع أتباع الديانات الأخرى؟

لنقاش هذه الأسئلة، حضرت "سوسن" مسؤولة التواصل الثقافى فى وزارة الداخلية والشباب فى برلين، وهى مسلمة ومن عائلة محافظة، ترى أن الحوار لا يزال نخبوا فى المجتمع الألمانى، وانضمت إلى الحوار من مدينة بون "رائدة"، وهى باحثة فى علوم الدين، وتعتقد أن الإعلام الألمانى حول الإسلام إلى قضية سياسية، وأن الحوار الآن مع المسلمين هو حوار غير متكافئ، كما انضمت من القاهرة "أميرة" وهى مدرسة مساعدة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وترى أن مصر الآن تحتاج بإلحاح إلى مبدأ تقبل الآخر، والحوار مع الآخر، وذلك بسبب أحداث الفتنة الطائفية العدائية المتزايدة فى خضم ثورة الربيع

⁴⁶ تشاهد الحلقة على موقع: www.youtube.com.

الدموي في مصر، والتي تغذيها شائعات يميل الناس إلى تصديقها في غياب حوار مباشر وجاد بين أطراف النزاع.

وترجع "رائدة" رؤيتها لعدم التوازن في الحوار الألماني الإسلامي إلى أن الطرف الألماني، حين يدعو إلى الحوار، لا يقدم نفسه شريكا ومساويا للآخر في الحوار، وإنما بوصفه الطرف الأقوى الذي لا يتقبل اختلاف الآخر، ويسعى إلى إقناعه بوقوع الخلل من جهته، وأن عليه أن يصحح هذا الخلل.

وتعقب سوسن على هذا الرأي ببيان وجهة نظرها، بصفتها ممثلة للدولة ومعنية بموضوع الحوار؛ حيث تقول: "أوافق رائدة بخصوص عدم التكافؤ في الحوار الإسلامي الألماني، لأن الدولة كانت تدعو دائما للحوار مع الجاليات والجمعيات المسلمة، وهي دعوة مجدية بحسب تجربتي الشخصية، كما أن هناك أطراف مسلمة كانت تدعو إلى عقد جلسات حوارية"، وتضيف: "اليوم اختلف الوضع، إذ لا يمكن القطع بأن الحوار غير متكافئ بشكل تام، بل لا بد من القول أن هناك توجه إيجابي في السنوات الأخيرة، حيث بدأ الوعي بالهوية والشخصية الإسلامية يتزايد لدى جيل الشباب، وبدأ عدد كبير من المسلمين يتحملون مسؤولياتهم اتجاه المجتمع، وهذه حركة حديثة العهد في ألمانيا". وتؤكد المسؤولة الشابة على أن تهيئة الشباب المسلم ليكون في مستوى الحوار والسباق الفاعل مع الشباب الكاثوليكي علميا وهيكليا وماديا، هي مسألة وقت إضافي فقط.

وتجيب رائدة، موافقة سوسن على كون الوضع تحسن، عن سؤال طرح بخصوص دور الشباب المسلم من أصل عربي في تغيير الصورة النمطية التي تلصق به في ألمانيا، تقول: "إن الكفاءات الشابة المسلمة تحسنت عن السابق، من حيث المعرفة باللغة والثقافة الألمانية، وبالثقافات السائدة في مجتمعاتها الأصلية، فأصبح من الممكن الآن الحديث عن حوار متوازن بين الشباب الإسلامي والمسيحي، بيد أن هناك فئات شبابية تفضل أن تبقى بين أهلها وفي مجموعتها، دون أن ترفض فكرة الحوار مع الآخر، وتضيف: "أن معظم الشباب المسلمين في ألمانيا يحسبون اليوم أنهم جزء من المجتمع الألماني، ولكن تواجههم عراقيل أمام تقبلهم واندماجهم، فنقتصر جهودهم على خدمة مجموعتهم". واستدركت سوسن أنه "لا بد من التمييز بين الشباب الذين لديهم هوية ثابتة، وغيرهم، ومن منطلق تجربتي يوجد لدينا شباب متعلم واع واثق من نفسه، ويشعر أنه جزء من هذا المجتمع، وليس لديه مانع من الدخول في حوار مع شباب ينتمون إلى ديانات أخرى، وقد أثبتت التجربة أن هؤلاء الشباب هم من يبادرون إلى عقد حوارات مع الآخرين ولا يطلبون إذنًا من الكنيسة أو المسيحيين لإجراء الحوار، فهؤلاء يريدون أن يفتحوا الأبواب ليقولوا للمجتمع الألماني: ما هي المشكلة لدينا نحن كمتدينين بغض النظر عن كوننا مسيحيين أم مسلمين أم يهود؟"

ويسأل مقدم البرنامج سوسن عن سبل تشجيع الشباب المسلم في ألمانيا على الحوار مع الأديان الأخرى، وعن آليات تحقيق فهم أفضل للأديان، فتجيب أنه من الصعب أن يجتمع الشباب في مناخ حوار ملائم من أجل تحقيق هدف التعايش السلمي المشترك، وقد قامت الحكومة الألمانية بدعوة الشباب إلى مثل هذا الاجتماع، حيث يتم الاتفاق حول المبادئ المشتركة بين الأديان وعدم مناقشة القضايا الدينية، ويجري الحوار بشكل جاد حول المواضيع السياسية؛ كاحترام المتبادل، ومواقف المجتمعات الدينية من القضايا السياسية. لكن - في رأي سوسن- أن الحوار يصير صعبا، عندما يكون النقاش بين الأديان مسيسا؛ فعند الحديث مثلا ضمن الحوار المسيحي الإسلامي، عن الاعتراف بالدين الإسلامي في دولة ألمانيا يصبح الموضوع مرتبطا بالسلطة والمال، وتتشكل جبهات الخلاف.

لذا يطرح سؤال: ما الذي يقوي انتماء الشباب إلى المجتمع الألماني؟ ويشجعهم بالتالي على الحوار؟.

وتجيب سوسن، أنه إذا تم الاعتراف بانتماء العرب والمسلمين إلى ألمانيا، لا بد أن يفسح أمامهم أفق مستقبلي، ومن ثم يجب أن يشعروا بأنهم ينتمون إلى هذا المجتمع، وأنهم يستطيعون أن يقدموا شيئا لخدمته، لا أن يبقوا منعزلين عنه، منكمشين في أجوائهم، فالاندماج الحقيقي - كما ترى سوسن- "يعني أن تكون متقفا ومساهما في بناء هذا المجتمع، والهوية المسلمة مهمة للطرفين في نهاية الأمر".

الخاتمة: مقترحات وتوصيات

إن النظر الفاحص في هذه المواقف والنماذج من جدلية الحوار والتعصب الديني لدى الشباب الإسلامي والمسيحي المشرقي والغربي، يكشف بجلاء عن ميل الأجيال الشابة الواعية إلى خيار الحوار، كأساس للتعارف والتواصل والتعايش مع الآخر، ومن ثم يهدي إلى أن الآفاق الرحبة للحوار بكل مستوياته لن يفتحها ويحقق أهدافها وطموحاتها بفعالية ونجاح إلا الشباب المثقف المتدين، العارف بذاته، المعترف بهويته، المتميز بسلوكه، والمحدد لأهدافه، والمطور لمهاراته، والمشارك في خدمة مجتمعه، والواعي بتحديات واقعه وسبل مواجهتها.

وتأسيسا على كل ما تقدم واستشرافا لما سيأتي، نقدم المقترحات

والتوصيات التالية:

- تأهيل المؤسسات التقليدية المسؤولة عن بناء الشخصية المتوازنة وصيانة فطرتها السوية (الأسرة المسجد الكنيسة المدرسة) وذلك من أجل استعادة دورها التربوي الجوهرية في ترسيخ القيم والمبادئ والأساليب المشتركة بين

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

- الأديان في الناشئة، وفي مقدمتها قيم التسامح والبر والإحسان والتعايش السلمي والاحترام المتبادل، ومبادئ الاختلاف وقبول الآخر والمواطنة وحقوقها، وحرية الاعتقاد وأسلوب الحوار.
- العمل على إدراج مواد "الحوار ومناهجه" و"تاريخ الأديان" و"حقوق المواطنة" و"القيم المشتركة" في المناهج الدراسية المعتمدة في المدارس والمؤسسات الأكاديمية، الإسلامية والمسيحية على السواء، من أجل تحقيق فهم أفضل للأديان والثقافات، واستحضار الهوية والعمق التاريخي الوطني، وإشاعة ثقافة التسامح والكونية والأخوة الإنسانية، والحيلولة دون خطاب التلقين والشحن الديني وعقد الانكماش على الذات أو التعالي على الآخر، وتبادل خطاب النواقص والمثالب.
 - توجيه حوار الشباب المسيحي الإسلامي في الغرب نحو الجامعات الغربية ومراكز الأبحاث وقطاعات العلمانيين، وعدم حصره بالكنائس ولواحقها من مؤسسات كنسية.
 - تكثيف عقد اللقاءات والرحلات وورش التدريب والمخيمات لفائدة الشباب المسلم والمسيحي، خاصة في المجتمعات المتسمة بالانقسام الطائفي؛ وذلك لخلق فرص التعارف الإنساني والحوار الديني والثقافي وتعزيز العيش المشترك، وإجراء المصالحة والتهدئة بين أطراف النزاع، وتنقية الأفكار من الأحكام المسبقة والترسبات السالفة المستوردة.
 - الحاجة إلى إنشاء صفحات ومنتديات على شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة، لبناء جسور التعارف والتواصل وتقريب وجهات النظر وتبادل الآراء بخصوص القضايا الدينية والوطنية والسياسية بين الأجيال الشابة من الديانتين، وفي أجواء من المودة والاحترام.
 - إعادة تنظيم إعلام السجال الديني وبعض مواقع الدردشة الدينية والمذهبية وصفحات الحركات الاجتماعية والسياسية، التي أضحت اليوم فضاء واسعاً يستعمله بعض شباب الإنترنت في إشاعة الصراع الديني والمذهبي وإذكاء التعصب الطائفي، وإجراء الحوارات المرتجلة غير المركزة، والمحتكمة إلى العاطفة أكثر من القوة العاقلة والتخطيط المحكم
 - دعوة منظمات حوار الأديان والناشطين في الجمعيات الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني إلى تشكيل مجموعات شبابية قيادية ذات تخصصات متعددة؛

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

لتنصدر حلقات النقاش السياسي والوطني والديني الجارية اليوم في البلدان العربية والغربية، ذات التعددية الدينية والثقافية.

المراجع

1. القرآن الكريم: برواية ورش.
2. الأناجيل: متى، بطرس، لوقا.
3. الائتلاف والاختلاف بين المسيحية والإسلام، أحمد الحذيري، منشورات كرام الشريف، ط1/ 2012.
4. الإسلام والمسلمون والعمل الإسلامي في أوروبا (الواقع – المعوقات، الأمل)، احمد الراوي، على الرابط الإلكتروني: islamtoday.net/files/wedi/p3.htm.
5. إيماني والقضايا المسيحية الكبرى، القس إلياس مقار، ص: 479، دار الثقافة، مطبعة الجيل، ط 3.
6. التعصب الديني إلى ارتفاع بين شباب لبنان: بحث عن الهوية والحماية وسط التحديات": فيرونك أبوغزالة(2013/5/27) على الرابط الإلكتروني: www.alhayat.com/details/517567
7. تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمن المزني، تحقيق أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، دار الفكر، د. ط/ 1414.
8. الجدل والجدلية: محددات أولية، نزار العاني، مجلة التجديد، السنة الثانية 1418، العدد الرابع – ماليزيا.
9. صحيح سنن الترمذي، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2000/1.
10. صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2000/1.
11. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
12. لغة الحوار من نظرة مسيحية، على الرابط الإلكتروني: www.calam1.org/a/1110

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

13. الوحدة في الاختلاف حوار الأديان في الشرق الأوسط، محمد أبو نمر، أمل الخوري، إيميلي ويلتي، ترجمة: عبد العلي السعيد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1/2013.

14. حوار مع المفكر القبطي أسعد عبد الملاك على الرابط الإلكتروني:
<http://www.riifs.org/uploads>

15. حوار بين طلاب ثانويين حول "العيش المشترك" بتاريخ 2012/03/06.
ينظر على الرابط الإلكتروني: www.shabab-assafir.com/article.aspx/5722

home.phg/www.almaany.com. 16

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مولاي محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعدني أن أكتب هذه الكلمات بمناسبة إصدار مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان كتاب وقائع المؤتمر الحادي عشر لحوار الأديان الذي انعقد في الدوحة في مارس 2014 تحت عنوان "دور الشباب في تعزيز قيم الحوار".

ولا شك أن الحوار قيمة دينية واجتماعية عملية يشجع الإسلام عليه ويطلب بالتعامل الحضارى من خلاله. وقوله تعالى: "...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (سورة سبأ: 24) إرشاد إلى هذه القيمة وإلزام بها، وينسجم تماما مع هدف التنوع في الخلق الذي تحدث عنه القرآن الكريم في لغة لا ليس فيه عندما قال: "يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ" (سورة الحجرات: 13).

وعالمنا المعاصر المائج بالنزاعات الدينية والعرقية والعنصرية والسياسية، والمبتلى بتيارات التطرف والتطرف المضاد - وهي كلها ضد الفطرة الإنسانية السليمة وعلى النقيض من مقتضيات "الحياة السعيدة" التي ينبغي أن تقوم على المحبة والتعاون والمشاركة والنصح - لفي حاجة ماسة ملزمة إلى تذكر "الحوار" وإحيائه كقيمة حياتية أساسية تتعامل بها المجتمعات المختلفة وتتعايش بها - ولها أيضا - الحضارات المتنوعة، لإنقاذ أنفسنا ومجتمعاتنا من الوقوع في هاوية "الهرج والمرج" التي نحن على مشارفها فيما يبدو.

فلا عجب أن يحس مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان في قطر - انسجاما مع رسالته وأهدافه، واتفاقا مع سياسة قطر وتوجهاتها وتطلعاتها - بهذه الضرورة الملحة لإحياء هذه القيمة الكبيرة وإشاعتها، وحسنا فعل. ولما كان الشباب هم الذين ينبغي أن يلعبوا الدور الأكبر وهم أغلبية سكان المعمورة وصانعو الغد وحركة المستقبل فقد كان من الطبيعي والمنطقي أن يجتمع المتحاورون حول "دور الشباب في تعزيز قيم الحوار".

والبحوث التي قدمت ونوقشت في هذا المؤتمر والتي يجدها القارئ منقحة محررة في طيات هذا الكتاب شاركت فيها سرعة الشباب وحركيتهم مع حكمة الكبار وتجاربهم وأصبحت بذلك كنزا علميا ثمينًا، وخبرة عملية عميقة. وإنى لعلى يقين من أن هذه "الوقائع" ستظل مرجعا مهما لكل من يعمل في سبيل إحياء قيمة الحوار ويؤمل في حاضر سعيد ومستقبل أسعد للإنسانية.

أوراق مؤتمر الدوحة الحادي عشر لحوار الأديان

ومن واجبي هنا أن أشكر القائمين على المركز على نشر هذا السفر الميمون، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به ويجزي العاملين عليه.

والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم.

أ. د. عائشة المناعي

عميدة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة

نائب مدير مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان



